المعجم الموسوعي

في

علم النفس

الألف
الباء

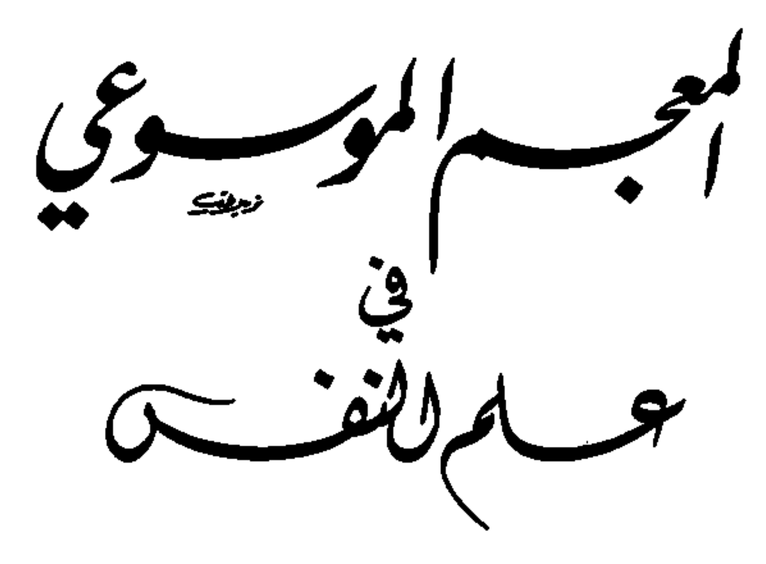
نوربير سيلامي

بمشاركة مئة وثلاثة وثلاثين إختصاصياً

5

نوربير سيلامي

بمشاركة مئة وثلاثة وثلاثين اختصاصياً



الجُزءُ الخَامِسُ

الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم

ترجمة

وجيه أسعد



العنوان الأصلي للكتاب :

Dictionnaire usuel de Psychologie

NORBERT SILLAMY

Bordas

المعـجم الموسـوعي في علم الـنفس= Dictionnaire Usuel de Psychologie/ نوربير سيلامي؛ ترجمة وجيه أسعد. - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠. - ٦ ج؛ ٢٤سم.

١- ٣ر١٥٠ س ي ل م ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- سيلامي ٥- أسعد

مكتبـة الأسـد

الايداع القانوني: ع- ١٥٠٨ /٩/ ٢٠٠٠

حـــــرف

الفـــاء



F: Bénéfice secondaire de la maladie فائدة المرض الثانوية

En: Secondary gain from illness

D: Krankheitsgewinn

ميزة يستمدّها مريض من وضعه.

حالة المرض لدى بعض الأفراد، التي تضعهم في مأمن من مسؤوليات الحياة وصعوباتها مع تأمين اهتمام محيطهم بهم في الوقت نفسه، مصدر إشباع. مثال ذلك أن طفلاً سيأتي ليرينا إصبعه المجروح المضمّد أو ركبته المسحوجة حتى يعامل معاملة الشخصية ذات الأهمية أو يتلقّى مداعبة؛ وامرأة مهملة بعض الإهمال على المستوى الزوجي ستجد في أزماتها الربوية وسيلة الحصول على اهتمام أكبر وحنان من جانب زوجها؛ وسيسعى شخص آخر إلى الحصول على الحدّ الأعلى من التعويضات المالية عن الضرر الذي عاناه، إلخ. ولكل هذه «المنافع»، التي يمكنها أن تبدو غير ذات مدلول بالنسبة لمن يتمتّع بالصحة، ذات مدلول بالنسبة للمريض. إن لها في ناظريه، على العكس، أهمية كبيرة بحيث أنها تكوّن، في حالات عديدة، مانعاً للشفاء. (انظر في هذا المعجم: الهروب في المرض، المرض).

N.S.



الفاعلية

F: Activité

En: Activity

D: Aktivität

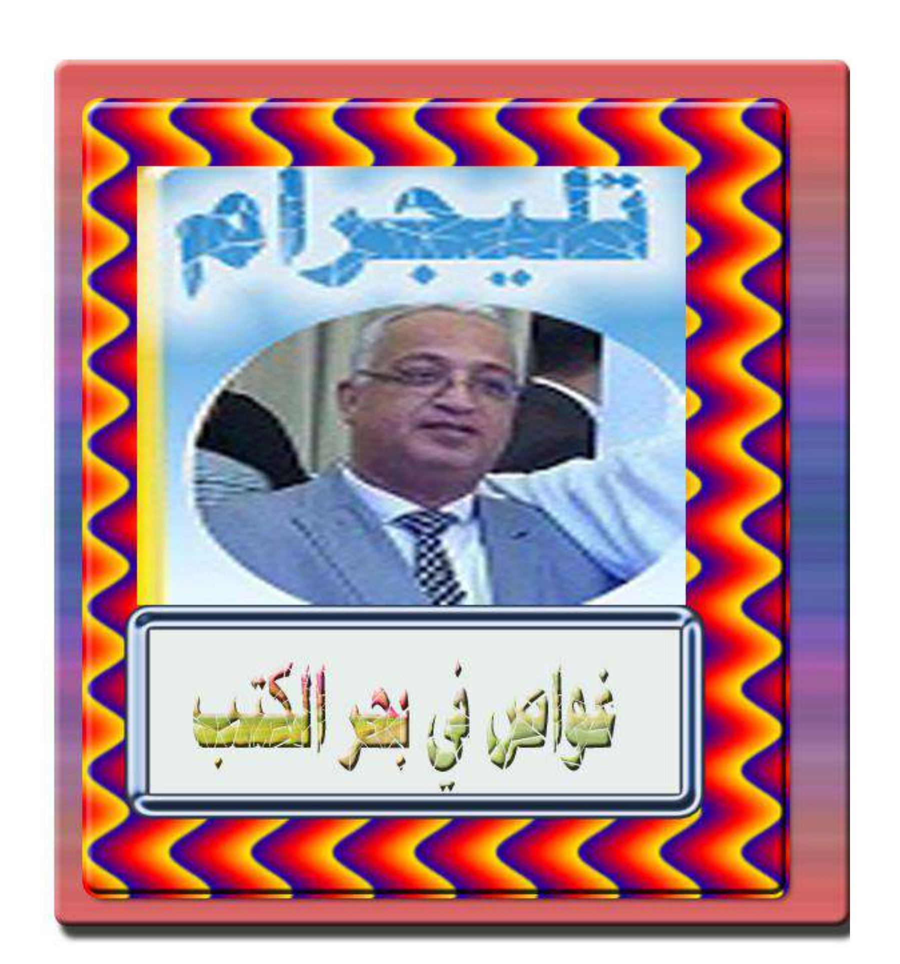
مجموعة أفعال موجود حيّ.

ثمة مختلف الضروب من الفاعلية. أبسطها الفاعلية الانعكاسية التي تقابل تحرّر الطاقة استجابةً لمنبّه. ويتُكلم، في هذه الحالة، على فاعلية عصبية دنيا بالتقابل مع فاعلية عصبية عليا، فاعلية الدماغ الأعلى، التي تستخدم آليات عمل ذات تعقيد كبير تنجم عنها العواطف والظاهرات الفكرية. والفاعلية تابعة تبعية وثيقة للدوافع والحاجات. ومن الممكن إذن أن نقيّم قوة بعض الميول إذ نقيس فاعلية عضوية في بعض الأوضاع المحدّدة. ومثال ذلك أننا إذا أردنا تقييم قوة الجوع، نضع فأراً جائعاً في علبة خاصة حيث يوجد معلف تتحكّم رافعة بفتحته. فتظهر كريّة من الطعام عند كل ضغطة على الرافعة. وعدد الكريات الناجمة عن الفاعلية المصروفة يقدّم فكرة، إن لم يقدم قياساً موضوعياً، عن شدّة الجوع لدى الحيوان.

ويدلّ مصطلح الفاعلية، في علم الطباع، على استعداد شخص من الأشخاص للتصرّف، وليس على مجموعة أفعاله. ولهذا السبب، فإن من يتصرّف على الرغم منه تحت ضغط الأحداث فقط لن يكون «فعّالاً». والرجل الفعّال بصورة حقيقية سعيد في أن يتصرف، فالعطالة ثقيلة عليه، وكل المناسبات جيّدة بالنسبة له ليصرف طاقته. وانبعاث عائق لايوقفه أو لايثبّط همته على الإطلاق، بل

يحرّضه : إن عليه أن يتغلّب على هذه الصعوبة الجديدة. إنه فرد إرادي، عنيد، واقعي وماهر على وجه العموم. وبصفته ذا اتجاه إلى العمل، يمكنه أن يبحث عن انجاز مأثر ويشكّل عن طيب خاطر جزءاً من «غزاة اللامجدي». ويعاني «غير الفعّال»، على العكس، صعوبات كثيرة في التصرّف، وأوهى عائق يثبّط همته، وكل شيء في الحياة شاقّ بالنسبة له؛ إنه، بوصفه يهمل المهمات التي ينبغي له أن ينجزها، يؤجّل دائماً تلك الأعمال التي لاتعنيه. وعندما تثيره الحماسة، يكون قادراً مع ذلك على التصرّف، بل التصرف بقوة. ولكن ذلك لايحدث إلا نادراً، ويرضى عادة بالتأمل وأحلام اليقظة والعطالة. (انظر في هذا المعجم: **الطبع، علم الطباع**).

N.S.



الفاعلية الآلية التلقائية **F: Automatisme**

En: Automatism

D: Automatisnus

فاعلية تفلت من مراقبة الإرادة وتتحقّق بصورة مستقلة عن الأنا.

معظم الآليات التلقائية مفيد: المنعكسات، الفاعلية القلبية، التنفّسية، الهضمية، من الآليات البيولوجية؛ المشي من المجال السيكولوجي الحيوي؛ وكثير من الأفعال التي أصبحت اعتيادية، كتزرير الثياب وعقْد ربطة العنق، هي سلوكات مكتسبة. وحتى الحياة النفسية لها آلياتها (ترابط الأفكار، الذاكرة. . .). ولايشمل هذا المصطلح آلية ميكانيكية لاجذور حيوية لها، بل الفاعلية الآلية التلقائية تحت الشعورية ضرورية للعضوية في جهدها للتكيّف. وقد يحدث مع ذلك أن تكون بعض الفاعليات الآلية المكتسبة كابحاً، أي مانعاً من موانع التكيّف، عندما تقود الفرد إلى سلوك اعتيادي، حيث ينبغي له، على العكس، أن يغيّر تصرّفه بسرعة ليواجه وضعاً غير متوقّع. ولهذا السبب ابتكر بعضهم، لبعض المهن ذات العلاقة بالأمن العام، روائز لمقاومة الفاعلية الآلية النفسية الحركية المكتسبة (رائز R.A.P.A.، باريس، 1950)، مخصّصة لاختبار مرونة العمال السيكولوجية وقدرتهم على التكيّف سريعاً مع تغيير جديد.

وفي رأي المحلّلين النفسيين أن تجارب سيكولوجية وسلوكات بكاملها، مثبّتة مبكّراً في الطفولة، يمكنها أن تتكرّر آلياً، على نحو لاشعوري، في حين أن حالات

وجدانية مؤلمة ترافقها. مثال ذلك أن بعض الأشخاص يستمرّون في البحث عن نموذج الزوج نفسه، على الرغم من «التجارب السيئة» المفضية للطلاق. ولكننا في العلاج بالتحليل النفسي، عبر سلوكات التحويل، إنما يمكننا أن نلاحظ هذه الظاهرة على نحو أفضل. ونصادف في الطب النفسي **فاعليات آلية نفسية حركية** خلال حالات مرضية عابرة، لدى الهستيريين، والمصابين بالصرع (صَرَع صدغي) والرضّات الجمجمية، الذين يمكنهم على سبيل المثال أن ينتقلوا، بل أن يستقلّوا القطار، دون أن يحتفظوا بأنه ذكرى من فاعليتهم. ويعرض بعض المصابين بالهذيان ظاهرات من **الفاعلية الآلية العقلية** (ثمة من يجعلهم يتكلمون ويتصرّفون، من يوجّه أفكارهم) التي يعيشونها بوصفها تلاعباً بشخصهم تنفّذه قوة غريبة ليس بوسعهم أن يفلتوا منها. وكان هذا الشكل الخاص من هذيان التأثير، وهو عَرَض من أعراض تفكك الشخصية، قد درسه الطبيب النفسي الروسي فكتور كاندانسكي (1849-1889) والفرنسي غاتان غاتيان دو كليرامبو (بورج، 1872- باريس، 1934). (انظر في هذا المعجم: **الترابطية، قسر التكرار، الهذيان، تعاقب الأفكار السريع، التحويل**).

N.S.

الفاعليات الآلية النفسية التلقائية **F: Automatisme mental**

En: Sensory automatism

D: Sensorische automatisnien

مجموعة من الظاهرات النفسية غير السوية ظهورها المفاجئ وسيرها المستقلّ عن إرادة الفرد يُحدثان لديه الشعور أن قوة خارجية تؤثّر في فكره وتراقب السير الوظائفي وسير إدراكاته أو أفعاله الوظائفي.

ألحّ غاتيان دو كليرامبو (1872 -1934) في أوصافه وتعليقاته (بين 1920 و 1927) إلحاحاً طويلاً على بعض المظاهر من هذا التناذر الذي تجعل منه، في رأيه، كياناً عيادياً متميّزاً. وتكوّن هذه الظاهرات، يقول غاتيان، «اضطراباً جزيئياً للفكر الأولي» يسبق على وجه الاحتمال تلك الفاعلية الهاذية، اضطراباً يصبح ضرباً من «تكوين الأفكار المضافة ثانية»، ضرباً من الإسهام الثانوي. إنها ظاهرات يدركها الفرد أنها غريبة عنه كلياً، أنها عناصر طفيلية مفروضة من الخارج؛ ولهذا السبب يشهد الفرد سيرها، أقلّه في البداية، بوصفه شاهداً حيادياً وسلبياً، بل متسلّياً في بعض الأحيان.

ويميّز كليرامبو، وفق أهمية الاضطرابات، فاعلية آلية نفسية تلقائية كبيرة وأخرى صغيرة. فالظاهرات غير السوية تظهر، في الحالة الأولى، في ثلاثة مجالات رئيسة: 1) على مستوى الفكر واللغة الداخلية (**فاعلية آلية فكرية لفظية**)، فالفرد يكابد شعوراً مفاده أن فكره موضع تلاعب لأن «آخرين» يسرقونه منه أو يكشفونه، وأن أصواتاً «داخلية» (خالية من أية علاقة بالجهاز الحسّي) تفسّر فكره أو

تكرّر تكرار الصدى أفكاره وقراءاته. والأقوال تُقيّم على النحو نفسه، والمرء يمكنه أن يسمع المريض يسرد على النمط غير الشخصي سلاسل تكرارية من الكلمات، والشعوذات اللفظية المعقّدة قليلاً أو كثيراً والمفروضة ادّعاءً؛ 2) الفاعلية الحركية يمكنها أن تتطفّل بفعل اندفاعات تولّد عرات وحركات مقولبة (**فاعلية آلية حركية**)؛ 3) وأخيراً، يمكن أن تغزو المجال الإدراكي هلوساتٌ شتى (**فاعلية حسّية وحساسية**)، أكثرها تواتراً هي الهلوسات من نسق الحساسية الداخلية (ألم، تشنّجات، انطباع التواء، وانطباع تيّار كهربائي أو إحساسات جنسية لذيذة، إلخ)؛ ونجد أيضاً، مع ذلك، اضطرابات من النسق البصري، الذوقي (ذوقاً غير مألوف)، أو شمّي (روائح كريهة). والفاعلية الآلية الصغيرة تجمع ظاهرات أكثر تحفّظاً، وأكثر رهافة، على حدود العمل الوظائفي النفسي السوي، ولكنها تتميّز من هذا العمل الوظائفي النفسي السوي بالميل إلى أن تدوم وتتنظّم. والمقصود بها إحساسات غرابة للفكر، وانطباعات عرضٍ سريع لايُكبح، عرض الذكريات، والملاحظات، وسلاسل من الكلمات، وتوقّفات مفاجئة في تكوين الأفكار تؤمّن للفرد شعوراً بعمل وظائفي سلبي للفكر، بفعل القسر.

وفي رأي كليرامبُو، الذي وصف هذا التناذر في الذهانات الهلوسية المزمنة، أن الفاعلية الآلية النفسية التلقائية تكوّن الظاهرة البدئية، المستقلّة والحيادية، من أصل عضوي دماغي على وجه الاحتمال، يُنصب بدءاً منها على الأغلب بناءٌ هاذٍ ثانوي مضاف إلى ماهو موجود. والآلية التي يستخدمها الفرد من أجل هذا الإعداد (تفسير حوادث واقعية، ابتكار متخيّل) وبنية هذا الهذيان نفسها، هذيان منطقي في الذهان الهذائي (البارانويا) ولكنه غير متماسك في الفصام، منوطتان بالاستعدادات الشخصية لدى الفرد. وإذا كان استخدام هذا التناذر من الفاعلية الآلية النفسية التلقائية بوصفه شرحاً محض ميكانيكي لنشوء الذهانات لم يعد له قطّ مناصرين في أيامنا هذه، فإن وصفه العيادي يظلّ حالياً ومفيداً تماماً. (انظر في هذا المعجم: **نظير الذهان الهذائي، الذهان الهلوسي المزمن**).

J.MA.

F: Activité ludique **فاعلية اللعب**

En: Play activité

D: Speilaktivität

مصطلح منسوب إلى ث. فلورْنوا، يُستخدم لوصف تصرّف اللعب.

يميّز بعض المؤلفين اللعب من النزعة إلى اللعب دون مشاركة الآخر؛ ففي هذا النوع الثاني من اللعب، تغيب فكرة المنافسة، والمزاحمة، والخصومة؛ فلا وجود لمنافس ولا وجود، بالتالي، لخيبة الأمل والقلق أو العدوانية. إن حلّ كلمات متقاطعة أو اللعب بعلبة الصبر (لعبة ورق لعب)، أو بتسليك خيط طويل، أو جمع الفراشات، هي فاعليات لعب دون مشاركة؛ وصنع النماذج والرسم بالألوان، أو الانشغال بأعمال يدوية صغيرة تقترب من الحالات السابقة من حيث أنها تظلّ فاعليات مسلّية متوحّدة ومجانية. وكل هذه التصرّفات مفيدة، ذلك أنها تُقدم على أن تَصْرفنا مؤقتاً عن القسر الاجتماعي للعمل. ولكن هذه التصرّفات يمكنها أن تعني، لدى الأطفال والمراهقين، رفضاً من جانبهم أن يكبروا، والخوف من المسؤولية، وضرباً من الهروب من الواقع، إذا اقتصروا عليها. (انظر في هذا المعجم: اللعب).

N.S.

الفالج

F: Hémiplégie

En: Hemiplegia, Halpseitige Lähmung

D: Hemiplegie

شلل في الحركات الإرادية يصيب نصف الجسم.

يكمن سبب هذا العجز الحركي في إصابة «الحزمة الهرمية»، وهي تجمّع من الألياف العصبية، الأكثر عدداً منها هي استطالة الخلايا الهرمية الكبرى للجزء الحركي من القشرة الدماغية. وتكوّن هذه الألياف المرحّل الأول للدرب الحركي الإرادي؛ وهي تنبني، بوصفها أجزاء من القشرة، بدءاً من جذع الدماغ (بالنسبة للأعصاب السيسائية) مع خلايا الدرب الحركي الثانية. وتتصالب الألياف الهرمية الناجمة عن كل نصف كرة، تصالباً بالضرورة: ويحدث هذا التصالب على مستويات شتّى من الجذع الدماغي بالنسبة لأعصاب الجمجمة وفي البصلة السيسائية بالنسبة للأعصاب السيسائية (الكلام ينصبّ على «تقاطع الخلايا الهرمية»، فيما يخصّ الأعصاب السيسائية). ويشرح هذا الترتيب التشريحي ثلاثة احتمالات صودفت في العيادة: 1) إذا كانت الآفة السببية تقع على مستوى نصف كرة دماغية، فإن الشلل يصيب النصف المقابل من الجسم (أعضاء وأعصاب جمجمية)؛ 2) إذا كانت الآفة تقع على مستوى جذع الدماغ (سويقات دماغية، حَدَبَة حلَقية، بصلة سيسائية)، فإن الشلل يصيب أعضاء نصف الجسم المقابل وبعض الأعصاب الجمجمية من الجهة نفسها. فالآفة تصيب عندئذ النواة المنشأ لهذه الأعصاب، أي الحجيرة الثانية للدرب الحركي، والشلل إذن شلل «سطحي»

(بمقابل الشلل الهرمي للأعضاء). وهذان الضربان من الفالج يُقال إنهما «متناوبان» وتوصف عدة أشكال منهما بحسب الأعصاب الجمجمية المصابة؛ 3) إن أفة تصيب الجزء الأعلى من النخاع الشوكي الرقبي يمكنها، على نحو استثنائي، أن تحقّق فالجاً؛ ومركز الشلل، في هذه الحالة، موجود في الجهة نفسها من الآفة وتكون الأعصاب الجمجمية سليمة. واللوحة العيادية، أياً كانت الطوبوغرافيا، تشمل، بالإضافة إلى العجز الحركي، حركات لاإرادية ترافق الحركة الإرادية، زيادة التوتر العضلي زيادة تضع الطرف العلوي في حالة من الانثناء، ملتصقاً بالصدر، والطرف السفلي في حال التمدّد («سير الحصّاد»)، ومبالغة المنعكسات الوترية وانقلاباً في المنعكس الجلدي الأخمصي (إثارة الحافّة الخارجية لأخمص القدم تسبّب بصورة طبيعية انثناء أصابع القدم كلها؛ وفي حال الإصابة الهرمية، نحصل على تمدّد إبهام القدم مع انثناء، تمدّد بسيط أو تمدّد مع تباعد الأصابع الأربع الأخرى على شكل مروحة؛ وهذا الارتكاس يكوّن «علامة بابنْسكي»). ونشوء فالج يمكنه أن يكون عنيفاً أو تدريجياً؛ والعجز الحركي يمكنه أن يكون كبيراً أو بسيطاً (ويُسمى في هذه الحالة الأخيرة خزَل شقّي). وفي حالة تمركز الآفة في أحد نصفي الكرة الدماغية، فإن الفالج يتجاوز المنطقة الحركية على الغالب، وثمة اضطرابات أخرى يمكنها عندئذ أن تقترن بالشلل: حُبسة (إذا أصابت الحالة نصف الكرة السائد)، عَمَه الأداء الحركي، خَدَر شقّي، اضطرابات معرفة الجسم (تحقيق تناذر أنتون - بابنْسكي بفعل آفة نصف الكرة الدماغية الصغرى وتناذر جيرتْسمان بفعل آفة نصف الكرة السائدة)، وضعف عقلي إجمالي، إلخ. والأسباب الأكثر تواتراً للفالج، بالترتيب حسب أهميتها المتناقصة هي: الآفات الوعائية (صَمّة أو نَزْف)، الرضّات الجمجمية (ومنها الرضّات التوليدية)، التهابات الدماغ، الأورام، الصرَع. والمعالجة الشفائية للفالج وإمكانات استرجاع القوى (العفوي وبعد إعادة التربية) مرتبطتان بسبب الفالج وامتداد الآفة. (انظر في هذا المعجم: عمه العاهة، الحبسة).

J.MA.

فخْنر (غوستاف تيودور) Fechner (Gustav Théodore)

فيلسوف ألماني (نيبديرلوستز، 1801- ليزيغ، 1887).

كان فخنر، المسمّى أستاذ الفيزياء في ليبزيغ (1834)، مضطراً لإيقاف فاعلياته، ذلك أنه مهدّد بفقدان البصر. ويجتاز عندئذ أزمة سيكولوجية خطيرة ويتوجّه نحو الفلسفة. وعندما يستأنف فخنر تعليمه (1846)، فهو إنما يستأنفه فيلسوفاً يجاهر بنظرية نفسية شاملة وحلولية يملك كل موجود بحسبها طبيعة نفسية وروحاً. فالله يوحّد الكلّ، وهو في العالم كالنفس في الجسم. ويبدو في هذه النظرية مفهوم «مبدأ اللذة» العنصر الأساسي في الحياة الروحية، الذي سيستلهمه فرويد عندما يبني نظرية التحليل النفسي. ويباشر فخنر، من جهة أخرى، على الإحساسات مجموعة من الأعمال التي ستجعله شهيراً. وبما أن الإحساسات لاتُقاس مباشرة، فإن المؤلف يتجنّب الصعوبة بقياس شدّة المثيرات وتسجيل لحظة ظهور الإحساس (عتبة الإحساس). ويندرج نهجه في خطّ الأعمال التي قام بها أرنْست هنْريك فيبر (1795- 1878)، رائد علم النفس الفيزيائي، ويستلهم معارفه الفيزيائية. ويعلم، على سبيل المثال، أن الفلكيين الإغريق (هيبارك، القرن الثاني قبل الميلاد) كانوا قد نسبوا إلى النجوم الأكثر سطوعاً حجماً معيّناً وفق ضيائها وأن ستانْهيل (1831) كان قد أثبت بمقياسه، مقياس شدّة الضوء، أن شدّاتها الضوئية كانت تتصاعد تصاعداً هندسياً. ولايجهل فخنر أيضاً فكرَ الرياضي السويسري دانييل برنُولّي (1738) عن «الثروة المعنوية» و «الثروة المادية»، فكراً ليس الرضى الذي يحسّ به الفرد جرّاء ربح إضافي تابعاً بمقتضاها لقيمة هذا الربح المطلقة، ولكنه تابع لقيمته النسبية، أي للزيادة التي ترتدّ إلى الثروة الكلية. وكان الفيزيائي

والفلكي الفرنسي بيير سيمون دون لابلاس (بومون- أن- أوج، نورماندي، 1749 - باريس، 1827) قد استخلص القانون الرياضي التالي من هذه التقديرات: Y= klogx+h ، الذي سيكتشفه فخنر في أعماله الخاصة التي تتناول الإحساس. وقانون فخنر - الذي كان يسمّيه هذا المؤلف «قانون فيبر» - ينصّ على أن «الإحساس يزداد بوصفه لوغاريتم الإثارة»؛ ويتحقّق هذا القانون على مستوى بعض المستقبلات الحسيّة كالشبكية. والواقع أننا نلاحظ، إذا سجّلنا بيانياً تغيّرات التوتّر الشبكي تبعاً للزمن (مخطّط الشبكية الكهربائي)، أن سعة تغيّر الطاقة الكامنة الموضعية وتواتر السيّالة العصبية هما متناسبان بصورة محسوسة مع لوغاريتم شدّة الإثارة. وهذه العلاقة اللوغارتمية عامة على وجه التقريب وتتحقّق في الشدّات المتوسّطة. ويمكننا قبولها في تقريب أول. وقانون فخنر، الذي أراد س. س. ستيفنس أن يستبدل به وظيفة القوة التي اقترحها الفيزيائي البلجيكي بلاتو (1872)، قانون تقريبي، ولكن ليس ثمة قانون عام دقيق يمكنه أن ينطبق على العلاقات السيكولوجية الفيزيائية. (انظر في هذا المعجم: المقارنة، المرض الخلاق).

N.S.

فرط التنبيه الديداسكالوجيني

F: Didascalogénie surstimulante

En: Overstimalating didascologeny

D: überfordernde didascalogenie

مجموعة من الارتكاسات المرضية في الشخصية يثيرها المربون، إثارة رعناء وغير إرادية، لدى بعض التلاميذ الموهوبين جداً.

الأستاذ والأبوان، في هذا الشكل من الديداسكالوجينيا، لايكرهون التلميذ كما يحدث ذلك في الديداسكالوجينيا القمعية، بل، على العكس، يحبونه ويحرّضونه نحو تبحّر في فروع متعددّة من العلم، بما في ذلك اكتساب اللغات الأجنبية وممارسة الفنون الجميلة المختلفة. ويتعاظم الخطر أيضاً عندما يتحالف فرط التنبيه لدى المربين مع النزعة الاستكمالية لدى الأبوين (ل. كانر، 1958)، في طموح أعمى مفاده إرادة جعل الأطفال نماذج من التبحّر في العلوم والتربية، إن لم يكونوا نماذج من العبقريات. ويغيب عن بال الديداسكالوجينيين الذين يغالون في تنبيه الأطفال أن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى أن يجتمعوا بأطفال آخرين ويتسلّوا مع الحيوانات والدمى. وإذا كان الاستخدام العقلاني المزمن اليومي، بالنسبة للراشدين، ينبغي أن يكون مقسوماً إلى ثلاثة أجزاء، ثماني ساعات للعمل، وثماني ساعات للضرورات الجسمية والثقافة العامة، وثماني ساعات للنوم، فإن للأطفال، في أي عمر كانوا، حاجة حيوية للنوم الأطول والتسليات المتنوّعة. فالفاعلية الانطوائية للوحدة الجسمية النفسية (النوم) وتركيز الفاعلية الانبساطية على مشاغل مفضّلة (خارج الالتزامات المدرسية) ضرورتان أساسيتان للمحافظة

علـى صـحـة جـيـدة ويـكـونّـان أفـضـل وقـايـة صـحـيـة ضـدّ الأمـراض.
والديداسكالوجينيون من المدرسين ذوو التنبيه المفرط يحضّون الأطفال، رغبة منهم في مساعدة التلاميذ الموهوبين ذكاء فوق المتوسط وقدرات فنية، على أن يجتهدوا ويدرسوا دائماً على نحو أكثر، بحيث أن الزمن المخصّص للهو يتناقص شيئاً فشيئاً، وتقصر مدة النوم، وتُهمَل التمارين الجسمية إهمالاً تدريجياً. وعلى الرغم من القدرة الجيّدة على العمل لدى هؤلاء الأطفال، قدرة أكبر عادةً من المشترك العام لدى التلاميذ، فإن ضرباً من إنهاك القوى يطرأ عاجلاً أو آجلاً: ففرط التوتّر يقود حتماً إلى الإرهاق، الذي يقلّص قدرات اكتساب المعارف الجديدة. وعاقبة فرط التوتّر ارتكاسات مرضية شتّى للشخصية: عصاب الحصر (خطر على القيمة الاجتماعية)، نَهَك نفسي عصبي، عصاب وسواسي، هستيريا، سوداوية ارتكاسية. والتلميذ يمكنه أن يكون مضطهَداً إلى حدّ يُضطر إلى أن يقطع تعليمه مؤقتاً، بل نهائياً. وكان هرْمان هيس (1877- 1962) قد وصف مصيراً مخزياً شبيهاً في روايته: **تحت الدولاب**: وينتهي التلميذ إلى أن يغرق في نهر الضيعة. والنهاية ليست لحسن الحظ مأساوية بهذا القدر دائماً، كما بيّن ن. شيكوونَسكي في ملاحظاته. وينبعث أيضاً وضع أكثر خطراً عندما يتضافر، لدى التلميذ نفسه، ضرب من فرط التنبيه الديداسكالوجيني مع ضرب من الديداسكالوجينا القمعية. والمعالجة يجريها العلاج المحرّر. ويكمن أحد مبادئه الأساسية في تحرير الوضع المثير للمرض، وضع يوجده فرط التنبيه لدى المربين ونزعة الاستكمالية لدى الآباء. والوقاية الصحية، من جانبها، تمثّلها الوقاية من هذه التأثيرات الضارّة. (انظر في هذا المعجم: **الديداكوجينيا، الديداسكالوجينيا، العلاج المحرّر**).

N.SC.

فروبل (فريدريك ويلهلم أوغوست) Fröbel (Frie drick, Wilhelm- August)

يبدا غوجي ألماني (أوبروباخ، ثورنج، 1782- مارينثال، ثورنج، 1852).

شرع فريديريك فروبل، المتأثر جداً ببستالوزي، ولكنه الذي اكتشف أيضاً كومينيوس، في أن يضع أفكاره موضع التطبيق؛ فأسّس عام 1816، في كيلهو، معهد التربية الكلّي الألماني ونشر سلسلة من المقالات في الصحف حتى يثير اهتمام الرأي العام به. ويقضي فروبل، الذي قصر حقل عمله إرادياً على الأطفال الصغار بعد أن عُني بالتلاميذ، ساعات يلاحظ الصغار جداً، وحتى الرضّع في المهد، مقتنعاً بأهمية هذه المرحلة من الحياة وحريصاً على أن يستجيب لرغباتهم التي يجهلها الراشدون على الأغلب. وينشر عام 1826 كتابه **تربية الإنسان** (ترجمه إلى الفرنسية ب. دو كرومبدوغ، بروكسل، 1881)؛ ويفتتح عام 1836 في بلانكنبورغ (ثورانج) أول **روضة أطفال**. فليس ما يشغله أن يعلّم بل أن يربّي، وأن يثير حول الطفل الصغير شروط التفتّح لإمكاناته كلها. ولذلك ينبغي للتلميذ أن يكون بوسعه أن يتصرف على نحو حرّ، أن يكون بوسعه أن يبدع ويبتكر، لا أن يلاحظ ويكرّر فقط. إنه إنما يتعلّم معرفة الأشياء والسيادة عليها حين يصنع الأشياء ويعالجها باليد. فثمة إذن مكان فسيح سيكون مخصّصاً للفاعليات الحسّية كلها، والملاحظة المباشرة والأعمال اليدوية (الطيّ، النقب، اللصق، التقطيع، الحياكة..). ولكن الطفل إنما يحقّق ذاته على نحو أفضل وهو يلعب على وجه الخصوص. وأهمية اللعب لا تقتصر على التسلية، إنه عنصر تربوي أوكي ذلك أنه يكوّن الذكاء (إذ ينمّي الانتباه،

والملاحظة، والحكم)، والخيال (بإبداع مجموعات جديدة، وأشكال جديدة)، والطبع (يتعلّم الطفل أن يكسب، ولكنه يتعلّم أن يخسر، ويتبادل، ويتعاون)، والجسم (التوازن، التنسيق الحركي، المهارة. . .). فليس اللعب فقط إظهار الداخل، إظهاراً حراً، تلقائياً، ولكنه الفاعلية أيضاً، الفاعلية الأساسية ليعرف الطبيعة ويحبّها. وراجت فكرة رياض الأطفال. ونجد من الآن فصاعداً، في كل مكان من العالم على وجه التقريب، بما في ذلك البلدان السائرة في درب النموّ والصين، هذه الصفوف حيث يلعب الأطفال الصغار، ويغنّون ويقصون حكايات، ولكن لايتعلّمون فيها القراءة. وكان خمسة عشر ألفاً من «المربّين للأطفال الصغار» قد أُحصي في فرنسة، على وجه التقريب، عام 1982 (منذ أن تأسّس، في كانون الثاني (يناير) من عام 1973، دبلوم دولة خاص بمربي الأطفال الصغار، والمهنة مفتوحة للرجال» ورياض أطفال عديدة جداً. (انظر في هذا المعجم: المدرسة الفعّالة، اللعب).

J.S.T.

فروم (إيريك) Fromm (Erich)

محلّل نفسي أمريكي (فرانكفورت - سور- لو- مان، 1900- مورالتو [تيسّان]، 1980).

فروم جعل من الحاجة الاجتماعية عنصر السيكولوجيا الإنسانية الأساسي. فكل سيكولوجيا فردية ينبغي أن تكون سيكولوجيا علاقات بين شخصية، ذلك أن ماهو أساسي إنما هو نوعية الصلة بين الإنسانية، وعلاقة الإنسان بمحيطه، والطفل بأبويه، والأخ بأخته، أكثر مما هو إشباع الدوافع الغريزية أو إحباطها. وينجم عن ذلك أن المشكلات السيكولوجية الأكثر أهمية هي الحب والكره، الصداقة والغيرة، الحنان، إلخ. ويعتقد فروم، شأنه شأن ألفريد أدلر، كارين هورنه، هاري ستاكْ سولّيفان، أن الإنسان المعزول أو المتوحّد يجد نفسه دون دفاع في عالم معاد بصورة افتراضية. فعاطفة العزلة، وهي عاطفة إنسانية على نحو نوعي، لاتنفكّ تمتدّ وتتنامى مع التقدّم التقني والحرية الناجمة عنه. إن الناس كانوا، في الزمن الغابر، يتعاونون، يجتمعون في السهرات، ويتكلمون معاً، وكان الفرد يحتاج إلى مثيله. ونحن، منذ الآن، أكثر حرية، ولكننا أكثر انعزالاً. ولكن الإنسان يحتاج إلى الآخرين ليحقّق ذاته، وينمّي إبداعيته. إنه يتطلّع إلى مجتمع محبّ أخوي يمكنه أن يتجذّر فيه ويتفتّح. وكان فروم، الذي أدخل أول من أدخل مصطلح الأنسيّة (humanisme) في علم النفس الحديث، قد صُنّف، تصنيفاً ربما كان خاطئاً، بين أصحاب النزعة الثقافية. إنه، في الواقع، صاحب نزعة إنسانية، قريب من النظريات الماركسية، باحث في علم الأخلاق. وكونه لم يشأ قطّ أن يختار بين

ماركس وفرويد، فقد خصّص تأليفه ذا الأهمية لمحاولة تكامل بين الدينامية السيكولوجية والتقدّمية الاجتماعية.

ونذكر من كتبه الرئيسة: **الخوف من الحرية** (1941، تُرجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، بوشه- شاستْلْ، 1963)؛ **الإنسان لذاته** (1947) (تُرجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، E.S.F، 1967)؛ **التحليل النفسي والدين** (1950)؛ **اللغة المنسيّة، مدخل إلى معرفة الأحلام، والقصص والأساطير** (1951)، (تُرجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، بيّو، 1953)؛ **مجتمع مغترب ومجتمع سليم** (1955)، (تُرجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، بريد الكتب، 1966)؛ **البوذية زنْ والتحليل النفسي** (1960، بالتعاون مع د. ت. سوزوكي و ر. دو مارتْينو)، (ترجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1971)؛ **أزمة التحليل النفسي، محاولات في فرويد، ماركس وعلم النفس الاجتماعي**، باريس، دار نشر أنْتروبوس، 1971.

N.S.

Frued (Anna) فرويد (أنّا)

عالمة نفس ومحلّلة نفسية انغليزية من أصل نمساوي (فيينّة، 1895- لندن، 1982).

إنها المولودة الأخيرة من ستة أطفال لسيغموند فرويد (1856- 1939)، نذرت نفسها لعلم النفس. ومارست التحليل النفسي بوصفها عضواً في رابطة فيينّة للتحليل النفسي (1922)، وأصبحت رئيسة معهد تكوين المحلّلين النفسيين في مدينتها (1926- 1938) وشاركت مشاركة فعّالة في أعمال جمعية التحليل النفسي العالمية التي أصبحت رئيسة الشرف لهذه الجمعية. وأسّست معالجة الأطفال بالتحليل النفسي، التي يختلف تصورّها هذه المعالجة اختلافاً محسوساً عن تصورّ زميلتها ميلاني كلاين (1882- 1960)، على الرغم من أنها تلحّ أيضاً على أهمية السنوات الأولى من الحياة. والواقع أن سمات الشخصية محدّدة، في رأيها، قبل سن السنوات الخمس. واستطاعت عام 1938 أن تتبع أباها إلى لندن، حيث استقرّت استقراراً نهائياً. وأسّست فيها وأدارت مع دوروثي بورلنْغهام **دور الحضانة في هامْستيد** (1940- 1945)، مركز استقبال للأطفال اليتامى، ضحية الكوارث، الذين أُجلوا عن مناطقهم. وأنشأت بعد الحرب **عيادة هامْستيد لعلاج الأطفال**، التي ظلّت مديرتها. وتقدّم هذه المؤسسة للأطفال المراهقين المصابين باضطراب عقلي خدمات تشخيص وعلاج تحليلي. وتشمل، بالإضافة إلى ذلك، قسماً للأطفال الأصحّاء، ومدرسة حضانة لـ «الحالات الاجتماعية» وأخرى للأطفال الفاقدي البصر. ويمثل في برنامجها أخيراً تكوين المعالجين النفسيين للأطفال ومشروعات بحث واسعة.

ومدّت أنّا فرويد كشوفها في علم النفس التحليلي للطفل على مجالات التربية، والمعونة الاجتماعية، و «هواية» الأطفال والأسر. وألقت محاضرات عبْر أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، في جامعة هارفارد، وجامعة شيكاغو، ومركز الدراسات في يال، وتلقّت ألقاباً شرفية من عدة جامعات، لاسيما من جامعات فيينّا، وشيكاغو، ويال، وكلارك، وجيفرسّون، ومنحتها الحكومة الأمريكية جائزة دولي ماديسون ومنحتها حكومة بريطانيا العظمى منصب الفارس الآمر في الامبراطورية (1967).

إحدى خصائص أنّا فرويد أنها أتقنت معاً أن تكون ممارسة، باحثة وعاملةً في مجال التكوين. وكانت ممارستها تتيح لها أن تسجّل ملاحظات كانت تعالجها بوصفها «تجارب تلقائية». فدرست على سبيل المثال دور الرؤية في نمو الطفل بدءاً من معاشرة الأطفال فاقدي البصر كانت تُعنى بهم. وأوضحت أهمية الدور الذي تؤديه الأم في تفتّح الطفل بفضل الملاحظات التي جنتها في حاضنات هامْستيد، إلخ. فمساهمتها النظرية الرئيسة في فهمها نموّ الشخصية هي على وجه الاحتمال مؤلّفها الذي كتبته في **الأنا وآليات الدفاع** (1936، الترجمة الفرنسية، أ. بيرمان، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1949). وبوسع القارئ أن يقرأ في **الفرنسية السوي والمرضي لدى الطفل** (باريس، غاليمار)، و **معالجة الأطفال بالتحليل النفسي** (مجموعة نصوص متسلسلة من عام 1929 إلى 1945، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية). وكتبت أنّا فرويد عدة كتب وأكثر من مئة مقال، كانت قد جُمعت في سبعة مجلّدات، **كتابات أنّا فرويد**. (انظر في هذا المعجم: **كلاين [ميلاني]**، **آليات الدفاع**).

L.M.N. (ترجمه إلى الفرنسية **J.S.T.**)

فرويد (سيغموند) Freud (Sigmund)

طبيب نفسي عصبي نمساوي، مؤسّس التحليل النفسي (فريبرغ [الآن بريبور، تشيكوسلوفاكية]، 1856- لندن، 1939).

يتأثّر فرويد، في جامعة فيينّة حيث يتابع دراساته الطبية، بعالم الفيزيولوجيا أرنست ويلهلم ريتر فون بروك (1819- 1892) ويتخصّص في علم الأعصاب. وأنجز فرويد، المتخرّج دكتوراً في الطب (1881)، عدة أعمال في معهد الفيزيولوجيا ومخبر التشريح الدماغي، تناولت النخاع، والكوكائين، والأمراض العضوية للجملة العصبية. وعُهد إليه عام 1885 أن يلقي دروساً في علم الأمراض العصبية بجامعة فيينّة. وينال فرويد، في العام نفسه، منحة سفر ليتابع دروس جان مارتان شاركو (1825- 1893) في السالبيتريير ويكمل معارفه في الأمراض الطفلية بعيادة الأستاذ أدولف باجنسكي (1843- 1922) في برلين. ويستقرّ، حال عودته إلى فيينّة، في هذه المدينة اختصاصياً في الأمراض العصبية ويمارس التنويم المغناطيسي والإيحاء. ولكنه يشعر بالحاجة إلى أن يستكمل معارفه فيعود إلى فرنسة (1898)، إلى نانسي، يتابع تعليم هـ. بيرنهايم. ويصبح فيما بعد معاون جوزيف بروير (1842- 1925) الذي ينشر معه **دراسات في الهستيريا** (1895). ويقترح الأستاذان هيرمان ناثناجل (1841- 1905) وريسارد فون كرافت- إيبنغ (1840- 1902) تسميته صاحب كرسي أستاذ غير أصيل، ولكن طلبهما رفضته الوزارة. وسيوافق أخيراً على الطلب عام 1902، ولكن على س. فرويد أن ينتظر حتى 7كانون الثاني (يناير) 1920 ليصبح أستاذاً أصيلاً ذا كرسي. وكان قد نشر،

في غضون ذلك، تأليفاً واسعاً، وسافر إلى أمريكة حيث كان قد ألقى محاضرات في جامعة كلارك (1909) وأسّس رابطة فيينّة للتحليل النفسي والجمعية العالمية للتحليل النفسي (1910).

وكان فرويد، إذ اكتسب الاقتناع الذي مفاده أن الأعصبة أمراض نفسية مستقلة عن كل آفة عضوية وسببّتها الصدمات الوجدانية المنسيّة، يبحث عن طريقة يمكنها أن تعيد الذكريات المطمورة إلى النور. ويستعمل فرويد، بعد أن استخدم التنويم المغناطيسي ثم المعالجة بالأسئلة على التوالي، طريقة **الترابطات الحرة** ويصوغ قاعدة **عدم الإغفال** (ينبغي للمريض أن يقول مايفكّر فيه ويستشعره، دون اختيار، ودون أن يغفل شيئاً مما يخطر في فكره). ويدرس س. فرويد الأحلام، وزلات اللسان والقلم ويفكك الآليات؛ ويُرصِن معاني الرقابة، الكبت، **الليبيدو**، اللاشعور، التحويل، ويحضّر، بأطوار متوالية، سيكولوجيا جديدة ستكون معروفة باسم التحليل النفسي. ويُساق فرويد على هذا النحو، إذ أراد تحسين طريقة لعلاج الأمراض النفسية، أن يكوّن نظرية تضع الأفكار المتلقّاة، الخاصّة بالوضع الإنساني، موضع الاتّهام. ويتابع أعماله، بشجاعة نادرة ومثابرة نموذجية، دون أن تصرعه العداوة، والاحتقار أو السخريات التي تثيرها قضاياه في الأوساط الطبية. فنهجه نهج كل مشتغل بالعلم: وإذ يجمع الحوادث الملاحظة من مرضاه ومحيطه ومن نفسه، فإنه يقارنها، يصنّفها، ويستخلص منها قضايا عامة؛ ثم يعود إلى الحوادث، يتحقّق من فروضه، إذ يتأكّد أن التقدير والواقع متطابقان. ولا يتردّد في أن يعدّل تصورّاته عندما لم تعد الحوادث متّفقة معها. وبوسعنا أن نرى مثلاً في تحوّل نظريته في الجهاز النفسي عام 1922. وكان قد تلقّى فرويد في ربيع هذا العام زيارة **هانز الصغير**، الذي كان عندئذ في التاسعة من عمره. وقال له هانز إنه لم يكن يتعرّف نفسه في علاقة التحليل النفسي المنشورة عنه عام 1909، وإن هذه الحكاية كانت قد بدت له «غريبة كل الغرابة». والحال أن فرويد كان يشرح عندئذ شفاء الاضطرابات النفسية بمرور المكبوت في الشعور. وهذا الحادث الجديد أكّد له

ضرورة إرصان نظرية جديدة للشخصية كانت الحاجات إليها قد برزت منذ عام 1920. وربما كانت زيارة هانز عنصر الإطلاق، ذلك أن نظرية الجهاز النفسي الثانية (بـ «مراجعها» الثلاثة: **الهو**، الخزان الدافعي؛ **الأنا**، ممثلة المصالح لكلية الشخص؛ **الأنا العليا**، التي تكونها مقتضيات الآباء وممنوعاتهم الأخلاقية) رأت النور في أيلول (سبتمبر) من عام 1922، بعد بضعة أشهر من مرور الشاب هانز. وكان فرويد، ذو الهاجس الدائم نفسه، هاجس أن يبني نظرية شارحة متماسكة ومتوافقة مع حوادث التجربة، منساقاً إلى أن يعدّل نظريته في الدوافع. إنه كان في البدء يقابل بين دوافع الأنا (أو المحافظة الذاتية) والدوافع الجنسية، ولكنه يقابل، بدءاً من 1920، بين دوافع الحياة (**إيروس**، غريزة المحافظة على الذات والنوع) ودوافع الموت (**ثاناتوس**، غريزة التدمير أو الموت).

ونفذت أفكار فرويد بالتدريج إلى العلوم الإنسانية كلها، إذ ألهمت على سبيل المثال، ابتكار التقنيات الإسقاطية (التشخيص النفسي لرورشاخ، 1921، رائز تفهّم الموضوع لمورّة، 1935)، المستخدمة في التقصّي عن الشخصية، التي تقدّم عناصر شارحة للأنتروبولوجيين، كجورج دوفورو، مارغريت ميد، برونسلو مالينوفسكي، إلخ. بل تجاوز التحليل النفسي مجالات الطب، وعلم النفس، والأنتروبولوجيا، ليُطبّق على البيداغوجيا، والأدب، والميثولوجيا، والدين. وهكذا فإن مالم يكن في البدء سوى طريقة علاجية أصبح «علماً، علم اللاشعور النفسي» ومجاله يشمل «مجال علم النفس، الذي أسهم فيه بإضافة ذات أهمية كبيرة» (س. فرويد، 1925، الترجمة إلى الفرنسية، 1949، ص. 110). «إنه، بخصوبته، يقول إدوار كلاباريد، حَدَثاً من الأحداث التي لم يسبق لتاريخ علوم الفكر أن كان عليه أن يسجّل أكثر أهمية منها». وكانت مؤلفات فرويد الكاملة قد نُشرت بالألمانية (نشر جيزامليت ورْك، 18 مجلداً، لندن، 1940- 1952) والانغليزية (نشر ستاندارد، 24 مجلداً، مطبعة هوغارث، 1953- 1966). ونذكر من كتبه المترجمة إلى الفرنسية: **علم الأحلام**، ترجمة إي. ميير‌سون، باريس،

ألكان، 1926)؛ **ثلاث محاولات في نظرية الجنسية** (ترجمة ب. روفرشون، باريس، غاليمار، 1949)؛ **خمسة دروس في التحليل النفسي** (ترجمة إي لو لي، باريس، بيّو، 1921)؛ **الطوطم والتابو** (ترجمة س. جانكيليفيتش، باريس، بيّو، 1947)؛ **المدخل إلى التحليل النفسي** (ترجمة س. جانكيليفيتش، باريس، بيّو، 1951)؛ **حياتي والتحليل النفسي** (ترجمة ب. بونابرت، باريس، غاليمار، 1949)؛ **تحليل خمس حالات** (ترجمة ب. بونابرت و ر. لوونّشتاين، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1954)؛ **محاضرات جديدة في التحليل النفسي** (ترجمة أ. بيرمان، باريس، غاليمار، 1936). (انظر في هذا المعجم: **المرض الخلاق، التحليل النفسي**).

N.S.

•

الفرويدية الماركسية

F: Freudo- marxisme

En: Freudomarxism

D: Freudomarxismus

تيار فكري ظهر في ألمانية 1923، الموسومة بأزمة اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وسياسية، معاً. ويبحث هذا التيار عن أن يكمل كشوف الفرويدية، الخاصة بنموّ الفرد النفسي الجنسي، بكشوف ماركس الخاصة بنموّ الإنسانية الاجتماعي التاريخي. وسنذكر، من ممثّلي الفرويدية الماركسية الرئيسين، ويلهلم رايخ (1897- 1957)، إيريك فروم (1900- 1980)، هربارت ماركوز (1898- 1979)، ثلاثة محلّلين نفسيين كان عليهم، في العهد الهتلري، أن يتابعوا مهنتهم العلمية في الولايات المتحدة. وهؤلاء المفكرون، المنشقّون عن الفرويدية، كانوا في الوقت نفسه منشقّين عن الماركسية التي عانوا تأثيرها بدءاً من التفسير الذي منحها إياه جيورجي لوكاسل (بودابست، 1885- بودابست 1971) وكارل كورش (1886- 1961). ولهذا السبب كوّنت الفرويدية الماركسية موضوع إدانات شتّى من جانب حركة التحليل النفسي التي يغذّيها فرويد نفسه ومن جانب التيارين الكبيرين اللذين ينتميان عندئذ إلى الماركسية: الديمقراطية الاشتراكية والبلشفية.

والفرويدية الماركسية، التي سقطت في النسيان إذا صحّ القول، تظهر مجدّداً في الولايات المتحدة الأمريكية عبْر المناظرة التي جعلت ماركوز وفروم وجهاً لوجه، عام 1950، حول الضرورة التي مفادها إعادة النظر في موروث فرويد وماركس أو عدم إعادة النظر. ولكن المعارضة الطلابية في بركلي (كاليفورنية)، وباريس،

وروما، وفي أماكن أخرى (1965 - 1969)، هي التي منحت إشكالية الفرويدية الماركسية حالية جديدة. ففكر ماركس وفكر فرويد يتّصفان، بالنسبة للفرويدية الماركسية الجديدة، بصلات قربى لم يتبيّنها مناصرو «الماركسية الرسمية» ومناصرو الفرويدية الرسمية:

1- كما اقترح ماركس دراسة للمجتمعات ومصيرها تستند إلى تفاعل بين بنيتها التحتية (علاقات الإنتاج الاجتماعية، مولّدة الطبقات والمتجلّية في أشكال الملكية) وبنياتها العليا (المؤسّسات والإيديولوجيات)، كذلك اقترح فرويد دراسةً للحياة النفسية تستند إلى تفاعل بين اللاشعور (دوافع تفلت من كل إدراك ورقابة مباشرين) و الشعور (مظاهر الحياة النفسية التي تكوّن أو يمكنها أن تكوّن موضوع إدراك مباشر). فكَشَفَ فرويد وماركس على هذا النحو، كلٌّ منهما في مجاله، عن غلبة الكامن (تحت الأرضي) وغير المرئي على المرئي والظاهر.

2- كما أن ماركس رأى في نزاعات الطبقات تلك السيرورة لمصير المجتمعات، كذلك رأى فرويد في النزاعات بين الأنا، الهو والأنا العليا تلك السيرورة المولّدة لمصير الشخصية. فهما قطعا علاقاتهما بالفكرين التقليدين الاجتماعي والسيكولوجي ودشّنا إشكاليتين جديدتين لابدّ من إقامة الصلة بينهما.

3- الإنسانية، في رأي ماركس، والشخصية، في رأي فرويد، ستكونان مغتربتين لأسباب ذات علاقة بالتاريخ الاجتماعي والتاريخ الفردي. ويبحث الفرويدي الماركسي في أن ينير هذين الشكلين من الاغتراب أحدهما بالآخر.

وتصطدم الفرويدية الماركسية، على الرغم من اكتشاف صلات قربى بين نهوج فرويد ونهوج ماركس (الموسومات، في الحقيقة، بسمة الديالكتيك)، بتناقض يمنعها أن تكون توليفاً حاسماً. فإما، في الواقع، أن لظاهرات اضطهاد جنس وقمعه بفعل الجنس الآخر، وجيل بجيل، وقومية بقومية أخرى أو الأقليات المختلفة («الهامشيين») بالغالبية، أساساً هو استغلال العمل الاجتماعي، وتلك حالة يكون فيها صراع الطبقات مفتاح هذه الظاهرات والفرويدية تتخذ دلالة

إيديولوجية أكثر مما هي علمية؛ وإما أن ظاهرات الاضطهاد والقمع، التي لاترتّد إطلاقاً إلى استغلال العمل الاجتماعي، تولّد نزاعات كثيرة منها نزاعات الطبقات التي ربما ليست هي الأكثر أهمية (أو ربما لم تعد كذلك)، وفي هذه الحالة يكون التحليل النفسي هو رؤية العالم ورؤية الإنسان اللتين نحتاج إليهما، في حين أن الماركسية ينبغي أن تُعتبر إيديولوجية أكثر مما هي علمية. (انظر في هذا المعجم: **فروم [إيريك]، رايخ [ولهلم]**).

P.F.

فريشْ (كارْل فون) Frich (Karl Von)

عالم حيوان (فيينة، 1886).

علّم فريش على التوالي، من عام 1925 إلى عام 1958، في روستوك، برسلو [روكلو، بولونية]، غراز وميونيخ. واشتُهر على وجه الخصوص بأعماله التي تناولت التوجّه وتبادل المعلومات لدى النحل، ولكنه هو الذي أول من اكتشف أيضاً، لدى الفيرون (سمكة صغيرة من فصيلة الشبّوطيات تعيش في الجداول «م»)، «مادة الإنذار بالخطر». والمقصود بها إفراز كيميائي يحرّره الحيوان الجريح أو المرعوب فقط (يُسمّى أيضاً «مادة الرعب») ينذر الحيوانات من جنسه بوجود خطر ويجعلها تهرب.

نشر كارل فون فريش مؤلفات عديدة نذكر منها: **حياة النحل وعاداته** (ترجمة أ. دالْك إلى الفرنسية، باريس، ألْبان ميشيل، 1955). ونال فريش مع كونار لورنْز ونيكولاس تانْبرْجن جائزة نوبل في الطب. (انظر في هذا المعجم: **رقص النحل، لغة الحيوانات، الفيرمون**).

N.S.

الفصام

F: Schizophrénie

En: Schizophrenia

D: Schizophrenie

حالة مرضية تتميّز بتدمير بنية الشخصية أو «تفككها»، مسؤولة عن فقدان الاتصال بالواقعي وعن فقدان التكيّف التدريجي مع الوسط.

استخدم مصطلح الفصام عام 1911، للمرة الأولى، أوجين بلولر (1857-1939)، الطبيب السويسري، في مقال عنوانه «الخَبَل المبكّر أو زمرة الفصامات». ويشير بلولر على هذا النحو إلى الأمراض التي كان الطبيب النفسي الألماني إميل كربيلْن (1856- 1926) قد جمعها، عام 1883، في كتابه المطوّل في الطب النفسي، في ظلّ مصطلح «الخَبَل المبكّر» أي: الكاتاتونيا، وفصام المراهقة، وخبل الذهان الهذائي (البارانويا).

والفصام أكثر الذهانات المزمنة شيوعاً. إنه يصيب النساء بقدر مايصيب الرجال، ولاسيّما بين السابعة عشرة والثالثة والعشرين (وهو نادر قبل الخامسة عشرة وبعد الخامسة والأربعين) ويصيب على نحو أساسي، في رأي إرنْسْت كرتْشمَرْ (1888- 1964)، أولئك الأفراد من النموذج الناحل (47 بالمئة) أو النموذج الشاذّ (34 بالمئة). والفصام مرض متواتر لأن الإحصاء في السكان جميعهم يبلغ، وفق دراسات مختلفة، 36 إلى 85 فصاماً في 10,000 نفس.

ويبدو أن الوراثة تتدخّل في نشوء الفصام، ويقدر عدة مؤلفين احتمال الوراثة، تقديراً إجمالياً، بنحو 10 بالمئة (ك. بلانانْسكي، 1955 : 10 بالمئة؛ فون

فيوشوير، 1939 : 10,8 بالمئة). وهذا الاحتمال، بحسب الإحصاءات الإسكندينافية التي نشرتها منظمة الصحة العالمية (1964)، يبلغ 7 إلى 16 بالمئة بالنسبة إلى الأقارب القريبين (أخوة، أخوات، آباء) وأطفال الفصامي، ويبلغ 40 إلى 60 بالمئة بالنسبة لأطفال أبواهم مصابان بالفصام. ولايبلغ الاحتمال الأخير، في رأي إلساسّر (1952) سوى 20 بالمئة. ويظهر الموروث الوراثي أيضاً، ظهوراً أبرز، في الدراسات التي تناولت التوائم الحقيقيين، الذين يوجد لديهم تطابق يُقدّره بـ 76,3 بالمئة إ. سْلاتر (1953)، بـ 86,2 بالمئة حسب تقدير ف. جـ. كالْمان (1950).

ويبدو أيضاً أنه يوجد استعداد مسبق طَبْعي لهذا المرض، يظهر على وجه الخصوص لدى أفراد ذوي حساسية مفرطة، منطوين، مغلقين، حالمين وعنيدين. وثمة أعمال عديدة جارية تنشد البحث عن وجود، أو عدم وجود، ترابط بين نسبة الأنْدورفين (ل. تيرينيوس، د. وايد)، والسيروتونين، أو ضروب غدّية من الخَلَل (أيْض الأدْرينالين)، ولكن نتائج هذه الأعمال تظلّ أيضاً غير مؤكدة. أما التقصّيات الخاصة بالوجود المحتمل لآفات تشريحية نوعية، فإنها بانت، حتى الوقت الراهن، سلبية. ويلحّ، على العكس، عدة مؤلفين أجروا دراسات اجتماعية سيكولوجية لـ الوسط الذي يعيش فيه الفصامي أو كان قد ترعرع فيه، على أهمية هذا العامل، ولاسيّما على العلاقات التي يقيمها المريض مع أعضاء الأسرة الآخرين، ومع أمه بصورة أساسية.

وتشخيص الفصام في بدايته صعب، ذلك أن المظاهر الأولى متعدّدة الأشكال وغير نوعية. ويمكن أن يكون الدخول في المرض موسوماً بظهور حالة ذُهانية حادّة: هبّة هاذية، أزمة هَوَس أو سوداوية شاذّة، هلوسات بصرية تبدو كالحلم في حالة من الخلْط العقلي، إلخ. وتكون علامة المرض الأولى، في بعض الأحيان، تصرّفاً اندفاعياً (ولاسيّما لدى المراهقين)، كهروب من المنزل، محاولة انتحار أو جريمة. وإذا كانت البداية ذات أعراض بسيطة تخفي خطورة، فإننا نتكلّم على قبل الفصام. وهذه المرحلة من استقرار المرض موسومة على وجه الخصوص بانخفاض الفاعلية لدى الفرد، الذي يشرع في إهمال هندامه، ويفقد اهتمامه بعمله

أو دراسته ويخفق في الامتحانات. فلم يعد له فضول فكري ولا مبادرة ويبدو لامبالياً على المستوى الوجداني. ونلاحظ، بصورة موازية، تغيّراً في طبعه: إنه يصبح قليل الكلام وعدائياً إزاء أسرته، وينطوي على ذاته، وينعزل انعزالاً متصاعداً، ويهرب في أحلام اليقظة، ويغزو الهذيان فكره غزواً تدريجياً.

وتتميّز مرحلة الحالة المرضية بتناذر تفكّك الشخصية وهذيان الانطواء على الذات، وكلاهما ينطويان على عناصر متنافرة: ازدواجية المشاعر، غرابات، عدم القابلية لفهم الأشياء، انفصال عن الواقعي. وهذا التنافر موجود أيضاً في الحياة الوجدانية والفاعلية العقلية والإرادية على حدّ سواء. فتصرّف الفصامي موسوم بالتردّد والتناقض. إنه يعارض، على وجه العموم، كلّ ما يأتي من العالَم الخارجي، ويرفض على سبيل المثال تلك اليد التي تمتدّ إليه، أو يُبدي سلبيته بواسطة التهكّم. إنه يتصرّف على نحو عبثي أو مضحك؛ ويكرّر الحركات نفسها على الغالب تكراراً مقولباً، والكلمات أو المواقف، التي يمكنها أن تعبّر عن جزء من هذيانه. سلوكه غير متوقّع، إذ يخضع لاندفاعات ويظهر بأفعال لاتُفهم، وبأفعال رهيبة أحياناً. ويذكر بعضهم حالة مريض فتح بطنه بسكين وشرع يفرغ أمعاءه على طاولة، بكثير من المثابرة، دون أن يبدو عليه أنه يعاني أوهى الألم.

والفصامي يمكنه أن يبدو موجوداً ذكياً ولكن فاعلية فكره مصابة بالخَلَل (إنها السمة الأولى الأساسية من تنافره)؛ فكره ضبابي وفوضوي، ذلك أن تسلسل أفكاره يحدث بالترابطات الطارئة. وقوله تقطّعه «حواجز»: إنه يتوقّف فجأة عن الكلام، ويبدو تفكيره معلقاً، ثم يستأنف الكلام كما لو أن أي شيء لم يكن قد حدث، حتى دون أن يكون لديه شعور بهذا الانقطاع. وثمة شكلٌ من هذا الاضطراب أضعفُ هو «الخبو العقلي»، تتباطأ خلاله كلمات المريض، كما لو أنه كان ينفصل مؤقتاً عمّا كان في طريقه إلى أن يقوله. وتصبح المحادثة معه صعبة، بل متعذّرة، بسبب ضرب من البكَم أو شبه البكم وعندما يُسأل يجيب إجابة خارج الموضوع. وصوته يمكنه أن يتغيّر في تنغيمه وجَرَسه أو إيقاعه؛ أضف إلى ذلك أنه

يُبدي اضطرابات في النطق. فالكلمات تطرأ عليها تحولات صوتية ودلالية بفعل تصادم المقاطع، والتشويه، وابتكار كلمات جديدة أو استخدام كلمة بدلاً من كلمة أخرى (استطاع جاك لاكان تحديد لغة الفصامي بالانزلاق المستمر لسلسلة المدلولات). ويحدث لدى المرء انطباع مفاده أن المريض يهرب من العالم الواقعي ويحتمي في عالم خاص، متخيّل، حيث لايكون للكلمات معنى إلا بالنسبة له.
وتبيّن لغة الفصامي ذات الصرير والفوضوية إلى أي حد تكون علاقات الفصامي مع الغير مزوّرة ومقطوعة، ذلك أنه بنى لنفسه عالماً محكم السدّ، مغلقاً على كل تواصل. وتفكيره عتيق، سحري، يجانب المنطق، رمزي، وينعدم التلاؤم بين إيمائيته وانفعالاته: مثال ذلك أنه يبتسم وهو يتكلّم على أمور محزنة.

الفاعلية الهاذية لدى الفصامي دائمة من الناحية العملية، على الرغم من أنها لاتكون ظاهرة دائماً. فالمريض يمكنه في الواقع أن يغذّي وينمّي هذيانه دون أن يُخبر به محيطه، أو لايتكلّم عليه إلا بصورة استثنائية (ذلك تطور يسمّى «الهمْس»). وهذه الفاعلية المرضية ذات علاقة، في رأي كثير من المؤلفين، بمحاولة يبذلها المريض ليعيد التنظيم إلى عالمه المجزأ، المتصف أنه، لهذا السبب، يثير القلق على وجه الخصوص. ولكن هذيان الفصامي (ذا البنية الذهانية الهذائية [البارانويا]) غير منطقي وغير متماسك على الغالب، على خلاف الأشكال الأخرى من الهذيانات المبنيّة جيداً، كهذيان الذهان الهذائي (البارانويا) أو حتى الهذيان البارافريني. والذهان الفصامي قد تغذّيه، على الأغلب، هلوسات سمعية («ثمة من يتكلّم إليّ»)، وهلوسات انطباعات عامة («أفعى تعيش في جسمي»)، وهلوسات نفسية («ثمة من يحزر أفكاري، يكرّرها، يسرقها»). وكان غاتيان كليرامبو (1872- 1934) قد حلّل هذه الهلوسات الأخيرة، التي يشعر فيها المريض أن فكره يُقاد من الخارج، وجَمَعها في ظلّ التسمية التالية: «تناذر الفاعلية الآلية العقلية». وموضوعات الهذيانات الذهانية الهذائية متغيّرة جداً، غير منظّمة، متناقضة أحياناً؛ ويمكنها أن تنتظم حول أفكار العظمة، والقوة أو الاضطهاد، ولكنها، على الأغلب، مفاهيم علمية كاذبة، ميتافيزيائية، فلسفية أو صوفية.

واضطرابات الجنسية غالبة، يرافقها نكوص إلى مرحلة من مراحل النموّ الليبيدي، وسلوك الغُلمة الذاتية والجنسية المثلية شائعان إلى حدّ كاف؛ وتوجد في بعض الأحيان محاولة خصاء ذاتي.

إن تطوّر الفصام غير منتظم على وجه العموم، ترافقه «فترات خصْب»، أي مراحل يشهد فيها المرء تصاعداً حقيقياً لكل الأعراض (هذيان، هلوسات، اضطرابات السلوك المتفاقمة)، تتناوب مع مراحل هادئة تتراجع خلالها الفاعلية تدريجياً ويشهد المرء فيها تفاقم التصدّع النفسي. وفي نهاية تطوّر فصام، يمكن أن يكون لدينا لوحات مختلفة تسود فيها العطالة، وعدم التماسك الفكري - اللفظي أو هذيان الانطواء على الذات. والشكل «الذهاني الهذائي» هو الأكثر تواتراً والأكثر نموذجية، ولكن قد توجد أشكال أكثر خطورة كفصام المراهقة أو «خَبَل الفتيان المبكّر»، وفصام المراهقة - الكاتاتونيا، حيث تسود الاضطرابات النفسية الحركية. ونسمّي الأشكال الخفيفة من الفصام «فصامات بسيطة» أو «أعصبة فصامية». (انظر في هذا المعجم: **تفكّك الشخصية، فصام المراهقة، التوأم، المرض الخلاق، ذرائعية التواصل، خَلَل التعبير الشفهي الفصامي**).

M.S.

يظلّ مبحث أسباب الفصام دائماً، على الرغم من كمية هائلة من الأعمال في المجالات الأكثر تنوّعاً من البيولوجيا، والكيمياء الحيوية، والفيزيولوجيا، والفيزيولوجيا العصبية، والتشريح، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، في مرحلة الفروض. وتشكيلة هذه الفروض تمتدّ من التأثير البيولوجي، الذي دافعت عنه المدرسة الفرنسية الألمانية في بداية القرن، التي كانت ترى في هذا المرض إصابة عضوية في الدماغ الأعلى، إلى قضايا توماس ساس ورولاند لينغ (المولود عام 1927) اللذين يعتبران الفصام مرضاً اجتماعياً سياسياً. والتأثير الضار لأسرة الفصاميين يُعتبر السبب الرئيس لهذا المرض. وتعتبر الموجة الجديدة، «عصر برج

الدلو»، التي أوحت بها أحداث 1968، في فرنسة وبلدانٍ أخرى على حدّ سواء، أن استئصال الفقر يُزيل المرض العقلي أيضاً (إنه قد يكون فرَضاً ماركسياً على وجه التقريب). والآراء تصل إلى درجة من الحسم بحيث أن التعريف التالي لايفوته أبداً أن يثير مجادلات حادّة: «الفصام مرض عقلي يتميّز بفقدان التنظيم في الشخصية، وتفكّك تكاملها، وازدواجها. وينفصل الفكر في هذا المرض عن الحياة الوجدانية ويفقد الفرد قدرة على أن يستجيب للواقع استجابة مناسبة، وأنه لم يعد من جهة أخرى قادراً على التقييم بواقعية».

ويمكننا مع ذلك أن نقارب دراسة أسباب الفصام بتحليل بعضٍ من المعاينات العيادية: 1) نلاحظ أول الأمر أن الوراثة النفسية مثقلة أكثر مما تقتضيه المصادفة على الغالب (وذلك أمر مؤكّد من الناحية الإحصائية)؛ 2) ومن النادر، إن لم يكن من المتعذّر، أن نجد مرضى متحدّرين من أسر تخلو من العيوب الوراثية؛ 3) يظهر المرض، على الأغلب، بين السابعة عشرة والثالثة والعشرين، ولكن سوابق المرض تبيّن الوجود السابق لشخصية غريبة بياناً دائماً على وجه التقريب؛ 4) يتبع مرض الفصام دورات عواملُ إطلاقها تبدو في بعض الأحيان مرتبطة بضرب من كَرْب البيئة. والأعراض يمكنها مع ذلك أن تحدث دون سبب ظاهر؛ 5) كانت الأزمة الحادّة تدوم في الأغلب ثلاثة أشهر إلى اثني عشر، قبل الاستخدام المعمّم لمضادّات الذهان. والعلاج الكيميائي يمكنه أحياناً، منذ هذا الاستخدام، أن يُحدث هَدْءات مدهشة، خلال ثمان وأربعين ساعة أو ست وتسعين ساعة، للأعراض الحادّة؛ 6) يوجد تأثير للعوامل النفسية الدينامية والاجتماعية. ويمكن أن يُطلِق المرضَ ضربٌ من الكرب الحادّ. ولايتوصّل العلاج النفسي مع ذلك إلى تقليص الأعراض في مهلة قصيرة كمهلة مضادّات الذهان.

وتعمل مجموعة هذه الوقائع إذن لمصلحة مرض وراثي، حسّاس للعلاج الكيميائي، مرض يظهر في سياق اجتماعي سيكولوجي معيّن. ويجعلنا هذا المرض نفكر في مرض ربما خلوي أو بيولوجي. وكان هـ. ك. ب. دنبَر وتيلَرْ قد اقترحا من قبل، عامي 1963 و 1966، فرَضاً يستند إلى معطيات من البيولوجيا

الجُزيئية. وكانا يفكران في اختلال أيضي معمّم، يمّس كل الأعضاء ويظهر بشذوذات كهربائية في الدماغ وبصمات الأصابع على حدّ سواء. وإذا كانت الوراثة معيبة، فإن من المناسب الرجوع إلى سلسلة الحموض النووية في الخط الحلزوني للحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين (A.D.N.) التي تبرمج الإعلام الوراثي (الشيفرة الوراثية). وإذا كان هذا الحمض (A.D.N.) معيباً، إما جرّاء السيرورة الدينامية (تشوّه القوى بين الجزيئية التي تجذب الأسس إلى موقعها في الخط الحلزوني وتستبقيها فيه)، وإما في السيرورة السكونية (ستاتيكية) (تشوّه السلسلة وغياب البورين أو الهرمين، أو تغيير موقع أحدهما)، وإذا كان النتاج أنزيماً، فإن هذا الأنزيم سيكون بدوره شاذاً، والارتكاس الذي يثيره يمكنه أن يكون بطيئاً أو لا يحدث. وبما أن الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين (A.D.N.) ذو علاقة بالوسط الخارجي، بفعل سيرورات داخل نووية أو خلوية أو حتى خارج خلوية، فإن بوسعنا أن نتكلّم على تأثير العالم الخارجي في الوسط الداخلي.
واستخدمنا نحن حالة الإثارة الهلوسية وفقدان الشخصية، التي يحرّضهما المسكالين، نمطاً لذهان الفصام لدى الإنسان. فتموضعت، لدى الفأر، هذه المادة التي تُنتج أيضاً سلوكاً شاذاً، على مستوى الوصلات العصبية، حيث أحدثت تشوّهات مورفولوجية عابرة. والواقع أننا نعاين في المجهر الألكتروني، بعد تنبيذ فائق لعينة من القشرة الدماغية، هروب حويصلات من الوصلات العصبية يرافقه زيادة كثافتها، وشبهة تشوّه بنيوي في أنسجة الوصلات العصبية وتسرّب محتواها من النوادْرينالين نحو منطقة النخاعين. ويبلغ هذا التأثير درجته القصوى بعد خمس وأربعين دقيقة ويشبه التأثير الدوائي في الحركات لدى الإنسان. فالحقْن المسبق لمادة كلوربرومازين يوقف ظهور التغيّرات في السلوك لدى الفأر (كذلك لدى الإنسان)، والمفعولات المورفولوجية. ويمكننا أن نشرح هذه المعاينات بتشوّه عارض يقبل التراجع للغشاء قبل الوصلة العصبية، على مستوى القشرة الدماغية، تشوّه يحرّضه المسكالين تحريضاً تجريبياً لدى الفأر، مفعولاته الأولية كيميائية حيوية ويُحدث، بصورة ثانوية، آفات بنيوية مؤقتة تولّد تشوّهات في الهرمونات العصبية

الدماغية (كالنورادينالين على سبيل المثال). والاعتقاد أن تأثير مواد نفسية، تحاكي إثارة بعض الأعصاب، تعزّز، على مستوى السطح الخلوي، مفعولات عيب داخلي المنشأ، وراثي، موجود في الأمراض العقلية، غير مخالف للصواب.

ويمكننا القول، إذا كان المدّ الاستقرائي مشروعاً، إن ثمة، لدى الفرد الإنساني، عيباً وراثياً يتيح المجال لسيرورات شاذة، دورية، كيميائية حيوية، أنزيمية على وجه الاحتمال، على مستوى الوصلات العصبية، تشمل البروتيئينات (وهذا أكثر احتمالاً) أو الشحوم، أو مجموع البروتيئينات والشحوم. ومضادّات الذهان، بخصائصها في تحويل الشحنة وإنتاج الألكترونات، ترسّخ الغشاء، تاركة للعضوية الزمن لإصلاح العيب. ويصبح النقل العصبي مجدّداً طبيعياً على هذا النحو وتزول الأعراض الذهانية. (انظر في هذا المعجم: **الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين [A.D.N.] باتيسون [غريغوري]، الكاتيكولامين، القسر المزدوج، الوسيط الكيميائي، الأم، جماعة بالو ألتو، الوصلة العصبية**).

H.C.D.

العلاج النفسي للفصاميين مشروع حديث نسبياً. إن كتاب السيدة غ. شونيغ، **درب نحو حياة الذهانيين النفسية**، المنشور عام 1938، هو الذي وسم، في أوروبة، فجر هذه المقاربة. وتؤكّد فيه المؤلفة أهمية «الأمومة» التي تميّزها من حب الأم. وهذا المشروع يستحق التقدير بقدر مايوجد ميل خارج التحليل النفسي، لاسيّما الطب النفسي التقليدي الألماني، إلى إهمال سبر العالم الداخلي للفصاميين. والواقع أن الخَبَل المبكّر معتبر، بدءاً من إ. كريبْلِنْ، مرضاً عقلياً متصاعداً وغير قابل للشفاء، مآلُه الحتمي حالة خبلية بالمعنى الحقيقي للمصطلح. وكان إوجين بلولر هو الأول الذي فتح الباب نحو العالم الأعمق لهذا المرض، عندما تكلّم على الانطواء على الذات وتصدّع الوظائف النفسية المختلفة في الفصام. وتوصّل هذا المؤلف، المتأثّر بنظرية س. فرويد، إلى فهم رائع

للفصاميين، ولكنه لم يكن معالجاً نفسياً أيضاً. ولم تظهر الشروح العلاجية النفسية إلا مع أعمال إ. كريتشمر، إذ وضع وصف الشخصية قبل المرضية (الشخصية نظير الفصامية) للفصاميين. ويوصي تلميذ من تلاميذ، بلولرْ، جـ. كلازي، بتعزيز نزوع المرضى العفوي إلى الشفاء. ويتظاهر أنه يجهل المظاهر الفصامية ويجعلهم يعيشون في مشفاه حياة شبه طبيعية. بل يجرؤ على اللجوء إلى حِيَل تمضي، على سبيل المثال، إلى أن يترك مصاباً بالكاتاتونيا يقع في مسبح بغية إثارة التواصل اللفظي.

ومنذ الإصلاح الذي أسهم به في مصير المرضى العقليين فيليب بينلْ، عام 1793، في فرنسة، فإن تاريخ معالجة إنسانية للمغتربين العقليين هو الآن طويل (على الرغم من الانتقاد الذي صاغه بهذا الصدد ميشيل فوكول)، تتمّته الطبيعية هي، في وقتنا الراهن، الطب النفسي الاجتماعي لهنري باروك (المولود عام 1897) والعلاج النفسي المؤسّسي الذي اقترحه جورج دوميزون، في مشفى هنري روسّل (باريس)، وفرانسوا توسكيل وبول سيفادون. فمعالجة الفصاميين يؤمّنها، من الآن فصاعداً، فريق طبيّ سيكولوجي.

وتخضع الأميرة كيكو التي أصبحت مجنونة، في يابان القرن الحادي عشر، إلى تطهير ديني بالغسْل بالماء في معبد إواكورا، بضواحي كيوتو. وولُدت مستوطنة علاجية منذ ذلك الزمن في هذه القرية ونمت عبْر القرون، بالتعاون مع القرويين. وبُني فيها مشفى للطب النفسي في عصر الامبراطور ميجي (1867 - 1912)، وفي الوقت الراهن، تعالج فيه جماعة ذات اتّجاه ضدّ الطب النفسي أولئك المرضى الذين يُسمّون «فصاميين».

وكان فرويد يتحاشى علاج الفصاميين، بسبب استعدادهم النرجسي المسبق القويّ. وبول فيديرنْ من فيينّة، الذي تتبع تعليمه السيدة غ. شوينغ، هو المحلّل النفسي الأول الذي طرح مشكل المعالجة النفسية للفصاميين طرحاً صريحاً. ويشدّد بول فيديرن على أهمية أن يقوم تحويل إيجابي بين المعالج والمريض وعلى أهمية دعم

هذا التحويل، ويلحّ على ضرورة أن يستمرّ التحليل الكلاسيكي بعد هدأة المرض. وتصف السيدة م. أ. شيشهه، في جنيف، من جهتها، مايُسمى **الإنجاز الرمزي** (1947)، بعد أن أقامت اتصالاً وثيقاً لبضع سنين بفصامية شابة. ويثير كتابها مناقشات طويلة تتناول موضوع تقنيتها بقدر ما تتناول موضوع تشخيصها. ويمكننا تلخيص أفكارها على النحو التالي: الفصامي الذي تستولي عليه عاطفة من الإثمية الأصلية، لايمكنه أن يتواصل مع محيطه ويشبع رغباته إلا على نحو غير مباشر. فالمعالج النفسي سيتوجّه إذن على هذا النمط إلى مريضه، توجّهاً يستخدم فيه الشخص الثالث أحياناً، ويشبع رغبته الأولية بالوسيلة قبل الرمزية- السحرية. وفيما يخص حالة رونه، الفصامية الشابة، تؤكّد المؤلفة شدّة الإحباط الذي كان عليها أن تصلحها. فالتفاحة سترمز معاً إلى الثدي والحليب والأمن الأمومي. وستكون الدمى، التي أصبحت بديلة إمّا للمعالج، وإمّا للمريض، هي الوسائل الرئيسة لتطوّر رونه. والعلاج المتّجه نحو التنشئة الاجتماعية، بعد هدأة المرض، غير منسيّ. وتمارس جيزيلا بانكو، في باريس، علاج الفصاميين النفسي محاولةً توحيد صورة الجسم المجزّأة والراق الأعمق من الحياة النفسية. وتستخدم، لذلك، طريقة صنع النماذج على وجه الخصوص.

وألحّ هاري سولّيفان (1892- 1949)، في الولايات المتحدة الأمريكية، على العلاقة بين الإنسانية وأكّد التشويه «السيىء التوافق وجدانياً»، الذي يطرأ في طفولة الفصاميين. ولكن هذا المبدأ إنما استطاع أن ينفذ إلى التطبيق بفضل المزايا الرائعة التي تتحلّى بها فريدا فروم- ريخمان. فاتجاهها: «اصغ جيداً إلى المريض»، وهو سيظلّ المعيار الكلّي لكل علاجات الفصاميين النفسية.

وفَتَح لنا التحليل الوجودي درباً إلى مايعيشه الفصاميون ويعانونه بصورة واقعية. فلودفيغ بانسونْجر (1881- 1966)، في كروزلنْجن يرسم الوجود - في - العالم لدى الفصاميين ويتكلّم على لقاء الأنا الشخصي (je) و «أنت» اللذين يختلطان في ضرب من «النحن». ويُعنى أوجين مانكوفسكي (1885- 1972)، في

باريس، عناية أكبر، بوضع الطبيب ويرى أن الرغبة في العلاج تصبح، على نحوٍ لاشعوري قليلاً أو كثيراً، معيار تصنيف المرضى العقليين، وذلك أمر يوحي بوجود علاقة بين اتجاه الطبيب وتصنيفه الأمراض. ويحظّر ميدار بوس، في زوريخ، العنايات المفرطة بالمرضى العقليين، والذهانيين منهم، ويبحث عن التوفيق بين تصورّ التحليل النفسي والتحليل الوجودي.

وفي اليابان، في ظلّ حكم الامبراطور ميجي تنّو (كيوتو، 1852- كيوتو 1912)، يحلّ الطب الألماني محلّ الطب الصيني، وكان ذلك على وجه الخصوص مفعول مفاده أن الطب النفسي بوصفه علماً تطوّر تطوّراً مستقلاً عن الطب النفسي العيادي، ولا سيّما الطب النفسي الذي كان يمارس في مشافي الأمراض العقلية. وأدخل مع ذلك الأستاذ س إيمامورا، مؤسّس قسم الطب النفسي في كلية كيوتو، الذي كان له اهتمام بالطب النفسي العيادي الفرنسي، نظريات هذا الطب في تعليمه. ولَمَح خلفه الثاني، الأستاذ م. موراكامي، نحو عام 1942، حين رجع إلى نظرية بيير جانه لتراتب الميول النفسية، إمكانَ مقاربة علاجية نفسية للفصاميين، مقاربة وضعها تلاميذه موضع التطبيق بدءاً من عام 1955. وتستخدم السيدة هيرانو دميتين رمزين للمعالجة ومريضها؛ ويعترف إي. كازاهارا، حين حلّل تحليلاً دقيقاً تحويل أحد الفصاميين، بوجود نزاعات داخل نفسية في بعض المظاهر الفصامية، ويبحث الدكتور أ. فوجيناوا عن دينامية الأزمة الفصامية في الأسرة. ويوضّح الدكتور أ. ميوشي، بغية الاقتراب من العالم الفصامي، مع بعض الزملاء، جانبه «المتعالي - المتباين»، في حين أن الدكتور ك. كاتو يحدّد ممارسته، حين بيّن جانب هذا العالم الفصامي «النابذ- المتقارب»، في المتخيّل، إما في الأحلام، وإما في الرسم الزيتي. وتتابع جماعة جامعة كيوو (طوكيو)، خارج مدرسة كيوتو، الطب النفسي لأسر الفصاميين. وبوسعنا أن نقول إن هذه الفاعليات العلاجية النفسية كلها هي جهود لتُوضع موضع التطبيق العملي بحوث نظرية وتُحدَّد نقطة التماسّ بين دائرتين: إحداهما أكاديمية والأخرى عيادية. (انظر في هذا المعجم: التحليل الوجودي).

A.M.

الفصام (أشكال)

F: Schizose

En: Schizosis

D: Schizose

الاشتقاق: من الإغريقي Skhizein، أي «شقّ»، و«قسم» واللاحقة ose، التي تدلّ، في الطب، على داء تنكّسي أو مرض مزمن.

مصطلح ابتكره الطبيب النفسي الفرنسي هنري كلور (باريس، 1869– باريس، 1945) للدلالة على بعض الأشكال من الفصام.

إنه مصطلح لاينفصل عن تصوّر إجمالي لهذا الشكل من الذهان، الذي بسطه كلود وتلامذته في مجموعة من الأعمال، بين عامي 1924 و 1928. وفصل هؤلاء المؤلفون، في الفصام الذي وصفه بلولر، بغية المقابلة بين الخبل المبكر وزمرة أشكال الفصام، التي تشمل الأشكال العيادية ذات الخطورة المتعاظمة والمتّصفة بسمة أساسية مفادها تفكيك الحياة الوجدانية انتقائياً. والشكل الأقلّ خطراً هو نظير الفصام. وبدءاً من هذه البنية ذات الاستعداد المسبق، ثمة أحداث حادّة أو دون حادّة، موصوفة أنها «أزمات فصامية هوسية»، تتضمّن تفاقماً عابراً لكل الاضطرابات، يمكنها أن تولد. وأخيراً، تصبح ضروب الخلل دائمة بالتدريج، إذ تحقّق ضرباً من الفصام يظلّ فيه مع ذلك، قياساً على الأوصاف الكلاسيكية، النشاز والانطواء على الذات معتدلين، والهذيان ضعيف الفاعلية، وفقدان الشعوربالواقع جزئياً. ولهذه الحالات مع ذلك سمة مشتركة مفادها المحافظة دائماً على بنية وآليات

دفاع من طبيعة عصابية (وصف هوش باسم «فصام عصابي» لوحات شبيهة). وكان لوصف أشكال الفصام، مع أنه لايلخّص كل أشكاله، الفضل في أنه طرح بإلحاح مشكل العلاقات الصعبة بين الفصام وبعض الأعصبة، ولاسيّما العصاب الوسواسي والهستيريا.

J.M.A.

فصام المراهقة

F: Hébéphrénie

En: Hebephrenia

D: Hebephrenie

مصطلح اقترحه عام 1871 الطبيب النفسي الألماني هيكر (1843–1900) للدلالة على شكل من الذهان يصيب الفتيان ويتطوّر بسرعة نحو حالة من التدهور شبه الخَبَلي.

كان الطبيب النفسي الفرنسي ب أوغسْتان موريل (فيينّة، النمسة، 1809– سان إيّون، 1873) قد وصف، قبل هيكر، هذا الكيان العيادي (1860) نفسه باسم «الخَبَل المبكّر لدى الفتيان». وعزل الطبيب النفسي الألماني لودفيغ كالْبون (1828– 1899) باسم **كاتاتونيا** (1874) تناذراً نفسياً حركياً يقترن على الغالب بهذا التفكّك النفسي. وأرْصَن إميل كريبْلن (1828– 1899)، من عام 1890 إلى عام 1907 مفهوم الخَبَل المبكّر (dementia praecox) الذي كان يميّز فيه شكلي فصام المراهقة والكاتاتونيا، والشكل الهاذي أو شبه البارانوئي. وأناب أوجين بلولر (1857– 1939) مناب هذا المفهوم مفهوم **الفصام**، ولكن ب. غيرو احتفظ، في آخر طبعة من كتابه، **الطب النفسي العيادي** (1956)، بمصطلح «تناذر فصام المراهقة» الذي كان يضمّنه معظم أشكال الفصام.

وفصام المراهقة يكوّن، في معناه الحصري المأخوذ بالحسبان عادة، شكلاً خطيراً من الفصام يصيب الفتيان. وإنذاره قاتم بمقدار مايكون ظهوره مبكّراً.

ومرحلة البدء يمكنها أن تتّخذ أشكالاً شتّى أكثرها تواتراً هي: خَوَر الفاعلية العامة التدريجي (لاسيّما الفاعلية المدرسية، وفقدان الاهتمام، والعزلة، والخمول؛ ونلاحظ في بعض الأحيان نكوصاً إلى مرحلة طفلية تظهر بصبيانية مفاجئة (مشاغل، لغة، اتجاهات طفالية)؛ وتنضاف في الغالب اهتمامات وسواسية غير متوقّعة، وشكاوى غير مألوفة تتناول الحالة الصحية، وارتكاس مغال، هستيري على وجه التقريب، على إخفاق، عاطفي على وجه الخصوص. وأياً كان الشكل الذي نصادفه، فإن ما يسترعي الانتباه دائماً هو ما يوجد من خَلَل في الانسجام، وغير المناسب والشاذّ، في سلوك الفرد، ولكننا لانلاحظ، إلا متأخّراً، بعض بضعة أشهر فقط، كل العناصر التي تكوّن اللوحة النموذجية لـ **التفكّك الفصامي** في مجالات الفاعلية.

والخصائص الأساسية الثلاث لفصام المراهقة هي: «التصدّع الفصامي» الذي يذكّر بالخَبَل؛ الفقر النسبي للإنتاج الهاذي؛ أهمية المظاهر الجسمية. وهذه المظاهر المتجمّعة باسم **كاتاتونيا** متواترة جداً بحيث ينصبّ الكلام عادةً في فرنسة على **فصام مراهقة- كاتاتونيا**، مع أن للكاتاتونيا أسباباً أخرى أيضاً، سمّية خَمَجية على وجه الخصوص. وتظهر الكاتاتونيا، على المستوى النفسي الحركي، بفقدان المبادرة، مع ميل إلى المحافظة على الوضعيات (**تخشّب** Catalepsie)، وتظهر، بالمقابل، بنوبات اندفاعية أو مقولبات حركية؛ وتظهر، على المستوى العقلي، بسلوك ذي نزعة سلبية، باصطناعية مغالية؛ وعلى المستوى الجسمي، تظهر باضطرابات عصبية نباتية شتّى: شبه وَذَمات، احتقان نهايات الأطراف، تعرّق مفرط، انخفاض حرارة الجسم، تشوّه الشعر والأظافر، إلخ. ويتطوّر فصام المراهقة، بصورة عامة، تطوراً سريعاً نحو حالة من شبه الخَبَل؛ ومعظم المؤلفين اعترفوا مع ذلك بالسمة غير الأصيلة لهذا المظهر من التلاشي، وأكّدت وجهة النظر هذه «انبعاثات» حقيقية، حاصلة على الأغلب بفعل تقنية العلاج المستخدمة (لاسيما مضادّات الذهان). ومعالجة فصام المراهقة هي معالجة الذهانات

الفصامية. وهكذا استُخدمت أول الأمر طرائق الصدمة (الصدمة الكهربائية، وعلاجات ساكل الأنسولينية على وجه الخصوص)، ثم مضادآت الذهان؛ والنتائج الحاصلة بهذه العقاقير هامّة جداً، ولكنها أقلّ أهمية مما هي عليه في الأشكال الأخرى من الفصام. أما العلاج النفسي، فإنه يصادف على الأغلب هنا صعوبات يتعذّر تجاوزها. وكان للتطوّر العلاجي، على أي حال، مفعول مفاده أنه عدّل التعبير العيادي لحالات فصام المراهقة على الأقلّ مع شبه اختفاء للكاتاتونيا على وجه الخصوص، إن لم يكن قد جعل هذه الحالات نادرة. (انظر في هذا المعجم: **الكاتاتونيا، الاصطناعية، الفصام**).

J.MA.

الفعل الخائب

F: Acte manqué

En: Paraxis

D: Fehlleistung

حادث صغير في الحياة اليومية يطرأ بوصفه «كبوة» في مجرى التصرّف السويّ عادةً؛ وهذا الإخفاق الصغير يبدو دائماً غير مؤذ، إذ لايسبّب نتيجة ذات أهمية.

ليست الأفعال الخائبة كلها «كبوات» العمل، ولكنها هي فقط تلك التي يمكننا أن نبيّن أنها تؤلّف تكوّنات تسوية بين قصد شعوري ورغبة مكبوتة. إنها، على سبيل المثال، ضروب النسيان، وزلات اللسان والقلم، وأخطاء القراءة، والسهو. وبيّن فرويد في كتابه علم النفس المرضي للحياة اليومية (1901) أن الأفعال الخائبة كانت تكوّن، في ظلّ ابتذال ظاهر، وقائع كاشفة عن أفكار مرتكبها الأكثر صميمية. إنها التعبير عن اللاشعور، المنبعث فجأة في سير التصرّف، وذلك أمر جعل جاك لاكان (1901– 1981) يقول إن كل فعل خائب كان قولاً ناجحاً. وثمة عوامل نفسية فيزيولوجية، كالتعب، والإثارة، وعيب الانتباه، يمكنها أن تشجّع الأفعال الخائبة، ولكنها لاتكفي وحدها لشرح شكلها. وسيكشف هذا الشرح عند التحليل، على العكس، عن المعنى الخفيّ ومنطق الخطأ. فليست كل الأخطاء (في الحساب، والضرب على الآلة الكاتبة، والتوجّه، واللغة) أفعالاً خائبة بالضرورة. وكثير منها يُعزى إلى عدم الانتباه، ولاتعبّر عن نزاع الميل. (انظر في هذا المعجم: الرقابة، النسيان، الكبت، الفعل العَرَضي).

N.S.

فعل المعرفة، المعرفة

F: Cognition

En: Cognition

D: Kognition, Erkenntnis

فعل المعرفة أو المعرفة بصورة عامة.

فعل المعرفة و **النزوع** Conation جانبان أساسيان، متشابكان على نحو وثيق، من جوانب الشخصية. والعناصر المعرفية يمكننا تقييمها كمياً بروائز المعرفة: مفردات، حساب، إعلام عام، معارف مهنية، إلخ. (انظر في هذا المعجم: الذكاء، والرائز).

N.S.

الفعل المُنبِئ عن عَرَض

F: Acte Symptomatique
En: Symptomație act
D: Symptomatische handlung, Symptomhandlung

حركة، أو عمل، ينفّذها امرؤ تنفيذاً آلياً، كما لو أنه يلعب، تبدو أنها لا دلالة لها ومحض عَرَضية، ولكن تحليلها يبيّن أنها تعبّر في الواقع عن أفكار واندفاعات لاشعورية.

أن يخربش المرء بقلم رصاص أو قلم حبر على ورقة ملاحظات موضوعة أمامه في أثناء محاضرة؛ وأن يلعب برفع خاتم الزواج من إصبعه وإعادته إليها؛ وأن يلعب بالنقود في جيبه بحيث يجعلها ترنّ؛ وأن يستخدم التعبير نفسه على الغالب في محادثة؛ وأن يدندن الأغنية نفسها غالباً، كلّها أفعال تنبئ عن أعراض- وتنوّع مثل هذه الأفعال لاينضب. وكل عمل من هذه الأعمال يمكنه أن يقدّم مؤشّرات ثمينة عن شخص فاعلها، وأفكاره، واهتماماته الأكثر صميمية. وإليكم هذا المثال الذي رواه س. فـرويد في تحليل دورا (1905). لم تكن دورا، المتمدّدة وهي تتكلّم، تتوقّف عن اللعب بكيس نقودها؛ وكانت تفتحه، وتدخل فيه إصبعها، وتغلقه، إلخ. ويبيّن فرويد أن «جزدان اليد ذا الوريقتين، جزدان دورا، لم يكن شيئاً سوى ضرب من تمثيل الفرج؛ إنها كانت تعبّر، إذ تلعب بهذا الجزدان، تفتحه وتدخل يدها فيه، تعبيراً بالتمثيل الإيمائي، وعلى نحوٍ فيه من عدم التحفّظ ما يكفي، ولكنه واضح، عمّا كانت تريد أن تفعله»، أعني أن تستمني. وتتميّز الأفعال التي تنبئ بأعراض من الأفعال الخائبة بواقع مفاده أنها ليست بحاجة إلى ذريعة. إنها تحدث لذاتها وهي مقبولة لأن أي أحد لايشتبه بهدفها ولابقصدها.

(انظر في هذا المعجم: **الفعل الخائب، اللاشعور، زلات اللسان والقلم**).

N.S.

فقدان الحركة الانعكاسية

F: Acinèse, Akinèse

En: Akenesia

D: Akenese

شلّ الانعكاس.

يقابل فقدان الحركة كفاً كلياً للحركات التي تثيرها على نحو انعكاسي تنبيهاتٌ حسّية متموضعة. ويُلاحظ فقدان الحركة على وجه الخصوص لدى الحشرات، ولاسيّما اليرقات ذوات الأجنحة القشرية (السَرَفات)، والفراشات والعصويات، التي تقلّد أشكالها الفريدة جذوع أو أوراق النباتات التي تعيش عليها. وهذا الجمود الانعكاسي يعتبره بعض الاختصاصيين في الحشرات ارتكاس حماية ضدّ القنّاصات التي تكون على وجه الخصوص حسّاسة للأشياء المتحركة. فمنعكس فقدان الحركة يدخل إذن في فئة الظاهرات الخاصة بـ جمود الحماية الملاحظ أيضاً لدى الحشرات والقشريات ولدى العصافير والثدييات على حدّ سواء.

N.S.

فقدان الشخصية

F: Dépersonnalisation

En: Depersonalization

D: Depersonalisation

حالة من خلل الشعور يعاني الفرد خلالها في وقت واحد انطباعاً بالغرابة فيما له علاقة بنفسه وبالعالم الخارجي، وعاطفةً تثير الحصر أنه فقد هويته الجسمية والنفسية.

كان الوصف العيادي الأول قد قدّمه عام 1870 الطبيب الهنغاري موريس كريشابر (1836- 1883) باسم «المرض العصبي الدماغي القلبي»، ولكن مصطلح فقدان الشخصية اقترحه عام 1898 ليون دوغاس، الذي كان قد اقتبسه من اليوميات الخاصة للفيلسوف السويسري هنري أمْيِل (1821- 1881). وتظلّ المعطيات العيادية ومعطيات مبحث الأسباب أو معطيات نشوء المرض، على حدّ سواء، غير راسخة بعدُ على نحو كاف ومتناقضة على الغالب، على الرغم من الأعمال العديدة المخصّصة لهذه المسألة.

وثمة اتفاق، على المستوى العيادي، منذ أيام كارل فيرنيك (1848- 1905)، على تمييز ثلاثة جوانب في تناذر فقدان الشخصية:

1- اضطرابات الشعور بالأنا النفسية (فقدان الشخصية الذاتي النفسي). يبرز من تعدّد الأشكال القصوى للأوصاف التي يدلي بها الأفراد شعوراً يعيشونه على نحو حادّ بتحوّل عميق في الأنا، سواء أكان المقصود هو الفاعلية المعرفية

(انطباع بفقدان كل قدرة عقلية، عدم تعرّف الأفكار والمعتقدات السابقة، إلخ) أم الوجدانية (شعور بالإفقار الإجمالي أو بتغيّر العواطف). وهذا التغيّر الداخلي يمنح الفرد إحساساً بأنه أصبح غريباً عن ذاته، كما لو أن شخصين يسكنان معاً في نفسه؛ وتدوم ذكرى الشخصية السابقة على الأغلب، ولكنها كما لو أنها فقدت تجسيدها، ويشهد المريض بوصفه مشاهداً تلك الفاعلية التي تجري في نفسه. وهذا الشعور يمكنه أن يمضي لدى المريض حتى هلوسة وجود مثْله إلى جانبه Héautoscopic. ويرافق دائماً ضرب من القلق الحادّ هذه السيرورة، قلق يمكنه أن يبلغ معيشاً من التلاشي أو الموت النفسي. والعمل، بالطبع، معاق إلى حدّ كبير ومشلول قليلاً أو كثيراً. ويعكف الفرد في الوقت نفسه، بفعل حاجة قاهرة ودائمة، على تحليل ذاتي استبطاني، إذ يحاول بهذه الوسيلة أن يجد وحدته وهويته من جديد؛ ولكن هذا التفكّر يسهم، بالمقابل، في تفاقم تشوّه السيرورات الداخلية والعلاقات مع الواقع.

2- الاضطرابات في إدراك العالم الخارجي أو الشعور بفقدان الشعور بالواقع. انطباع التغيّر الداخلي يرافقه لدى الفرد، على نحو ثابت على وجه التقريب، إحساسٌ بالغرابة بالنسبة لكل مايحيط به: الأشياء ليست مألوفة، شكلها مشوّه، فذاك تفصيلٌ يتّخذ أهمية مفرطة تشوّه إدراك المجموع، والأشخاص أنفسهم يبدون وكأنهم غير متجسّدين، غير واقعيين، مشوّهي الشكل في مظهرهم. والمكان فقد انسجامه: الحجوم، والمسافات، والأشكال، متغيّرة. وتعاقبات الزمن منقلبة رأساً على عقب: الماضي، والحاضر، والمستقبل، ملتبسة، ويعاني الفرد شعور «المرئي سابقاً» أو «المعيش سابقاً»، وذلك أمر يخلق في ذهنه ضرباً من «جوّ الحلم».

وهذه الجوانب الثلاثة من فقدان الشخصية موجودة معاً، من الناحية العملية، على نحو مستمرّ، ذلك أن المسألة تكمن في اضطراب إجمالي للشخص، في «تشوّه الفرد، لاتشوّه جسمه فقط». (هـ. إي). والواقع أن فقدان الشخصية

ينبغي أن يتميّز من اضطرابات المخطّط الجسمي ذات المنشأ العصبي، المرتبطة بآفات متموضعة في الجملة العصبية (الأعضاء الأشباح، الضروب المختلفة من عَمَه الإدراك، إلخ) لاتسبّب تغيّراً في إدراك العالم الخارجي ويرافقها عادةً شيء من اللامبالاة، على الرغم من وجود بعض الجوانب من الأعراض المتشابهة إلى حدّ كاف بين فقدان الشخصية واضطرابات المخطّط الجسمي ذات المنشأ العصبي. والتمييز صعب جداً، على العكس، فيما يخصّ الهذيان، ذلك أن هذين الجانبين من علم النفس المرضي مختلطان على الغالب في تطوّر مشترك ويفترض كل هذيان، إضافة إلى ذلك، انقلاباً في صورة الذات. ويكمن الفارق الأساسي مع ذلك في أن الهاذي يرفض الواقع ويحوله، في حين أن «فاقد الشخصية» يحاول، على العكس، أن يتشبّث به.

والشعور بفقدان الشخصية يمكنه أن يكوّن عنصراً دائماً لبعض الحالات العصابية أو الذهانية، ولكنه يتطوّر على الأغلب نحو حالات من نوبات فقدان الشخصية، حالات قابلة لأن تتراجع. فهو يكوّن إذن، على وجه الخصوص، مرحلة تطوّر، لاكياناً في تصنيف الأمراض مستقلاً. وهذه المعاينة موجودة في منشأ الفروض الأحدث لمنشأ الأمراض: يرى هنري إي (1900- 1977)، في حالة فقدان الشخصية، ذلك الشكل الأهون من فقدان تبنين الشعور، «بوصفه الدرجة الأولى من التجربة شبه الحلمية». وتظهر أزمة فقدان الشخصية، في رأي المحلّلين النفسيين، بوصفها ارتكاس دفاع بمناسبة فقدان الأم الموضوع أو ابتعادها، الموظّف بقوة على نمط قبل تناسلي نرجسي. ويُصادف فقدان الشخصية، من الناحية العملية، في سياقات من تصنيف الأمراض مختلفة جداً: إنه في **العصاب الوسواسي والنَهَك العصبي**، متواتر وقويّ عادةً، يتطوّر على الغالب في ضرب من التناوب مع الأعراض الوسواسية؛ ونصادفه في **الهستيريا** بمناسبة حالات من مرتبة ثانية يمكنها أن تحقّق استثنائياً لوحة «الشخصيات المتعدّدة»؛ وفقدان الشخصية، في **الذهانات الهلوسية الحادة**، يرافق الأشكال الأهون، على الغالب، في لوحة من

الغسقية ؛ إنه، في الصرع، مألوف خلال بعض الأزمات الصدغية ؛ ويمكنه أن يطرأ في السوداوية والحالات الاكتئابية بأطوار تبلغ الأعراض أقصى حدتها، قصيرة، بصورة عامة، إلى حد كاف وذات تعبير ضعيف؛ ويظهر، في الفصام، بأشكال البداية على وجه الخصوص، بوصفه تمهيداً لضرب من فقدان التبنين أعمق بكثير ؛ وفقدان الشخصية متواتر في التسمّم بالمواد التي تثير الهلوسات وفقدان الشخصية (لاسيّما الميسكالين و .L.S.D)، الذي أمكن له أن يكوّن موضوع دراسات شبه تجريبية ؛ وأخيراً، يمكن أن يظهر الشعور بفقدان الشخصية على نحو عابر بمناسبة خوَر التيقّظ لدى الفرد السويّ. وعلى المستوى العلاجي، تُناط استطبابات المعالجة بالسياق السببي بصورة أساسية. (انظر في هذا المعجم: الهذيان، الهلوسة، الأنا، المخطّط الجسمي، الذات).

J.MA.

الفكرة، التفكير، الفكر

F: Pensée

En: Thinking

D: Denken, Gedanke

إذا أخذنا المصطلح بمعناه العام، فهو كل حادث نفسي نختار الشعور به، بدءاً من الإحساس وحتى التأمل. وهو، بالمعنى الضيّق، كل ظاهرة معرفية، كل فاعلية فكرية موجّهة نحو حلّ مشكل.

بعض المؤلفين، كعالم النفس السويدي لاجو زيكيلي (1964)، يميّزون سيرورات التفكير (مثال ذلك، الإرصان الثانوي للحلم، الذي تكمن وظيفته في منح الحلم بعضاً من التماسك)، والأدوات (مثال ذلك ، الإجراءات المشخّصة والإجراءات الصورية، اللتين وصفهما جان بياجه، الانزياح أو التكثيف اللذان أوضحهما س. فرويد)، ونتاجات التفكير (فكَر، مخطّطات، إلخ). وينقسم التفكير أيضاً إلى تفكير **شبه حلمي أو منطوٍ على الذات**، تحكمه الحاجات الوجدانية، وغير المتكيّف مع المجتمع، وغير العقلاني، إذ يستخدم على وجه الخصوص امتثالات رمزية، وتفكير **متيقّظ**، متوجّه نحو التكيّف مع العالم الخارجي، متكيّف مع الحياة الاجتماعية، منطقي، يعبّر عن نفسه في اللغة بالكلمات (مفاهيم، فكَر) والقضايا (أحكام قيم وأحكام واقع). وينطوي التفكير **شبه الحلمي**، الذي يبدو في أحلامنا، بصورة خاصة، على «بقايا نهارية» (اهتمامات، رغبات عاناها الفرد خلال الأيام السابقة) وعلى عناصر مكبوتة في اللاشعور. إنه تفكير خاص، يشفي غلّته بالرمز ولا يتطلّب استخدام اللغة، ذلك أنه

غير مخصّص لأن يُنقل إلى الآخرين. أما التفكير المتيقّظ، فإنه يرتبط ارتباطاً صميمياً باللغة المحكيّة. بل يعتبر السلوكيون، بعد جون ب. واطسون (1878-1958)، أن هذا التفكير ليس سوى الكلام الذي ظلّ تحت اللفظي جرّاء عدم كفاية التحريضات الحركية التي تبلغ أعضاء التصويت. وإذا كان هذا الشرح يبدو تعسفياً (الكلام يفترض حضور الغير، حضور لايقتضيه التفكير)، فالحقيقة مع ذلك أن التفكير المتيقّظ فعل يوجّه كل العضوية نحو التواصل، كما تبيّنه التجارب التي أُجريت مع أفراد أسوياء وصمّ بكم. والواقع أننا لو طلبنا إلى أحد هؤلاء الأشخاص أن يفكر بعمل معيّن أو بموضوع محدّد، فإننا نسجّل على اللسان والشفتين (أو على طرف الأصابع لدى الصمّ البكم) تيّارات عمل شبيهة بالتيارات التي تُلاحظ عندما تكون بعض الكلمات منطوقة بالفعل. والتفكير يرتبط دون شك ارتباطاً صميمياً باللغة ويقيم معها علاقات تفاعل متبادل، ولكن أي شيء لايسمح لنا أن نجعل أحدهما يماثل الآخر. فالفاعلية اللفظية، يقول عالم النفس السوفييتي أ. سوكولوف (1966، ص. 174) «إما أنها تُكمل سيرورة التفكير، وإما أنها توجّهها في درب آخر، [ولكن] الطورين في مجموعهما، اللذين يخلف أحدهما الآخر بالتناوب، يكوّنان وحدهما السيرورة الوحيدة وغير القابلة للانفصال، سيرورة التفكير الإنساني».

N.S.

الفكر المخطّطي

F: Pensée Schématique

En: Schematic Thinking

D: Schematisches Denken

مصطلح استخدمه ت. تومازوسْكي (1961) ليصف الفكر الذي تكون فيه المعارف المدرسية، التي تكوّن «متاعاً» مصطنعاً مستوعَباً قليلاً أو كثيراً، مصنوعاً بصورة أساسية من كلمات ومخطّطات صلبة مضافة بتعسّف، هي التي تتفوّق على البنيات الفكرية التي يبنيها الفرد نفسه.

ثمة عوامل عديدة تشرط هذا النموذج من الفكر: طبيعة التعليم التقليدي الذي يشجّع حفظ المعارف أكثر مما يشجّع التفكير ويشجع «الببغاوية»؛ ثقافة الجمهور، التي تجعل معارف جماعة بمستوى واحد؛ الضغط الاجتماعي، الذي يدفع الأفراد إلى الامتثالية. والفكر المخطّطي محدود بمعنى أنه يقتصر على سبر بعض المجالات المحدّدة جيداً، ويكتفي بسلوك الدروب المسلوكة من قبلُ. إنه يتعارض مع الفكر المبدع، الذي يفتتح حقولاً جديدة ولايتردّد في أن يضع المعطيات المستقرة موضع التساؤل. وضروب التقدّم العلمي منوطة بالفكر المبدع أكثر مما هي منوطة بالفكر المخططي، ذلك أنها لا تتحدّد بالإسهامات الجديدة فحسب، ولكنها تتحدد على وجه الخصوص بتجاوز اليقينيّات الراهنة. فكشوف غاليله، وكوبرنيك، وداروين، وفرويد، وأنشتاين، كانت موضع مجادلة، بمعنى أنها أحدثت، في كل مرة، قطيعة مع المعرفة السابقة.

والاختراع يحتاج إلى الحرية، والمعارف الأكاديمية والخشية من الابتعاد عن الدروب، التي رسمها المعلمون، تكونّان على الغالب عائقاً لهذه الحرية. وهذا هو السبب الذي من أجله كان ألبير أنشتاين يعتبر أن الفيزيائي والكيميائي الانغليزي ميكائيل فارادي (نيو إنغنتون، سورّه، 1791- هامبْتون كور، 1867) الذي بدأ متدرّباً في تجليد الكتب، لم يكن يمكنه أن ينجز كشوفه العبقرية في المغناطيسية الكهربائية لو أنه كان قد تلقّى تعليماً جامعياً. (انظر في هذا المعجم: **الإبداعية، الفكر المنفرج، المرونة، السيولة**).

N.S.

الفكر المنفرج

F: Pensée divergente

En: Devergent Thinking

D: Divergentes Denken

ضرب من الفكر يتيح، انطلاقاً من معلومات، إعداد عدّة أفكار مختلفة وإيجاد حلول عديدة لمشكل معيّن.

الفكر المنفرج إجراء عقلي بنّاء (جـ. ب. غيلفورد، 1967)، وروح الإبداعية؛ إنه يترافق مع سرعة الفكر (سيولة)، والمرونة العقلية والأصالة.

وحاول علماء نفس عديدون تقييم الفكر المنفرج بواسطة روائز عقلية: مثال ذلك تعداد أكبر عدد من الأشياء التي يمكنها أن توضع في صنف من المفاهيم المعيّنة؛ أو ذكر كل الاستعمالات الممكنة لشيء من الأشياء أيضاً؛ قول ما يشترك فيه ثلاثة أعداد كالعدد 68، 56، 84 (أعداد تنقسم على 7) وإيجاد مجموعات أخرى من ثلاثة أعداد لها عنصر مشترك معيّن. (انظر في هذا المعجم: الإبداعية العلمية، المرونة).

N.S.

الفكرنة (إضفاء الصفة الفكرية) **F: Intellectualisation**

En: Intellectualization

D: Intellektualisierung

سيرورة يحاول الفرد بواسطتها أن يصوغ في قضايا مجرّدة انفعالاته ونزاعاته النفسية، بدلاً من التعبير عنها مباشرة.

أنّا فرويد تعتبر الفكرنة آلية دفاع للأنا، يستخدمها المراهقون على وجه الخصوص ليكافحوا اشتداد دوافعهم. ومن المعلوم أن الشباب تروق لهم على الغالب تلك المناقشات الطويلة التي يطرحون فيها على بساط النقاش مشكلات الصداقة، والحب الحرّ، والزواج، والدين، والسياسة، إلخ. وهم يحاولون، إذ يفعلون ذلك، أن يكتسبوا السيادة على غرائزهم، إذ يضعونها على مستوى مختلف. إنهم، إذ يربطون غرائزهم بأفكار يمكنهم أن يتلاعبوا بها، يُبقون حالاتهم الانفعالية بعيدة ويحيّدون مفعولاتها. وهذه الفكرنة، فكرنة الحياة الغريزية، هي «قدرة من القدرات المكتسبة الأكثر عمومية، والأقدم والأكثر ضرورة لأنا الإنسان». (انظر في هذا المعجم: **العقلنة**).

M.S.

F: Art	الفنّ
En: Art	
D: Kunst	

مجموعة من القواعد والتقنيات التعبيرية باحثة عن التعبير عن الجمال.

يفترض الفن موهبة وتعلّماً لدى من يعكف عليه. ونميّز الفنون التي تضفي الامتياز على حاسّة خاصّة: الرؤية للرسم الزيتي والعمارة وفنّ البستنة؛ السمع للموسيقى والشعر؛ والذوق لفن الطبخ؛ والفنون التي تتوجّه إلى عدة حواسّ معاً، كالمسرح والرقص. وفي رأي أفلاطون (الجمهورية، الكتاب، X) أن الفن يتّصف أول الأمر أنه محاكاة وانعكاس «أفعال الناس وأهوائهم». ولكن الفنّان الأصيل يظلّ مع ذلك مبدع الأشكال والإيقاعات التي تُدخل، بوصفها تُسهم في العالم بأسلوب مختلف في الرؤية والإحساس، علاقات جديدة بين الموجودات والأشياء. فليس نتاجه تعبير وتواصل فحسب، ولكنه تحرّر أيضاً، قطيعة مع الواقع، لذة نرجسية ونفي الموت،؛ إن نتاجه يشارك على الأقل في سمات مبدأ اللذة ومبدأ الواقع معاً. ونكتشف فيه، بوصفنا جمهوراً، محرّضاً وجدانياً وعقلياً ونحن نشعر «بمتعة حقيقية» في الوقت نفسه، ذلك أن «نفسنا تجد حالها به وقد أراحها من بعض التوتّرات» (س. فرويد. 1908). ونحن في الواقع نشارك الفنان على الغالب، ذلك أنه ينهل إلهامه من عالم وجداني يظلّ بالنسبة لنا ممكن المنال دائماً، حتى عندما يكون متأمّل الفن بدائياً، طفلاً أو مريضاً عقلياً. ويتوجّه الفن

إلى اللاشعور مباشرة؛ وهذا هو السبب الذي من أجله كان ممكناً تقييم عمل فني ينتمي إلى عصر آخر أو إلى ثقافة تختلف عن ثقافتنا، على الرغم من الالتواءات الناجمة عن رمزيّ لانملك مفتاحه، والتكثيفات والانزياحات التي يمكنها أن تجعلنا نضلّ طريقنا في لحظة من اللحظات. فالفهم في هذه الحالة يدين بالقليل إلى العقل. ويوقظ الفنان فينا، إذ يعبّر عن عواطفه، ومخاوفه أو نزاعاته، صدىً قوياً، وهذا الجسر الهزآز يجعلنا أكثر قرباً منه وأخوةً؛ فانعدام الأمن لدى الصيّاد الأسكيمو أو الصياد ساكن كهوف لاسكو، على سبيل المثال، يلتقي انعدام الأمن لدينا، مع أن الأسباب التي تثيره تكون مختلفة كل الاختلاف: «الفن، يقول هنري برغسون، ينشد أن يطبع فينا عواطف أكثر مما يعبّر عنها».

ويجلب إنجاز العمل الفني للفنان راحة، ناجمة عن التعبير عن توتّراته، وسكينة نسبية لرغباته التي لايستطيع الواقع إشباعها، ووهم أنه ساد الزمن، حين يبني مجدّداً خارج ذاته، على شكل تُضفى عليه صفة المثال، ذلك الموضوع المفقود أو الذي يُحتمل أن يصبح مفقوداً. فكل إنتاج فنيّ يوظّف شخصية مبدعة يمكنه إذن أن يكون موضوع دراسة سيكولوجية، و ذلك أمر لم يفت الأطباء النفسيون وعلماء النفس والمحلّلون النفسيون أن يفعلوه.

وكانت أعمال فنيّة، أبدعها فنانون عانوا اضطرابات عصبية، موضع دراسة من زاوية علم النفس المرضي؛ وكانت بعض إنتاجات فنانين طليعيين قد قورنت بإنتاجات مصابين بأمراض عقلية، بل اعتقد بعض الدارسين أنهم اكتشفوا ضرباً من التماثل بين بعضٍ منها، بل وحدة بنية، وذلك أمر لايدع مجالاً لأي حكم قبلي يتناول صحة الفنانين الحقيقيين العقلية. ويستخدم العياديون على نحو متواتر، في ممارستهم اليومية، استخداماً متصاعداً، موارد الفن، لغايات تشخيصية وعلاجية تارة، وبهدف تربوي تارة أخرى. ولكن لكل الإنتاجات الفنية نفعاً مزدوجاً، سواء منها الرسم بقلم الرصاص أو الرسم الزيتي أو صنع النماذج، أو الموسيقى، وسواء كانت تلقائية أو مستثارة: إنها تفتح لنا درب معرفة مبدعها وتؤثّر في حياته النفسية.

وكـان استـخدام هـذه التقنيات في منظور سـيكولوجي وقـفاً على الأطفال الذين وُضـعـوا في مـراكـز مـلاحظة، في مـعـاهد طبيـة بيـداغـوجيـة ومراكـز طبيـة سيكوبيداغوجية قبل أن يمتّد إلى الراشدين ويتعمّم في مشافي الطب النفسي. ونجد من الآن فـصـاعـداً، في كل مكان على وجه التـقـريب، ورشـات الفن- العـلاج وجماعات من الفن الدرامي، التي بفضلها يكتسب عدد من المرضى العقليين توازناً أفضل وتكيفاً جديداً مع الحياة الاجتماعية. وينتهي التأثير النافع لهذه الفاعليات إلى أن يمتـدّ إلى كل الخـدمـات، ذلك أن جـواً من الصـحـو يحـدث حـيث تكون هذه الفاعليات نامية وتصبح العلاقات الإنسانية أكثر تناغماً. (انظر في هذا المعجم: **الثقافة، العلاج بالفاعلية**).

N.S.

فنّ التقدير، تطبيق حساب الاحتمالات على الظواهر العشوائية

F: Stochastique
En: Stochastic
D: Stochastisch, Zufälling

يعني المصطلح من يسدّد تسديداً محكماً. فإذا استُخدم صفة، فإنه يصف كل ظاهرة حصولُها متعلقٌ بالمصادفة ولايمكننا أن نحكم عليها إلا حكماً تقديرياً؛ وإذا استُخدم اسماً، فإنه يدلّ على فرع من الرياضيات موضوعُه تطبيق حساب الاحتمالات على الظواهر العشوائية. والمصطلح كما يحدّده جاكو برنُويّ (1654- 1705)، في الجزء الرابع من كتابه **فن التخمين** (1713)، هو فنّ التخمين، أي «فن تقدير احتمالات الأشياء على نحو أدقّ ما يمكن، بغية أن نكون قادرين في أحكامنا وأعمالنا على أن نختار دائماً ما كنا قد اعترفنا أنه الأفضل، والأنسب، والأكثر يقيناً أو ما كان قد حظي بالمداولة». (انظر في هذا المعجم: **الإحصاء**).

N.S.

فن الكشف

F: Heuristique, Euristique

En: Heuristic

D: Heuristisch

مايُستخدم للكشف.

يُقال عن فكرة أو فَرَض يُعتبر فرض عمل، مستخدم لسبر الواقعي دون أن يتساءل المرء إن كان، في ذاته، حقيقياً أم خاطئاً. ويُقال أيضاً عن بعض الطرائق التربوية (تُسمّى أيضاً «طرائق بالاكتشاف») التي تنشد جعل التلميذ يكتشف ما نريد أن نعلّمه إياه.

R.M.

فن المحادثة بالأصابع

F: Dactylologie

En: Dactylolgy

D: Daktylolgie, Fingers prache

مجموعة من اللغات الإشارية، المؤلفة بصورة أساسية من علامات اصطلاحية تصنعها الأصابع واليد، تُستخدم للمحادثة مع الصمّ البكم.

تنطوي هذه اللغات على تنوّعات من بلد إلى آخر، بل بحسب المدارس التي تستخدمها؛ أصلها ضائع في ليل الزمن، ذلك أن الأطفال الصمّ يلجأون تلقائياً إلى التواصل بالحركات. ولكن التعليم الأول المنهجي لفن المحادثة بالأصابع واليد، الذي ينشد أن يتيح لمن يسمع أن يتواصل مع الصم البكم وأن يتواصل هؤلاء بعضهم مع بعض، منسوب إلى الكاهن شارل ميشيل دو ليبّه (فرْساي، 1712- باريس، 1789). وتتألف اللغة الإشارية التي يمارسها المتدرّبون بسرعة تلفت النظر، في أشكالها الراهنة، من أكثر من ألف علامة، تقابل على وجه الإجمال «كلمات» اللسان: أسماء، أفعال، صفات، على وجه الخصوص؛ وكلية هذه العلامات على وجه التقريب ذات أساس رمزي، أي أن اليد تقلّد صفة، أو سلوكاً، أو استخداماً للمحال إليه. وهكذا فإن كلمة «هرّ» يمكنها أن تُترجم بنحوين: بحركة تقليد الشاربين أو بحركة مداعبة الحيوان المحمول بين الذراعين. ولغات الصمّ البكم محدودة، شأنها شأن كل اللغات ذات القاعدة الرمزية، في تركيب دالاتها بخطر التشابه، والتجانس. ولهذا السبب أُدخل في هذه اللغة، التي تستبعد من الناحية النظرية كل لجوء إلى انبناء ثان من الأحرف والتصويتات، عنصر من كتابة الكلمات

المقابلة لتعيين علامات قريبة بعضها من بعض كل القرب: وعلى هذا النحو تتضمّن العلامة التي تمثّل يوم «الاثنين» حرف L (الأجنبي، Lundi) الذي ينفّذه الإبهام، والسبّابة، ويوم «الجمعة» (Vendredi) حرف V، إلخ. وينطوي تركيب الجمل على مقابلات إشارية من حروف الجرّ ومن الروابط (حيث تكون الصلة الرمزية أكثر ضبابية بالتأكيد) ويتبع الأساليب الموقعية في تركيب الجمل الشفوي عن كَثَب؛ المحدّدات النحوية (الأدوات، أزمنة الفعل...)، الحاملة القليل من المعلومات التي يمكن أن يرمّمها السياق والوضع، فإنها تكون غائبة على الأغلب. ويُعلّم الصمّ البكم، إلى جانب اللغة الإشارية، قراءة النصوص المكتوبة، وقراءة اللغة الشفهية على الشفتين، واللغة الشفهية ذاتها. ولكن التواصل باللغة الإشارية يحتفظ بدور لابديل له، لاسيّما بالنسبة للتواصل بين الصمّ البكم. (انظر في هذا المعجم: **الانبناء، لغة الصم البكم**).

الفهم

F: Compréhension

En: Comprehension, Understanding

D: Verständnis

فعل من أفعال الذهن يتوصّل به الإنسان إلى معرفة «موضوع» (موجود، شيء، وضع) وإلى أن يشرح طبيعته.

مشكل الفهم، الذي ينتمي إلى سيكولوجيا الفكر والذاكرة، أحد المشكلات الأكثر صعوبة ولكنه هو أيضاً أكثر المشكلات التي تثير الاهتمام والأكثر أهمية من الناحية النظرية؛ أضف إلى ذلك أن قيمته العملية لاتوجد في سيرورة التعليم بصورة عامة فحسب، ولكنها موجودة أيضاً في كل آليات نقل الثقافة وفي آلية تلقّيها على وجه الخصوص. وإذا كان الفهم قد استرعى انتباه كثير من الفلاسفة مع ذلك، فهو لم يثر اهتمام علماء النفس إلا قليلاً ولم يكوّن موضوع بحوث تجريبية إلا نادراً. ولدى المرء انطباع مفاده أن الباحثين كان يطرحون طرحاً قبلياً أن ماهية الفهم ذاتها وسيرورته معروفتان على نحو كاف وأن بالإمكان، بالتالي، أن نكتفي بمحاولات تميّز شكله. والمرء يحتاز الشعور مع ذلك، منذ أن يتساءل عن ماهية الفهم، بالصعوبة الماثلة في تحديده ويلاحظ أن كل مؤلف يؤكّد فيه فارقاً دقيقاً خاصاً. ولانجد في أي مكان تحليل سيرورة الفهم.

والتصوّرات المختلفة لهذه الظاهرة يمكننا أن نردّها إلى المجموعات التالية:

1- الحدْسية مذهب يدرك الفكر بحسبه الموضوعات إدراكاً داخلياً مباشراً بفضل الحدس، أي أن الواقع لايُبنى بناء ولايُستنتج، ولكنه ماثل للشعور مباشرة.

ويصبح الفهم، المدرك على هذا النحو شكلاً من المعرفة يتفوّق على أشكال الذهن (entendement) الأخرى، بما فيها المعرفة المفاهيمية، ذلك أنه ينفذ نفوذاً حدسياً حتى إلى ماهية الموضوع الذي ينبغي أن نعرفه. والحدس، في رأي المناصرين لهذه القضية كلهم، منذ أفلاطون حتى هنري برغسون (1859- 1941)، سيرورة أساسية من سيرورات المعرفة، الوسيلة الفضلى لإدراك الواقع. ولايختلف علماء النفس الذي يشاركون في وجهة النظر هذه عن الفلاسفة إلا بالموضوع الذي يتناوله الفهم: ففي حين أن الفلاسفة يريدون أن يعرفوا الواقع كلّه بالحدس، يقتصر علماء النفس على ما هو معقول، على ما له معنى. ونحن نذكر من علماء النفس الذين دافعوا عن هذه القضية: تيودور إيرسْمنان (موسكو، 1883- 1961)، كارل ياسْبرز (1883- 1969)، إدوار سبدنْجر (غروس- ليخترفيلْد، برلين- توبنْجنْ، 1963)، ولين ستيرْن (1871- 1938)، الذين يرون أن الفاعلية الإنسانية ونتاجاتها حاملات معنى، وهي، بالتالي، ممكنة المنال بالحدس مباشرة، بصورة مستقلّة عن السيرورات العقلانية. وإذا كانت نظرياتهم تختلف مباشرة فيما بينها بالتفصيلات، فإنها تشترك في مفهوم شعور «ذي اتصال مباشر» بالفرد ودافعياته، سواء أكانت هذه الدافعيات مدركة على شكل سكوني (البنية الروحية) أو دينامي (القوى المحركة)؛

2- التصورية (أو «المفهومية») تجعل من المفهوم (أو المعنى) تلك الفكرة المنطوية على سمات الموضوع الأساسية التي يقدّمها الذهن وحده. ويصبح الفهم، في هذا المذهب، سيرورة الفكر الذي يقود إلى المعرفة دون اللجوء إلى اللغة. ويستند مثل هذا التصور على فرَض «فكر محض» (لم يتمكّن أي إنسان قطّ أن يبرهن على وجوده) لن يكون فيه حتى صورة. وفي رأي إينياس مييرْسون، على سبيل المثال، أن الفكر الذي يحتوي صوراً سيكون معقّداً إلى درجة لايُستهان بها. يقول: «يبدو أن الفكر يحتاج، بدءاً من مستوى معيّن، من علوّ معين، من درجة تعميم معيّنة، إلى علامات أقلّ تشخيصاً، أكثر انفصالاً عن الأشياء، أقلّ لصوقاً،

أكثر شفافية، أكثر مرونة، أكثر اعتباطية ودون بواعث، أكثر اصطلاحية وأقلّ ذاتية، أكثر بعداً عن الصفات الفردية، أكثر منطقية. وهكذا يتخلّى الفكر عن الصورة من أجل الكلمة، وعن الكلمة من أجل الرمز الرياضي: فثمة قوانين فيزيائية يتعذّر كل تحديد لفظي لها. وسيكون الوضع على هذا النحو، دون شك، بصورة متعاظمة» (1937، ص. 582- 583). ويشاطره هذا الرأي كارل بوهلر (1879- 1963). أوسْـوُلْـد كولْب (كاندو، 1862- ميونيخ، 1915)، و. بوبلّروتر، الذين يعتبرون أن الأساسي في الفهم هو المعرفة التي تستغني عن الكلمات. وهذه المعرفة يمكنها أن تكون مباشرة، خاطفة، ولكنها قد تتحقّق تدريجياً بالمشاركة المحتملة للغة، التي ليس لها في هذه الحالة سوى وظيفة المرحلة الوسطى بين إدراك «الموضوع» (وضع، شخص، نصّ...) وفهمه الصحيح.

3- نظرية الذاكرة تجعل من التجربة الماضية أساسيّ الفهم. وفي رأي أنصار هذه النظرية أن الحدسية والتصوّرية المعروضتين سابقاً منعتا، حين سدّتا درب الملاحظات الاختبارية والبحوث التجريبية، كل تقدّم حقيقي في هذا المجال. إنهما تكوّنتا خلال النضال ضدّ الترابطية، التي ترى في الفهم سيرورة ذهنية تُسَلْسِل الترابطات انطلاقاً من الأشياء أو العلامات وتفضي إلى الصور (فالصور هي العناصر الأساسية للنظرية)؛ والحركة في الاتجاه المعاكس هي التعبير عن الفكر.

وروّاد التصوّر الذاكري للفهم هم: تيودول ريبو (1839-1916)، جون ديوي (1859 - 1952)، ب. جيسّنْ. فكلهم يؤكدون أنه لا وجود لأية نوعية بدئية للفهم ويرون فيه نتيجة جعل التجربة حاليّة. وبوسعنا، انسجاماً مع هذه التجربة، أن نفهم الحوادث النفسية، وفاعلية الإنسان ونتاجاته، بل العالم المحيط. إن إيفان بيتروفيتش بافلوف (1849- 1936) هو الذي عرض هذا التصوّر عرضاً أوسع ما يكون.

ونحن نعتقد أيضاً أن النظريات الحدسية أعاقت ضروب التقدّم في سيكولوجيا المعرفة، ولاسيّما بالتعارض الذي أعلنته بين الفهم الذي يأخذ الوقائع

«من الداخل» بالحسبان وتكون المعرفة معرفة ذاتية، وبين الشرح السببي الذي يلاحظ الوقائع من الخارج ملاحظة موضوعية ويكون معرفة موضوعية، قادرة على أن تقيم علاقة السبب بالنتيجة بين الظاهرات ولكنها لايمكنها أبداً أن تنفذ إلى تسلسل هذه الظاهرات نفوذاً مباشراً. فالفهم يتيح للإنسان، على العكس، أن يدرك «الأشياء» المفحوصة إدراكاً فكرياً نهائياً ومباشراً بحركة من الإرادة والشخصية برمّتها. وتصبح المادة ذاتها ممكنة الفهم إذا كانت حصيلة الإرادة لشخصية من الشخصيات. فليس بوسعنا أن «نفهم» عمل آلة، أما أن نشرحها، فنعم؛ ونحن، بالمقابل، لانشرح فاعلية إنسان، بل يمكننا أن نفهمها. «إننا نشرح الطبيعة، ونفهم الحياة النفسية» كتب يقول ويلْهلْم ديلْته (1833- 1911) في كتابه **عالم الفكر** (1، ص. 150). وحتى التسلسل السببي بين فعل الإرادة، الروحي الصرف، وحركة يدي التي تكتب، لايمكنه أن يُشرح؛ إن بوسعنا فقط أن نفهم هذه الفاعلية بوصفها التعبير عن إرادتي. فالفهم والشرح هما إذن نوعان خاصّان ومختلفان من المعرفة؛ والفهم هو شكل المعرفة الأعلى.

ومهما تكن هذه المحاججة مغرية، فإنها لاتقاوم النقد المستند إلى البحوث التجريبية. فالفهم والشرح ليسا نوعين متعارضين من المعرفة ومختلفين في الماهية، ولكنهما سيرورتان من سيرورات الفكر. إن الشرح يتيح للإنسان أن يتوجّه هو ذاته (بحث، معرفة فاعلة) أو يوجّه شخصاً آخر (تعليم)؛ والفهم هو جعل هذه المعرفة حاليةً، معرفة تبدو وكأنها شيء حاضر كل الحضور، جاهز. وواقع أننا نشرح ظاهرة أمر ينطوي على أننا نفهمها، وذلك يعني أنها مشروحة في حدود معرفتنا.

ويمكننا القول، على نحو أكثر عمومية، إن من الممكن أن نميّز، من سيرورات الفكر كلها، نسقين من الوقائع: غزو المعرفة (أو المسيرة نحوها) واستخدامها انطلاقاً من أشكال شتّى من جعلها حاليةً. ونحن نلفت النظر هنا مع ذلك، تجنّباً لكل سوء فهم، أن مثل هذا التمييز لايعني أن ثمة تعارضاً ميكانيكياً بين النوعين من

المعرفة، حتى ولا وجود لأي ضرب من ميكانيك التناوب. فالمعرفة في شكلها الصرف لا وجود لها على وجه الاحتمال، كما أنه لا وجود لفهم صرف. وكلاهما مرتبطان معاً، متداخلان في الفاعلية المشخّصة للمعرفة الفردية. ونحن نبلغ معرفة جديدة بفضل ما نعلمه الآن، وما نعلمه الآن يعمل عمله الوظائفي بوصفه «فهماً جزئياً» للوضع ويشارك، بوصفه كذلك، في الغزو الجديد. إننا نعيش في حقل من القوى يؤثّر فينا، ولكن هذه القوى ليست محدّدة تحديداً نهائياً؛ فنحن، في كل مرة، نواجه سياقاً موضوعياً جديداً، ونحن نجد أنفسنا في حالة ذاتية مختلفة، لا تماثل الحالات السابقة أبداً. وهذا هو السبب الذي من أجله يمكن أن تتكوّن تنسيقات جديدة وتسلسلات جديدة، بمناسبة جعل المعرفة التي نحوزها حاليةً، وذلك ما يحدث على نحو أكثر تواتراً بمقدار ما تكون موضوعات الفهم صعبة وبمقدار ما نكون أكثر فاعلية من الناحية السيكولوجية وتلقّياً للتأثيرات التي تمارس فعلها فينا. فغياب تحليل ما يحدث خلال سيرورة الفهم يخدع كثيراً من الأشخاص. ولْنضربْ مثالاً على ذلك: إن شخصاً لا يفهم شيئاً معيّناً من الأشياء، ولكنه يبلغ الفهم تدريجياً وحده أو بمساعدة الغير، بلوغاً سريعاً قليلاً أو كثيراً. فإذا كان يأخذ بالحسبان كل فاعليته النفسية، منذ المرحلة البدئية لعدم الفهم إلى مرحلة الفهم، فإنه سيكون ميّالاً إلى أن يعتبر أن كل ما كان قد حدث في نفسه ومع نفسه لم يكن سوى سيرورة واحدة: سيرورة الفهم.

ويمكننا مع ذلك، في هذه المسيرة، أن نميّز بعض المراحل، بل مستويات مختلفة من الفهم هي، في نهاية المطاف، عناصر تحقّقت الآن. ولكن ثمة، من مستوى إلى آخر، سبيل محدّدة عليها يحدث شيء من الأشياء، شيء لا بدّ له بالضرورة من أن يتحقّق حتى يتحقّق بلوغ المرحلة التالية: فالفكر يكوّن تسلسلات جديدة وملحقات جديدة؛ وذلك إنما هو سيرورة المعرفة. وكل معرفة توسّع فهمنا وتبتكر شكلاً جديداً، سواء أكان الأمر متعلقاً بمخطّط وظيفة مدرسية أم بعرض معلومات. ونحن نرى إلى أي حدّ تتداخل هاتان السيرورتان الفكريتان.

وتؤدي معايير الفهم دوراً كبيراً في دراسته والتحقّق منه بمناسبة الأوضاع المشخَصة، كتلقّي تعليم، أو عمل فني، أو مناقشة، إلخ. فمعيار فهم وضع من الأوضاع، وفق كون هذا الفهم ضرباً فاعلاً أو منفعلاً من جعل معرفة الواقع المنظور إليه حاليةً، ملائمة لمجموع المثيرات، سيكون تصرّف الفرد بالقياس على هذا الواقع. والفرد يفهم «شيئاً» إذا كان يتقن «استعماله» على نحو صائب، آخذاً بالحسبان خصائصه، أو إذا كان يتقن وصف خواصّه، بمعزل عن شروط استعماله.
(انظر في هذا المعجم: الترابطية، علم التفسير، الصورة، الظاهراتية أو الفينومينولوجية).

W.S.

فورنْزي (ساندور) Ferenczi (Sandor)

طبيب ومحلّل نفسي هنغاري (ميسْكوليز، 1873- بودابست، 1933)

احتفظ فورنزي، الملّقب بـ «الطفل المرعب للتحليل النفسي»، بشيء من استقلال الفكر والعمل إزاء هذا التحليل النفسي. مثال ذلك أنه أدخل في سير العلاج ترتيبات لاتمتثل إلا قليلاً للأرثوذكسية الفرويدية ومارس ضرباً من **التقنية الفعّالة** بدءاً من عام1918. وكانت هذه التقنية تكمن في أن يحرّم على المرضى تحريماً مؤقتاً، تبعاً للاضطراب الذي يُبدونه، نموذجاً معيّناً من الإشباع (الجنسي، الفمي أو الشرجي)، بغية أن يثير لديهم توتّراً وأن يُقنّي **الليبيدو** في العلاج على نحو أفضل. ولكنه بدأ، أمام العدوانية التي كانت هذه الطريقة تُطلقها لدى المرضى، في أن يورد بعض التقييدات على هذه الطريقة، إذ لم يعد يطبّقها في بداية العلاج، وجعلها وقفاً على نموذج معيّن من المرضى (الذهانيين والسيكوباتيين)، وأحلّ النصائح محل المحرّمات أخيراً. وغيّر فيما بعد وجهة نظره كلياً وبحث عن أن يُحدث الاسترخاء بدلاً من التوتّر. وكان قد تبنّى، بدلاً من إحباط مرضاه، ضرباً من اتّجاه العطف وأغدق عليهم دلائل المحبّة التي كانت تمضي حتى مداعبة الشعر والقبلة (في الحالات «الميؤوس منها»)، وقبوله أن يقبّله المرضى. وكان فورنزي يعلّل هذا السلوك بما مفاده أن المرضى كانوا مايزالون يعانون الإحباطات والصدمات التي تلقّوها في طفولتهم وأن إحدى وسائل تخفيف ألمهم أن نقدّم لهم ضرباً من الدعم الوجداني. حتى أنه شرع عام 1929 يعالج مريضة بأن منحها كل الزمن الذي كانت تتمنّاه، خلال عدة جلسات، في النهار وحتى في الليل. وآل هذا العلاج المانح بمغالاة إلى الإخفاق وأثار حقد المريضة على محلّلها. ويشقّ على المرء أن يشرح هذه الانحرافات التقنية لدى مؤلف قريب من فرويد بهذا القدر. ويظهر مع ذلك أن فورنزي كان يطعن في القوة الدافعية لجنسية الطفولة، حتى

ينسب النزاعات إلى الأحداث التي يعيشها الطفل في كَنَف الأسرة. وحلّل مخلصاً إخفاقاته. وأكّد قبل موته ببعض من الزمن، خلال محاضرته في مؤتمر التحليل النفسي المنعقد بوسْبادن (1932) المعنونة **التباس اللسان بين الراشدين والطفل**، التي كان قد درس فيها أهواء الراشد وتأثيرها على تكوين الطبع والنموّ الجنسي لدى الطفل، أقول أكّد أن «الآباء، والراشدين، والمربين، ينبغي لهم أن يتقنوا إحساس ما مفاده أن وراء الخضوع، والقهر، والعشق والحب التحويليين، يكابد الأطفال، والتلاميذ، والمرضى، رغبة التخلّص من حبّ يضيّق عليهم الخناق». وكان لبحوث فورنزي، لاسيما تقنيته التعويضية بحب من نموذج حب الأم، استطالات لدى معالجين كسيشوهه وروزين، المتّصلين اتصالاً وثيقاً بمرضى ذهانيين. وتعالج م. أ. سيشوهه مرضاها بـ«الإنجاز الرمزي»، أي أنها تحاول أن تعوّض تعويضاً رمزياً تلك الإحباطات التي عانوها في طفولتهم (إذ تقدّم تفاحة بدلاً من ثدي، على سبيل المثال). ويعتقد جون. ن. روزين أن الذهان «مفعول العنايات السيئة التأثير من الناحية اللاشعورية، التي قامت بها الأم»، وأن أما عطوفاً أو بديلتها الرمزية يمكنها أن تُستخدم ترياقاً» (روزين، 1953، ص. 7 من الترجمة الفرنسية). فيباشر روزين إذن معالجة مرضاه وفق طريقة **التحليل المباشر** التي «يؤدّي فيها المعالج دور الأم المثالية»، إذ يؤثر تأثيراً «شعورياً ولاشعورياً بحيث أن المريض يفهم أنه محبوب، موضع حماية وتغذية» (**المصدر نفسه**، ص. 10).

وعُني فورنزي أيضاً بالبيداغوجيا والتحليل النفسي للأطفال، وتجسّد بعض كتاباته (**إنسان صغير - ديك**، 1913، **التحليل النفسي للعادات الجنسية**) تجسيداً مسبقاً كتابات ميلاني كلاين (1882- 1960)، تلميذته. إنه، بصفته عيادياً ومنظّراً نابهاً، وسم التحليل النفسي وسماً قوياً بسمة تأثيره، والمدرسة الانغليزية على وجه أخصّ. ونعدّ من تلاميذه أيضاً إرنْسْت جونْز (1879- 1958) وميكائيل بالان (1896- 1970). وكانت كتاباته العديدة قد تُرجمت إلى الفرنسية، ترجمتها ابنته جوديث دوبون وجُمعت في **المؤلفات الكاملة** (4 مجلّدات)، نشرتها من عام 1968 حتى عام 1976، بباريس، دار نشر بيّو.

M.S.

فوق اليومي

F: Ultradien

En: Ultradien

D: Ultradien

هذا المصطلح يصف الإيقاعات البيولوجية والسلوكية التي يكون تواترها أعلى من حادثة واحدة في اليوم. مثال ذلك الإيقاع القلبي، إيقاع الموجات الدماغية التي تسجّلها صورة الدماغ الكهربائية، هما من الإيقاعات فوق اليومية.

J.ME.

فيبر (إرْنست هنْريخ) Weber (Ernst Heinrich)

عالم تشريح وفيزيولوجيا ألماني)ويتنْبرغ، ساكس، 1795- ليبْزيغ، 1878).

كان فيبر، أستاذ التشريح (1818) والفيزيولوجيا (1840) في كلية الطبّ بليبْزيغ، مجرّباً دقيقاً. فقد جعلت منه أعماله، التي تناولت بصورة أساسية جريان الدم والإحساسات، أحد مؤسّسي الفيزيولوجيا الحسيّة الحديثة وعلم النفس الفيزيائي. وتحقّق فيبر، إذ تابع بحوث الفيزيائي الفرنسي بيير بوغه (1698- 1758)، الذي كان قد أثبت أن أصغر فارق مدرك من الإنارة كان جزءاً ثابتاً من الإنارة البدئية، من أن الأمر كان يمضي على المنوال نفسه في الأنماط الحسيّة الأخرى. وإذ يجعل بعض الأشخاص يزنون (فعل وزَنَ) أشياء ذات مظهر واحد ولكنها ذات أوزان مختلفة، فإنها يلاحظ أن فرداً معيّناً، قادراً على أن يدرك الفروق التي تبلغ أقلّ من 10غ، عندما يُطلب إليه أن يميّز بين شيئين خفيفين يزنان على التوالي 29 و 32 درْخَم (الدرخم يساوي 3,24غ)، يبدو أنه يفقد هذه القدرة على التمييز الدقيق عندما يُطلب إليه أن يقدّر أشياء ثقيلة نسبياً، لأن أصغر فارق يمكنه ملاحظته يقع بين وزني 29 و 32 أونصة (الأونصة= 8 درخَم). فما ندركه ليس إذن فارقاً مطلقاً بل فارقاً نسبياً، علاقة مقادير. وهذه الملاحظة صحيحة أيضاً في الإحساسات الأخرى. ويعلن فيبر قانونه، قانون العتبة الفرقية أو قانون الحدّ الأدنى للفارق المدرك: الفارق العتبي (المدرك على وجه الضبط) بين إثارتين يزداد مع شدة المنبّه، وقيمتُه جزء ثابت من هذه الشدّة.

$$K = \frac{\Delta I}{I}$$

(حيث تكون IΔ ازدياد الشدة، I شدة المنبه، K ثابت فيبر). ويختلف هذا الثابت باختلاف فئات الإحساسات. إنها، في رأي فيبر 100/1 في الرؤية، 17/1 في الإحساس العضلي، 3/1 في السمع واللمس (ضغط، حرارة).

وتابع فيما بعد بحوث فيبر غوستاف تيودور فخنر (1801- 1887) الذي وصل إلى النتيجة التي مفادها أن الإحساس يتنامى بوصفه لوغاريتم شدّة الإثارة على وجه التقريب (S= ClogE). ونقول بعبارة أخرى إن الإحساس يتقدّم ببطء، «بخطوات صغيرة» في حين أن الإثارة تتقدّم بقفزات. ويتحقّق قانون فيبر في ظاهرات إدراكية عديدة، ولكن في حدود الشدّات المتوسطة فقط (بين 100 لوكس و 100000 لوكس، فيما يخصّ الحساسية الفرقية البصرية على سبيل المثال) [لوكس: وحدة إنارة].

وبيّن هرتْلين وغراهام (1932)، في تجربة تناولت أليافاً معزولة من عصب بصري لإحدى مفصليات الأرجل، أن تواتر السيّالات العصبية الحسّية تابع للوغاريتم شدّة التنبيه الضوئي المؤثّر في الشبكية. ولاحظا أن تواتر «الرسائل الحسّية» (الدفعات العصبية) يتناسب مع 0، 1، 2، 3، 4، 5، . . . عندما تنتقل الإنارات النسبية من 1 إلى 10^1، 10^2، 10^3، 10^4، 10^5 . . .

ودرس فيبر أيضاً الحدّة اللمسية أو التمييز المكاني، أعني القدرة على تمييز نقطتين من الجلد إحداهما من الأخرى، عندما نمسّه بهما معاً. وابتكر لذلك فرجاراً ذا طرفين جافّين، سُمّي منذ ذلك الحين فرجار مقياس الحسّ أو الحساسية. وبيّن بهذه الأداة أن الحدّة اللمسية تختلف اختلافاً كبيراً بحسب المناطق في الجسم: ندرك بعداً من 2 م على أنملة الأصابع، ومن 4,5 سم على الصدر. أضف إلى ذلك أنه

يميّز، في اللمس، ضغط الحرارة ويبيّن أن هذين الصنفين من الإحساسات ليستا مستقلتين إحداهما عن الأخرى: إن قطعة نقد خارجة من الماء البارد وموضوعة على الجبهة تبدو أثقل من قطعتين من النوع نفسه منضّدتين على الجبهة، خارجتين من الماء الحارّ. (انظر في هذا المعجم: مقياس الحسّ أو الحساسية، فخنر، العتبة).

M.C.

الفيتيشية

F: Fétichisme
En: Fétichism
D: Fetischismus

انحراف جنسي يظهر بتعلّق غلمي بموضوع آخر غير الموضوع الجنسي الطبيعي.

قد يكون هذا الموضوع أجزاء جسم الغير (الوجه، العينين، الشعر، الثديين، الإليتين، اليدين، القدمين. . .) أو موضوعاً موحياً من الجسم الإنساني (أحذية، جوارب، ألبسة نسائية داخلية. . .). ويجد المرء دائماً، في الحب الطبيعي، ميلاً فيتيشياً، ولكن هذا الميل يصبح ميلاً غير سويّ بدءاً من اللحظة التي يكفي فيها الفيتيش لتحقيق اللذة ويصرف الفرد عن الهدف الجنسي الطبيعي. ونصادف الفيتيشية لدى أفراد خجولين أو قلقين، غير ناضجين من الناحية الوجدانية، مثبّتين على مرحلة مبكّرة من النموّ. وللفيتيشية على الغالب دلالة رمزية وتبدو مرتبطة بالانفعالات الجنسية الأولى لدى الطفل. ويكون الفيتيش لدى عدد من الراشدين، في رأي فرويد، «بديل عضو الذكر، بديل غياب هذا العضو لدى الأم ويعني بالتالي دفاعاً ضد «حصر الخصاء»». ويمثّل بالحريّ، في رأي محلّلين نفسيين آخرين مثل م. وولف، «بديل جسم الأم لدى الطفل الصغير وبديل ثدي الأم على وجه أخصّ». واقترح علماء الحيوان، من جهتهم، أن هذا الانحراف الجنسي يمكن أن تشرحه ظاهرة «البصمة الإدراكية»: إن موضوعاً من الموضوعات، غير المناسب على وجه الإطلاق للهدف الجنسي الطبيعي، يتّخذ صفة «المطلق» الجنسي لمجرد إدراكه خلال اللحظة التي تتكوّن فيها البصمة الإدراكية في هذا المجال («مرحلة حسّاسة»). انظر في هذا المعجم: **التعلّم الخفيّ، الانحراف، الشيء الانتقالي**).

M.S.

فيرْنيك (كارل) Wernicke (Carl)

عالم أعصاب وطبيب نفسي ألماني (تارْنوورُتز، سيليزية العليا، 1848- مات في حادث طريق بتورنْج، ألمانية الشرقية، 1905).

اسم فيرنيك مرتبط باكتشاف الحُبسة (ويسمّيها بروكا «Aphémie de Broca» أي الصُمات). وحدثت منازعات عنيفة بين علماء الأعصاب والأطباء النفسيين حول هذا المفهوم. وهذا المشكل كان مع ذلك مشكلاً قديماً جداً، يرتبط بمشكل تعيين المواضع الدماغية التي نجد الآن ذكراً لها في كتاب **الطبيعة الإنسانية**، المنسوب إلى نيميزيوس ديميز (القرن الرابع) الذي أثّر تأثيراً قوياً في توما الأكويني (1225- 1274). وكان جان شانكيوس قد صرّح أيضاً في ملاحظاته (المجلّد السابع)، عام 1585، أن مركز الكلام يقع في **الفصّ الأمامي** من الدماغ، وذلك رأي استأنفه عام 1868 ب. جـ. فان ريجْن في بحث من بحوثه. ومن المعلوم أيضاً أن فرانز جوزيف غال (1758- 1828) منح نظرية تعيين المواضع الدماغية دفعة قوية حين جعل تقصّياته تتناول **وظائف الدماغ ووظائف كل قسم من أقسامه** (1822-1825). وحدثت مناقشات عنيفة بين شخصيات ذات شهرة، كلويس بيير غراتيوله (1815- 1865)، وجان باتيسْت بويّو (1796- 1881) الذي نشر كتاباً عنوانه **في مراكز معنى اللغة المنطوقة**، وبول بروكا (1824- 1902)، وأرْمون تروسّو (1801- 1867)، وهنري شارلْتون باسْتيان (1837- 1915)، وأدولْف كوسْمول (1822- 1902)، ولودفيغ ليختايم، وألفريد غولْد شاير (1858-

1935)، وهنري برغسون العدو الصريح حتى لفكرة تعيين مواضع دماغية. وطوّر تيودور مينر، حينما درس أربعة تلافيف جبهية، معارفنا فيما يخصّ دروب الترابط والمناطق الدماغية.

ومدّد فيرنُيك هذا المسار النظري حين تبنّى طريقة بحث تحليلية وتصوّراً إجمالياً ديناميا. ينبغي، في رأي فيرنُيك، الذي كان مناصراً للنظرية الحيوية (نظرية معارضة للآلية الدكارتية التي ترى أن الحياة تخلق ذاتها، بفعل سيرورة تلقائية)، أن نعيد لمفهوم النفس مكانه، والتخلّي عن تصنيف قاصر ودون قيمة كبيرة، والنظر في الإنسان أنه كلّ. وبما أن الكل يكوّن وحدة، فإن المرض يصيبها بصورة إجمالية. وكان فيرنيك، في هذا المنظور، يدافع عن فكرة ضرب من «ذهان الوحدة». واكتشف فرنيك عام 1874، إذ استأنف أفكار كارل لودفيغ كالْبوم (1828- 1899) واستند إلى أعمال صديقه لودفيغ ليختايم (برسلو، 1845- برن، 1915)، وإلى أفكار أسلافه الذين يمثّل بينهم ولْهلْم غريزنْجر (1817- 1868)، «الحبسة الحسّية»، وتجاوز نظرية تعيين المواضع والمناطق الدماغية ووضع فرَض «حُبسة عبْر القشرة الدماغية» (اتّحاد مناطق الإسقاط القشري). ولم يعد الشعور، في هذا المنظور، منظوراً إليه أنه مجموع تفاعلات المناطق الترابطية بل سيرورة طاقيّة. ونجد هنا مجدّداً تأثير **النظرية الطاقيّة**، نظرية صاغها لودفيغ ليختايم وأوتْمار روزنْباخ (1851-1907)، التي ترى أن الطاقة (وليست المادة) هي جوهر كل الواقعي، جوهر الأجسام والأفكار.

ونذكر من مؤلفاته **الحُبسة** (1874، برسلو)، وهو كتاب تُرجم إلى الفرنسية (باريس، 1878)؛ **تشخيص الأمراض في عيادة برسلو النفسية** (1889- 1900)؛ **كتاب أمراض الدماغ** (1900، كاسّل). (انظر في هذا المعجم: **الحُبسة**).

W.L.

الفيرومون

F: Phéromone

En: Pheromone

D: Pheromone

مادة كيميائية يفرزها فرد من الحيوان وتكوّن، عندما تتحرّر في الوسط الخاصّ بهذا الفرد، رسالة موجّهة إلى أفراد حيوانات من النوع نفسه، وتحرّض لديها سلوكاً معيّناً أو تثير تغيّرات في فيزيولوجيتها.

كان العالمان الألمانيان ب. كارلسون وأدولف بوتينان (1959) قد ابتكرا مصطلح **فيرومون** للدلالة على ماكان بيث (1932) يسمّيه **الهرمون الجلدي**، وكولانْبرغ (1952) يسمّيه **نظير الهرمون**. وهذه الإفرازات الغديّة أو الخلوية تشبه الهرمونات في أنها تؤثّر بجرعات ضعيفة جداً في الأعضاء المستقبلة الخاصة، ولها تأثير نوعي(منبّه أو كابح) في المتلقّي. إنها، على عكس الهرمونات، لاتصبّ في جريان الدم، بل في الجهة الخارجية من الجسم وتمارس تأثيرها من فرد إلى آخر. وهي مواد رسالية تتيح أن يتبادل التواصل أفراد من نوع واحد.

ويؤثر بعض الفيرومونات بالشمّ، وأخرى بالإدخال في المعدة، وأخرى، أخيراً، كالمجمّدة الملكية للنحل، بالدربين الشمّي والذوقي. كذلك نميّز الفيرومونات التي تسبّب استجابة مباشرة ويتوقّف تأثيرها مع نهاية التنبيه؛ والفيرومونات التي تثير استجابة مؤجّلة، إذ تستقرّ هذه الاستجابة تدريجياً وتقتضي تعرّضاً أطول إلى المنبّه؛ والفيرومونات ذات المفعول الدائم ولايقبل الرجوع (إنها الفيرومونات التي تتدخّل في سيرورات التعلّم الخفيّ أو البصمة الإدراكية).

والفيرومونات عاملة في الجاذبية الجنسية، في تماسك المجتمعات الحيوانية، في دفاع جماعة من الحيوانات ضد خطر، كوجود قنّاص، في وضع علامات على دروب منطقة وحدودها، إلخ. مثال ذلك أن بعض الجزيئات من هرمون القزّيات، جاذب جنسي تفرزها أنثى الفراشة القزّية (فراشة سُرفتها هي دودة الحرير)، تكفي لجذب ذكور عديدة موقعها يبعد عدة كيلو مترات. وتؤمّن المواد الجاذبة تجاذب الأعضاء المتبادل في جماعة واحدة، إذ يؤدّي كل حيوان معاً دوريْ المرسل والمستقبل. وتستخدم القوارض، ذات الفاعلية الليلية على وجه العموم، وذات الرؤية الضعيفة جداً على الأغلب، استخداماً أساسياً رسائل ذات رائحة لتؤمّن تماسك الجماعة. وكانت «مواد الإنذار بالخطر» قد دُرست لدى الحشرات الاجتماعية على وجه الخصوص (النحل، النمل، الزنابير)، ولكنها موجودة أيضاً لدى الأسماك والفئران. فالرائحة التي تحرّرها فأرة خائفة تثير الخوف والنفور لدى مثيلاتها، وذلك أمر ذو مفعول مفاده تشتّت الجماعة وابتعادها عن الخطر. وموادّ وضع العلامات على الدرب موجودة أيضاً لدى الحشرات التي تطير والحشرات التي لاتطير، على حدّ سواء. وتؤرّف نحلات الجني بعلامات ذات رائحة، موضوعة على حوامل شتّى: أشجار، حجارة، عشب. . .، ذلك الدرب الذي يربط خليّتها بمصدر الغذاء. وتستخدم الفيرومونات أيضاً في وضع علامات على حدود منطقة. والفيرومونات تُنتجها، لدى الظبي، غدد تقع قرب العينين، ويحدث وضع علامات على الأغصان؛ وتصنعها، لدى أرنب أوسترالية، غدد تقع تحت الذقن وفي المنطقة الشرجية. ويجري وضع المواد ذات الرائحة على محيط المنطقة يومياً وتهدف إلى إعلام الذكور الأخرى المنتمية إلى النوع نفسه أن الحقل مشغول الآن. وتكوّن الفيرومونات وسيلة تواصل داخل النوع منتشرة جداً، يمكن أن يستخدمها بصورة لاشعورية. (انظر في هذا المعجم: **السلوك الحيواني، التعلّم الخفيّ أو البصمة الإدراكية**).

N.S.

فيغوتْسكي Vygotskii, Vigotsky (Lev Semenovitch)
(ليف سيمينوفيتش)

عالم نفس روسي (أورْشا، 1896- موسكو، 1934)

يُنذر فيغوتسكي نفسه نهائياً لعلم النفس، بعد دراسات متنوّعة جداً في جامعة موسكو، حيث يطّلع بالتناوب على الفلسفة، والعلوم الإنسانية، والأدب، والألسنية، والفنون الجميلة. ويكوّن خلال عشر سنوات تأليفاً عميقاً أصيلاً، لن يكون الأساسي فيه، المنشور بعد موته، معروفاً ومترجماً خارج بلاده إلا بدءاً من عام 1962. وعُني على وجه الخصوص فيغوتسكي، الباحث عن معرفة الذكاء الإنساني معرفة أفضل، في جانبيه معاً: الخاص بتطوّر الفرد والخاص بتطور النوع، بالعلاقات بين اللغة والفكر، علاقات لاينظر فيها على نحو سكوني (ستاتيكي)، بل بوصفها ديناميك التفاعلات في سيرورة الاكتساب وفي تطورها. وتقوده تجاربه إلى الاعتقاد أن اللغة إنما أصبحت لدى الإنسان، بفعل استدخال الحوار الخارجي، أداة قادرة على أن تنقل الفكر.

والطفل قادر، بدءاً من العمل الوظائفي للجهاز الحسّي الحركي، على التفكير قبل اللفظي: إنه يكتسب على هذا النحو بنية غير بيولوجية أولى ستجعل استدخال اللغة واستخدامها أداةً منطقية أمرين ممكنين. ويظهر الكلام قبل هذه المرحلة ولكنه لايزال لايؤدّي دوره، دور ناقل الفكر المفاهيمي؛ إنه، بصورة أساسية، أداة تعبير وتواصل. ويبيّن فيغوتسكي كيف أن الطفل ينتقل، في تصنيفه المفاهيمي، من مستوى التمركز على الذات إلى مجموعات أكثر تحديداً، ثم إلى

شبه مفهومات، لكي يصل أخيراً إلى المفهومات الحقيقية. ويعرّف الذكاء الإنساني أنه القدرة على ابتكار بنيات مفاهيمية عليا، تستند إلى بنيات ابتدائية لكي يتجاوزها إذ يدرجها في مستوى من الفهم أقوى. وهكذا فإن المراهق يستبدل الجبر بالحساب.

فعلى الذكاء، في رأي فيغوتْسكي، أن يُقاس بالقابلية لاكتساب هذه البنيات الجديدة، ويقترح روزها بالتالي. وتخيّل، من جهة أخرى، اختباراً غير لفظي من الفرز، كيّفه الأمريكيان إ. هانْفمان و جـ. كازانان وجعلاه معروفاً. وهذا الرائز، الذي يستخدم موادّ تتألف من اثنتين وعشرين قطعة من الخشب ذات أشكال وأبعاد وألوان شتّى، مخصّص لتقييم القدرات على تكوين المفاهيم لدى أطفال ما قبل المراهقة، والمراهقين أو الراشدين، الذين مستواهم يكون متوسطاً على الأقلّ. والمهمّة المطلوبة تكمن في فرز هذه الأشياء إلى أربع فئات، فالفرز الوحيد الصحيح هو الذي يأخذ بالحسبان معاً ارتفاع القطع الخشبية وسطحها. والفئات الأربع هي: الارتفاع الصغير- السطح الصغير؛ الارتفاع الصغير- السطح الكبير؛ الارتفاع الكبير- السطح الصغير؛ الارتفاع الكبير- السطح الكبير.

وكان تأثير فيغوتسكي حاسماً في علم النفس، وعلم النفس البيداغوجي والألسنية في الاتحاد السوفييتي. وعلى عكس السلوكية المبسَّطة والذهنية الاستبطانية اللتين كانتا تتواجهان في ذلك العصر، يقترب نهج فيغوتسكي من الوظائفية: الذكاء الإنساني تحوّل، في ضرب من مفعول التفاعل، بفعل الأودات التي يستخدمها، واللغة من هذه الأدوات. ويرى فيغوتسكي، بوصفه ماركسياً، في المجتمع وفي الفاعلية الاجتماعية، ذلك المحدّد الرئيس للبنيات المفاهيمية والتصوّرات. ويهاجم «علم الارتكاس» لكورنيلوف (ك. ن) وعلم المنعكس لفلاديمير ميكائيلوفيتش بختيريو (1857- 1927)، اللذين ينكران معطيات الوعي ويحرّمان على هذا النحو كل دراسة للتصرّفات تتّصف بشيء من التعقيد. وفي رأيه أن الوعي- أدواته الأساسية هي الذاكرة، والانتباه، والتفكير واللغة- ينبغي له أن يُعتبر أنه أهلية العضوية لأن تكون لذاتها منبهها الخاص. فتصوّراته قادت بافلوف

إلى تعديل مخططه الأول بإدخال النظام الثاني من التأشير (نظام المستوى الرمزي الذي يتوسّط، لدى الإنسان، تلك المفعولات المأخوذة بالحسبان حتى هذا الزمن أنها مجرّد منبّهات تسبّب استجابات). وتعاون فيغوتسكي مع أ. ليونْتييف و أ. لوريا فأثّر في تصورّهما الحُبسة تأثيراً عميقاً؛ وعارض جون بياجه، الذي كان يعرف فيغوتسكي كتاباته الأولى في ظهور اللغة ونهاية التمركز على الذات. وأوقف موته قبل الأوان تأليفه المخصب، تأليفاً لازلنا أبعد من أن نستخلص منه تعليمه. (انظر في هذا المعجم: رائز الفرز).

C.MA.

Viaud (Gaston) فيّو (غاسْتون)

عالم نفس فرنسي (نانْت، 1899– ستراسْبورغ، 1961).

يبدأ فيّو، تلميذ موريس هالْبوش، وشارل بلونْديل، وموريس برادين، في تعليم الفلسفة بستراسْبورغ، ثم ينذر نفسه لسيكولوجيا الحيوان، بتأثير شاتّون، عالم البيولوجيا، فيدرس الانتحاءات على وجه الخصوص، ظاهرات أولية موجودة في قاعدة السلوكات، قاعدتها نفسها. ويُساق على هذا النحو إلى أن يميّز الانتحاءات من الارتكاسات التجنّبية، وإلى أن يعدّ فيما بعد (1954) مفهوم المنبّه– العلامة. ويؤسّس فيّو صاحب كرسيّ الفيزيولوجيا، الأصيل، الذي أوجدته جامعة ستراسبورغ من أجله، مخبراً في هذه الجامعة لسيكولوجيا الحيوان، سيبعث الحياة فيه حتى آخر حياته. ويلخّص شعاره: «من الانتحاءات إلى الذكاء»، برنامجه.

(انظر في هذا المعجم: **الارتكاس التجنّبي، المنبّه، التوجّه المكاني، الانتحاء**).

Cl.C.

حـــرف
القــاف

قائد – رئيس

F: Chef

En: Leader, Head, Chief

D: Führer, Leiter

إنه من يوجد على رأس جماعة، ويستميلها بنفوذه المعنوي ويقودها.

يتقلّد القائد سلطاناً وسلطة. ولايُمنح الامتيازات التي يتمتّع بها، منحاً على وجه العموم، إلا بمقدار مايضع نفسه في خدمة الجماعة التي ينتمي إليها، حيث تعكس إرادته إرادة جماعته وحيث يفلح في أن يوصل مشروعات الجماعة إلى نتيجة سارّة. ويستوجب، في حال الإخفاق، ضروب اللوم والعقوبات.

طُرح مشكل القائد على علماء النفس مع دخول علمهم في الجيش والصناعة، عندما طُلب إليهم إجراء اصطفاء الأطر. وبانت لهم، على وجه السرعة، صعوبة مهمتهم، ذلك أنه لايوجد نموذج وحيد للقائد، على عكس الأفكار المتلقاة، بل تعدّد من النماذج، يختلف كل منها مع الخصائص الخاصة بكل جماعة. وعلى هذا النحو لايتّصف قائد الكشّافة بالسمات الشخصية التي يتصف بها رئيس عصابة، ويتميّز رئيس مشروع عن قائد مغاوير، ولن يكون لقائد أوركسْترا من المزايا ما لرئيس دولة، إلخ. ومع أن وظيفة القائد ثابتة، فإن أولئك الذين يضطلعون بها مختلفون، وبوسعنا أن نتصورّ بسهولة أن رئيس منشأة يمكنه أن يوجد في الجوقة المحلية، مرؤوس أحد المستخدمين. أضف إلى ذلك أن سلوك الرؤساء تؤثّر فيه الإيديولوجيات، بفعل الصورة التي يكوّنوها لأنفسهم عن دورهم، والأهداف التي ينشدونها، والجماعة التي يقودونها، وأصل تولّيهم

السلطة. وفي حين يستعين الرئيس المنتخب بالإقناع، يلجأ الرئيس المستبدّ إلى القوّة الوحشية؛ ولن يفوت من يستمدّ سلطته من القانون أن يفرض احترام القانون ويحتفظ بأبعاده إزاء مواطنيه. فهذا الرئيس الذي يتوجّه نحو إنجاز مهمة سيفرض نفسه بكفاءته، وروح التنظيم لديه ونجوعه؛ وذاك الآخر، الحسّاس للمشكلات الإنسانية، سيولي مصالح مرؤوسيه اهتماماً كبيراً، وسيشعر أنه قريب منهم ويلتمس رأيهم. ونقول، أخيراً، هل ثمة حاجة لنذكّر بأن أي رئيس لاقيمة له دون مناصريه؟ إنهم هم الذين يدعمون عمله ويسندونه؛ وإذا كانوا يجتمعون تحت لوائه، فذلك لأنه يتقن، أفضل من أي إنسان آخر فيهم، أن يعبّر عن رغباتهم ولأن الأغراض المحدّدة ترضيهم. إن رجلاً كأدولف هتلر لم يتمكّن من اكتساب سلطته إلا بفضل الأزمة الاقتصادية لعام 1929 ولأنه أتقن تَقْنِيةَ السخط الذي سيطر على ملايين العاطلين عن العمل والمدّخرين الذين أصابهم الدمار.

وكثير من العوامل تتدخّل في نجاح قائد. بحيث كان محتّماً أن تكون البحوث العديدة، التي بوشر بها لمحاولة تحديد خصائصه، مخيّبة للآمال. فالقيادة من ميدان علم النفس الاجتماعي أكثر ممّا هي من ميدان علم النفس الفردي. إنها تُدخل، فضلاً عن مزايا القائد الشخصية، تلك المهمة الواجبة الإنجاز، وخصائص الجماعة، والتنظيم الذي تندرج فيه هذه الجماعة، وتدخل الوضع العام أخيراً، وضعاً يكوّن عاملاً يتعذّر إهماله. وهكذا فإن القيادة لن تكون في أيام الأزمة كما هي في الزمن العادي، ولا في مشروع تقليدي كما هي في مصنع منفتح على الأفكار الجديدة.

وحاول علماء النفس الاجتماعيون مع ذلك، بعد كورت لوفن (1890-1947)، ومعاونيه، أن يوضّحوا شروط القيادة. وبيّنوا على وجه الخصوص، بالتجريب على جماعات صغيرة العدد، أن المكان الذي يشغله فرد في شبكة تواصل كان يتدخّل في إمكاناته لبلوغ وظيفة القائد. مثال ذلك أن الفرد، أي من يتلقّى وينقل أكبر إعلام، في شبكة على شكل دولاب، يوجد في موقع ذي امتياز.

أو نقول أيضاً إن لمن لديه الوسائل الضرورية ليجعل مشروعات الجماعة تبلغ غايتها حظوظاً في أن يصبح القائد أكثر من فرد آخر. ويبيّن القياس الاجتماعي أخيراً أن الفرد الأكثر شعبية (لأنه الأكثر تعاطفاً، ولأنه يتقن خلق جوّ من المرح وأنه على وفاق مع أفكار رفاقه) يؤدّي على الغالب دور القائد، حتى لو أنه ليس الأكثر أهلية. وفي هذه الحال، ليس من النادر مع ذلك أن نرى قائدين ينبعثان: أحدهما يُختار لأفكاره وفاعليته، والآخر يُتبنّى لإشعاعه الوجداني. وقيمة هذه الدراسات مؤكّدة، ولكن الحقيقة أيضاً أن بعض الشروط ينبغي أن تتوافر حتى يبلغ الفرد وظيفة القائد وينجح فيها. وأول هذه الشروط أن يكون لديه الميل إلى القيادة. ذلك أن بعض الأشخاص يهربون من مواقع السلطة، وإن كان بعضهم الآخر يسعون إليها سعياً يرافقه الهوى. وهذا الأمر بيّنه إ. كلنْجر (و) ف. و. ماك نالّي (1976) في دراسة أجرياها لدى 221 كشّافاً متجمعيّن في أربعة أفواج. فعندما تُعهد القيادة إلى قوّاد مألوفين، يكون هؤلاء القواد مفعمين بالنشاط وتكون الفاعليات متتابعة على نحو مناسب؛ وعندما تكون معزوّة على نحو عشوائي، يبين المسمّون القادة أنهم غير فاعلين وينطوون على ذواتهم. فبعث النشاط في جماعة، أعني التأثير فيها، وإيجاد أفكار مشروعات تناسبها، ووسائل تحقيقها أيضاً، واقتراح أفكار أخرى في حال الإخفاق، يفترض مزايا قليلة الشيوع. فعلى الرئيس، في المستوى الأول، أن يتمتّع بذكاء أعلى من المتوسّط في جماعته وسهولات في التعبير ليكون بوسعه أن ينظّم العمل المشترك تنظيماً ناجعاً ويوزّع على كل فرد مهمّته، ويطمئن على أن تعليماته مفهومة جيداً، ويصوغها مجدّداً ويشرحها عند الاقتضاء. ولكن ذلك لا يكفي لاستمالة جماعة، وحضّ بعض الأفراد، وتشجيع الآخرين، وإدراك صعوبات بعض الأشخاص، وتسكين التوتّرات وتقليص النزاعات بين الشخصية. وينبغي أن يكون لديه أيضاً كثير من اللياقة، والدبلوماسية والذكاء الاجتماعي. وعلى القائد، أخيراً، أن يبرهن في وقت واحد، حتى يمكنه أن يحقّق أغراض الجماعة ويحتفظ بثقتها، على الجرأة والحكمة، الإصرار والمرونة، القوة في قناعاته والتسامح إزاء الآراء المعاكسة، والاستقامة، وحسّ المسؤولية. فكل هذه المزايا

ضرورية لتأمين قيادة جيدة، ولكن أية منها لايمكنها وحدها أن تحدّد القابلية لوظائف القيادة. أضف إلى ذلك أنها، حتى لو اجتمعت لدى فرد واحد، لاتضمن نجاحه، ذلك أنها ليست فاعلة أمام جماعة معادية أو تنظيم منيع على التغيّر. فالقائد يحتاج، لينجح في مهمّته، إلى أن يفيد من إجماع واسع لاتدخل فيه الجماعة فحسب، بل يدخل فيه التنظيم الذي تندمج فيه هذه الجماعة. إن القيادة دون دعم الرؤساء التراتبيين متعذّرة. وليس من النادر مع ذلك أن ترفض بعض الإدارات، الغيورة من النفوذ الذي يبلغه القادة الذين سمّتهم، دعمهم وتمضي إلى حدّ تقوّض نفوذهم بمناورات ماكرة. وبوسع المرء أن يتساءل، في هذه الشروط، عن حظوظ التنبؤ بالنجاح لفرد من الأطر قبل أن نوليه تجمّعاً خاصّاً. وذلك إنما هو الرهان الذي أراد بعض علماء النفس، كمورينو (جـ. ل.) (1889- 1974)، أن يدعموه. إنهم أحدثوا مختلف الأوضاع التي تتدخّل فيها التفاعلات النفسية الاجتماعية ليحاولوا تقييم بعض المزايا المنسوبة إلى القادة. مثال ذلك أن بعض الأفراد من أطر المستقبل في الصناعة أو التجارة يواجهون مناقشة حرّة لموضوع من موضوعات المصلحة العامّة أو ذي الأهمية الخاصة، في حين يُطلب إلى ضباط المستقبل أن ينظّموا جماعتهم حتى ينقلوا، بالوسائل المتوافرة، مادة تملأ جُرفاً حتى قمته. وحاول علماء نفس آخرون إعداد اختبارات يسهل إجراؤها. وتلك هي حالة ف. إ. فيدلر، الذي ابتكر رائز L.P.C. (Least Preferred Co- Worker) (**آخر زميل عمل يُختار**)، إنه رائز مخصّص لتمييز «أساليب» القادة المحتملين. فعلى كل مرشّح أن يختار الشخص، بين كل الأشخاص الذين عرفهم، الذي لايرغب أن يعمل معه، ثم يختار الشخص الذي يفضّل أن يعمل معه (Most Preferred Co-Worker). فكل وصف، متكوّن على نمط المميّز الدلالي لشارل أوسغود، يتضمّن عشرين اقتراحاً مثل: «متردّد- حازم»، «حزين- فرح». ويتدرّج السلّم من 0 إلى 8 (القطب الأكثر ملاءمة)، ويكفي أن نجمع النقاط الحاصلة في كل البنود حتى يكون لدينا مؤشّر على أسلوب الفرد الذي يُسأل. مثال ذلك، إذا كان هذا الفرد يقرن بصورة وثيقة في حكمه بين أداء سيىء في العمل وبين شخصية موضع نقد، فإننا

نستنتج أنه يتوجّه على نحو أساسي إلى المهمّة، في حين أنه إذا حكم على فرد بصورة مستقلة عن نتائجه المهنية، فإننا نقدّر أنه يتوجّه على وجه الخصوص إلى العلاقات الإنسانية. وينبغي لهذه التقنية أن تتيح التنبؤ بصفة التأطير للأشخاص الذين عُهدت إليهم قطاعات محدّدة. فصدق هذه الاختبارات يظلّ، على الرغم من كل شيء، محدوداً، ولن يكون بوسعنا تقييم قيمة قائد إلا في العمل الواقعي.

(انظر في هذا المعجم: المميّز الدلالي، اصطفاء الأُطر، الذكاء الاجتماعي).

N.S.

القابلية

F: Aptitude

En: Aptitude

D: Eignung

استعداد طبيعي ومكتسب لتنفيذ بعض الأعمال.

تتحدّد القابلية بطبيعة الأداء (عزف الموسيقى، حلّ مشكل) وجودته. إنها، يقول هنري بيرون، هي «الشرط الجبلّي لضرب من نمط الفاعلية»، أو، وفق عبارة إدوار كلاباريد، ما يتيح تمييز الأفراد عندما ننظر إليهم من زاوية المردود. فثمة قابليات جسمية، إدراكية، فكرية. والانتباه، والملاحظة، والذكاء، يمكننا أن نعتبرها قابليات، شأنها شأن المهارة اليدوية والاستعداد للرسم. فإذا استثنينا الأطفال المعجزة، مثل و. أ. موزار الذي كان قد قدّم حفلات موسيقية وهو في السادسة من عمره، وبابلو بيكاسّو، فريديريك أوغست بارثولدي، أو بليز باسكال، مؤلف محاولة في المخاريط وهو في السادسة عشرة، فإننا نلاحظ أن القابليات تظلّ غير متمايزة زمناً طويلاً، ذلك أنها لاتبدأ في أن تتوضّح إلا بدءاً من السنة العاشرة على وجه العموم. والقابليات الأولى التي تتوطّد هي الاستعدادات الفنية والمهارة التقنية، تليهما القابلية للرياضيات والنهج العلمي (من الرابعة عشرة إلى السادسة عشرة). ويُبدي الفرد ميلاً خاصاً إلى فاعلية من الفاعليات؛ ويشعر فيها أنه على سجيته ويبرع فيها أحياناً. ففي الممارسة إنما نكتشف القابليات. ويمكنها أن تظلّ، في حال غياب التدريب، في حالة الكمون إلى أمد غير محدود، بل يُحتمل أن تضيع نهائياً إذا لم يشجّع الوسط تفتّحها. فمفهوم التكوين لايكفي

إذن لشرح القابليات. ومجموع الطاقات الكامنة التي يحملها كل موجود عند الولادة (النمط الجيني) تصوغه شروط الوجود؛ فبعض الاستعدادات تكون موضع التشجيع، وأخرى موضع معاكسة أو لم تُتح لها فرصة الظهور. إن والد بابلو بيكاسّو كان أستاذ رسم وشجّع مواهب ابنه حين قدّم له أول لوحة ألوان تقديماً احتفالياً. وكان والد موزار موسيقياً، وهو الذي أمّن تكوينه. أما بليز باسكال، فإن والده عُني أيضاً بتربيته وأدخله المنتديات الأدبية والعلمية مبكّراً. وبالأسلوب نفسه، يمكننا القول، إنما تخلد ضروب عدم المساواة الاجتماعية، لأن ابن العامل يُحتمل احتمالاً كبيراً أن يصبح عاملاً وابن الفلاح أن يظلّ فلاحاً. ونلاحظ الظاهرة نفسها على مستوى الأمم، ذلك أن الثقافة تشجّع التفتّح لبعض القابليات أكثر من بعضها الآخر، إذ أن القابليات المقدّرة في البلدان السائرة في درب النموّ تختلف عن تلك التي تقيّمها البلدان ذات التطوّر الصناعي الكبير (جان ب. دوروغوسكي، 1973).

وعلى الرغم من أن مفهوم القابلية ينتمي إلى ميدان علم النفس الفرقي ويستند إلى حوادث واقعُها لا يمكنه أن يكون موضع شك، فإنه مفهوم موضع منازعة. وإذا كان القانون يقضي أن الناس يولدون متساوين، فالطبيعة تقرّر غير ذلك: هناك موجودات قوية وموجودات ضعيفة، موجودات تُبدي قابلية للتكيّف وموجودات ليست قادرة على ذلك. فكل موجود يختلف عن الآخرين، من وجهة نظر الطبع والمزاج ومن وجهة نظر القابليات على حدّ سواء. ونحن نسلّم بسهولة، من جهة أخرى، بالتنوّع الإنساني ونعترف دون صعوبة بضروب قصورنا في مروحة الاستعدادات، دون أن يسيء ذلك إلى صورتنا. فالفروق بين الناس يعترف به الناس منذ زمن بعيد جداً. إن جوان هوأرت بذل جهده، في القرن السادس عشر، ليُظهر كيف كان ممكناً تحديد القابليات علمياً وطريقة استخدامها عقلانياً في إطار مهنة من المهن. واتّخذ مفهوم القابلية أهمية خاصة، مع الثورة الفرنسية، ذلك أنها بدت قادرة على ضمان احترام الحقوق والمبادىء الأساسية الموضوعة

حديثاً، وعلى تأمين توزيع الأعمال في الوقت نفسه. وكان الناس الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الأكثر تواضعاً قادرين، بدءاً من تأريخ الثورة الفرنسية فصاعداً، على أن يتبوأوا المناصب الأكثر رفعة، إذا كانت القدرات متوافرة لديهم. وازداد، فيما بعد، تعميم الدراسة في المدارس، وتكوين الجيوش الحديثة والبحث عن القابليات، مع استخدام الآلات في الصناعة. وأعدّ شارل سبيرمان التحليل العاملي وشرح البنية الداخلية للقابليات انطلاقاً من مكوّنتين، إحداهما عامة وكلية (العامل G)، والأخرى نوعية (العامل S)، خاصّة بالقابلية المفحوصة، التي تتّخذ أهميتها القصوى بدءاً من السنة الثانية عشرة. وكان لويس ثورستون يدافع، على العكس، عن النظرية المتعدّدة العوامل، التي تكون الفاعلية بحسبها ذات علاقة بعدّة عوامل متكافئة. وابتكر علماء النفس روائز الذكاء وروائز القابليات، إذ أكّدوا بأعمالهم وجود استعدادات فردية ووراثية. ومن البحوث العديدة الجارية في العالم، يمكننا أن نذكر أيضاً تلك التي قادها هـ. هـ. نيومان، ف. ن. فريمان، ك. جـ. هولزنجر (1937)، ذلك أنها تقدّم معطيات واضحة وكاملة. وتبيّن دراستهم، التي كانت قد تناولت مئتي ثنائي من التوائم (خمسين زوجاً منهم كانت قد تكوّنت من توائم متماثلين أو توائم حقيقيين، تسعة عشر ثنائياً منهم كانوا ذوي تربية منفصلة)، أن التوائم الحقيقيين، حتى أولئك الذين كانوا منفصلين، كانوا أكثر تقارباً بكثير من الناحية العقلية من التوائم المولودين من بيضتين مختلفتين. وكان، على المستوى العملي، تحديد القابليات للاصطفاء والتوجيه، في الصناعة والجيش، مفعولات مفيدة، برزت على وجه الخصوص بنقص في عدد الحوادث. ويصطدم مع ذلك مفهوم القابلية، بعد مرحلة من النجاح السريع، بالريبية، بل بالعداوة، عداوة عدد كبير من الأشخاص. ويصرّح بعضهم في النقابات العمالية أن «أية قابلية واقعية لم تُعزل...»؛ وأية قابلية لايمكننا أن نفصلها عن الفرد، قيل من جهة أخرى، والشخص كله، بمزاياه، وثقافته، وتجاربه، ومعيشه، ومستواه الاقتصادي الاجتماعي، هو الذي يعبّر عن نفسه في تصرّفه وإنجازاته. ولايكفي، كما اعتقد

الأمريكيون، إدماج السود في المدارس التي يرتادها البيض، حتى تصبح متساويةً حظوظ النجاح، ولابدّ أيضاً من إلغاء التباينات الاقتصادية يقول بعضهم. ويضيف بعضهم الآخر إن نموذج العلاقة القائمة في المصانع والورشات بين العمال والتراتب يشرط المردود. فالهجوم على مفهوم القابلية عام، والأدلة مناسبة، ولكن علينا أن نعترف تماماً أن أفضل الشروط، مضافة إلى تطبيق عظيم وإلى كثير من الإرادة الطيّبة، لن تفلح أبداً في التعويض عن عجز أساسي. فالجبلّة تسهم في القابلية بقدر ما يسهم الوسط. و «الكفاية» التي نحملها عند الولادة - عنصر كامن نسمّيه «قابلية»- تتجلّى بـ «أداء» (أو قدرة) هي تأليف عوامل فطرية وعوامل مكتسبة.
(انظر في هذا المعجم: الاتجاه، الكفاية، طريقة التوائم، إنجاز [أداء]).

N.S.

F: Lio de Zipf **قانون زيف**

En: Law of Zipf

D: Zipfgesetz

قانون سيكولوجي ألسني مفاده أن حاصل ضرب التواتر لظهور كلمة في قول بمكانها في الترتيب ثابت.

ج.ك. زيف وضع القانون المشار إليه (1939) في أعقاب البحوث التي أجراها ج.ب. إستوب (1916) وتناول فيها توزّع عناصر لغة، قانوناً يصحّ في كل الألسن المدروسة حتى الوقت الراهن. ففي مجموعة من الأقوال المتجانسة (نصّ أو خطاب)، ذات الطول الكافي، يمكننا أن نحصي الكلمات ونرتّبها وفق ترتيب للتواتر متناقص، إذ تكون الكلمة ذات الظهور الأغلب في رأس القائمة والأقلّ تواتراً تكون الأخيرة في القائمة. وتبيّن التعدادات الإحصائية التي أجراها مختلف المؤلفين أن لكل عنصر من اللغة تواتر استعمال خاص: بعض هذه العناصر تُستخدم استخداماً غالباً جداً (نسبة 60 بالمئة من اللغة تتكوّن من نحوٍ من مئتي كلمة، في حين أن بمتناول الإنسان المثقّف نحو عشرين ألف لفظة) وعدد كبير جداً منها يستخدم استخداماً نادراً جداً. فإذا أشرنا إلى تواتر الاستخدام بحرف «ت» والمكان في الترتيب بحرف «م»، فإن لدينا المعادلة:

ت × م = ث (أي ثابتاً)

وهذا القانون تقريبي، منحه ب ماندلبورت (1953) صياغة رياضية أدقّ. وبيّن زيف أيضاً أن الكلمات الأكثر استخداماً هي الكلمات الأقصر. (انظر في هذا المعجم: اللغة، علم النفس الألسني).

N.S.

F: Destin **القدر**

En: Destiny

D: Schicksal

قوة تنظّم الأحداث ومصير كل موجود، دون أن يكون بالمستطاع الإفلات منها.

القدر سبب يمكننا أن ننظر فيه من الزاوية اللاهوتية (قدرية) أو العلمية (حتمية). ويبحث العلم في الضرورات الطبيعية للسيادة عليها. وبهذا المعنى إنما ينبغي أن نفهم محاولة ليبولد زوندي، المعروفة باسم تحليل القدر.

N.S.

F: Destin (analyse de) القدر (تحليل)

En: Fate analysis

D: Schicksanalyse

نظرية زوندي المسماة «أنا نكولوجية»، تحاول أن تشرح تحديد المصير الإنساني. وهذا المصير يمكننا اعتباره مجموعة من الاختيارات بين الإمكانات الوجودية الوراثية. وتتنظّم هذه الإمكانات فينا بوصفها راقاً خاصاً لاشعورياً بين اللاشعور الجمعي الذي وصفه ك. غ. يونغ واللاشعور الفردي بالمعنى الفرويدي. وتظهر هذه الإمكانات بتحديد اختيارات الوجدانية، تحديد من النسق الدافعي. فدراسة مصيرنا تفترض إذن تحليل اختياراتنا.

كانت الطريقة الأولى التي أعدّها زوندي لهذا التحليل دراسة شجرات النسب. فلاحظ تناظراً خاصاً بين شجرتي النسب العائدتين لثنائي عضواه كانا قد اختار أحدهما الآخر اختياراً متبادلاً وافترض أن تجاذبهما كان شرحه ممكناً بفعل انسجام وراثتهما الجينية. وأطلق زوندي على هذا التجاذب مصطلح «الانتحاء الجيني» (génotropisme). إنه يشرح بهذه الظاهرة، منذ ذاك الزمن فصاعداً، كل ضروب الاختيارات ذات العلاقة بالموضوع (صداقة، حب) والاختيارات الوجودية (القابلية لنوع من العمل، المرض، إلخ). وهذه الاختيارات التي تكوّن مصيرنا يحدّدها الموروث الأسري في المستوى الأول. وسيكون الانتحاء الجيني نفسه هو الذي، في رأي زوندي، يظهر في الاختيارات التي يُجريها الأشخاص الذين يخضعون لرائزه، رائز تشخيص الدوافع، المسمّى الرائز الجيني (géno- test).

ويتألف هذا الرائز من ست مجموعات في كل مجموعة منها ثماني صور (أي ثمان وأربعين صـورة) تمثّل مـرضى من الناحيـة العـقليـة أو أفراداً «منحرفين» بقـوة، من ثمانية نماذج عيادية مختلفة. والسمة الوراثية لهؤلاء المرضى مفترضة. وعلى الفرد أن يختار من كل مجموعة من ثماني صور أربعة شخوص، اثنين جذّابين واثنين منفّرين. واختـيـاراته التي تبلغ أربعـة وعـشـرين تـتـمـثّل على شكل رسم «بيـاني دافـعي». ولكل صـورة، في رأي زوندي، قـدرة حضٍّ تحـدّدها وراثة الشـخص الممثّل. والترابطات التي تثيرها السمة الوحيدة لهذه الصور تجنّد الدوافع الرئيسة التي تظهر ظهوراً أقصى في الأمراض الثمانية المأخوذة بالحسبان. مثال ذلك اختيار صور الجنسيين المثليين أو الخَنَاثى يُعتبر، على مستوى التفسير، أنه كاشف عن حاجة إلى الحنان (عـامل h)، واختـيـار صور المجرمين الساديين أو القتلة يعبّر عن حـاجة سادية مازوخية (عامل S): ويقابل العـمودان معاً (القوة الموجّهة S) حالة التوتّر في الدافع الجنسي.

ولم تعد الشخصية، في هذه النظرية، سوى البنية الدينامية للدوافع الأربعة المقـابلة لقـوى الرائز الموجّهـة الأربع: الدافع الجنسي؛ الدافع الشـديد الذي يؤمّن حماية الأنا بفعل التفريغ الانفعالي؛ دافع الأنا؛ دافع الاتصـال. ويمكننا، بواسطة الرائز فكّ الرمـوز لآليـات الضـبـط (أو الضـبـط الذاتي) لدى الأنا: تضـيّـقـهـا (égosystole) أو توسّعها (égodiostale). وتؤدّي هاتان الوظيفتان دوراً حـاسمـاً في السـيرورات السـيكولوجيـة المرضيـة. مثـال ذلك أن توسّـع الأنا يظهـر، على مستوى الوعي، في تقدير الذات المغالي، ويظهر، بوصفه توتّراً لاشعورياً، في أعراض إسقاطية. ويجري إعداد ثمانية رسوم بيانية دافعية بصورة عامة خلال ثمانية أيام متوالية، في الممارسة التشخيصية النفسية، وتُفسّر المعطيات الإجمالية بواسطة منظومة الصيغ الدافعية. وهذا المجموع يستند إلى نظرية زمر الدوافع الأربع (أربع قـوى مـوجّـهـة)؛ وكـان هذا المجـمـوع قـد نما انطلاقـاً من اسـتـثـمـار آلاف الاختبارات التي تضمّ جماعات أعمار شتّى وجماعات عيادية ذات تنوّع كبير.

وبحسب مبادىء التفسير لعشرة رسوم بيانية دافعية، يدلّ انعدام الارتكاسات (غياب الاختيار في عامل) والارتكاسات الثنائية المشاعر (اختيارات إيجابية وسلبية في العامل الواحد) على الأعراض، في حين أن الميول الثابتة (اختيار إيجابي أو سلبي) تميّز «عوامل الجذر»، أي المصادر الكامنة للأعراض. فرائز زوندي مستخدم للتشخيص العيادي، في التوجيه المهني، في الاستشارات السيكولوجية البيداغوجية، وفي علم النفس الصيدلاني، إلخ.

ويستند التطبيق العلاجي لمنهج تحليل القدر، **العلاج الأنانكوجي**، إلى مصادرة نظرية مفادها أن المريض العقلي يعيش قدره عيشاً تحدّده الميول الأسرية الوراثية، ولكن الإعداد الشعوري يسهّل تكوّن قدر ذي اختيار حرّ. وهذه السيرورة تابعة لمستوى الأنا المنظّمة («Moi Pontifex» في مصطلحات زوندي)، القادرة على أن توفّق بين الميول المتضادّة (أعني القدرة على أن تربط بجسر بين الطموحات المتناقضة). وتحوّل القدر القاسر إلى قدر الاختيار الحرّ ممكن أيضاً بفعل الانتحاء الإجرائي، أي أن تُوجّه الطاقات الكامنة السلبية صوب إنجازات إيجابية. مثال ذلك أن طبيباً نفسياً يمكنه أن يحقّق في فاعليته المهنية ميوله الفصامية الكامنة، وأن اختصاصياً في الناريات، أو إطفائي، يمكنه أن يحقق في عمله ميوله الكامنة إلى إشعال الحرائق. فكل هذه الإنجازات الانتحائية الإجرائية تقدّم للميول أشكالاً مقبولة من التفريغ.

ورائز زوندي ونظريته الأنانكولوجية أثارا اعتراضات عديدة. وأكد بعضهم أن منظومة الدوافع الوراثية، قاعدة الرائز السيكولوجية المرضية، وأصناف الدافع التي أعدّها زوندي لتفسير الرائز، لم يثبت صدقهما من الناحية الإحصائية. وما أمكن ابتكار المواد المماثلة اللازمة للرائز، انطلاقاً من المبدأ نفسه: فلم يفلح زوندي على هذا النحو في أن يبرهن على أن النجوع التشخيصي لرائزه ناجم عن الجاذبية المسماة الانتحاء الجيني. ويشقّ على المرء أن يقبل فَرَض التحديد الجيني لاختيار

الموضوع. ويبدو أن علم النفس الاجتماعي، مع مفهوم المشاركة الوجدانية، يقدّم شرحاً أفضل أساساً. وتبيّن الممارسة اليومية مع ذلك أن هذا الرائز أداة تشخيص سيكولوجي ثمينة للتوجيه المهني، إذ أن الاختيارات في البعد **التعاطف- التنافر** تميّز شخصية الفرد. فالاختيار الوجداني فعلُ إسقاطٍ توفيقيٌ، وتوحّد (تماه) وتجارب اجتماعية أكثر مما هو إظهار جيني. (انظر في هذا المعجم: **الأنا**، **الرسم البياني الدافعي**، **زوندي**).

F.M.

القراءة الفصامية

F: Schizo paralexie

En: Schizo paralexia

D: Schizo paralexie

اضطراب في القـراءة، يظهر بإدخال الفرد آلياً حروفاً طفيليـة في بنيـة الكلمات المقروءة.

لاحظ جـ. بوبون هذا الاضطراب ووصـفه لدى الأفراد المصابين بالخَبَل المبكّر.

N.S.

القرار

F: Décision

En: Decision

D: Entscheidung, Entschlub

مآل طبيعي لمداولة.

يعبّر القرار عن حكم ويظهر بتنفيذ عمل جرى اختياره من كل الأعمال التي تبدو ممكنة. فبعض قراراتنا لاتكلّفنا إلا شيئاً قليلاً من الناحية النفسية؛ إنها، على سبيل المثال، تلك القرارات التي نُساق إلى اتخاذها عندما نقود سيارة؛ إننا نتخذها تلقائياً، تبعاً لاحتمال ظهور حاجز. وأخرى تكون أكثر اتّصافاً بأنها شائكة: مثال ذلك عندما يكون عليّ أن أختار بين وضعي الراهن، المستقرّ والمرْضي على نحو كاف، ووضع يُقترح عليّ، أكثر ألقاً ولكنه غير مؤكّد. فالتقرير إنما هو الحسم دائماً، وقبول التضحية في نهاية المطاف. ذلك إنما هو موضوع سيدْ Cid، حيث يضحّي رودريغ وشيمين بحبهما في سبيل شرفهما. والتقرير إنما هو المجازفة أيضاً والرهان غالباً حين نعتمد على عناصر عشوائية. ففي تشرين الأول (أوكتوبر) 1962، جازف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، جون كينيدي (بروكلن، ماساشوسيت، 1917- دالاس، 1963)، مجازفات كبيرة عندما أرغم السوفييت على سحب صواريخهم النووية من كوبا. وحتى يكون قرار من القرارات كاملاً، ثمة شروط مطلوبة: إنه ينطوي أول الأمر على «حكم صائب، ينجم بدوره عن معرفة شاملة معلوماتها كانت موضع غربلة أنجزها تفكّر منهجي» (ماو تسي، تونغ، 1963).

وفي مشروع صناعي، تنظر الإدارة، بعد أن تحدّد أهدافها والأولويات المأخوذة بالحسبان وتحصي الوسائل الموجودة بمتناولها والموانع (منافسة. . .) التي

يمكن أن تصادفها، في برامج مختلفة ممكنة وتختبر بعضاً منها قبل أن تنتقل إلى الإنجاز العملي (صنْع، إطلاق المنتج). ثم تقيّم النتائج الكمية والكيفية، تصحّح عند الاقتضاء سياستها أو تعدّ مشروعات جديدة. ويقدّم البحث الإجرائي، من الآن فصاعداً، للقادة (رئيس دولة، لقادة الجيش ورؤساء مشروع) طريقة علمية، قائمة على منطق الرياضيات، تنير اختيارهم وتتيح أن تبلغ «الأرباح» حدّها الأقصى مقابل مجازفة في حدّها الأدنى. وتقدّم نظرية القرار مجموعة من الأنماط المنطقية الرياضية الممكنة، وتفحص الأسلوب الذي ينبغي أن تُتّخذ به القرارات والقرارات التي تحقّقت بالفعل. والحقيقة مع ذلك أن كل القرارات التي تجازف بمصالح مالية كبيرة، سياسية أو عسكرية، ذات «كلفة» كبيرة من وجهة النظر النفسية، ويفهم المرء بسهولة أن عدداً من القادة، الذين تحرّضهم مهمتهم تحريضاً مغالياً شبه مستمرّ على وجه التقريب، يكونون منْهكين من الناحية العصبية. فالتقرير لا يمسّ مسؤولية صاحب القرار فحسب، بل شخصه برمّته. إن عدداً من الناس يهربون من القرارات ذات الكلفة، إذ يؤثرون التبعية على الاستقلال، والطاعة على حرية الاختيار؛ وآخرون، العاجزون عن المداولة زمناً طويلاً وعن تخيّل المستقبل بوضوح، يتصرّفون تصرّفاً اندفاعياً، على نحو صبياني؛ ويبين بعض الناس، على العكس، متردّدين أبديين، إلخ. إن علماء النفس الذين درسوا سيرورة القرار الفردي والجماعي لاحظوا أن قرارات الجماعة أكثر جرأة من تلك التي يتّخذها الأفراد (جـ. أ. ف. ستونر، 1961؛ د. جـ. ماركيس، 1962؛ ن. كوغان (و) م. أ. والاش، 1967، إلخ). إنهم وجدوا أيضاً أن للفرد الذي لايتردّد في أن يجازف ويؤثّر في قرار شركائه، في جماعة صغيرة، شخصية انبساطية بالحري، وحاجة كبيرة إلى الإنجاز، ونباهة، واهتمامات نظرية، سياسية واقتصادية، وقدرات قيادة؛ إنه مستقلّ، حيوي، وواثق من نفسه (أي. ريم، 1966). (انظر في هذا المعجم: **دينامية الجماعة، الألعاب التجريبية، المجازفة**).

N.S.

القسر

F: Compulsion

En: Compulsion

D: Zwang

سلوك يشعر الفرد أنه مرغم على أن يتبنّاه في حين أن أي شيء، ولا أي شخص، يرغمه على أن يسلكه.

يودّ الفرد، في العصاب الوسواسي، أن يطرد الأفكار أو التصوّرات التي ترهقه، أو يتمنّى ألا ينفّذ الأفعال غير العقلانية، غير المفيدة أو في غير محلّها (كغسيل اليدين المتكرّر أو إحصاء بلاط الأرضية) التي تكبح فاعليته. ولكنه يحسّ أن قوة داخلية، تفوق العقل، ترغمه على القيام بهذه الأعمال، وأنه يتعرّض، إذا أراد أن يفلت منها، إلى ضرب من معاودة الحصر. والسلوكات القسرية، في رأي س. فرويد، ربما تكون تكوّنات تسوية بين بعض الرغبات الدافعية الصادرة عن «الهو» [اللاشعور] والممنوعات الأخلاقية التي يجتافها الفرد، أو «الأنا العليا». (انظر في هذا المعجم: الرقابة، النزاع النفسي، الكبت).

N.S.

قسر التكرار

F: Compulsion de répétition

En: Repetition Compulsion

D: Wiederholungszwang

ميل لاشعوري إلى تكرار التجارب القديمة المؤلمة.

نصادف فاعلية التكرار الآلية غالباً لدى أشخاص عانوا صدمة انفعالية حادّة، مثال ذلك عقب حادث من حوادث الطرق، وكارثة سكّة حديدية أو كل حادث آخر عرّض حياتهم للخطر. والانطباع الذي تُحدثه الصدمة موجود في أحلام الأفراد، التي تُرى أنها ترجع على نحو دائم إلى الوضع المؤلم. ويظهر قسر التكرار أيضاً في مناسبات أخرى: في علاج التحليل النفسي: حيث يعيش المريض مجدّداً جزءاً من ماضيه المنسيّ عبر علاقاته بالمعالج (**عصاب التحويل**)؛ في حياة الأشخاص الذين يلاحقهم القدر، كهؤلاء الناس المخلصين لأصدقائهم ويكونون على نحو منتظم موضع خداعهم، أو هؤلاء العاشقين الخجولين بفعل عشقهم، الذين يجدون أنفسهم وحيدين (**عصاب القدر**)؛ وفي ألعاب الأطفال. فالميل إلى التكرار مكوّن من مكوّنات الوجود الإنساني. والواقع أنه في قاعدة كل تعلّم ويتيح اكتساب السيادة على فعل أو على وضع. إنه، في بعض الحالات، وسيلة أن يألف المرء وضعاً غير مستساغ أو مؤلماً وأن يسوده. مثال ذلك الصبي الصغير الذي يلقي بكرته بعيداً ويجعلها تظهر مجدّداً إذ يسحب الخيط المثبتة به، ويبحث عن الاطمئنان حين يكرّر، على نمط لعبي ورمزي، وضعاً يثير القلق، نهايتُه سعيدة: «ماما بعيدة كهذه البكرة، ولكن بوسعي أن أجعلها تعود». فالتكرار الفاعل يفعل في الأوضاع

المؤلمة فعل المذيب؛ إنه يقلّص تدريجياً عبء القلق والألم، الناشئ عنها، إلى أن يكون بوسع الشخص أن يتمثّلها. ويسمّي إدوار بيبرينغ (1943) آليات تحرّر الأنا تلك التصرّفات التكرارية التي لاتميل إلى تفريغ توتّر شديد (تنفيس) أو إلى أن تقاومه، بل إلى أن تتحرّر منه تدريجياً، إذ تغيّر الشروط الداخلية التي تولّده. (انظر في هذا المعجم: **الارتكاس الدائري**).

N.S.

القسر المزدوج

F: Double lien

En: Double bind

D: Double bind

رسالة متناقضة، لفظية أو غير لفظية، تسجن شخصين أو عدة أشخاص في وضع لا يُطاق، ذي عواقب مؤذية من وجهة النظر السيكولوجية عندما يتكرّر بصورة متواترة.

يعلن، عام 1956، غريغوري باتوسون (1904-1980)، دون د. جاكسون، جي هاله، جان ويكلاند، فَرَض القسر المزدوج في مقال شهير، إذ يعتبرون الفصام اضطراباً أساسياً من اضطرابات التواصل، والأسرة مكاناً يتكوّن هذا الاضطراب فيه. وسيجد هذا المفهوم صدى واسعاً في عالم الطب النفسي والتحليل النفسي الأمريكي (نال المؤلفون جائزة أكاديمية التحليل النفسي فريدا فروم- رايخمان). والمقصود، وفق العبارات الخاصة بموقّعي المقال، «نظرية تواصلية لمنشأ الفصام وطبيعته». ويعكف باتوسون، إذ يرجع إلى برْتراند روسّل (1872 -1970)، العالم في المنطق، على تمييز مستويات شتّى في التواصل: نقل الرسائل؛ هالة ذاتية مجازية تتيح تعديل العلامات أو تزويرها؛ تواصل شارح، أي تعليق على العلاقة، وتقييم يتيح تحديد العناصر المعنيّة ومنحها أهميتها المتبادلة. والفصاميون، في هذا المنظور، عاجزون عجزاً نوعياً عن أن يعزوا نمط التواصل المناسب إلى الرسائل المتلقّاة والصادرة؛ والأمر يحدث على المنوال نفسه بالنسبة لأفكارهم، وإدراكاتهم، وإحساساتهم. ويفترض التباس الرسائل الشارحة سياقاً من التعلّم الأسري الخاص بأنماط متعاقبة متميّزة: أوضاع القسر المزدوج. والمثال

التالي يجعلنا نفهم على نحو أفضل ما المقصود: مريض أبلّ من حادث اضطراب نفسي حادّ يتلقّى زيارة أمه. ويمدّ ذراعه ليحضن أمه من ناحية كتفها، ولكنها أبدت الحزم؛ وتسأله بما أنه يسحب ذراعه: «ماذا يحدث، ألم تعد تحبني؟» وتعلو الحمرة وجه المريض عندئذ، وتضيف الأم: «عزيزي، لاينبغي لك أن تشعر بمثل هذا الارتباك والخوف في موضوع عواطفك!». ففي هذا الوضع قسر مزدوج: 1) شخصان أو عدة أشخاص يشغلون موقع «الضحية»؛ 2) تكرار التجربة الماضية، ذلك أن القسر المزدوج يتكرّر على الغالب في حياة جماعة واحدة؛ 3) رسالة أولى سلبية (لفظية أو غير لفظية هنا، موقف الأم التي تتصلّب عندما يمدّ ابنها ذراعه نحوها، أمر يعني عداوتها لابنها)؛ 4) رسالة ثانية سلبية هي تهديد مبطّن بالهجر أو القصاص في ظلّ مظاهر الحب («ألم تعد تحبني؟»)؛ 5) أخيراً، جملة ثالثة تحرم المحاور من كل مخرج (في المثال: «عزيزي، لاينبغي لك أن...»).

وتكمن ظاهرة القسر المزدوج، التي تتجدّد على نحو شبه آلي، ولو أن كل عناصر السلسلة ليست مجتمعة كلّها، في الإرغام المفروض على الفرد، إرغامه على أن يوفّق بين مختلف الرسائل المتناقضة. ومن المؤكّد، بوصفه مشروطاً على هذا النحو، أنه لن يستطيع أبداً أن يبلغ مستوى من التواصل الواضح. وبوصفه عاجزاً عن أن يميّز الرسالة اللفظية من الرسالة الشارحة المعاكسة تمييزاً بيّناً، فإنه سيحاول أن يتكيّف مع الوضع، وذلك أمر سيحدّد غرابات فكره وغرابات لغته. والوسيلة الوحيدة للخروج من هذا الوضع المرضي سيكون كامناً في أن نجعل شخصاً ثالثاً يتدخّل (معالجاً، والحالة هذه) قادراً على أن يحلّل تصرّفات المعنيّين وأن يجعلهم يتعرّفون عليها. ومفهوم القسر المزدوج موجود على الغالب في أسر الفصاميين؛ وسيكون شرطاً ضرورياً (ولكنه غير كاف، يوضّح المؤلفون المذكورون أعلاه في ملاحظة عام 1962) في نموّ الفصام، وهو، بالتبادل، «نتاج من درجة ثانية حتمي من نتاجات التواصل الفصامي». (انظر في هذا المعجم: **باتوسون، جماعة بالو ألتو، ذرائعية التواصل**).

J.F.B.

F: Cortex cérébral, Écorse Cérébrale القشرة الدماغية

En: Cerebral Cortex

D: Cortex Cerebri, Hirnrinde

راق من النسيج العصبي يتألف من خلايا وألياف دون نخاعين، يغطّي نصفي الكرة الدماغية.

كثافة القشرة الدماغية تتغيّر حسب الأماكن من 3 إلى 4 م؛ سطحها الكلّي يتجاوز 2000سم2. وتجتازها أتلام عميقة قليلاً أو كثيراً، والشقوق والأتلام الثانوية، التي تحدّد الفصوص والتلافيف. وتتيح دراسة القشرة الدماغية من خلال السلسلة الحيوانية أن نميّز ثلاثة أجزاء لها: **الرداء الأصلي**، الذي يكوّنه الحُصيّن أو قرن أمّون والتكوّنات الشمّية. وهذه البنية العصبية نامية جداً لدى الفقريات الدنيا؛ **الرداء القديم**، الذي يكوّنه **التلفيف الحزامي** وتلفيف الحصين، أهميته تزداد لدى الثدييات؛ **الرداء الجديد**، الذي يتضمّن باقي القشرة الدماغية (أي 12/11 من هذه القشرة). والرداء الجديد، غير الموجود لدى الفقريات الدنيا، نام نمواً كبيراً لدى الرئيسات. ويُطلق حالياً على مجموع الرداء الأصلي والرداء الجديد مصطلح **الدماغ الشمّي**.

وعلى الرغم من أن تركيب القشرة الدماغية النسيجي واحد في كل مكان منها من حيث الأساس، فإن التنسيق بين الخلايا والألياف العصبية يختلف من منطقة إلى أخرى. ونميّز نموذجين من التركيب القشري: 1- **المتساوي القشرة**، الموجود في كل الرداء الجديد ويتكوّن من ستة راقات خلوية: راق جزيئي سطحي؛ راق حبيبي

خارجي؛ راق خارجي من خلايا هرمية صغيرة؛ راق حبيبي داخلي؛ راق داخلي من خلايا هرمية كبيرة؛ وأخيراً، راق من خلايا مغزلية، استطالاتها التغصّنية تصعد حتى الراق السطحي، إذ تؤمّن الارتباط على هذا النحو، بين القاع والسطح. أما الألياف، فهي إما عمودية (ألياف الإسقاط، بالنسبة للغالبية) وإما أفقية (ألياف ترابط)؛ 2- المتغاير القشرة، نموذج يميّز الرداء الأصيل، ذو بنية أكثر أوليّة، مبسّطة؛ والراقات الخلوية غير كاملة أو ذات محتوى غير قياسي.

والمعلومات تصل القشرة الدماغية بواسطة ألياف واردة شتّى، ذات إسقاط صاعد، لها مُتابع في المهاد. وتقود الألياف الحسّية منها، المسمّاة «الألياف النوعية»، ومعلوماتها إلى مناطق مستقبلة محدّدة في الدماغ الأعلى (المناطق البدنية الحسّاسة والحسّية). وثمة ألياف أخرى «غير نوعية»، تفضي إلى المناطق الحركية، قبل الحركية والطرفية. وأخيراً، هناك الألياف «المنتشرة»، الصادرة، كلها على وجه التقريب، عن المادة الشبكية، تتوزّع في الراقات المختلفة لكلية القشرة الدماغية. وبالمقابل، تقود محاوير الخلايا الهرمية مايصدر من الرسائل، من القشرة الدماغية والمهاد نحو النُوى الرمادية تحت القشرية، أي نحو نُوى النخاع، والبصلة، وجذع الدماغ، والمخيخ والتكوين الشبكي. ومناطق كل فصّ موصولة، داخل كل نصف من نصفي الكرة الدماغية، بألياف مقوّسة الشكل، في حين أن الفصوص المتجانسة من الجانبين موصولة بألياف طويلة تجتمع في حزم. أما الارتباطات بين نصفي الكرة، فإن الصوارات البيضاء تؤمّنها: الجسم الثفني، المثلث والصوار الأبيض الأمامي. وأتاحت دراسات تركيب القشرة الدماغية تحديد مناطق مختلفة رقّمها عالم الأعصاب الألماني كوربينيان برودمان (1868 -1918) حتى يحدّد موقعها. وهي تُجمع في ثلاث فئات: 1) المناطق المستجيبة، المسمّاة أيضاً حركيّة لأن تنبيهها يثير حركات الفرد. وعلى مستواها إنما يقع منشأ الدروب الهرمية وفوق الهرمية؛ 2) المناطق المستقبلة، «مناطق الإسقاط الثانوي»، التي لايثير تنبيهها أو تدميرها حركة ولاخُدار، بل تثير اضطرابات أخرى شتّى.

والإعصاب الحسّي مقسّم إلى خمس جُمَل تقابل الحواس الخمس: اللمس، الرؤية، السمع، الشمّ، الذوق. وعندما ننبّه أحد هذه المستقبلات السطحية، تنتقل الرسالة، على شكل اندفاع عصبي، إلى المناطق المستقبلة الأولية، حيث السيّالة العصبية تثير تغيّراً في القوة الكامنة المتموضعة. فمنطقة الإحساس بالبدن 1(S1)، لدى الإنسان، تشغل التلفيف الجداري الصاعد (مناطق برودْمان 1، 2، 3). وعندما يتدمّر التلفيف الجداري الصاعد، في أعقاب رضّة أو ورم، يُبدي المريض ضرباً من الخدر الشقّي المتصالب، يصيب الحساسية المميّزة على وجه الخصوص (كالحساسية اللمسية) مع تشوّه في حاسة تعرّف الأشكال. أضف إلى ذلك أن هذه الحاسة تحدّد المواضع تحديداً ناقصاً وتقيّم شدة المنبّهات تقييماً سيّئاً، مع أنها تستمر في إدراك البرودة والحرارة والاتصالات السطحية. ولمنطقة الإحساس بالبدن II(SII)، الواقع لدى الإنسان على السفح العلوي لشقّ سيلْفيوس، دور فيزيولوجي لايزال مجهولاً إلى حدّ كبير. وتحتوي القشرة البصرية ثلاث مناطق، متخصّصة على التوالي في الاستقبال، والإدراك، والتعرّف. وتشغل المنطقة البصرية الأولّية لدى الإنسان، المسمّاة أيضاً «منطقة محزّزة»، شفتي الشقّ المهمازي. إنها تقابل المنطقة 17 لبرودمان وتحيط بها المنطقة 18. والمنطقة السمعية الأولّية تقع في الجزء المتوسط من التلفيف الصدغي الأول أو تلفيف هيشْل (منطقتا برودمان 41، 42). ويثير تنبيهها الكهربائي هلوسات سمعية أولّية. والقشرة البدئية الذوقية، المحدّدة بصورة غير دقيقة تقابل على وجه التقريب منطقة برودمان رقم 38. والمنطقة الشمّية البدئية تحتوي المعقف والجزء الأمامي من التلفيف الصدغي. وللإسقاطات الشمّية القشرية اتصالات عديدة مع القشرة الأصلية (الحُصين، النُوى اللوزية، نوى الحاجز)، وذلك أمر يشرح الروابط الوثيقة للشمّ مع الجنسية، والغذاء، والانفعالات.

والبنيات القشرية المسؤولة عن اللغة تقع، لدى الغالبية العظمى من الموجودات الإنسانية (كل الأيامن و 60 بالمئة من الأعاسر)، في نصف الكرة

الأيسر. ونميّز في هذه البنيات: 1) **منطقة بروكا**، باسم جرّاح بيسيتر الذي حدّد يوم 18 نيسان (أبريل) 1861، موقع مركز اللغة (نطق الكلام) في قاعدة التلفيف الجبهي الأيسر؛ 2) **منطقة فيرنيك**، الضرورية لفهم اللغة، الواقعة في الجزء الخلفي من التلافيف الصدغية الأولى والثانية؛ 3) الجزء السفلي من التلفيف الجبهي الصاعد (إعصاب حركي للأعضاء الفمية المصوّتة؛ 4) الثلث السفلي من التلفيف الجداري الصاعد (إعصاب حسّي للأعضاء الفمية المصوّتة)؛ 5) **منطقة إيكسنر** (قاعدة الجبهي المتوسط، F2) المسؤولة عن الإنجاز الجيد للغة المكتوبة. (انظر في هذا المعجم: **أسيتيلكولين، عمه الإدراك، الحُبسة، الدماغ الأعلى، اللغة**).

M.S.

F: Punition **القصاص**

En: Punichment

D: Bestrafung, Strafe

عقوبة على خطأ، على خطيئة أو فعل يستوجب اللوم.

يطرح القصاص على الآباء وعلماء البيداغوجيا مشكلات شائكة. المشكل الأول خاصّ بفائدة: أبوسعنا أن نعاقب طفلاً ارتكب فعلاً نحكم أنه يستحقّ اللوم؟ ألا يفسّر الفرد غياب الجزاء كما لو أنه موافقة ضمنية، أي تشجيع على المثابرة في الدرب نفسه؟ يبيّن علم النفس التجريبي أن القصاص المستخدم على نحو معتدل وفي الوقت المناسب، يمكنه أن يشجّع التعلّم. ولكن استخدامه في البيداغوجيا يتطلّب كثيراً من الاحتياطات. ينبغي على وجه الخصوص حظر كل ضروب القصاص التي تحطّ من القيمة (إذلال عام) أو تثير الحصر (الغرفة المظلمة). وينبغي بصورة خاصة أن نتجنّب أنواع الجزاء الآلي، الذيْ لايأخذ بالحسبان عمر الطفل، ولامقاصده، ولاطبعه، ولا الوضع الإجمالي. وينبغي للقصاص أن يكون متكيّفاً مع الحالة حتى يكون ناجعاً؛ يجب أن يكون مباشراً، عادلاً، معقولاً، مبرّراً، خالياً من الانفعال، معروضاً بوصفه النتيجة المنطقية لفعل يكون الفرد مسؤولاً عنه تماماً. ومما يخالف الحسّ السليم أن يُعاقب طفل بعد ارتكاب خطيئته ببضع ساعات أو أيام (بعد عودة الأب على سبيل المثال) بقدر ما يجانب الحس السليم أن يعاقب دون شرح.

ويشرح جون لوك (1632 -1704)، في كتابه، **بعض الأفكار عن التربية**، أن أنواع القصاص المطبّقة في المجال المدرسي ليست ناجعة فحسب، ذلك أنها تُنسى بسرعة، ولكنها محفوفة بالخطر أيضاً، ذلك أنها تجازف في أن تجعل الطفل يكره ما

ينبغي أن يحبّ. أضف إلى ذلك أن الأطفال، يلاحظ ر. هـ. ولْترز، جـ. أ. شين، ر. ك. بانكس (1972)، ينتهون إلى أن يكتسبوا المناعة ضدّ العقوبات على منوال الفئران، الموضوعة في وضع تجريبي حيث تتلقّى صدمات كهربائية، التي لم تعد تستجيب، عندما تزداد شدّة الصدمات. ومانحصل عليه بالتأكيد من القصاص، إنما هو، على العكس، تنامي انعدام الأمن والعدوانية لدى الطفل، لأن الإحباط المفروض لايثير العدوانية فحسب، ولكن لأن المربي يقدّم أيضاً نموذجاً لن يفوت الطفل أن يمتثل له بدوره. والعقوبات، مع بعض الأفراد السريعي العطب (الهشّين) والحسّاسين، يمكنها، حتى لو كانت مجرّد توبيخ، أن تتمخّض عن عواقب مأساوية، كانتحار هذا المراهق الذي مضى يلقي بنفسه في مستنقع، بوصفه لم يتحمّل ضروب اللوم التي وجّهها إليه أبواه، أو كالارتكاس النفسي الجسمي لهذه الفتاة ذات التسعة عشر ربيعاً، التي فقدت البصر في بضع دقائق عقِب تعنيف ظالم من والديها، إذ سبّبت الصدمة النفسية الوجدانية اعتلالاً في الشَبكية ذا علاقة بتشنّج العروق.

ونقول، أخيراً، إن القصاص يمكن أن يبحث عنه بعض الأشخاص. مثال ذلك أن طفلاً يصبح غير محتمل ليسترعي انتباه محيطه، ويصبح القصاص في هذه الحالة نعمة وسيبدأ مجدداً حتى يُشغل محيطه به من جديد.

وفي نسق آخر من الأفكار، يصف سيغموند فرويد (1856 -1939)، بمصطلح **الحاجة إلى القصاص**، سلوك أفراد، خاضعين لأنا عليا قاسية بصورة خاصة وتغذّي عاطفة شديدة من الإثمية، يتفنّنون في إيجاد أوضاع مؤلمة أو مهينة لهم ويبدو أنهم يجدون لذّة فيها. وهذه الحاجة إلى القصاص، ذات العلاقة بميل لاشعوري إلى أن يعذّب المرء نفسه، موجودة على وجه الخصوص لدى بعض الجانحين ولاسيّما لدى العصابيين الوسواسيين والسوداويين، ولكنها موجودة أيضاً لدى بعض الجانحين الذين يبدو أنهم يعكفون على أفعال محظورة آملين أملاً خفياً في أن يُلقى عليهم القبض ويعاقبون. (انظر في هذا المعجم: المازوخية، المكافأة، التعزيز).

N.S.

القصاص الذاتي

F: Auto Punition
En: Self- Punishment
D: Selbstbestrafung

عقاب يفرضه المرء على نفسه جزاء خطأ يتهم نفسه به.

سلوكات القصاص الذاتي تولد، في رأي فرويد، من التوتّر بين الأنا وأنا عليا متشدّدة. وتظلّ بعض اتجاهات القصاص الذاتي، على الرغم من أنها تثير الدهشة، في حدود سويّة. تلك هي حال طفل يقود نفسه وهو يشدّ أذنه إلى الغرفة السوداء، بعد أن يخالف تحريماً من تحريمات أبويه. وثمة اتجاهات أخرى مَرَضية جهاراً. ويمكنها أن تكون واقع عصابيين يعانون الشعور بالإثمية معاناة قوية، وفصاميين، ولاسيّما سوداويين يضخّمون الأخطاء الأكثر بساطة، ويشعرون أنهم مسؤولون عن شقاء الغير ويحكمون على أنفسهم أنهم غير جديرين بالحياة. ولايتراجع السوداويون، ليعاقبوا أنفسهم، أمام التشويه الذاتي (الذي يتناول أي عضو كان: العينين، اليد، الأعضاء الجنسية. . .) ولا أمام الانتحار.

وليس كل تصرّف عدواني ذاتي قصاصاً ذاتياً بالضرورة. ففي النموّ السوي للطفل سلوكات عدوانية ذاتية، كضرب الرأس بالحائط، ويضربون أنفسهم، ويعضّون عضواً من أعضاء جسمهم، ويقتلعون قشرة جرح، إلخ، وهي سلوكات يمكننا اعتبارها تفريغات حركية منعكسة، أو فاعليات «كشف أو حاجة للشعور بالنفس، تساهم في التوجّه وفي تنظيم المخطّط الجسمي» (ج. دو أجوريا غيرا، 1970، ص. 474). (انظر في هذا المعجم: **عاطفة الإثمية، المازوخية، القصاص، المخطط الجسمي**).

N.S.

قصور السلطان

F: Carence d' autorité

En: Lacke of authority

D: Autoritätsmangel

غياب أو عدم كفاية السلطان الذي يُبديه بعض الآباء أو المعلمين في عملهم التربوي.

كان الانتباه، بتأثير سيغموند فرويد (1856 -1939)، قد تمحور على جوانب علائقية ودافعية من الوسط الأسري. ولكن الأسرة يمكنها أن تُعرّف أنها حقل سلطان بقدر ماهي تنظيم أوديبي. وعلى العكس من الوهم الذي تصونه عادة الاحتفاظ بمصطلح السلطان لأشكال «السيطرة» حيث الغاية هي الضياع والوسيلة هي القسر، فالسلطان، الذي ليس على الإطلاق مواضعة موضع مناقشة، واقع ذو يوميّة لامناص منها، بل «الجوّ المحيط نفسه، جوّ العالم الإنساني» (م. مارْسال). وهذا الواقع أكثرْ بروزاً أيضاً في الأسرة. والواقع أن الطفل يعيش فيها حالة «العملقة»، مهما كان الآباء ليبيرالين وفوضويين. أضف إلى ذلك أن أية أسرة، إذا كانت من جهة محدّدة في الزمان والمكان تحديداً جيّداً، بخصائصها وإيقاعاتها، هي أيضاً، من جهة أخرى، «خليّة المجتمع» التي تفرض، على نحو مباشر قليلاً أو كثيراً، أنماطها وقواعدها الثقافية والأخلاقية. والحال أن الأسلوب الذي ينتظم به، بالنسبة للفرد في طور النموّ، هذا الحقل من السلطان، لايخلو من الأهمية لبنية الشخصية وديناميتها، أياً كانت مع ذلك نوعية الجوانب التي أوضحها التحليل النفسي.

ويؤكّد علم الأمراض على نحوٍ شبه تجريبي صحة هذا الرأي؛ والواقع أن بعض علماء النفس قد وصفوا تناذر قصور السلطان التربوي، الذي يبدو عندما يكون وجود الطفل غير مستقرّ وفوضوي وعندما لايُظهر المحيط حضوراً معيارياً. وتتحقّق عندئذ حالة حقيقية من «الأنوميا»، أي فقدان التنظيم، حالة لا وجود لها، من حسن الحظ الكبير، عندما يكون المقصود مجرّد ضروب من العجز أو النقص، الحتمية أو شبه «السويّة» في الأوضاع التربوية. ومثل هذه الأخطاء يمكنها أن تكون منشأ صعوبات التطوّر المتواترة كثيراً في مجتمعات التسامح أيامنا هذه، أخطاء يهتم بها الباحث في علم الأخلاق ليُصدر حكماً عليها، وعالم الاجتماع ليشرحها. أما قصور السلطان التربوي الحقيقي، فإنه، على العكس، يسبّب نتائج خطيرة، عميقة ودائمة، ذات علاقة في وقت واحد بـ«الموجود- مع» و«الموجود من أجل».

وتناذر قصور السلطان ثابت في مظاهره إلى حدّ كاف: فثمة عاطفة أساسية من انعدام الأمن؛ إن الفرد تسمه، من جهة، عزلة تجعل الارتباط والتضحية متعذّرين عليه، ومن جهة أخرى، سرعة عطب وضعف أنا عاجزة على وجه الخصوص عن القيام باستباق بنّاء. وعلم الأمراض هذا يمكنه، تبعاً للاستعدادات المزاجية وأنماط القصور، أن يتّخذ شكلين أقصيين في مظاهره الاجتماعية: انتشارياً أو، على نحو أندر، مكفوفاً، وفق سيادة فوضوية مثيرة وعدوانية، أو سيادة انطواء واهن وخائف. والواقع أن هذا التناذر من القصور التربوي يتطوّر، على الأغلب، نحو ما نفهمه من المصطلح المعبّر وغير الواضح معاً، مصطلح «فقدان التوازن». ولكنه يمكنه أن يركّب مفعولاته مع الحتميّات العصابية أو الذهانية، ولاسيّما في التنظيمات الهستيرية أو في ضروب الفصام التي يعقّد لوحتها العيادية، ويجعلها أكثر بعداً عن أن تنالها الأعمال العلاجية. ذلك لأنه لايبدو ممكناً- ربما بسبب كون العلاج النفسي يتماهى مع التحليل النفسي- «تحرير» فرد من عواقب القصور. وفي أحسن الأحوال، يمكن لعمل مستمرّ ومتيقّظ من التوضيح والتنبيه أن يتيح تعويض بعض جوانبه عندما تكون شروط الحياة مناسبة. ولهذا السبب ينبغي للجهود أن

تنزع إلى إقناع المربين بمسؤوليتهم وتحديد هذا السلطان التربوي الذي يحتاجه الطفل تحديداً جيّداً. وينبغي أن نذكّر بهذه المناسبة أن الحاجة إلى السلطان إذا كانت معطى دائماً للطبيعة الإنسانية، فإن النهوج التربوية الخاصة بإشباع هذه الحاجة تتغيّر مع المجتمع، وليس اللجوء الرتيب إلى عادات الزمن الغابر هو الذي يمكنه أن يقوّم الوضع. (انظر في هذا المعجم: **الارتباط، السلطان**).

J.M.S. و H.L.

القصور الوجداني أو العاطفي **F: Carence affective**

En: Attachment deficiency

D: Affektentzugssyndrom

عدم كفاية المحبة أو غيابها.

الحاجة إلى الحب ضرورة من الضرورات الأكثر إلحاحاً للموجود الإنساني. ويحتاج الإنسان إلى أن يحبّ وأن يكون محبوباً حتى يشعر أنه موجود. فهو يتفتّح في الحب، في حين أنه يفقد فرح الحياة إذا كان محروماً منه، ويذوي، أو يصبح عدوانياً وغير مندمج من الناحية الاجتماعية، بل على هامش المجتمع. وقد يحدث أن يعاكس ضربٌ من الصعوبة في إقامة العلاقات بين الشخصية الملائمة أو صيانة هذه العلاقات (بسبب خجل مفرط على سبيل المثال) إشباعَ الرغبات الوجدانية لدى الراشد، أو يعاكسه أيضاً تدمير الروابط القائمة (حداد، هجر، اغتراب، تشتّت الأطفال والأصدقاء، إلخ). والعزلة الوجدانية يمكنها، لدى بعض الأشخاص، أن تكون من الصعوبة بحيث يبدو الموت لهم ضرباً من الإنقاذ، وذلك أمر يشرح عدداً من حوادث الانتحار لدى العازبين والشيوخ. وآخرون يسدّون الفراغ في وجودهم بفاعليات بديلة، كالإخلاص لعمل الإحسان والعنايات اللطيفة الموجّهة إلى حيوان واحد أو عدة حيوانات (كلب، هرّ، حصان. . .) أو الولع أيضاً بالمسكوكات أو الطوابع البريدية. والقصور العاطفي أكثر ضرراً بقدر مايحدث مبكّراً. فكل فرد استطاع أن يلاحظ سلوك طفل صغير انفصل عن أمه مؤقّتاً. وتدلّ ضروب بكائه

وصراخه، ونداءاته التي تفتّت القلب على ارتباكه وحصره اللذين يستشعرهما أمام الانفصال. وذلك يمكنه أن يدوم أسبوعاً، وأكثر في بعض الأحيان. ثم يستقرّ الإذعان ويستقر معه الخمول ورفض الغذاء. فالطفل الحزين لايلعب ولا يجوع. وإذا أطالت الأم غيابها ولايقدم أي شخص على أن ينوب منابها بغية أن يقيم من جديد علاقة وجدانية جيّدة، فإننا نلاحظ ضرباً من توقّف النموّ ونكوصاً في السلوك إلى مرحلة سابقة: تتردّى اللغة وتختفي المكتسبات الحديثة، ويظهر سلس البول، وسلس الغائط أحياناً، والترجّح. وينمّي الطفل في بعض الحالات تصرّفاً عدوانياً ذاتياً (يصدم رأسه بقائمة السرير صدماً إيقاعياً، أو ينتف خصلات من شعره). وبرهن رونه سبيتز (1887 -1974) أهمية علاقة جيّدة بين الأم والطفل وأضرار القصور العاطفي الأمومي. فدرس على وجه الخصوص جماعتين من الأطفال ترعرعوا في مؤسسات مختلفة ولكنهم كانوا يفيدون من شروط مادية متساوية. تضمّ الجماعة الأولى 91 رضيعاً من بيت أطفال، أشرف على تربيتهم أشخاص مؤهّلون، ولكن بعدد قليل، لأن كل مربية كانت تضطلع بمسؤولية 7 أو 8 أطفال. وكانت الأمهات السويات من الناحية النفسية، يأتين لإرضاع الرضّع خلال الشهرين الأوّلين أو الثلاثة أشهر الأولى. وكانت الجماعة الثانية تحتوي 69 طفلاً تُعنى بهم أمهاتهم، الجانحات أو البغايا، الضعيفات من الناحية العقلية على الغالب، المسجونات في إصلاحية. واكتشف سبيتز، والفحص المنتظم يتناول هؤلاء الرضّع جميعهم، أن أطفال الجماعة الثانية كانوا ينمون نمواً سوياً (حاصل النموّ المتوسط: 101 في الأسابيع الأولى و 105 في نهاية السنة الثانية) في حين أن حالة أطفال الجماعة الأولى كانت تزداد سوءاً بالتدريج: حاصل نموّهم في روائز الرضّع كان قد هبط من 124 إلى 72 في نهاية السنة الأولى، وإلى 45 في نهاية السنة الثانية. واستطاع سبيتز أن يتبع حالة 21 طفلاً من أطفال الجماعة الأولى حتى السنة الرابعة. فواحد منهم فقط كان يركّب جملاً، 5 لايقولون سوى كلمتين، 6 لاينطقون أي كلمة، 15 كانوا غير نظيفين تماماً، 20 كانوا لايزالون عاجزين عن

ارتداء ثيابهم وحدهم. ولكن الأخطر من ذلك أيضاً إنما هو أن 34، من 91 طفلاً من بيت الأطفال، ماتوا قبل بلوغ السنة الثانية من عمرهم (أي 37,3 بالمئة)، في حين أن أية حادثة موت لدى رضع المعتقلات في الإصلاحية يؤسف لها لـم تحدث في الفترة الزمنية نفسها، وأن اثنين من 220 طفلاً من بيت الأطفال في الإصلاحية ماتا في السنة الرابعة من عمرهما. وكان باحثون آخرون قد أكّدوا الأهمية الحيوية للأم. مثال ذلك أن أ. أويماد (1974) أشار إلى أن نسبة وفيات الرضّع العجايا كانت قد بلغت في نيجيريا من 13 إلى 68 بالمئة، وهي أكثر النسب، التي تصيب الرضّع في عمرٍ أقل من ستة أشهر، ارتفاعاً. وثمة مع ذلك حالات يفرض نفسه فيها الانفصال عن الأم والوسط الأسري (خلال دخول الأم مشفى على سبيل المثال). وينبغي عندئذ تحضير الطفل لهذا الاختبار بغية تقليص القلق الناجم عنه قدر الإمكان. ويُتاح للأم، في بعض المشافي، أن تظلّ قرب صغيرها. ولكن بوسعها دائماً، إن كان ذلك متعذّراً، أن تترك له شيئاً شخصياً (محرمة على سبيل المثال يمكنه أن يتعرّف الأم من رائحتها) وأن نجعله يكثر من زياراته. ويبذل مسؤولو الحاضنات الطبية جهداً متعاظماً، بغية تقليص مفعولات عَوَز الأم والقلق الناجم عن التغيّرات، ليعهدوا العناية بالطفل إلى فريق من الأشخاص عددهم قليل جداً طوال مدة إقامتها في المشفى.

وكوّنت المفعولات الطويلة الأجل، مفعولات عَوَز الأم المبكّر، موضوع عدّة دراسات، ولاسيّما دراسات جون باولبي وأنّا فرويد (1895 -1982). وأثبتا، إذ حلّلا التواريخ الشخصية لراشدين ومراهقين غير متكيّفين، أن بعض التصرّفات المعادية للمجتمع (سرقة، وبغاء القاصرات على وجه الخصوص) كانت أكثر تواتراً لدى الأفراد المصابين بالعوز الوجداني في طفولتهم منها لدى الذين كانوا قد ترعرعوا في أسرة سوية، بأربعة أضعاف أو خمسة، لكن بعض المؤلفين كانوا قد عارضوا هذه النتائج، مؤلفين يعتبرون، مثل ر. جـ. أندري، أن الشروط الاجتماعية الاقتصادية أو حضور الأب يتدخّلان على نحو حاسم في نشوء

الجنوح. وهناك بعض سمات الطبع موجودة على الأقلّ، وجوداً منتظماً إلى حدّ كاف، لدى الأشخاص الذين عانوا عَوَزَ الأم. وهذه السمات هي، على وجه الخصوص، بحث عن المحبّة، وحاجة دائمة إلى تلقّي البراهين على الحب، يرافق ذلك، بوصفها نتائج، تبعية إزاء الغير، وصعوبات في العلاقات بين الشخصية، واحتمال العجز عن تأسيس منزل متناغم. ونحن صادرنا حتى هنا على أن الأم أم صالحة، قادرة على أن تقيم «علاقات جيّدة» مع طفلها. وكل منا يعلم أن هذه الحالة ليست هي الحالة الدائمة وقد يحدث ألا تحبّ أم رضيعها، وتسيء معاملته أو تهمله. وتستشعر بعض النساء صغيرهن أنه «شيء سيّء»، «شيء مضطهد»، وتنبذه هؤلاء النسوة نبذاً قطعياً. فالعنايات التي يوفرنها له نادرة أو لاتكاد تكون كافية، يقمْنَ بها على مضض، تحت ضغط الحاجة وضغط محيطهن. ولهؤلاء النسوة على الأغلب شخصية سيكوباتية. وأخريات ثنائيات المشاعر: إنهن يلاطفن طفلهن تارة، ويجهلنه تارة أخرى. فهنّ على وجه العموم نساء غير راضيات وغير ناضجات، ولديهن ميول اكتئابية قوية. وبعضهن، أخيراً، اللواتي يشعرن بالإثم لأنهن لايحسسن بأي حنان لهذا الموجود الصغير المولود من لحمهم، يحطنه بعناية مفرطة، ويحمينه حماية مغالية، ويعشن ويجعلنه يعيش في حالة من القلق شبه الدائم. فيذوي الرضيع، إزاء مثل هذه الاتجاهات، ويصبح ناقص التوتّر، ويعرض كل علامات العوز الأمومي. فعزله عن الأسرة وتكفّل مرضعة محبة به هما الأمران النافعان. والواقع، كما يلاحظ س. بونّته ومعاونوه (1970)، أننا «نشهد، في نهاية بعض الأسابيع، تسارعاً مذهلاً في زيادة الوزن وسرعة النموّ، في حين أن اضطرابات الطبع تضعف، وتتحسّن أداءاته العقلية، ويختفي السُعار والعُطاش والاضطرابات الهضمية. والعودة المحتملة للشروط البدئية لتربية الطفل يليها، على العكس، تباطؤ مباشر على وجه التقريب لضروب التقدّم التي أنجزها» (ص. 184). وقام البرهان على أن الطفل يحتاج إلى «أم صالحة» لينمو نمواً منسجماً. فكل التنبيهات الجسمية، وكل المداعبات، وكل الابتسامات التي يتلقّاها منها،

ضرورية كالغذاء الذي تقدّمه له بالقدر نفسه. إنه يحتاج إلى أن يسمع كلامها، وضحكتها وأغانيها، ويشمّ رائحة جسمها، ويحسّ بحرارة حبها. إن «كمية الألعاب، والرفاه المادي، والعنايات الدقيقة في الغذاء والصحة، قليلة الأهمية. فلا شيء يمكنه أن يعوّض هذا الاتّصال. وهذا التبادل الوجداني يمكنه وحده أن يحول رضيعاً إلى فرد ذكي مندمج اجتماعياً». (ر. سبيتز، 1949). وبوسعنا أيضاً أن نضيف أن الحيوانات نفسها تحتاج إلى مثل هذا الاتّصال لتكبر وتصبح اجتماعية. وسواء كانت الفئران هي المقصودة، أو الكلاب، أو الهررة، تتوافق كل التجارب في هذا الأمر. ففئران المخبر التي يداعبها أحدهم عشر دقائق يومياً هي أكثر مقاومة للأمراض والصدمات النفسية، وتتعلّم تعلّماً أسرع من الفئران التي تترعرع منعزلة (وينَنْجَرْ، برنْشتاين، 1956). والكلاب التي تُربى في عزلة كاملة عن أمهاتها تصبح بليدة وغريبة وتبدو عاجزة عن التعلّم، يلاحظ عالم النفس الكندي دونال أولْدينغ هيب (مولود عام 1904)، وتصبح قرود الماكاك الهندية الصغيرة، بعد ستة أشهر من العزلة، غير متكيّفة كلياً مع حياة الجماعة، مع مثيلاتها، وتكون عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد هجمات هذه المثيلات. وعاين بنفسه عالم البيولوجيا الفرنسي بيير بول غراسّه (مولود عام 1895)، الذي تابع تربية رضّع شَمْبانزي وغوريلا، «إلى أي حدّ تؤثّر المداعبات والعنايات في مزاج القرد الصغير كما في نموّه الجسمي. وينبغي أن ينحني الوجه الضاحك نفسه على الحيوان، وأن ترفعه من مهده بحذر تلك اليدان نفساهما. كل ذلك يحمل اسماً: الأم». (انظر في هذا المعجم: **الاكتئاب الاعتمادي، الارتباط [التعلّق]، الأم، الطفل غير المرغوب**).

N.S.

القضيب

F: Phallus

En: Phallus

D: Phallus

تمثيل مجازي لعضو الذكر في حالة الانتصاب.

في العصور القديمة، كانت عبادة القضيب بوصفه رمز الخصوبة والقوة فوق الطبيعية موجودة لدى ديانات عديدة. مثال ذلك أن ضروباً مرسومة أو منحوتة من القضيب كانت تُحمل في احتفال مهيب ويُطاف بها في أعياد ديونيزوس.

وفي التحليل النفسي تمييز بين مصطلح عضو الذكر ومصطلح القضيب، إذ يدلّ الأول على عضو الذكر في واقعه المادّي ويدلّ الثاني على الوظيفة الرمزية التي يؤدّيها. ويشغل القضيب بوصفه «دآل الرغبة»، في نظرية جاك لاكان (1901-1981)، موقعاً مركزياً. (انظر في هذا المعجم: **عقدة الخصاء، الرغبة، عقدة أوديب، المرحلة القضيبية**).

N.S.

القطاع

F: Secteur

En: Sector

D: Sektor

تقسيم مصطنع لمنطقة يعمل فيها فريق طبّي اجتماعي واحد.

يوجد في فرنسة أطباء نفسيون يمارسون مهنتهم ممارسة عامة، موظّفو الدولة، وأطباء نفسيون ذوو ممارسة خاصة، يمارسون فنّهم وفق نمط حرّ. والطبيب النفسي العام، في بلادنا، منظّم في الوقت الراهن وفق نظرية جديدة هي نظرية «التقسيم إلى قطاعات»، من شأن الفريق نفسه بحسبها أن يتكفّل بوقاية المرضى العقليين، والكحوليين، والمدمنين على المخدّرات السامّة، ومعالجتهم والعناية بهم بعد المعالجة، هؤلاء جميعهم يسكنون عادة في قطاع جغرافي محدّد. فقطاع من الطب النفسي للراشدين يشمل نطاقاً يعيش فيه نحو ستين ألف ساكن؛ ويحتوي شبكة من القطاعات للطب النفسي «الطفلي - الشبيبي» قطاعين أو ثلاثة من القطاعات السابقة.

والفائدة المزدوجة من التقسيم إلى قطاعات تأمين استمرار العنايات السيكولوجية والطبية النفسية لمريض حسّاس على وجه الخصوص من وجهة النظر الوجدانية، تأمين يؤدّيه فريق واحد من الاختصاصيين، وصيانة الصلات والعلاقات التي يقيمها الفرد مع وسطه الحياتي المألوف صيانة إلى الحدّ الأقصى. ولكن الفريق يقتضي، حتى يحقّق هذا المشروع، بنية تحتية وممارسين ذوي تكوين سيكولوجي على وجه الخصوص. والإدخال الكلاسيكي إلى الاستشفاء، سواء

حدث في مشفى عام، أو مركز علاج نفسي، أو في عيادة الطب النفسي، لم يعد سوى إمكان من كل الإمكانات التي تتوافر للطبيب النفسي. وبمتناوله في الواقع وسائل أخرى تتيح له أن ينوّع عمله تبعاً لقدراته، للحاجات وللحالة العقلية الراهنة لكل مريض. فهذا المريض الذي يمكنه الاستمرار في عمله أو استئنافه، ولكن عليه أن يظلّ تحت المراقبة الطبية، سيُوجّه نحو «مشفى ليلي»؛ وذاك المريض الآخر الذي تقتضي حالته أن يتردّد على جماعات العلاج النفسي، على سبيل المثال، سيذهب على العكس إلى «مشفى نهاري»؛ ويُنصح بعضهم تسجيل أسمائهم في ورشة علاجية، وآخرون يُقبلون في «مركز عون بالعمل». ويتيح دخول المشفى جزئياً تكيّف أو إعادة تكيف المريض مع محيطه (وتكيف المحيط معه)، بفعل التناوب الذي يؤسّسه هذا الدخول الجزئي إلى المشفى بين الوسط الطبيعي والوسط العلاجي. ويسهم التحالف العلاجي الذي يقوم فعلياً بين أعضاء المحيط والفريق الطبي الاجتماعي، إسهاماً خاصاً، في أن يقلّص مظاهر الرفض الذي عانى منه المرضى العقليون معاناة كبيرة، إن لم يستأصل مظاهره استئصالاً كلياً. وييسّر هذا التحالف أيضاً معالجة هؤلاء المرضى في المنزل، انطلاقاً من المستوصف، ويتيح تسوية بعض المشكلات التي تطرحها حالات الأزمة، دون اللجوء إلى الدخول الكامل إلى المشفى. أضف إلى كل هذه البنيات، بنيات الاستقبال والعنايات، «نوادي أوقات الفراغ» التي بفضلها يكون لدى المرضى القدماءوأعضاء الفريق المعالج إمكانات الوجود معاً والمحافظة على علاقات الصداقة. (انظر في هذا المعجم: **الورشة المحميّة [ورشة العون بالعمل] الإدخال إلى مشفى الطب النفسي، علاقة الطبيب والمريض، الطب النفسي**).

M.BR.

القطيعية

F: Grégarisme
En: Gregariousness
D: Herdeninstinkt

ميل إلى التجمّع، إلى الحياة في جماعة.

يتحرك السمك أسراباً؛ ويتجمّع سمك الشبوّط عشرات ليقضي الشتاء في سُبات، إذ يغوص في الإناء؛ وبعض فراشات الليل الأوسترالية تتجمّع آلافاً لتصطاف في المغاور؛ والجراد المهاجر يطير جماعات كبيرة من مناطق منشأ تجمّعها، إلخ. ولمتعضّيات عديدة ميل إلى أن تتجمّع قطعاناً مع متعضّيات أخرى من نوعها. وترتكز هذه الجاذبية المتبادلة على تنبيهات حسّية مختلفة؛ فالرؤية تسود لدى الأسماك والطيور، والرائحة لدى الحشرات وثدييات عديدة، والسمع لدى الجراديات وبعض القرود، إلخ. والجاذبية البينية هي الأساس الأول للحياة الاجتماعية لدى الحيوانات. إنها توجّه التقارب وتكوين الثنائي الذي ينفذ إلى الحياة الأسرية، وتوجّه خلق الجماعات الاجتماعية المنظّمة قليلاً أو كثيراً. ونجد لدى الإنسان أيضاً هذا الميل إلى التجمّع. ويلاحظ لدى الأطفال الصغار إلى درجة محسوسة عندما يجتمعون، ولكنه يلاحظ على نحو أكثر بروزاً لدى الأطفال الأكبر عمراً، خلال نشاطات جماعية؛ أما الراشدون، فإنهم يستمدّون إشباعاً واضحاً من مشاركتهم في حياة الجماهير. ومن الممكن أن يتغذّى هذا الميل من واقع مفاده أن الانتماء إلى جماعة يعزّز عاطفة الأمن الشخصي؛ ولكن الجاذبية المتبادلة ربما ترتبط أيضاً بأن الموجود الإنساني قد أضفى القيمة إضفاءً كبيراً على وجه وشخص أعضاء محيطه، الذين كان أمره يعود إليهم كلياً. (انظر في هذا المعجم: **الجاذبية بين الشخصية، الجماعة، النحن**).

N.S.

F: Anxiété **القلق**

En: Anxiety

D: Angstichkeit

حالة وجدانية تتميّز بعاطفة من انشغال البال، وفقدان الأمن، والاضطراب المنتشر الجسمي والنفسي، وتوقّع خطر غير محدّد يقف الفرد أمامه عاجزاً.

يتميّز القلق من **الحصر**، الذي يُستخدم مرادفاً له على الغالب، بغياب التغيّرات الفيزيولوجية (إحساس بالاختناق، عرق، تسارع النبض. . .) التي لا تتخلّف في الحصر أبداً. ويحتلّ الفكر، في القلق، مكاناً أكثر أهمية من مكانه في الحصر، وهو الحالة الوجدانية الصرفة. فالمصاب بالقلق غير هادئ أبداً. إن وضعه يقلقه، ويتساءل إن كان كفياً في الحقيقة لينجز المهمة التي عُهد بها إليه، ويتجنّب أن يضطلع بمسؤوليات، خوفاً من عجزه عن مواجهتها؛ ويظهر خجله كأنه سلوك متكيّف يبتغي أن يتجنّب مفعولات القلق. فالحياة شاقّة، لأن الثقة بسلوك الآخر (أسرته، أطفاله) تنقصه أيضاً ويكثر من النصائح، والتوصيات، بل التوسّلات، التي يوجّهها لأولئك الذين يحيطون به. وتحاول عدة مدارس أن تشرح المثيرات المرضية للقلق، كل منها وفق مواقعها المذهبية؛ فبعضها، في عداد الأكثر أهمية منها، ذات النزعة الآلية والجسمية المنشأ بالنسبة للقلق (بريسّو، ف. هيكيل)، يشدّد على دور جملة العصب المبهم الودّي أو مراكز الدماغ المتوسط (ك. شنيدر) أو المراكز الدماغية البينية (غيرو)؛ والبعض الآخر، ذو النزعة السيكولوجية (فرويد) يشرح القلق بالإحباط الذي يعانيه **الليبيدو** وبممنوعات «الأنا العليا».

والقلق، بالنسبة للمحلّلين النفسيين، إشارة خطر موجّهة إلى الأنا- أي إلى الشخصية الواعية- التي يمكنها، إذ وصلت الإشارة على هذا النحو، أن تستجيب لها بإجراءات ملائمة أو بتجنيد آليات الدفاع لديها. وثمة نظرية سببية جديدة لهذه الظاهرة تتوطّد مع ذلك، نظرية يدافع عنها منظّرو التعلّم. فالقلق، في رأيهم، ميل مكتسب، ارتكاس شرطي للخوف».

ويمكننا تقييم القلق انطلاقاً من قياسات نفسية فيزيولوجية (تخطيط متعدّد الأقطاب، تخطيط عضلي كهربائي، تخطيط دماغي كهربائي، إلخ) أو من إجابات عن روائز الشخصية (تشخيص نفسي لرورشاخ، رسم مرآوي، استبانة). إن استبانة القلق الظاهر، استبانة ج. تايلور (خمسة عشر بنداً مقتبسة من M.M.P.I.)[*] تعطي، في رأي ر. ب. كاتّل و إ. H. شيير (1961)، قياساً جيّداً للاستعداد لمعاناة القلق. ونشر ر. ب. كاتّل أيضاً سلّم القلق، على صورة استبانة تتيح أن نبلغ بسهولة تقييماً صحيحاً لمستوى القلق لدى المراهقين والراشدين. (انظر في هذا المعجم: الانفعال).

N.S.

(*) - جرد متعدّد الأطوار للشخصية في مينيسوتا «م».

القنّب

F: Cannabis

En: Cannabis

D: Cannabis

بودرة نحصل عليها من أزهار القنّب الهندي وأوراقه وجذوره، بعد تجفيفها.

يمكن للمرء أن يدخّن القنّب أو يمضغه أو يخلطه بالحلويات والمشروبات أو بأغذية أخرى. الماريهوانا أو الماريجوانا (أوراق مجففة من القنّب الهندي، تُستهلك على شكل لفائف، فقيرة بـ القنّبية (أقلّ من 1 بالمئة) واستخدامها منتشر على وجه الخصوص في أوروبة وأمريكة. ولفيفة الماريهوانا تؤمّن الراحة والتواصل بين الشخصي. وستكون الإدراكات الحسيّة متفاقمة ويرافقها إحساس بالهناء والغبطة. ولاتسبّب الماريهوانا اعتياداً جسمياً، ولكن استخدامها يمكنه أن يكوّن درب الدخول في تسمّم محفوف بالخطر. وينجم، من جهة أخرى، عن دراسة أجرتها عام 1974 المؤسّسة من أجل البحث في بيولوجيا التكاثر بسان لويس (الولايات المتحدة الأمريكية) بالتعاون مع وليم ماسْترز (المولود عام 1915)، أن هذا المخدّر، الماريهوانا، يسبّب نقصاً كبيراً (44 بالمئة) من نسبة ألتستوستيرون في الدم ونسبة عدد الحيوانات المنوية لدى ثلث المدخّنين.

يُستخلص الحشيش من المادة الراتنجية لأزهار القنّب الهندي ومن أزهار قريبة من أزهاره. ويحتوي حتى 15 بالمئةمن المنتج الفعّال. وينتشر استخدامه على وجه الخصوص في بلدان الشرق والشرق الأقصى. ويثير ابتلاعه واستنشاق دخانه سكَراً

اغتباطياً وتواصلياً، وتنشيط المزاج، والفكر والحساسية، وتشوّهاً في إدراك الزمان والمكان، اللذين يصبحان أكثر اتّساعاً بمغالاة. ويمكن لجرْعات كبيرة من الحشيش أن تؤدّي إلى أزمات من فقدان الشخصية (التسمّم بالقنّب). ويسبّب استهلاكه لأجل طويل، ولو بجرعات معتدلة، حالة من الخمول والكسل، وتشوّهات في القصبة، وشيخوخة قبل الأوان، ونقصاً في دفاعات جهاز المناعة (جـ. ناهاس).
وأفضت عدة دراسات أمريكية إلى خلاصة مفادها أن الإفراط في استخدام القنّب يمكنه أن يزيد من عدم الاستقرار النفسي و «يقود إلى جنون أولئك الأفراد السريعي العطب». (انظر في هذا المعجم: **المغيّر النفسي، الإدمان على المخدّرات السامة**).

N.S.

F: Café

En: Coffee

D: Kaffee

القهوة

حبوب شجرة القهوة، التي تعطي شراباً مقوّياً بعد تحميصه، ثم طحنه ونقعه بالماء الساخن.

كانت القهوة قد أُدخلت إلى فرنسة عام 1643. وأصبحت القهوة، بعد أن كانت وقفاً على زبُن ميسورين، بمتناول طبقات المجتمع كلّها، وانتشرت في الأوساط الاجتماعية جميعها. إنها تحتوي الكافيئين، الذي ينبّه المراكز القشرية، يزيد التيقّظ، ينقص أزمنة الارتكاس، يسرّع الإيقاعات القلبية والتنفسيّة، ويزيد الإفراز المعدي والتوتّر العضلي. والإسراف في تناول القهوة يحدّد ضرباً من التسمّم، الكافيئية، التي تظهر بخفقانات القلب، والأرق، وقابلية التهيّج، والتقلّصات العضلية اللاإرادية، والصداعات، وفقدان الشهيّة الجنسية في بعض الحالات. ويزيد الكافيئين أيضاً احتمال احتشاء العضلة القلبية. وتبيّن دراسة أجراها هـ. جيك ومعاونوه، تناولت 12759مريضاً داخل المشافي، منهم 440 كانوا يعانون احتشاء العضلة القلبية، أن هذا الاحتمال أكثر ارتفاعاً لدى مستهلكي القهوة بدءاً من ستة فناجين يومياً (الصحيفة الطبية لانغلترا الجديدة، 1973، 289 [2]، 63-67). والقهوة ممنوعة أيضاً، منعاً قطعياً، على المرضى المصابين بالزرَق (مرض عيني يتميّز بازدياد الضغط ونقص في حدة البصر والحقل البصري) الحسّاسين جداً لكل المحرّضات العصبية. ولايسبّب استخدامها المعتدل، لشخص في صحة جيدة، أي مفعول مؤذ.

N.S.

قواعد الصحة العقلية

F: Higiène mentale

En: Mental hygiene

D: Psychohygiene

فرع من الفاعلية الطبية السيكولوجية يدرس ويستخدم كل الوسائل الخاصّة بالمحافظة على صحة الفكر والتوازن الوجداني.

وُلدت فكرة قواعد الصحة العقلية في الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1960، بدافع من مريض تمّ شفاؤه: كليف و. بيرز. إن إدوار تولوز (1865 -1947) هو الذي أسّس، في فرنسة، أول مستوصف للوقاية الصحية العقلية. ولدوائر الصحة العقلية، في أيامنا هذه، فاعليات متنوّعة. إنها تتفرّغ أول الأمر لـ دراسة أسباب الاضطرابات العقلية: الوراثية، الاجتماعية الاقتصادية (مسكن، بطالة، شروط العمل)، التربوية، الثقافية (أوقات الفراغ) أو الفردية (إدمان على المخدّرات السامة، كحولية). وتسهم في إعلام الجمهور بالمحاضرات، والنشرات، والمناقشات في الجماعة، التي تتناول مشكلات كالكوارث الاجتماعية، والتخلّف العقلي، والإخفاق المدرسي، والخلاف بين الزوجين، إلخ. وإحدى مهمّاتها الأساسية هي الكشف أيضاً عن اضطرابات السلوك والشخصية لدى الأطفال والمراهقين ومعالجتها المبكّرة. وتؤمّن أخيراً، منذ تأسيس قطاعات الطب النفسي وبفضل ضروب التقدّم في المعالجة الكيميائية التي تتيح إعادة المرضى العقليين إلى أسرهم، استمرار المعالجة حين تتيح للفريق الطبي السيكولوجي متابعة المرضى مجانياً وبانتظام. وتقتضي دائرة قواعد الصحة العقلية، حتى تؤدّي دورها تمام

الأداء بوصفها مركز صحة عقلية أو مركز عون سيكولوجي، وسائل كثيرة وموظفين مؤهلين. ينبغي أن يكون عدد الأطباء، وعلماء النفس، والمربين، والمساعدين الاجتماعيين، كافياً ليواجهوا طلباً كبيراً بازدياد، مواجهة ناجعة. إن عدد الاستشارات الفردية، في فرنسة، أصبح ضعفين على وجه التقريب، إذ انتقل من 577403 إلى 1040760. وعدد المرضى العقليين الخارجين من المشافي ويتبعون معالجة جوّالة انتقل، في المرحلة المشار إليها، من 43848 إلى 84,316.

وينبغي أن تكون دائرة قواعد الصحة العقلية مزوّدة بموظفين، وأماكن وتجهيزات ضرورية لتستجيب لحالات الطب النفسي المستعجلة وتستقبل الأشخاص الذين يمرّون في حالة ضيق معنوي. وبوسع المرء أن يتصورّ خدمة دائمة تعمل مساء، بعد ساعات العمل، بل في أثناء أيام العطل. وهذه الخدمة ستكوّن في الوقت نفسه تلك القاعدة التي تتنظّم بحسبها فاعلية فرقاء الاستشفاء في المنزل، إذ أن لهذا النمط من العناية ميزة مفادها أنه يتكفّل بالمريض ويقدّم دعماً سيكولوجياً لأعضاء محيطه. (انظر في هذا المعجم: **مضاد الذهان، القطاع**).

N.S.

القياس

F: Mesure

En: Measurement

D: Messung

وسيلة تقييم ومقارنة.

نقول، إذا كان لدينا مجموع من العناصر التي يمكنها أن تكون أشياء، منبّهات، محاضر إجابة، أفراداً، إلخ، إننا ندخل قياساً لهذه الأشياء إذا قرنّا كل عنصر منها بعدد واقعي أو، بعبارة أخرى، إذا حدّدنا تطبيقاً للمجموع في مجموع الأعداد الواقعية. أضف إلى ذلك أن هذا التطبيق نختاره على نحو يحافظ على البنية المفترضة لهذا المجموع ويعبّر عنها؛ وإذا أردنا توضيح علاقة بين هذه العناصر، فإننا نقرنها بأعداد تمثّل هذه العلاقة نفسها؛ مثال ذلك أننا نقرن أعداداً متزايدة أو متناقصة بمجموع مفترض أنه ترتيبي.

ومن الممكن ألا يكون هذا التطبيق موجوداً؛ فبنية غير متعدّية، على سبيل المثال، لاتقود إلى تمثيل عددي، ولا يمكننا عندئذ أن نتكلّم على قياس. ومن الممكن ألا يكون التطبيق وحيداً، كما هو الأمر عندما نرغب التعبير عن علاقة ترتيب؛ والمفيد عندئذ أن نعرف مجموع التطبيقات المقبولة وطريقة الانتقال من أحدها إلى الآخر.

ونرى أن الخصائص الوحيدة ذات العلاقة الوثيقة بالموضوع، من خصائص الأعداد الواقعية، هي الخصائص التي تكون ترجمات لخصائص عناصر المجموع.

ونحصل على مستويات من القياس أعلى أكثر فأكثر كلّما استرعت انتباهنا خصائص الأعداد ذات الصلة الأكثر وثاقة بالموضوع.

والمستوى الأدنى هو المستوى المسمّى **السلالم الاسمية**، حيث الفَرَض الوحيد لوجود فئات التكافؤ مصنوع في مجموع العناصر؛ وتُستخدم الأعداد أرقاماً لتحديد الفئات. وعندما تتكوّن هذه الفئات من أعداد، يصبح ممكناً إجراء الإحصاء، ولكن ترسانة الطرائق التي يمكننا استخدامها فقيرة. وبوسعنا في أفضل الأحوال، أن نحدّد المنوال (أو قيمة المتغيّر بالنسبة للفئة ذات التواتر الأكبر)، وبعض الإحصاءات، إحصاءات التمييز، مثل **الأنتروبيا H**، والمعامل بين المتغيّرات الاسمية.

ثم يأتي مستوى **السلالم الترتيبية**، عندما نحقّق، مفترضين أن لمجموع العناصر علاقة ترتيب، تطبيقاً لهذا المجموع في مجموع من الأعداد الواقعية يحتفظ بهذا الترتيب. وإذا كان ثمة تطبيق ملائم، فثمة تطبيقات لايُحصى عددها؛ فكل وظيفة متصاعدة من سلّم ترتيبي هي سلّم ترتيبي أيضاً. ونعترف عند الاقتضاء أننا على المستوى الترتيبي بعد الانتهاء من امتحان الاختيارات التعسفية في أنماط جمع المعطيات. مثال ذلك أننا، لنقيّم مهارة معيّنة، نبني رائزاً؛ ونختار البنود، والعدد، وزمن تطبيق الرائز، إلخ. فثمة ضرب من الاعتباطي في هذه الاختيارات. ونحن، في تجربة، نختار المنبّهات، وشكلها، وشدّتها، ومكانها، والأجهزة يمكنها أن تكون أشياء أخرى في قياس معيّن. ومن المؤكّد أن كل هذه الأنماط ثابتة مبدئياً حتى يكون بإمكان شخص آخر أن يباشر جمع المعطيات، ولكن في هذا التثبيت ضرباً من حرية التصرّف. فبعض التعديلات قد تغيّر أعداد المعطيات المجموعة. وإذا كان معقولاً أن نفكّر بأن تعديلات مقبولة لهذه الأنماط الاعتباطية، مع تعديل المعطيات العددية الحاصلة في الوقت نفسه، لايغيّر ترتيبها، فإن هذه المعطيات العددية ستكون معتبرة أنها تنتمي إلى سلّم ترتيبي. فثمة معنى، في هذا المستوى من القياس، لكل المفاهيم والطرائق الخاصة بـ **الترتيبات**، **الوسيط**، ومفهوم

التعيير، ومعامل الترابط بين الترتيبات؛ وكذلك بغالبية الاختبارات المسماة غير قياسية.

ولدينا، في مستوى أعلى من القياس، **سلالم الأعداد الأصلية**؛ ونعتبر أن مجموعاً (لامتناهياً) من العناصر ذو علاقة ترتيبية دائماً، ولكنه بالإضافة إلى ذلك يكون للانحرافات بين عنصرين من عناصره معنى وبينهما علاقة ترتيب؛ ونفترض وجود تطبيق لهذا المجموع في مجموع من الأعداد الواقعية، بحيث أن العلاقات الترتيبية (بين العناصر والانحرافات) تكون مرئية في المجموع العددي بالتباينات الموجودة بصورة طبيعية بين الأعداد واختلافاتها.

وإذا كان مثل هذا التمثيل موجوداً، فهو غير وحيد؛ وكل وظيفة خطية متنامية منفّذة على السلّم ملائمة أيضاً. وبوسعنا أن نبيّن، بواسطة شروط واسعة جداً، أن الوظائف الخطّية المتنامية هي الوحيدة الملائمة.

ولننقل ما كان قد قيل فيما سبق، فإننا سنسلّم أننا على مستوى الأعداد الأصلية إذا كان معقولاً أن نعتقد أن التعديلات المقبولة للأنماط الاعتباطية في جمع المعلومات لن تغيّر ترتيب مقادير الفروق بين عددين أو، وذلك أمر مكافئ، أنها تظهر بتحول خطّي متنامٍ يُنفَّذ على المعطيات. مثال ذلك أننا ينبغي، في حالة رائز يتألف من أسئلة، أن نتأكّد أن إضافة سؤال أو إلغاء آخر لايغيّر ترتيب الفروق في العلامات بين الأفراد أو ينيب مناب العلامات قيم وظيفة خطّية متنامية لهذه العلامات.

وعندما تكون المعطيات على مستوى الأعداد الأصلية، نقول أيضاً إن هذه المعطيات تنتمي إلى **سلّم فواصل**. ونحدّد تطبيقاً خاصاً إذ نعيّن العناصر التي صورها العددية هي العددان 0 و 1 ونقول إننا نثبّت منشأ السلّم ووحدته، وهما اعتباطيان بصورة قبلية.

وثمة معنى لكل المفاهيم والطرائق المحدّدة في الإحصاء الكلاسيكي (المتوسط، معامل الارتباط، إلخ).

أضف إلى ذلك أننا نقول، عندما يكون المنشأ محدّداً ووحدة القياس وحدها اعتباطية، إن القياس شافل أو إن المعطيات تنتمي إلى **سلّم علاقات**. ويحدث الأمر على المنوال نفسه عندما نعزو معنى إلى عنصرين من مجموع لنكوّن عنصراً ثالثاً من المجموع نفسه (كما هو الأمر بالنسبة للكتل). (انظر في هذا المعجم: التشتّت، التوزيع، الانحراف، المتوسط الحسابي، المتغيّر).

J.M.F.

قياس الزمن

F: Chronométrage

En: Timing

D: Zeitnchmen, Zaitmessung

قياس الزمن المستخدم لإنجاز عمل.

قياس الزمن، المخصّص لتنظيم العمل على نحوٍ علمي، كان العنصر الرئيس في التيلورية. فـ«الأزمنة الأوليّة»، المحدّدة بتفكيك مختلف العمليات منهجياً، تُضاف إليها «الأزمنة الضائعة» التي تمثّلها التوقّفات والاستراحات الضرورية، تعطي الزمن الكلّي الذي يستغرقه عامل موهوب بصورة عادية، المدرّب والمتكيّف جيّداً، لينفّذ مهمة محدّدة. وتُستخدم هذه السرعة قاعدة لحساب العمال الآخرين الذين يقومون بالعمل نفسه. واتّهم بعضهم هذا النظام أنه لايأخذ بالحسبان امكانات الفرد الواقعية، كل فرد، وأنه مصدر تعب للعامل وإنهاك. ويكمن الاتجاه الحالي في تحديد الأزمنة الضرورية، لا من أجل قياس مباشر، بل بواسطة قياسات للزمن مسبقة، كالقياسات التي تذكرها جداول الـM.T.M. (**طريقة قياس الزمن**)، التي وضعها هارولد ب. مينار، غ. جـ. ستيجيميرتان، جـ، - ل. شْوُوبْ (1952). وتتيح هذه الجداول معرفة الزمن الضروري لتنفيذ مهمة قبل إنجازها. ومعرفة الأزمنة الضرورية لكل عملية من سيرورة الصنع تتيح توازن الأعباء في مراكز العمل، وتقليص أزمنة التداول للمادة، ووضع تقييمات مفضلة بدقّة أكبر.

(انظر في هذا المعجم: **تحليل العمل، إيقاع العمل، التنظيم العلمي للعمل**).

N.S.

القياس السيكولوجي

F: Psychométrie

En: Psychometrics

D: Psychometrie

زمرة من التقنيات، أغلبها من طبيعة إحصائية، تتيح دراسة مجموعة من المتغيّرات السيكولوجية.

لم يكن بوسع علم النفس، شأنه شأن الفروع العلمية كلها التي توصّلت إلى حالة من النضج، أن يرفض المنابع المفاهيمية والطرائقية التي يوفرّها التكميم والقياس وتقدّمها البنيات الرياضية في الدرجة الدنيا حتى الوقت الراهن. فالمرحلة الأولى من العلم أرسطوطاليسية: نجمّع الحوادث الملاحظة بالتماثل (القياس)، ونصنّفها بالتشابه، ونحدّد نماذج (صفات مميّزة) و «نشرح» الظاهرات بربطها بهذه النماذج. والمرحلة الثانية، التي دخل فيها علم النفس نهاية القرن التاسع عشر (وندت، بافلوف، غالتون، سبيرمان، بينه، كاتّل، إلخ)، هي المرحلة الغاليلية؛ فلم يعد ثمة اقتصار على التصنيف؛ بل هناك بحث أيضاً عن إدراك الفروق الدقيقة، وتحديد الدرجات بين النماذج المتقابلة، ومعرفة تواتر الحالة، وتعيين الروابط- أو الترابطات- بين مجموعات الحوادث، واكتشاف بنية رياضية تحتية. فالشرح، في هذا المنظور، هو ربط ظاهرة بظواهر أخرى ترتبط بها هذه الظاهرة الأولى. والمغالاة في هذا الدرب - ذلك أنها واضحة في بعض الأحيان- هي هوس التكميم، بحسب مصطلح بيتيريم سوروكان (1889 -1968)، أو الإفراط في

إرادة إعطاء كل شيء رقماً، ذا الصلة غالباً بتفسيرات اعتباطية، بسبب غياب المهارة الكافية في خفايا الإحصاء.

وبصرف النظر عن التعسّفات الممكنة دائماً، يكوّن القياس السيكولوجي درباً من دروب علم النفس الكبرى. وحتى ندرك إدراكاً أفضل ماهو حقل تطبيقه، ينبغي أن نجعل مصطلح «القياس السيكولوجي» مقابلاً لمصطلح «التوصيف السيكولوجي» (كلاباريد) المتّصف أنه الطريقة التقليدية، الكيفية، الأدبية والفلسفية، في وصف الظاهرات السيكولوجية. ويظلّ هذا التصوّر الأخير أمراً لاغنى عنه لنموّ علم النفس، ولكن له جوانب موضع نقد: هوس البقاء في المبهم، واستخدام مفردات لايفهمها إلا الخاصّة، مفردات غير محدّدة على وجه الخصوص، ومعالجة المشكلات دون قصد حقيقي لحلّها.

وأي فرع من علم النفس غير مستبعد قبلياً من تقنيات القياس السيكولوجي؛ إنها، حتى الوقت الراهن، روائز الذكاء أو الشخصية (علم النفس الفرقي) التي كانت المستفيدة الرئيسة من هذه التقنيات؛ ولكن علم النفس التجريبي، دراسة النماذج السيكولوجية (ر. ب. كاتّل) والاتجاهات، يهيئان مكاناً متعاظماً للتعداد، والقياسات، والأنماط الرياضية، التي هي الأساسيّ في القياس السيكولوجي. (انظر في هذا المعجم: **التعبير بالأبعاد، القياس، الرسم البياني للقطبية، الإحصاء، الرائز، المتغيّر**).

J.M.M.

قياس العمل

F: Mesure du travail

En: Work measurement

D: Arbeitswert

تقييم مردود العمل.

هذا التقييم، المرتبط بالتنظيم العلمي للعمل، خاصّ، قبل كل شيء، بالأعمال التي تسهم في الإنتاج بالجملة. ويتيح تقسيم العمل إلى مهمّات بسيطة تقييم مردود عاملين وُضعا في شروط مماثلة، بالنظر إلى أن كل مهمّة منمّطة، أي محدّدة تماماً في مداها وفي طريقة تنفيذها. وتكمن الايديولوجيا التحتية لقياس العمل في أن أي شخص لايمنح الحدّ الأقصى من إمكاناته. فهناك بالفعل كبْح للإنتاج يرتبط، على نحو واضح قليلاً أو كثيراً، بالخشية من رؤية إيقاعات العمل تتسارع، وبالخشية من العجز عن متابعتها وفقدان الوظيفة. وقياس العمل، الذي ينطوي على معايير للعمل وقياس زمن العمليات، موضع منازعة، ذلك أنه يفترض، على وجه الخصوص، استقلال الأزمنة الضرورية لكل عملية، وذلك أمر يصعب الدفاع عنه. فثمة ميل إذن إلى أن يحلّ محلّه قياس عبء عمل، أي تقييم صرف الطاقة الضرورية لتنفيذه الجيّد. أما الأعمال اليدوية، فإن بوسعنا، على سبيل المثال، أن نحسب استهلاك الأوكسجين خلال عمل معيّن. وتوجد، للمهمّات التي تستعين بالتيقّظ على وجه الخصوص (أعمال الرقابة، والتحقّق والقياس)، مؤشّرات سيكولوجية تتيح تقييم العبء العقلي لموقع من المواقع.

وتميل ممارسة قياس العمل، على الرغم من الانتقادات الموجّهة إليها، إلى أن تشمل كل الميادين، بما فيها الإدارة ومخابر البحث. ويُقارن مردود كل فرد فيها، على سبيل المثال، بـ«رسم بياني متوسط» أو بمعايير للإنتاج: عدد الرسائل المكتوبة، والزبُن المستقَبلين، والصفحات المضروبة على الآلة الكاتبة، والصفحات المترجمة أو المنشورة. (انظر في هذا المعجم: **تحليل العمل**، **عبء العمل**).

Y.B.

قياس الكتابة

F: Graphométrie

En: Graphometry

D: Graphometrie

فرع معرفة موضوعه تحديد الثوابت في كتابة من الكتابات، وسماتها الخاصّة، وهدفه الخبرة وليس المعرفة السيكولوجية.

N.S.

القيمة المثلى للإثارة

F: Preferendum

En: Preferendum

D: Preferendum

قيمة مثلى للإثارة ناجمة عن عامل خارجي تُظهر مجموعة حيوانية تفضيلها له.

تتحدّد هذه القيمة تجريبياً بملاحظة الموقع النهائي الذي تتبنّاه مجموعة من الأفراد من نوع واحد في حقل يتوزّع فيه المنبّه المدروس (نور، حرارة، رطوبة، إلخ) وفق تدرّج تصاعدي، من الحدّ الأدنى إلى الحدّ الأقصى. وفي الطبيعة، تقع القيمة المثلى للإثارة في مجال التجمّع لنوع من الأنواع وفي الأماكن التي يتّسع هذا المجال فيها على نحو أفضل. وبيّن عالم النفس الأمريكي هرْبرْت سبنسر جانّينْغز (1868 -1947) أن المتعضّيات الأكثر أوليّة «تختار»، حتى هي، القيمة المثلى للإثارة، بعد تلمّسات متتالية، وتستقرّ على نحو انتقائي في المنطقة ذات العلاقة، حيث تسود درجة من الحرارة (thermopreferendum)، من الرطوبة (hygropreferendum) أو من الإنارة (photopreferendum)، التي تلائمها. (انظر في هذا المعجم: **الخمول، التوجّه المكاني لدى الحيوانات**).

N.S.

حــــرف
الكــاف

الكابوس

F: Cauchemar

En: Nightmare

D: Alp, Alpdruck

تطوّرت الكلمات الدالّة على الكابوس، في اشتقاقها، تطوراً كبيراً خلال السنين في لغات كثيرة. فبعضها اهتمّ بالضغط في الكابوس، وبعضها الآخر اهتم بالضاغط، شيطان شهواني حلّت محله عجوز تضغط. وبوسعنا أن نستمدّ من هذه الاشتقاقات تعريف الكابوس، كما أطلعنا عليه أمبروازباره (نحو 1509-1590): «يعتبر الأطباء أن الضاغط(incubus بالاتيني) شرّ، حيث يعتقد شخص أن حملاً ثقيلاً يضغط على جسمه ويكتم أنفاسه ويأتي خلال الليل على وجه الخصوص. يقول الرجل العاميّ إن ذلك هو عجوز ترهق الجسم وتضغطه.» فالأعراض العيادية للكابوس، كما جمعها أمْبروازباره في تعريفه، لم تتغيّر بالتأكيد مع القرون، ولكنها أفادت من إضافات إعلام أسهمت فيها تسجيلات المخطاط المتعدّد خلال النوم (غاستو، عام 1962 والأعوام التالية). ويبدأ الكابوس دائماً، وفق هذه التسجيلات، خلال طور النوم الأعمق، المتميّز في مخطاط كهربائية الدماغ بالموجات الأبطأ (الطور IV في رأي الباحثين في النوم)، ويؤدّي مباشرة إلى ارتكاس يقظة في تخطيط الكهربائي للدماغ، أي حلول إيقاع ألفا، الشبيه بإيقاع حالة التيقّظ المعتدل خلال اليقظة، محلّ الموجات الأبطأ من هذا النوم العميق. وعندما يتدفّق هذا الارتكاس، ارتكاس اليقظة، المسجّل على التخطيط الكهربائي للدماغ، بيقظة نفسية - وذلك أمر متواتر ولكنه غير إلزامي -، لايتذكّر الفرد أنه

رأى حلماً ويصرّح فقط أنه عانى حصراً رهيباً، يرافقه شعور بالضغط وشعور بالشلل يتموضعان، على تسجيل المخطاط المتعدّد الملازم، بعناصر تفريغ نباتي بالجملة ذي عنف لامثيل له: خفقان القلب وسرعة التنفس الحادّين مع وهن تالٍ (مسؤولة كلها عن الشعور بالشلل)، ارتفاع عنيف في التوتّر الشرياني وهبوط عنيف أيضاً في المقاومة الجلدية، إلخ. وتتيح هذه المعطيات كلها بالتأكيد أن نعتبر الكابوس، الذي لايُلاحظ إلا لدى الأفراد الذين يعانون عصاب الحصر، دون ترابط مع الهستيريا أو مع هذا الترابط، مجرّد أزمة حصر ليلي.

وبوسعنا، لشرح نشوء هذه الأزمات (غاستو، 1972,1968)، أن نسلّم بأن الفاعلية النفسية تدوم في أثناء كل النوم الليلي، ولكن الفرد لايتذكّرها إلا خلال أطوار النوم الخالية من الموجات البطيئة (الطور Iدون حركات عينية في الغفوة، الملائم لتخيّلات النعاس، والطور V مع حركات عينية، خاص بالحلم). وتدوم الفاعلية النفسية خلال أطوار النوم المتميّزة بالموجات البطيئة (الأطوار II، IIIو IV)، ولكن التذكّر يتعذّر تعذراً كلياً على وجه التقريب، وتخصّ، لهذا السبب، الامتثالات النفسية التي تحتاج، بوصفها مرتبطة بالنزاعات الوجدانية المكبوتة، إلى أن تكون محميّة من ضرب من احتياز الوعي. ولكن هذه الامتثالات، المحرومة من إمكانات الترميز، والانزياح، والتكثيف، الموجودة أيضاً في أحلام اليقظة والحلم وتحمي من الحصر، يمكنها، حتى عندما تطرأ خلال النوم الأبطأ والأعمق وتكون، لهذا السبب، لاشعورية بصورة كاملة، أن تبلغ، لدى بعض الأفراد، دلالة بحيث تسبّب تفريغاً عصبياً نباتياً بالجملة، مسؤولاً عن الكابوس الذي يمكننا التسليم، في نهاية المطاف، أنه يحدث عندما ينتهك تعاقب الأفكار السريع في النوم قوانين الرقابة ويمثّل رغبات الفرد الأكثر عمقاً من ناحية كبتها (غشيان المحارم، في رأي إ. جونز).

ويُستخدم مصطلح «كابوس» مع التوسّع، في بعض الأحيان، للدلالة على حلم مخيف «حلم حرب» على سبيل المثال. ومثل هذا الاستعمال تعسّفي للأسباب

التالية : 1) علم علامات الحلم المخيف، مع الصورة حامله، مختلف كلياً عن علم علامات الكابوس، الذي لاتزيّنه الصور أبداً، 2) الحلم المرعب، شأنه شأن الأحلام كلّها، يحدث دائماً خلال الطور V ترافقه حركات عينية سريعة، في حين أن الكابوس يحدث دائماً خارج هذا الطور، خلال طور IV من النوم أكثر بطئاً؛ 3)صور الحلم المرعب، كصور الأحلام كلها، يمكننا تذكّرها، وليست منيعة على الشعور، في حين أن الامتثالات النفسية للنزاعات الوجدانية المكبوتة التي تثير الكابوس لايمكننا تذكّرها وتظلّ خارج حقل الشعور. وهذا التمييز بين الكابوس والحلم المرعب، الذي كانت مدرسة مرسيلية قد اقترحته، على أسس موضوعية تعتمد على التخطيط الكهربائي للدماغ (غاستو)، كان ك. فيشر ومعاونوه (1968، 1970، 1973) قد استأنفوه في الولايات المتحدة، هؤلاء الباحثون الذين يميّزون ضرباً من الطور IV من الحلم المروّع (يقابل الكابوس بالمعنى الدقيق للكلمة) من ضرب آخر من الحلم المروّع (يقابل الحلم المرعب). وفائدة هذا التمييز الرئيسة تكمن، دون ريب، في أنها أسهمت في إيجاد قاعدة موضوعية، لاتقبل النقاش، لتمييز فرويد، الذي كان قد أقامه من قبلُ، بين الكابوس وحلم الحصر. (انظر في هذا المعجم: الحصر، الحلم، النوم، التيقّظ).

H.G.

الكاتاتونيا

F: Catatonie

En: Catatonia

D: Katatonie

الكاتاتونيا، التي وصفها للمرة الأولى ك. ل. كالْبوم، عام 1874، هي تجمّع من الأعراض أوهي تناذر يتميّز بما يلي:

(1) توقّف المبادرة التلقائية مع المحافظة على الأوضاع المفروضة من الخارج على الطرفين العلويين أو الطرفين السفليين أو حتى على الجزع: إنه التخشّب؛

(2) انعدام الحركة الخاص مع انثناء. فالفرد منكمش على ذاته، متكوّر في بعض الأحيان تماماً في وضع جنيني، ومنطوٍ على نفسه أحياناً، رأسه بين يديه كما أنه كان يعكف على تأمّل عميق (وضع المفكّر لروران)؛

(3) المحافظة على الوضْعات يمكنها أن تهيّئ مكاناً بصورة مفاجئة لوضع من تقلّص العضلات والمعارضة القوية التي تكوّن النزعة السلبية: يقاوم الفرد بكل قواه، بدلاً من أن يتبنّى الوضعات التي يُراد فرضها عليه.

ويظهر التخشّب Catalepsie في وضع الوقوف، على سبيل المثال، بواقع مفاده أن المريض يتقدّم إلى الأمام إذا دفعناه إلى الأمام، ويتراجع إذا دفعناه إلى الوراء؛ أما النزعة السلبية، فإنها، على العكس، تتجلّى بما مفاده أنه يقاوم إذا دفعناه إلى الأمام (نزعة سلبية لامبالية) ويتراجع أحياناً (نزعة سلبية فاعلة)، وإذا دفعناها إلى الوراء، فإنه يقاوم أو يمشي إلى الأمام؛

(4) حركات خاصة، آلية على الغالب، تتميّز بأزمات عصبية مخيفة ترافقها تومنات، إلتواءات، ووضع الذهول، وذراعان متصالبان أحياناً، أو بحركات آلية مقولبة (حركات ذراع توصيل، حركات آلة)، أو باندفاعات مباغتة، ذات مظهر عدواني أحياناً، تنطلق انطلاقاً مفاجئاً وتنقطع كذلك؛

(5) اضطرابات عضوية نباتية: إفراز غزير للُعاب يشكّل في بعض الأحيان بركة أمام المريض، شحوب خاص في الوجه (شحوب شبيه بالتراب مع انقباض العروق الذي يرافق توقّف حياة النظرة: سحنة الحلم أوسحنة الموت). اضطرابات وعائية حركية في الطرفين السفليين مع احمرار شرايين هذا الطرفين في وضع الوقوف، احمرار يصعد من القدم إلى الفخذ صعوداً تدريجياً، وبياض ناصع في وضع التمدّد جرّاء انسحاب الدم من الأوعية المتقلّصة. وكان جان كروك (1868- 1925) أول من وصف ازرقاق الأطراف. وصلابة الأوعية معروفة من زمن بعيد، ويجري الكشف عنها بتخطيط التحجّم. ومخطّط كهربائية القلب يمكنه أن يتغيّر؛ ويتغيّر الإيقاع التنفّسي. وتتشنّج أعضاء الهضم: المعدة والأمعاء. ويتغيّر التوازن الكيميائي للبروتيئيدات أو الترسّب أحياناً، إلخ. وتبيّن الفيزيولوجيا العصبية في النزعة السلبية تيّارات عمل تماثل التقلّص الإرادي، يمكنها أن تزول آنياً باليقظة (هـ. كلود، هـ. باروك وثيفينار)، ومنعكسات الوضعة الجسمية مصابة بالخلل، مع السمات النفسية ذاتها (دلْماس - مارْسيله)، والارتكاسات الدهليزية ملغاة أو منخفضة جداً (هـ. باروك، هـ. أوبري)، والأيْض القاعدي منخفض أحياناً (هـ. كلود، هـ. باروك، ميداكوفيتش)، إلخ. وكانت طبيعة هذا التناذر الغريب موضع البرهان بإيجاد الكاتاتونيا التجريبيةلدى الحيوانات بواسطة البولبوكابنين (هـ. دو جون، هـ. باروك، باريس، 1928)، بدراسة ارتكاساتها في السلسلة الحيوانية للفقريات، فالكاتاتونيا التجريبية لم تحدث إلا لدى الحيوانات المزوّدة بقشرة دماغية (هـ. بروك، هـ. دو جون، أمسْتردام، 1930). وبحسب الجرْعات المعطاة، نحصل إما على النوم، وإما على التخشّب. والكاتاتونيا التجريبية يمكننا الحصول عليها أيضاً بالذيفان الموجّه للعصب من العُصيّة القولونية المعوية

(هـ. باروك)، بمادة خاصة من صفراء التنبيب العَفَجي (هـ. باروك، ل. كاموس)، بالأمونياك (هـ. دو جون)، بالنيكوتين (هـ. دو جون)، بالأسيتيلكولين (هـ. دون جون).

والكاتاتونيا يرافقها الهذيان شبه الحلمي، الذي يشرح وضع المرضى الشاذّ. والمقصود، إجمالاً، تشكيلة من النوم الخاص جداً، نوم الإرادة الحقيقي، تحدّده منتجات كيميائية أو موادّ ذيفانية متحدّرة على وجه الخصوص من الجهاز الهضمي، مسمّاة باسم **سموم الإرادة**، مواد تسبّب على الغالب ضرباً من الهذيان شبه الحلمي. وتطوّر المرض يمكنه أن يكون عابراً أو دورياً (أوبريجيا، كلود وباروك، جيسّينغ)، وأحياناً أطول، وأحياناً مزمناً: الشكل الفصامي من الكاتاتونيا. (انظر في هذا المعجم: **فصام المراهقة**).

H.B.

الكاتيكولامين

F: Catécholamine

En: Catecholamine

D: katecholamine

مادة كيميائية أمينية، تأثيرها يماثل تأثير الجملة الودّية ويعارض تأثير الكولين وتأثير الجملة نظيرة الودية.

تؤدي الكاتيكولامينات دوراً هاماً في فيزيولوجيا الجملة الوعائية القلبية وفي الجملة العصبية، حيث تبدو أنها تقوم بوظيفة الناقل للوصلات العصبية. وعدد الكاتيكولامينات الطبيعية ثلاث: الدوبامين، النورادْرينالين (أو النوريبينيفرين)، الأدرينالين (أو الإيبينيفرين).

ويجري تركيب الكاتيكولامينات في العضوية بدءاً من التيروزين، مادة كيميائية يحتويها الكبد، والطحال، والبانكرياس. وتتحولّ هذه المادة، بفعل آلية كيميائية حيوية معقّدة، تحولاً متتالياً إلى دوبا (اختصار لـ هيدروكسيفينيلالانين)، ودوبامين، ونورْادرينالين، ثم أدرينالين.

ويحدث هذا التركيب الحيوي على مستوى النُسُج المختلفة: في عصبونات الجملة العصبية المركزية، حيث يتوقّف في مرحلة الدوبامين أو مرحلة النورادرنالين؛ وفي العقد، والتكونّات الودّية وكل الأنسجة ذات الإعصاب الودّي، حيث تبلغ على الأقلّ مرحلة النورَادرنالين، وأخيراً، في لبّ الكُظْر، حيث يتابع لدى الراشد حتى مرحلة الأدرنالين، الذي يمثّل أكثر من 5/4 من كلية الكاتيكولامينات الكُظْرية.

ويمكن، بفضل المجهر الألكتروني، متابعة تدرّج الكاتيكولامينات التي يعدّها الجسم الخلوي من الخلايا الوديّة. إنها تسير على طول المحوار، بسرعة 5 إلى10 ملم في كل ساعة، لتصل إلى حويصلات الوصلات العصبية للنهايات العصبونية، حيث يجري تخزينها. ويرتبط تحرير الكاتيكولامينات بالتنبيه العصبي للكظر أو الألياف الودية (المسمّاة أيضاً الألياف الأدرينالية الفعل). وتتفتح حويصلات التخزين نحو الوسط خارج الخلوي وتدع محتواها يفلت. وتلتقط عصبونات أخرى هذه المادة المحرّرة على هذا النحو، عصبونات يستقرّ معها ارتباط كيميائي حيوي. ويوجد، في الوقت نفسه، «إعادة التقاط» لجزء كبير من الناقلات العصبونية، بواسطة نهايات الوصلات العصبية. ويقود نظامان أنزيميان إلى عدم التنشيط البيولوجي للجزء غير المستخدم من الناقلات العصبونية: الكاتيكور-أوكسيميتيل-ترانسفراز (.C.O.M.T)، الذي يعمل على مستوى صوار الوصلات العصبية، والوحيد الأمين الأوكسيداز (.M.A.O)، أنزيم موجود في غالبية الخلايا وفي نهايات الوصلات العصبية.

ولاحظ هـ. لابوري، كونْز، ن. فاليت (1974) أن ثمة، خلال ارتكاسات الدفاع، زيادة في فاعلية الأدرينو-الودّي وتحرير الكاتيكولامينات الوديّة والكظرية. وعندما يستطيل على نحو مزمن هذا السلوك، سلوك الهروب أو الصراع، نلاحظ ولادة أمراض جسمية للجملة الوعائية الحركية، وفرط التوتّر أساسي بين هذا الأمراض.

ويتأكّد، في علم النفس الصيدلاني، وجود مثبّطات كالألفاميتيل-تيروزين (الذي يمنع تموّه التيروزين) وناقلات عصبونية مزيفة. وهذه الناقلات هي مماثلات بنيوية للنورأدرينالين، ويمكنها أن تحتّل مكانه في أمكنة التخزين، وأن تتحرّر بالسيّالة ضد فرط التوتّر.

أما المثبّطات، فإن بوسعها أن تؤثّر على حويصلات التخزين (النورادينالين يمكنه أن تحلّ محلّه أمينات ذات تأثير يحاكي التأثير الوديّ) أو على مستوى التركيب

البيـولوجي أيضاً، وعلى التحرير، وعلى التقاط الكاتيكولامينات أو تقويضـها (I.M.A.O).

ومن المناسب أن نلاحظ، من وجهة النظر العلمية، أن مثبّطات الكاتيكول - أوكسيميتيل- ترانسفيداز (C.O.M.T) غير مستخدمة في التقنية العلاجية، في حين أن مثبّط خميرة أوكسيداز وحيدة الأمين (I.M.A.O) مستخدم في التقنية العلاجية لمكافحة الذبحة الصدرية، وفي الحالات الاكتئابية أيضاً، مع أن استخدامه نادر. (**انظر في هذا المعجم: مثبّط خميرة أوكسيداز وحيدة الأمين (I.M.A.O)، مرض باركنسون**).

M.S.

كارْدينَر (أبرام) Kardiner (Abram)

طبيب نفسي ومحلّل نفسي وإتنولوجي أمريكي (نيويورك، 1891).

شغل كارْدينَر، بعد إقامة في فيينّة قرب فرويد، عدة مراكز في معهد التحليل النفسي بنيويورك، وعلّم في جامعتي كورنُويل وكولومبية (1923-1955)، ثم أدار عيادة التحليل النفسي في كولومبية من 1955-1961، وينذر نفسه بدءاً من هذا التأريخ للبحث. وعكف كارديو على بيان تأثير الثقافة في تكوّن الشخصية وصدى هذه الشخصية في الثقافة. ويميّز ضربين من المؤسسات: 1): **المؤسسات الأولية** (التنظيم الأسري، التربية) الحاسمة في علم النفس الفردي، ذلك أنها تسم الطفل بطابعها على نحو لايُمحى. والواقع أن الطفل يُساق إلى أن ينمّي بعض التصرفات بوصفها استجابة تكيّفية مع تصرفات أبوية، وهذه «الاتجاهات الأساسية» ستكون موجودة حتى نهاية حياته؛ 2): **المؤسسات الثانوية** (أساطير، فولكلور، معتقدات) التي تتّصف بأنها «منظومات إسقاط» للشخصية الأساسية المتكوّنة على هذا النحو. واستخدم كاردينر، في دراساته عدة قبائل هندية أمريكية، تقنيات علم النفس العيادي ومعطياته، كالتشخيص النفسي لرورشاخ، السيرة الذاتية، والتحليل النفسي. ونذكر من مؤلفاته: **الفرد ومجتمعه** (1939 الترجمة الفرنسية بعنوان: **الفرد في مجتمعه**، باريس، غاليمار، 1969)؛ **التخوم السيكولوجية للمجتمع** (نيويورك، كولومبية، مطابع الجامعة 1945)؛ مقال عنوانه: «المفهوم الأساسي لبنية الشخصية بوصفه الوسيلة الإجرائية في العلم الاجتماعي، في لنْتون، ر.؛ **علم الإنسان في الأزمات العالمية** (نيويورك، 1945). (انظر في هذا المعجم: **الشخصية الثقافية، الفكر، الطب النفسي الإتني**).

N.S.

كانْدانْسكي Kindanskii, Kandinsky
فيكتور كريسانْفوفيتش (Victor Khrisanfovitc)

طبيب نفسي روسي 1849 - 1889).

كان كانْدانْسكي، العيادي والعالم، يعمل في مشفى الطب النفسي بسان بيتيرسبورغ. وأصبح شهيراً بأعماله في مجال علم النفس المرضي. ترجم إلى الروسية كتاب ويْلهلْم ونْدت، **أسس علم النفس الفيزيولوجي**، وكان الأول على وجه الخصوص الذي وصف الهلوسات الكاذبة وميّزها تمييزاً واضحاً من الهلوسات: في حين أن الهلوسات سمة مقنعة لضرب من إدراك الواقع، لاتمنح الهلوسات الكاذبة انطباعاً بالواقع؛ إنها مدركة أنها تأتي «من الداخل لامن الخارج»، ويستشعرها المرء أنها عرض مزيج من أعراض مرض (**في الهلوسات الكاذبة** 1880، إعادة 1952، مقدمة أ. ف سنيجنَفْسكي) وشرح كانْدانسكي في كتابه، **سيكولوجية بسيطة**، شرحاً يسهل على القارئ فهم كل أفكاره التي تتناول الوعي والحوادث النفسية. (انظر في هذا المعجم: **الفاعلية الآلية**).

I.S.

الكبت

F: Refoulement

En: Repression

D: Verdrangung

آلية دفاع للأنا تُطرح بواسطتها وتظّل خارج ساحة الشعور عواطف، وأفكار، وذكريات، مرتبطة بدافع غير مقبول.

الكبت ظاهرة لاشعورية. وينبغي أن يُميّز من القمع، فعل شعوري وإرادي يتخلى الفرد بواسطته عن رغبة تدينها أخلاقه الشخصية. والكبت لا يُمارَس على الحالة الانفعالية ولاعلى الدافع، بل على امثال هذا الدافع. فالمرفوض إنما هو ترجمة الدافع إلى كلمات وأفكار أو صور. والعناصر غير الممثّلة (الـ«مكبوت»)، الباقية في اللاشعور، مزوّدة بدينامية كبيرة وتنزع دائماً إلى أن تتوصّل إلى الوعي، الذي مناله ممنوع عليها. وهي تفلح في ذلك عندما يضعف التيقّظ، وتكون الهبّة الدافعية معزّزة (في ظلّ التأثير البيولوجي)، وعندما تذكّر الأحداث الحديثة بالعناصر المكبوتة، إلخ. فكل نتاجات اللاشعور، بدءاً من الحلم وزلاّت اللسان والقلم، حتى النكتةو العَرَض العصابي يمكننا اعتبارها تكوينات تسوية، أي نتيجة نزاع بين الرغبة اللاشعورية والدفاع. وتظلّ الأنا مجنّدة باستمرار بغية إبقاء المكبوت وفسائله خارج حقل الشعور. والوسيلة الأنجع التي تحوزها الأنا لتكافح عودة المكبوت هي التوظيف المضادّ. وتقيم الأنا، بهذه السيرورة من توظيفات الامتثالات أو الاتجاهات المختلفة للعناصر المكبوتة، مانعاً لظهور دوافع لاشعورية في الشعور(أو في القدرة على الحركة). مثال ذلك أن الرهاب من حيوان يأتي مكان

اتجاه ليبيدي إزاء الأب، مرتبط بالخشية منه، أو أن اتجاه الحماية المغالية لدى أم يحجب عدوانها لابن غير مرغوب فيه.

والكبت إجراء دائم يقتضي صرف طاقة مستمرّ. ونجده عاملاً، على وجه الخصوص، في الهستيريا، ولكننا نجده عاملاً أيضاً في الأمراض النفسية الأخرى وفي السيكولوجيا السويّة. ويحتلّ مفهوم الكبت مكاناً أساسياً في نظرية التحليل النفسي؛ إنه يكوّن، يقول س. فرويد، «حجر الزاوية في فهم الأعصبة». (انظر في هذا المعجم: النزاع النفسي، العصاب).

M.S.

الكتابة الفصامية

F: Schizoparagraphie

En: Schizoparagraphia

D: Schizoparagraphie

اضـراب يلاحظ لدى المصـابين بالخَـبَل المبكّر، وصـفـه جـ. بوبون، يظهـر بالإضـافة الآلـية لبعض الأحـرف غـير المجدية إلى جسم الكلمات المكتوبة عندما تُملى.

N.S.

F: Génome

En: Genome

D: Genom

كتلة الخِلقة

مجموع المورِّثات، أي السمات الوراثية المحتواة في مشيج.

لكل مشيج، لدى الموجود الإنساني، كتلة خِلْقة أو «haplome» تتكوّن من 23 صبغياً (n). ويفضي اتحاد البويضة والمنيّ خلال الإخصاب، وكلاهما أحاديّ الصبغيات (n صبغيات)، إلى لاقحة مزدوجة الصبغيات (2n صبغيات) تجمع كلية الموروث الوراثي، لأنها تجمع كلية الخِلقة من الأم وكلية الخلقة من الأب. فكل الخلايا تحوز هاتين الكتلتين، أي المخزون الصبغي الكامل، باستثناء الأمشاج. (انظر في هذا المعجم: الصبغي، المورِّثة).

M.S.

كثافة الحضور، الشكل التام الحسن

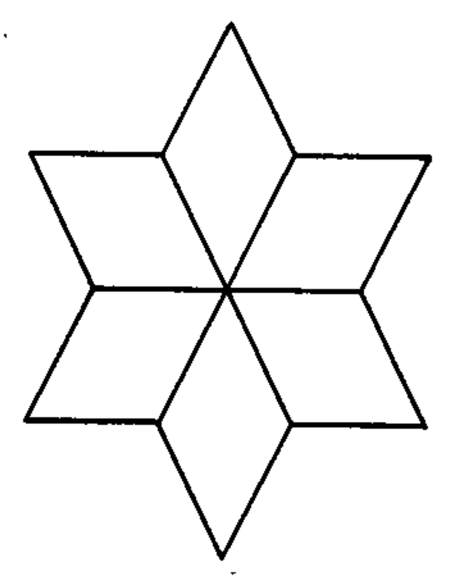
F: Prégnance
En: Pregnance
D: Prägnanz

صفة تفرض بها بنيةٌ نفسها علينا تلقائياً وبقوة.

تميل قطرة زيت في الماء إلى أن تتّخذ شكل دائرة كاملة؛ فإذا حطّمناها، فإنها تكوّن من جديد دوائر أخرى أصغر. وسبب ذلك، يقول بول غيّوم (1878 -1962)، «أن الدائرة هي الشكل ذو السطح الأصغر من كل الأشكال عندما يتساوى الحجم. إنها هي أيضاً الأبسط والأكثر انتظاماً» (1937). وعلى مستوى الإدراكات، تحدث ظاهرة مماثلة عندما ينبعث «شكل حسن» انبعاثاً بارزاً من المجموع الذي يشكّل جزءاً منه؛ إنه على وجه العموم، بسبب كونه الشكل الأفضل الممكن قياساً على هذا المجموع، ثابت ويدركه على المنوال نفسه عدد كبير من الأشخاص.

مثال ذلك أن شكلاً سداسياً مع أقطاره، ممثّلاً إسقاط مكعب على مستوى، يفرض نفسه بوصفه شكلاً مستوياً لأن له درجة مرتفعة من التناظر، ويصعب أن نكتشف فيه بعداً ثالثاً(هـ. كوبفْيْرمان). فالأشكال البسيطة، المنتظمة، المتوازنة، الكاملة، تتّصف بوحدة أكبر وكثافة حضور أكبر من البنيات غير المتناظرة أو غير الكاملة. ويقول عالم النفس الألماني ماكس ورتيمار(1880 -1943)، الذي ألحّ بصورة خاصّة على هذا الجانب من الإدراك، أن ثمة قانوناً لكثافة حضور الأشكال أو«قانون الشكل الحسن»، يميل بموجبه كل غشطالت (أو شكل) إلى أن يصبح «شكلاً حسناً» بقدر ما يمكن. وبيّن معه منظّرو السيكولوجيا الغشطالتية أن الذكريات تخضع أيضاً للمبادئ نفسها؛ فالمرء يحفظ المنظّم والبسيط على نحو أفضل من

حفظ ما لا يكون كذلك. مثال ذلك أنه يتعلّم قائمة من الأحرف تجمّعاتها يمكنها أن يكون لها معنى، تعلّماً على نحو أسهل مما لوكانت هذه الحروف خالية من الدلالة كلياً. كذلك يحفظ الشكل العام لقصة، ولكنه ينسى التفصيلات التي تبدو غير ضرورية، ويضيف إليها تفصيلات أخرى، إضافة لاشعورية، حتى يمنح الحكاية تماسكاً أكبر. وأوضح ف.ك. بارتْليت (1932) هذه النظرية طالباً إلى أحد الأفراد أن يرسم الرسم المعروض(بومة صمماء)(*) من ذاكرته، ثم إلى فرد آخر أن يفعل الشيء نفسه مع رسم الفرد الأول، وهكذا دواليك حتى الشخص الثامن عشر. وكان الرسم الثامن عشر الحاصل رسم هرّ. وهذه الظاهرة من إعادة تنظيم الشكل في اتّجاه البساطة نصادفها أيضاً في انتشار الشائعات. (انظر في هذا المعجم: **التمويه، الشكل، الشائعة**).



كثافة الحضور أو الشكل الحسن

هذا الشكل يفرض نفسه بوصفه شكلاً مستوياً، ولكننا إذا أمعنّا النظر فيه لحظة، فإن بوسعنا أن نراه في ثلاثة أبعاد.

N.S.

(*) طائر من جوارح الليل وفصيلة البوم «م».

F: Alcoolisme **الكحولية**

En: Alcoholisme

D: Alkoholismus

مصطلح ندين به إلى ماغنوس هوس (1849)، دالّ على مجموعة الاضطرابات الجسمية والنفسية التي يسبّبها استهلاك مفرط للمشروبات الكحولية.

الكحولية آفة من أخطر الآفات الإنسانية. فهي تصيب الرجال على وجه الخصوص، وليست النساء ولا الأطفال في منجىً منها مع ذلك. والكحولية، التي كانت فيما مضى مقصورة على المقاطعات المنتجة للمشروبات المخمّرة (بيرة، خمر التفاح، خمر العنب) أو المقطّرة (ماء الحياة، مشروبات روحية)، تشمل في أيامنا هذه مناطق من العالم لم تكن موجودة فيها أواسط القرن العشرين. ولا تحمي المحرّمات الدينية تلك البلدان الإسلامية والهندوسية نفسها. وسيكون الكحول، وفق تقدير قدّمه الدكتور مورّس شافيتز إلى المؤتمر الأمريكي (1972)، المخدّر الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية: يُحصى نحو 5 بالمئة من الكحوليين بين الراشدين (10 بالمئة من السكان الهنود)؛ وفي مدينة سان فرنسيسكو 150000 ألف كحولي، أي 20 بالمئة من السكان (جـ. وايكر، 1974). وفرنسة، التي تنتج الخمور المشهورة وتقدّم في الوقت الراهن 22 بالمئة من الإنتاج العالمي للخمور (82,5 مليون هيكتوليتر عام 1973)، تحتفظ أيضاً بالرقم القياسي للاستهلاك الفردي من الكحول الصافي (30 ل عام 1955؛ 16 ل عام 1978). فكل فرنسي راشد كان يشرب وسطياً

200 ل من الخمر سنوياً خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولم يكن هذا الاستهلاك عام 1976 سوى 149 ل، ولكنه كان مصحوباً، يلاحظ ج. لوروبوله(1976)، بتنامي استهلاك مشروبات كحولية أخرى كالبيرة (46,5ل)، والمقبّلات المعطّرة بالأنيسون (زيادة 300بالمئة) والويسكي(1056 بالمئة زيادة). والجزء المخصّص من ميزانية الأسر الفرنسية للمشروبات الكحولية (3,8 بالمئة من المصروفات الكلية، 12,71 بالمئة من المصروفات الغذائية) جزء كبير بمقدار الجزء المخصّص للفواكه والحليب والجبن مجتمعة.

إن 4 أفراد من كل 100 فرنسي، كحوليون، «يشربون الخمر بإفراط»، حسب تقدير منظّمة الصحة العالمية (1974). وهذه التقديرات توافق تقديرات وزارة استغلال الأراضي (1973) التي ترى أن في بلادنا أكثر من 5 ملايين شارب خمر من33 مليون راشد (منهم 1,2 مليون امرأة). ويستهلك شاربو الخمر بإفراط أو«شاربو الخمر بالعادة» (2,5 مليون رجل و500000 امرأة) كمية يومية من الكحول أعلى من الجرعة التي تتحمّلها عضويتهم؛ ولايتجلّى تسمّمهم إلا بعلامات خفيّة، ولكنهم سينتهون إلى أن يصبحوا كحوليين مزمنين. وقدّر سولّي ليدرمان (1956) أن 115 فرنسياً (77 رجلاً و38 امرأة)، من 1000 راشد، يعانون، أو سيعانون، اضطرابات جسمية أو عقلية من أصل كحولي. وهذه الآفة تصيب كل راقات السكان ولكنها تصيب على وجه الخصوص أوساط السكان غير الميسورة. واحتمال تشبّع العضوية بالكحول، بحسب استقصاء أجراه م. بريسّار، ب. غرونيه، دو روير (.I.N.S.E.R.M، 1971) يصل حدّه الأقصى لدى العمال اليدويين (5,6) وحدّه الأدنى لدى الأطر المتوسطة والمستخدمين (1,8). وقدّر كالو - ديسْبلانك (I.N.S.E.E) من جهته أن نسب الوفيات الناجمة عن الكحول وتشمّع الكبد لدى الرجال الذين بلغوا الخامسة والأربعين إلى الرابعة والخمسين من عمرهم كانت في حدّها الأدنى لدى الأطر العليا وفي المهن الحرة(22,8)، وفي حدّها الأقصى لدى العمال اليدوين (20,99). وكحولية النساء، من جهة أخرى، في تقدّم مستمرّ، وبخاصة لدى النساء العاملات. والظاهرة نفسها موجودة في البلدان الأخرى.

ومثال ذلك أن نسبة النساء الكحوليات، في بعض مناطق بريطانية العظمى، تضاعفت، إذا انتقلت من امرأة واحدة مقابل ثمانية رجال إلى امرأة واحدة مقابل أربعة رجال كحوليين.

وثمة نماذج شتّى من الكحولية حسب درجة التبعية، تبعية الفرد للمخدّر. ويصف إ. م. جلّنك، إذ يتفحّص شارب الخمور الأمريكي، خمسة نماذج: الكحولي من النموذج 1 الذي يقع فريسة دافعياته اللاشعورية: إنه يعتقد أنه يبحث فقط عن حضور بعض الرفاق، ولكنه يكتشف أن الكحول يؤمّن له بعض الهناء؛ وينسب له القدرة على التسكين أو إثارة المرح؛ ويستخدمه للتأثير في عواطفه أو انفعالاته. وبوسعه، وهو لايزال سيد رغباته، أن يمتنع عن شرب الخمور إذا أراد. والمحاذير هي، بصورة رئيسة، مادية (مصروفات ترهق ميزانيته) واجتماعية (انخفاض المواظبة ومردود العمل). والكحولي من النموذج 2 **(طور تمهيدي)** لايعاني تبعية واقعية سيكولوجية أو جسمية، بل إحساساً بالحاجة ومظاهر جسمية كالتهاب المعدة (التهاب غشاء المعدة المخاطي) والتهاب الأعصاب التي يتميّز على وجه الخصوص باضطرابات حركية، نباتية وحسيّة (استرخاء، آلام، إلخ). ويتنامى لديه استهلاك الكحول بالنظر إلى أن الاعتياد يساعد على ذلك. والنموذج الثالث **(الطور الحاسم)** يتجلّى بحالة من الحاجة، وتبعية سيكولوجية وجسمية، وفقدان الرقابة. فالفرد، الذي يكون أيْضه (استقلابه) الخلوي قد تغيّر على نحو دائم من الآن فصاعداً، بحاجة إلى أن يشرب الكحول القوية بفواصل زمنية يتعاظم تقاربها. إنه سكران غالباً ويعاني اضطرابات الطبع والجنسية. ويُلاحظ هذا الشكل من الكحولية على وجه الخصوص في البلدان الأنغلوساكسونية وكندة. إنه يناسب ماسمّاهم بيير فوكه **المشبعين بالكحول**، الذين يمثّلون 25 إلى 40 بالمئة من الحالات. والنموذج الرابع **(الطور المزمن)** يميّز من نسمّيهم في فرنسة «شاربي الكحول السادرين». فهؤلاء، الذين فقدوا الحرية والقدرة على مراقبة استهلاكهم الكحول، يتعذّر عليهم الامتناع. إنهم في «حالة من الحاجة»، ويتّصفون باضطرابات الاستقلاب (الأيْض)، وينتهون إلى الانهيار، على الرغم من أن تحمّل عضويتهم

لايزال كبيراً. ويتكلّم بعض المؤلفين على هوس الكحول (فوكه) للدلالة على هذا الشكل الرابع من الكحولية. والنموذج الخامس هو الكُحال الذي يتجلى بضرب من القسر على ابتلاع السوائل الكحولية، أياً كانت، بما فيها ماء الزينة والكحول الفاسدة. وذلك ما يُلاحظ بتواتر ضعيف (1 إلى 5 بالمئة من الحالات)، وبخاصة لدى النساء.

ويسلك الرجال والنساء كما لو أنهم كانوا يجهلون أضرار الكحول. فالكحول سمّ يجري في الدم خلال عدة ساعات بعد ابتلاعه ويظلّ في العضوية سبع ساعات على الأقلّ. ويسبّب ضروباً من الخلَل في القلب والشرايين، والأنبوب الهضمي (التهابات معدية مزمنة وقرحات ونزيف)، والكبد والجملة العصبية؛ ويسبّب ضمور الخصيتين ويشجّع ظهور سرطانات الفم والبلعوم. والمرأة الحامل تعرّض الطفل الذي تحمله إلى مخاطر كبيرة (س. ر. كندال ومعاونوه، 1977). ولم يؤكد الدكتور إ. زيلاجي باغاوسْكا (1972) فقط، إذ درس 81 طفلاً في دور الحضانة، وُلدوا من آباء كحوليين، وقارنهم بجماعة ضابطة من الأطفال المولودين من آباء غير كحوليين، دونيةً في الوزن والقامة، ولكنه أكّد أيضاً أن نسبة التشوّهات الخَلْقية لدى الأطفال الأول أعلى بمرتين منها لدى أطفال الجماعة الضابطة. وأثبت دولِنيفا باراسْنيف، من جهته، أن تناول المرأة الحامل كحولاً يمكنه أن يفضي إلى نتائج خطيرة على الجنين.

ويبين، في دراسة أجراها المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية (I.N.S.E.E) (1973) على وفيات الذكور في فرنسا منذ عام 1955، أن الكحولية تأتي، بالنسبة لجماعة العمر من 45 إلى 54 سنة، في المرتبة الثالثة من أسباب الموت، بعد السرطانات وأمراض القلب. وثمة ثلث من الرجال الذين يموتون بين 35 و50 سنة في بلادنا هم ضحايا الكحولية على نحو أو على آخر. وذلك دون أن نأخذ بالحسبان أن الكحول مسؤول عن حوادث سير عديدة (ثلث الحالات) وحوادث العمل (15 بالمئة عام 1960 في إحصاء برنار ميتْز، فرانسوا ماركو، سولي ليدرْمان ومعانيه).

وما كفّ عملياً عدد الموتى بسبب الكحول وتشمّع الكبد عن الازدياد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. (انظر الجدول الذي يلي).

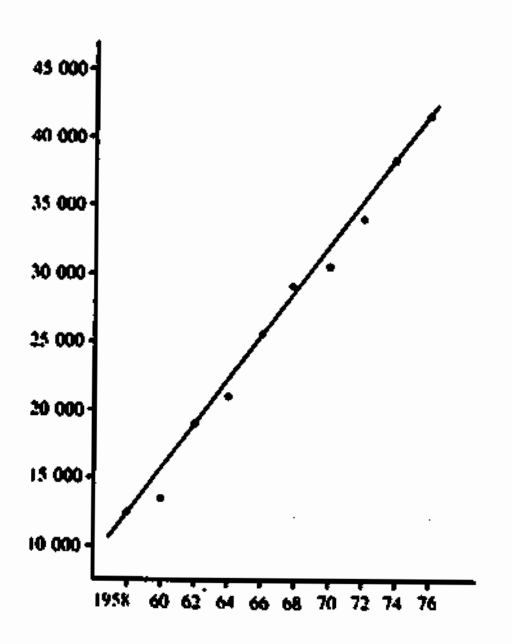
Année	Décès par		Total
	alcoolisme	cirrhose du foie	
1946	481	2 763	3 244
1955	4 595	13 101	17 696
1960	5 074	13 401	18 475
1965	5 816	16 749	22 565
1970	4 042	16 865	20 907
1975	4 192	17 546	21 738
1979	3 342	15 528	18 870

جدول يبيّن عدد الوفيات من سنة 1946 حتى 1979 بسبب الإدمان على الكحول وتشمّع الكبد ومجموع الوفيات

وتؤدي الكحولية أيضاً دوراً أساسياً في نشوء الاضطرابات النفسية. فهي لاتشوّه الإدراك، والذاكرة والحكم، وتُنقص مستوى النجوع الفكري، فحسب، ولكنها أيضاً تغيّر الطبع، وتحوّل الوجدانية، وتدمّر الشخصية. ذلك أن الكحولي، بصورة عامة، نَزِق، حذر وأناني. وفقد حسّ المسؤولية والواجب، ولايفي بوعوده. حسّه الأخلاقي وإرادته أصابهما الضعف. ويعتبره وسطه ضعيفاً، ويميل إلى أن يتبنّى إزاءه إما موقف الحماية، المتسامح بعض التسامح، وإما موقف النبذ الذي يرافقه الاحتقار، وذلك أمر ينمّي إثميته أو يثير عدوانيته.

والكحولية المزمنة يمكنها أن تفضي إلى **الهذيان الارتعاشي** (عندما تدوم أكثر من عشرة أعوام)؛ أو إلى **اعتلالات دماغية**، كتناذر كورْساكوف، والاعتلال الدماغي الذي اكتشفه غيت- فيرنيك، أو، على نحو أكثر ندرة، تناذر ماركيافافا بيغنْامي أو التصلّب الصفيحي للقشرة الدماغية؛ أو إلى **آفات الطب النفسي** كالهلوسة الكحولية المزمنة، والهذيان الهلوسي المزمن، وهذيانات التفسير (كهذيانات الغيرة على سبيل المثال)، أو الخَبَل الكحولي. فعدد القبولات في

مشافي الطب النفسي بالنسبة للكحولية المزمنة والذهانات الكحولية تنامى تنامياً كبيراً منذ عام 1942 : من667 حالة قبول في هذا التأريخ، انتقل العدد على التوالي إلى مايقارب 10000 عام 1952، 18611 في 1962، 34551 في 1972، 41327 عام 1976. والنسبة المئوية للقبولات في مؤسسات الطب النفسي الفرنسية، الناجمة عن الكحول، ثابتة بصورة تلفت النظر، منذ الستينات، بحسب إحصاء أجراه .I.N.S.E.R.M : إنه يقع حول 40 بالمئة بالنسبة للرجال و10 بالمئة للنساء. وكان أكثر من 10000 شخص يقيمون في مشافي الطب النفسي الفرنسي إقامة دائمة عام 1976 بسبب الكحولية المزمنة.



عدد المقبولين في مشافي الطب النفسي بسبب الذهانات الكحولية والكحولية المزمنة

والعنف، والإجرام، والجنوح، ذات علاقة على الغالب بالكحولية.

ويبدو، في تقرير ج. ب. بومْبه رفعه إلى اللجنة العليا للدراسة والإعلام عن الكحولية، تقرير يعرض سبراً لدى المحاكم الفرنسية كلها، أن عامل الكحولية يتدخّل في69 بالمئة من حالات القتل القصدي، 58 بالمئة من الحرائق الإرادية، 38 من الجرائم والجنح ضد الأطفال، 29 بالمئة من حالات الضرب المميت وحالات الضرب والجروح، الإرادية، 27 بالمئة من الجرائم والجنح الجنسية، إلخ.

فالجهل والأحكام القبلية، والأعراف، أسباب الكحولية على الأغلب. فكم أمّ تعلم أن الكحول ينتقل في حليبها إلى الرضيع بالجرعات الموجودة في دمها، الجرعات نفسها، وإنه يمكنها أن تضفي الصفة الكحولية عليه لمجرّد إرضاعه. وكان الدكتور لاجوس زيكيلي، من بودابست، يذكر، عام 1961، حالة سكان من أرياف هونغارية (محافظة بارانية) كانوا يحضّرون للرضّع نقيعاً من قشارة البصل في الخمر الأحمر، كيما يؤمّنوا لهم سحنة غضّة وردية. ويتلقّى الوليد بعد زمن لايكاد يبلغ بعض الساعات من ولادته، في مقاطعات أخرى، ملعقة صغيرة من العرق لـ«تقويته». وقطرة الشمبانيا، في فرنسا، الموضوعة على شفتي الرضيع، على الغالب بمناسبة الاحتفالات العائلية التي تلي المعمودية، منشأها الاعتقاد نفسه. وفي بعض القرى من مقاطعة بروتان (بونوكستن - أن -إنْزنْزاك، سان توغدويال، إلخ)، كان الأبوان، في أوائل الستينات، يقدّمان ماء الحياة إلى الصغار على الريق، بوصفه يطرد الدود، والخمر الحار أو المشروبات الساخنة من عدة خمور ومن الماء والحامض، بوصفها علاج للسعال. ويُقدّم الخمر على الأغلب أيضاً إلى الأطفال بوصفه غذاء. وتذكر، عام1969، صحيفة يومية كبيرة في الجنوب الغربي من فرنسا طبيباً كان يعيّن كميات الخمر الأحمر(10 درجات) التي يجد أن من المناسب تقديمها إلى الأطفال، في كل وجبة رئيسة: 50غ في سن الأربع سنوات، 100غ في السادسة من العمر، 200غ في العاشرة، 400 غ في الرابعة عشرة، 500 في السادسة عشر، إلخ. ويُلاحظ، منذ 1970، ازدياد يثير القلق في الكحولية لدى الصغار، لافي فرنسة فحسب، بل في بلدان أوروبية أخرى وأمريكة. وكان هذا

المشكل قد أصبح، عام 1975، حاداً في الولايات المتحدة الأمريكية، لاسيّما في ولايات الشمال الشرقي والوسط الغربي، حيث كان بعضهم قد أحصى شاربي خمر أكثر من مستهلكي ماريجوانا، وبعض هؤلاء الشاربين أطفال لم يبلغوا العاشرة من عمرهم. ودور محاكاة الكبار ليس موضع شك، ولكن علينا أن نبحث عن دافعيات أخرى بالنسبة للراشدين.

والعوامل التي تشجّع حلول الكحولية عوامل فردية واجتماعية معاً. فالإحباطات الوجدانية، وخيبات الأمل العاطفية، والنزعات الحالية أو القديمة، والعزلة، وشروط العمل الرديئة، تدفع الفرد إلى أن يبحث عن عزاء، بل عن تعويض في الكحول الذي يبدو وسيلة هروب في المتخيّل، إن لم يكن ضرباً من الانتحار. وكان سيغموند فرويد (1905) يرى في استهلاك المشروبات الكحولية وسيلة الحصول على لذة فمية، وضرباً من النكوص إلى مرحلة مبكّرة من النموّ النفسي الوجداني: فالراشد يشعر، تحت تأثير الكحول، أنه متحرّر من مقتضيات المنطق والأخلاق، ويمكنه أن يستسلم لأفكاره واستيهاماته، دون كفّ. ويؤكد الدكتور هورتْون (1953) أن الشروط القاسية للحياة، والتعب، ورتابة الحياة، وضروب عدم الرضى الاجتماعية المهنية، تتزامن مع ضرب من ازدياد الكحولية. وتمثل العوامل الثقافية في عداد الأسباب الاجتماعية. فثمة على الغالب، في بعض المتّحدات الهندية لغواتيمالا والمكسيك خلال الأعياد، جلسات جماعية لشرب الخمر ويمكنها أن تدوم أسبوعاً كاملاً (بونْزل). وشرب الكحول علامة رجولة في فرنسة وتشيكوسلوفاكية وبلدان أخرى أيضاً؛ وتقديمه علامة حسن الوفادة. والكحولي الفرنسي مدمن مخدّرات سامّة لايعترف بنفسه أنه كذلك لأنه يستهلك منتجاً مباحاً، ينتشر انتشاراً واسعاً، ويفيد من التسامح العام، ويشكّل موضوع إعلان واسع. وعلينا ألا ننسى أن 4,5 مليون شخص في بلادنا ينتفعون من الكحول انتفاعاً مباشراً أو غير مباشر. أما الدولة، فإن المرء يرى بصعوبة كيف يمكنها أن تتخلّى عن هذا المصدر من المردود. (الضرائب المختلفة عن الكحول كانت قد أثمرت، عام1977، 6 مليارات و313 مليون فرنك).

ومن النادر أن يكون بوسع كحولي أن يتخذ قراراً بالكفّ عن شرب الكحول. وينبغي اللجوء في غالبية الحالات إلى علاج نوعي. وتبدأ معالجة الكحولية بمسعى هدفه أن يحتاز الفرد الشعور بغرابة حياته وأن يُتاح له أن يختار أسلوباً آخر في الحياة اختياراً حراً. والتخلّص من تناول السموم لايمكنه أن يبدأ بالفعل إلا عندما يعبّر المريض نفسه عن رغبته في التغيير، ولكن الطلب يصدر على الأغلب عن محيطه، ويخضع المريض لذلك خضوعاً سلبياً دون اقتناع. فلابدّ إذن، قبل أي قرار بالمعالجة، أن نقيّم بعناية إمكانات الفرد وإمكانات وسطه. والعلاج يمكنه أن يكون بسيارة إسعاف متنقّلة ولكن إدخال المشفى ضروري على الغالب، جرّاء مخاطر الامتناع عن تناول الكحول. ويبدأ العلاج بإعادة التوازن الغذائي، وتجريع مستخلصات كبدية وفيتامينات، وضبط النوم. وتتمّة المعالجة يمكنها أن تتّخذ عدة جوانب: 1) **علاج التقزّز**. ومبدأ هذا العلاج أن يقترن تناول المشروب المفضّل بمنتج مقيّء (أبومورفين) هدفه أن يثير الإقياءات ويسبّب، بضرب من المنعكس الشرطي، تقزّز المريض من الكحول. 2) **علاج الردع** بالديزولفيرام (أنتابوسْ، إسبيدالْ، إلخ)، وهو علاج يثبّط الأنزيمات. ويعهد إلى الفرد مسؤولية تجرّع المنتج الصيدلاني خلال مرحلة من الامتناع الكلي عن تناول الكحول لمدة أربعة أيام. وتناول بعض الأجزاء من ألف من الليتر، في اليوم الرابع، من المشروب الكحولي المألوف، يثير على نحو سريع ضرباً من ارتكاس العضوية الذي يتجلّى باحتقان الوجه، وأوجاع الرأس، وضيق الصدر، وتسارع ضربات القلب، والدُماع، والنعاس أو، على العكس، بحالة من الإثارة الخفيفة، وإقياءات في بعض الأحيان. فالفرد موضوع عندئذ أمام ضرب من الاختيار: إما أن يشرب، والشرب يثير الارتكاس الذي خبره من قبل، وإما أن يمتنع، أي يقاوم التوتّر الذي تسبّبه رغبته. ويتعلّم على هذا النحو، بالتدريج، أن يسود رغبته، ثم يعيش دون كحول. 3) **العلاج بحقن سولفات الماغنيزيوم داخل الأوردة** الذي يسبّب شهوة الماء العذب؛ فثمة محاولة، بهذه التقنية، لإحلال الحاجة إلى الماء محلّ الحاجة إلى الكحول.

ولا تكوّن هذه الطرائق جميعها في الواقع، سوى جانب من جوانب معالجة الكحوليين. وتتضمّن هذه المعالجة، إضافة إلى ذلك، معالجات نفسية فردية وجماعية تنشد تنمية العفوية، وإضعاف الرقابة، ذلك أن شخصية الكحولي موسومة، في رأي تاموران جـ. س.، ش. نيومان، بالإثمية المازوخية، والحذر، والاستكمالية، وتجعل مشاركة شاربي الكحول القدماء (أي أقرانهم، كما يُطبّق ذلك في بعض المؤسسات الفرنسية) من المعالجات النفسية الجماعية إحدى تقنيات العلاج الأكثر نجوعاً. وهذه المعالجات الجماعية يمكن أن ترافقها اجتماعات نساء شاربي الكحول وزوجات «الكحوليين المغفلين»، اجتماعات مفتوحة لأعضاء الأسرة، وللوسط المهني أيضاً. والمعالجة الاجتماعية تقنية تنزع إلى أن تدمج الفرد مجدّداً في الحياة السوية. فتعلّم الامتناع عن شرب الكحول، وتغيّر الاتجاه إزاء المشروبات الكحولية، والاتصال بالخارج - حيث الغواية مستمرّة -، هي مراحل هذا المسعى. وتُبذل الجهود، في المعالجة بالعمل، لإحياء صورة العامل؛ وبممارسات القواعد العامة في الصحة الجسمية، تُعاد إليه كرامته، إذ نقوده إلى أن يُعنى عناية أقوى بجسمه الذي كان يميل إلى إهماله. وعندما تكون متابعة المعالجة في وسط المشافي، تكون معالجة نفسية داعمة أمراً لاغنى عن توقّعها عند الخروج، بهدف أن يتجنّب المريض تلك العزلة الوجدانية. وتجمّعات شاربي الكحول القدماء، كتجمّع «الكحوليين المغفلين»، هي الهيئات الوحيدة، في رأي بعض المؤلفين، القادرة على أن تقدّم عوناً فعلياً ناجعاً لهؤلاء الأشخاص السريعي العطب. إنها تؤدّي دور مساعد وتيسّر اندماجهم الاجتماعي الجديد. فهم يبيّنون، بالمثال، أن بإمكان الكحولي أن يجد حياة سويّة من جديد ويؤكّدون، بحضورهم، أن الفرد غير معزول. ويلبثون، أخيراً، تحت تصرفه كل ساعات النهار والليل لدعمه ومساعدته.

ويُشغل الاستهلاك المفرط للكحول حكومات بلدان عديدة، ذلك أن هذا المنتج يدمّر الصحة، ويهدم الأسر، ويسبّب نقص الإنتاجية، ويكوّن عبئاً ثقيلاً على ميزانية الأمم. وفي رأي الأستاذ لوروبوله أن 41,8 بالمئة من مصروفات دخول

المشافي مخصّصة، في فرنسة، لعلاج المرضى الكحوليين؛ وتبلغ تكاليف الكحولية، التي تتحمّلها أجهزة الأمن الاجتماعي، 10 مليار فرنك سنوياً، حسب إحصاء وزارة الصحة (1973). وليس لدينا في فرنسة، لمكافحة هذه الآفة، سوى وسائل حقوقية قاصرة: قانون 1838 لحجر المغتربين عقلياً وقانون 1873 لقمع السكر العام اللذين كانا يتيحان إرسال الكحولي، صاحب الأفعال المعادية للمجتمع، أحدهما إلى مشفى الأمراض النفسية، والآخر، إلى السجن. ومنذ أن صدرت قوانين 15 نيسان (أبريل) 1954، 30 تموز (يوليو) 1960، 9 تموز (يوليو) 1970، أصبح التدخّل ممكناً قبل ارتكاب الفعل المحفوف بالخطر وتأمين المعالجة للفرد، تلك المعالجة التي تقتضيها حالته. وثمة من جهة أخرى، في كل عواصم المحافظات والمدن التي يزيد سكانها على 50000 نسمة، استشارات، في المشافي، لقواعد الصحة الغذائية وخدمات ما بعد العلاج يقدّمها ممرّضو الطب النفسي (نشرة وزارية تأريخها 23 تشرين الثاني [نوفمبر] 1970). ويُكشف عن كثير من الكحوليين بمناسبة حادث سير أو مخالفة قانون السير، ولكن عدداً كبيراً منهم لايشكّون في حالتهم المرضية. وفي إحصاء أجراه روبير(Ropert)(1975) الذي درس 1063 فرداً لفتت النظرَ إليهم الدائرةُ الطبية الباريسية لتطبيق قانون 15 نيسان (أبريل) 1954، تبيّن أن 45 بالمئة منهم كحوليون حقيقيون، ولكنهم دُهشوا حين علموا أنهم يطرحون مشكلاً طبياً حقيقياً، لأنهم لايزالون لايُظهرون اضطرابات جسمية ونفسية واضحة. وتمرّ مكافحة الكحولية أيضاً بتحديد عدد الخمّارات (الذي انخفض من 438000 عام 1937 إلى 229000 عام 1973) وبالإعلام الجماهيري على وجه الخصوص. ولايقتصر الأمر على إعلام الجمهور، ذلك أن كثيراً من الأشخاص المطّلعين بصورة كاملة على مخاطر الكحول -أطبّاء على سبيل المثال- يستمرّون في استهلاكه وتقديمه إلى أصدقائهم. وبعض الإحصاءات بليغة بهذا الصدد. إن 58 بالمئة من قبول الأطبّاء في المشافي، من 45 إلى 54 عاماً من أعمارهم، في الإيقوس، ناجمة عن الكحولية، وهي نسبة تبلغ ضعفين ونصف أكبر من نسبة الراشدين من العمر نفسه والمستوى الاجتماعي نفسه. ولاتكفي

القوانين، ولا النواهي، ولا الإعلام، لمكافحة الكحول مكافحة ناجعة. ولابدّ أيضاً من أن نضيف إليها تربية دائمة، هادفة إلى تغيير اتجاهات الجمهور. ولن يكون ذلك ممكناً إلا بمقدار ما نغيّر الرمزي المرتبط بهذا المخدّر. ومادام الكحول يمثّل البهجة، والتسلية، والضحك، والعيد، والرجولة، والخيالي؛ ومادام الكحول مقترناً بالتفاهم، والمودّة، والاستقبالات الوديّة، وإبرام صفقة؛ ومادام الكحول ينقل معه هذه المضامين المغرية، فإن علينا أن نعاني مضارّه. فعلى مستوى المتخيّل إذن إنما ينبغي أن نعمل، عملاً مستمرّاً متّفقاً عليه بين كل القادة، والمربين، والعمال الاجتماعيين، إلخ، عملاً تدعمه وسائل الإعلام الجماهيرية. وبوسعنا، لقاء هذا الثمن فقط، أن نأمل تغيير الدلالة الثقافية للكحول والتغلّب على هذه الآفة.

M.S.

الكرْب، الستريس Stress

كلمة Stress انغليزية مشتقّة على وجه الاحتمال من distress («أسى»، «بؤس»، «إنهاك») وتُستخدم، بعد هانز سيلي(1936)، للدلالة على الاستجابة الإجمالية، غير النوعية، للعضوية، استجابة لكل طلب يُطلب منها.

ينبغي للكائن الحيّ باستمرار أن يستجيب لإثارات وسطه ويتكيّف مع الشروط التي توجد فيها. وسواء تعلّق الأمر بفرح كبير أو ألم شديد، يظهر جهد التكيّف لدى العضوية بارتكاسات عصبية غدّية (تنشيط النتوء المتوسّط من تحت المهاد، والغدّة الدرقية، ولبّ الكُظر)، أي إطلاق الأدرنالين، الستيرويد القشري، الـ A.C.T.H، التيروكسين. ويميّز هانز سيلي، من «العوامل المثيرة للكرب»، تلك التي تهدّد التوازن الجسمي أو النفسي للفرد لأنها ضارّة له: الرتابة، الضجّة، البرد أو الحرارة الشديدين، السمّ، الالتهاب الجرثومي، فقدان موجود عزيز، البطالة، إلخ، والعوامل التي تثير الستريس الخيّر، كالنجاح، والانتصار، وعودة شخص انفصلنا عنه خلال زمن طويل. والحياة مصنوعة من استجابات العضوية؛ شدّتها ومدتها وحدهما مختلفان. وهذه الاستجابات، القليلة لدى الإنسان الذي يستريح، شديدة بعد حادث، عملية جراحية، سجن، تسريح من عمل. فكثير من الأمراض الجسمية والنفسية ليست ناجمة عن السبب الذي يُعترف لها به (مصدر سمّي أو ألم معنوي)، بل ناجمة عن ارتكاس العضوية، أي من الكرب. وتمكّن بعضهم أن يبرهن على أن الكرب ليس موجوداً لدى الثدييات فحسب، حيث يظهر

بارتكاسات عصبية غدّية بصورة أساسية، ولكنه موجود لدى الحيوانات الدنيا، والنبـاتات وحـتى في زرْع النُسُج الخلوية. (انظر في هذا المعـجم: A.C.T.H، **التكيّف، الانفعال، الاتّزان الحيوي، الهرمون، الطب النفسي الجسمي، هانز «سيلي»).**

N.S.

كِرْشنْستاينر (جورغ) Kerschensteiner(Georg)

عالم بيداغوجيا ألماني (ميونخ، 1854–ميونيخ، 1932).

بعد أن كان كرْشنْستاينر على التوالي معلم مدرسة، أستاذ رياضيات وعلوم طبيعية، ومستشار مدرسي لميونخ (1895)، يصبح أستاذ شرف في جامعة هذه المدينة، حيث يحاضر في التربية. ويعتبر، بوصفه تلميذ بسْتالوزي (1746-1827) وجون ديوي (1859-1942)، أن الطفل، الذي ليس شبيهاً على الإطلاق بشمْع بكر يمكنه أن يتلقّى أية طبعة كانت، يستجيب للتأثيرات التي تُمارس عليه بفرديته الخاصّة، أعني وفق وراثته وشكل نموّه الحيوي. فالتربية ليس إذن عمل المربّي وحده، بل عمل هذا المربي وعمل ربيبه. والمسعى الأول الذي يباشره البيداغوجي إذن يكمن في معرفة سيكولوجيا الطفل (نجح كرْشنْستاينْر نفسه في تكوين مجموعة من خمسمئة ألف رسم للأطفال من أعمار وأوساط وعروق مختلفة)، وقوانين نموّه، واهتماماته العميقة على وجه الخصوص. ويكمن هاجسه، في الواقع، في استخدام اهتمامات التلميذ لتعليمه وربط التعليم النظري بالتمارين المشخّصة ربطاً وثيقاً. وللطفل استعدادات طبيعية ستولّد، إذا ما نمت بفضل التقنيات الملائمة، «سلوكات تأمّلية وجمالية». وما دامت معالجة الأشياء والمادة باليد تجذبه بصورة طبيعية، فإنه لن يكتسب المعرفة إلا بفضل استعمال الأدوات والعمل العملي، اللذين يقابلان ميلاً عميقاً من ميول وجوده. فبالتجربة المعيشة، لابالتعليم اللفظي والشكلي، إنما سيتعلّم الطفل. ومن هنا منشأ الأهمية الكبيرة التي يعزوها كرْشنْستاينْر إلى الأعمال اليدوية بوصفها وسيلة معرفة. ولكن

الفرد موجود اجتماعي أيضاً. فمن المناسب إذن أن يتدرّب على الحياة الاجتماعية في المجتمع، وأن يتعوّد على العيش والعمل في جماعة، وأن نجعله يكتسب مبادئ الأخلاق في المجتمع الذي ينتمي إليه. ويحدث هذا التعلّم بدمج الطفل في فرقاء عمل. فالمدرسة ينبغي أن تكون «متّحداً جنينياً» (ديوي)، متّحد عمل يجد فيه التلاميذ والمعلمون أنفسهم متّحدين بفعل غرض مشترك، بفعل عمل ينبغي إنجازه معاً. ولكن علينا أن نتفاهم جيِّداً: العمل ليس غاية، إنه ليس سوى وسيلة تربية؛ وليست تقنية فرقاء العمل، التي تُدخلها المدرسة منذ مرحلتها الأولية، مفيدة إلا بمقدار ما تحرّض فاعلية الطفل وتهيئّه للحياة الاجتماعية؛ والحرية الفردية ينبغي أن تكون على الأقل مصانة وشخصية الطفل محترمة. فأعمال كل تلميذ أعمال إدارية، تُختار طبعاً لقابلياته ورغباته. ولكن المصدر الكبير للمربّي هو الإيحاء القائم على القيم الشخصية، قيم هي بنيات اجتماعية أيضاً: المشاركة الوجدانية، الحب، الثقة. ويلخّص كرشنستاينر نظريته التربوية في سبعة مبادئ هي **الكلية** (لاتحدّد عمل الطفل بحسب جانب خاص من جوانب شخصيته)، **الحالية** (ينبغي للطفل أن يعمل تبعاً لحاجاته الراهنة)، **الحرية** (على الطفل أن يحدّد تصرّفه بنفسه)، **السلطان** (المعلم يقود الطفل طوال المدة التي لن يكون قادراً خلالها أن يمتثل تلقائياً لنظام معيّن)، **الفاعلية**، **الاندماج الاجتماعي**، **الفردية**. فالتوازن مصان إذن بين اهتمامات المجتمع واهتمامات الفرد بمقدار ما لا تكون حرية هذا الفرد ضائعة لمصلحة المتّحد، وبمقدار ما تكون الأغراض الرئيسة لهذه التربية تكمن في تشجيع استقلال الفرد إذ يتأمّن له «تدريجياً شخصية قادرة على أن تتوجّه، وتتكوّن، وتراقب نفسها». المؤلفات التربوية التي تركها كرشنستاينر كثيرة، نذكر منها: **نظرية التربية** (1926، ليبنزيغ)؛ **مشكل مهنة التربية** (الطبعة الرابعة مع مدخل لدار نشر سبرانجر، 1949). (انظر في هذا المعجم **المدرسة الفعّالة**).

J.S.T.

F: Bredouillement, Bredouillage الكرْفأة

En: Cluttering, Paraphrasia praeceps

D: Poltern, Tumultus sermonis

الاشـتـقـاق في الفـرنسـي ربما كـان من اللاتيني brittus ، «breton»، ويعني:«يتكلّم بسرعة كما يتكلم شخص من بروتان».

اضطراب في الكلام ناتج عن ضرب من تسارع الإيقاع يجعله غير متمايز.

الفكر واضح، في الكرفأة، والجمل جيّدة التكوين، ولكن الفرد يُسرع في إلقـائه، ويبـتلع كلمـاته، ويكاد لايشرع في إصـدار الأصـوات، التي تتـصـادم وتتداخل. وهذا الاضطراب، المرتبط على الغالب بفرط الانفعالية، مختلف عن «اللعْثمة» المتميّزة ببناء الجملة الناقص، والانقطاعات والاستئنافات في القول، ولكنهـا لاتتـمـيّـز باضطرابات في النطق. (انظر في هذا المعـجم: اللثغ، اللغة، الكلام).

N.S.

كرِيْتشمر (إرْنست) Kretschmer(Ernst)

طبيب نفسي وعالم نفس ألماني (ويسْترورت، قرب هيلْبرون، 1888- توبنْجن، 1964).

عمله المكتوب ذو أهمية كبيرة، ولكن كريتشمر معروف على وجه الخصوص بكتابه **بنية الجسم والطبع** (1921 ، مترجم إلى الفرنسية، باريس، بيّو، 1930)، حيث يعرض نظريته في النمذجة الحيوية القائمة على دراسة المرضى العقليين. ويميّز، بعد كريبلن، زمرتين أساسيتين من الذهان: مجموعة الفصام ومجموعة ذهان الهوس الاكتئابي. ولكنه يعتقد أنه اكتشف أن هاتين الصورتين من الأمراض العقلية الداخلية المنشأ، وكذلك الصرع، تظهر على الغالب أنها ذات علاقة بتكوين خاص، أي باستعداد بنائي وطبيعي يسم، خلال حياتهم، بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى سلالات ذات استعداد منسبق. ويؤكد كريتشمر، إذ استند إلى دراسة مئتين وستين مريضاً من المرضى العقليين، أن غالبية الفصاميين **ناحلون** (أو من النموذج السلْهب)، وأن المصابين بالهوس الاكتئابي **بدينون** على وجه الخصوص. (أو من النموذج الدحداح)، وأن المصابين بالصرع **رياضيون** على وجه الخصوص. ووضع كريتشمر، إذ مدّ نتائجه مداً استقرائياً من المرضيّ إلى السويّ، تقابلاً بين النموذج الجسمي والنموذج النفسي. ويميّز النماذج التالية: النموذج الناحل أو الواهن، ذا الكتفين الضيّقين، والصدر الضيق، المقابل لطبع **النموذج الفصامي**، المفرط في حساسيته والمغلق؛ والنموذج البدين القصير والسمين، المقابل لـ **النموذج**

ذي المزاج الدوري، الأنيس ولكنه عرضة لتغيّرات دورية في المزاج؛ والنموذج الرياضي، المقابل لطبع النموذج الشبيه بالصرعي الذي تسمه الوجدانية التي يسيطر عليها الهوى (يترجّح بين الشراسة والحنان)، والبطء، والمواظبة على المواقف، والاستبسال، والعناد في التصرّف. ويصف كريتشمر أيضاً، إلى جانب هذه النماذج الثلاثة الرئيسة، نموذجاً آخر هو النموذج الشاذّ الذي يتصف بانحرافات عن النماذج السابقة. وهذا التصنيف مقبول كلياً على وجه التقريب، وبخاصة من جانب الأطباء النفسيين، ولكن إ. ب. بافلوف (1849-1936) كان يعتبره خاطئاً أو غير كاف: «أينبغي أن يحمل الناس كلهم جراثيم أمراض عصبية وعقلية؟» كان قد تساءل في «محاضراته في المنعكسات الشرطية» (1923، الترجمة الفرنسية: **النمذجة وعلم أمراض الفاعلية العصبية العليا**، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1955، ص، 192)، وأضاف: نماذج كريتْشمر «لاتكوّن سوى جزء من النماذج الإنسانية كلها».

CL.C.

كريسْتنيكوف (نيكولا) Krestnikoff (Nicola)

طبيب نفسي بلغاري (غابروفو، بلغارية، 1880 - صوفية، 1936).

إسهامات كريسْتُنيكوف الأصلية خاصّة بمجال علم النفس المرضي. إنها تجد تعبيرها، بوصفها مستوحاة على نحو رئيس من المدرسة الروسية الكلاسيكية لـ و. م. بختْريو (1857-1927)، في نظرية تسمّى psychone (نَفْسون)، التي تمثّل الوحدة الأساسية للبنية السيكولوجية. والفكرة الأساسية التي ينطلق منها نيكولا كريسْتنيكوف تكمن في أن «كل إدراك حسّي يمثّل سيرورة تتحقّق بمبدأ الفعل المنعكس». وهذه الفكرة تقرّبه من النظرية البافلوفية، التي يصل إليها تلقائياً. ويبتكر، بغية تجاوز العيوب في طرائق التنفيس خلال عصر س. فرويد، تقنية أصيلة تسمّى **إعادة إنتاج التجارب الوجدانية المثيرة للمرض** (1929). وينبغي للمريض، وفق هذه الطريقة، أن يظلّ ممدّداً، مغلق العينين، محتفظاً بسكون مطلق، في غرفة نصف مظلمة. ويضع المعالج النفسي، الذي يظلّ قربه، يديه على جفون المريض المغلقة، إنه لايطلب منه شيئاً، سوى أن يقول ما يشعر به. ويخبر المريض معالجه، بعد مدة قصيرة من الزمن على وجه العموم تختلف بحسب الأفراد والجلسات من دقيقتين إلى خمسة عشرة دقيقة، بإحساسات جسمية تليها انفعالات وهياج حركي خفيف. بل إن بوسعه أن يعيش مجدّداً، على صورة **هلوسة كاذبة**، تلك التجربة، تجربة الصدمة النفسية، مع خصائصها التكوينية الثلاث: الجسمية، الانفعالية، الموضوعية. وتبيّن الممارسة أن هذه الطريقة ناجعة لدى بعض المرضى العقليين المصابين باضطرابات من منشأ نفسي تكويني، لاسيّما لدى العصابيين. (انظر في هذا المعجم: **كاندانسكي، الوحدة الأساسية للبنية السيكولوجية**).

C.C.

F: Compétence **الكفاية**

En: Competence

D: Kompetenz

القدرة على تنفيذ بعض الأفعال.

يدلّ هذا المصطلح، في النحو التوليدي لدى ن. شومسكي (المولود عام 1928)، على المعرفة الضمنية التي يحوزها فرد للسانه الذي يتكلّمه. وليس الفرد السويّ، انطلاقاً من معارفه المكتسبة تلقائياً وعلى نحو حدْسي، قادراً على أن يفهم، خلال طفولته الأولى، أعضاء محيطه ويعبّر عن نفسه تعبيراً لفظياً فحسب، ولكنه قادر أيضاً على أن يتعرّف على معنى قول، ولو أن الجملة سيئة البناء. فقد استقرّت لديه إذن مهارة ألسنية تجعله أهلاً ليستجيب لكل ضرب من ضروب السلوكات اللفظية، شأنه شأن سائق السيارة الذي توجد لديه مهارة بفضلها يمكنه أن يواجه كلية الأوضاع على وجه التقريب، التي يُحدثها السير على الطرقات. ولاتتحدّد إذن كفاية المتكلّم، كما كفاية السائق، في أن يعيد إنتاج السلوكات التي تعلّمها، بل في إمكان أن يبتكر ابتكاراً مستمراً، سلوكات جديدة. وينجم عن ذلك على المستوى الألسني أن كل فرد يعرف العناصر النحوية للغته، ولو أنه عاجز عن صياغة قواعدها؛ وتتكوّن هذه الكفاية الخاصّة من جهة أخرى، في رأي ن. شومسكي، انطلاقاً من تجهيزات ثابتة، فطرية، مشتركة بين الموجودات الإنسانية كلها، ذلك أن للناس جميعهم، منذ الولادة، ميلاً طبيعياً إلى الكلام. وبعض الشروط ضرورية مع ذلك حتى يولّد هذا المخطّط تلك الكفاية الألسنية:

لابدّ، أول الأمـــر ، أن يكـون هذا المخطط في حـــالة تتـــيح له العـــمل الوظائفي (فالحالات المرضية ينبغي استبعادها هنا) وأن يجري النضج العصبي بصورة طبيعية ؛ ثم لابدّ للوسط من أن يوفّر التنبيهات الضرورية لتعلّم لسان (الأطفال المتوحشون لاسبيل لديهم للوصول إلى اللغة الإنسانية). فمشكل الكفاية ثانوي لعالم النفس، الذي يُعنى بالسلوك أكثر مما يُعنى بالأنماط النظرية، ولكن مشكل الكفاية لاينفصل عن السلوك من حيث أن دراسة الإنجازات تُحيل بالضرورة إلى دراسة الكفاية.
(انظر في هذا المعجم: **النضج، الوسط، الإنجاز، الأطفال المتوحشون**).

N.S.

الكفّ

F: Inhibition

En: Inhibition

D: Inhibition, Hemmung

نقص الفاعلية الأساسية لعصبون، استجابة لتنبيه حسّي أو كهربائي؛ هذه الاستجابة الفيزيولوجية تقابل الإثارة.

مثال ذلك أن مفعولات التباين البصري (تعزيز وهمي لفارق الضياء على حدود منطقة مضيئة ومنطقة مظلمة من حقل الرؤية) يشرحها كفّ العصبونات التي تؤمّن خدمة مناطق الشبكية المجاورة مباشرة للمناطق المضيئة (مفهوم الكفّ الجانبي). والكفّ يمكنه، على المستوى العصبوني، أن يتّخذ شكلين متمايزين: 1) انغلاق بعض الوصلات العصبية بفعل عدم التفعيل للوسطاء العصبونية التي تؤمّن الإثارة عادةً، أي زوال الاستقطاب لغشاء العصبون المجاور (**كفّ قبل الوصلة العصبية**)؛ 2) فرط الاستقطاب لهذا العصبون، إذ يعارض استقطابه مباشرة (**كفّ بعد الوصلة العصبية**). وعلى المستوى الأكثر إجمالية من العمل الوظائفي الدماغي، يؤدّي الكفّ المركزي دوراً هاماً بوصفه يلطّف سيرورات الإثارة المركزية، لاسيّما في الاتّجاه النازل: فالغيظ الكاذب (Shame-rage) يمكننا على هذا النحو تحريضه لدى الهرّ، استجابة لتنبيهات لمسية ناعمة جداً، بتخريب تكوينات الدماغ الخلفي (télencéphale)؛ ويُعزى هذا المفعول إلى رفع الكفّ الذي تمارسه هذه التكوينات عادةً في بنيات الدماغ المتوسّط (méseneéphale) والدماغ البيني (diencéphale)، التي تراقب الارتكاسات الانفعالية والعدوانية. ويتّسع الكفّ المركزي استجابةً للرتابة، في النعاس، إلخ، ويؤثّر عندئذ حتى في المناطق القشرية من الدماغ

الخلفي. ونقول، بصورة عامة، إن الكفّ المركزي يظهر بضرب من مزامنة الموجات الدماغية التي يسجلها التخطيط الكهربائي للدماغ: دورية أكثر دقة، سعة متزايدة، تواتر أكثر انخفاضاً. (انظر في هذا المعجم: **الإثارة**، **التنبيه**، **الوصلة العصبية**).

J.ME.

يبيّن بافلوف، في دراساته الفاعلية العصبية العليا، أن أحد ميلين، عندما يكون الميلان المتعارضان مرتبطين بمثير واحد، كان مكفوفاً لمصلحة الميل الآخر. مثال ذلك أننا نلاحظ، إذا طبّقنا صدمة كهربائية على قائمة كلب وأدخلنا في اللحظة نفسها لحماً في فمه، كفّاً في ارتكاس الدماغ سرعان ما تحلّ محله مظاهر «سرور» وإفرازُ لعاب غزيرٌ. ونقول، بصورة عامة، إن الكفّ موجود كلّما لاحظنا نقصاً في وظيفة أو توقّفاً. والإثارة القوية يمكنها أن تسبّب كفّاً. مثال ذلك أن ضربة عنيفة من قبضة اليد على المعدة يمكنها أن تسبّب التوقّف المنعكس لضربات القلب؛ وضجّة حادّة تمحو مؤقّتاً منعكساً شرطياً (**كفّ فاعل**)؛ وانفعال قويّ يسبّب نسيان ما نعلمه («خوفاً»). فالكفّ النفسي كابح لتفكير الشخص وأفعاله: يصبح الجهد العقلي المستمرّ متعذّراً؛ والفاعلية النفسية الحركية تنقص، وتبدو أنها متحوّلة إلى عجز. وهذه الحالة نصادفها بدرجات شتّى لدى الأفراد الانفعاليين (خلال فحص على سبيل المثال)، ولدى العصابيين المصابين بالإرهاق النفسي العصبي والسوداويين. وفي رأي بعض الأطباء النفسيين (برونو كاسته، **محادثات طبية نفسية**، رقم 9) أن الحماقة تكون ناجمة عن كفّ عقلي، ذي منشأ وجداني، وليست ناجمة عن نقص الذكاء، ذلك أننا نجد حمقى بين الأفراد الذين يبلغ حاصل ذكائهم أعلى من 125 في سلّم ويشلر - بيلوفو. وليس الكفّ سيرورة مرضية. إنها وظيفة سويّة من التوقّف تتدخّل على المستويات كلّها وحتى في ممارسة الإرادة، مثال ذلك كلّما قمعنا اندفاعاً وسيطرنا على غريزة. (انظر في هذا المعجم: **الرجعي**).

N.S.

كفّ الحركات الانعكاسية

F: Acinèse, Akinèse

En: Akinesia

D: Akinese

شلّ المنعكسات.

شلّ المنعكسات ذو علاقة بكفّ كلّي للحركات، تثيره إثارات لمسية متموضعة، إثارة على نحو انعكاسي. ونلاحظه على وجه الخصوص لدى الحشرات، لاسيّما لدى يرقات حرشفيات الأجنحة (سرفات) والفراشات والفاسميده (أسرة من الحشرات تعيش على جذور النباتات في البلدان الحارة على وجه الخصوص، تضمّ أكثر من ألفي نوع، ذات جسم طويل شائك على الغالب، ذات أجنحة أو دون أجنحة«م»)، التي تحاكي أشكالها الفريدة جذور النبات أو الأوراق التي تعيش عليها. وهذا الكفّ الانعكاسي يعتبره بعض علماء الحشرات ارتكاس حماية من القنّاصة، الحسّاسة على وجه الخصوص للأشياء المتحركة. ومنعكس الكفّ يدخل إذن في فئة الظاهرة الخاصة بـ. جمود الحماية، الملاحظ لدى الحشرات والقشريّات ولدى الطيور والثدييات على حدّ سواء.

N.S.

كلاباريد (إدْوار) Claparéde(Édouard)

طبيب، عالم نفس وعالم بيداغوجيا سويسري (جنيف، 1873- جنيف، 1940).

بسط كلاباريد، في مؤلفاته، تصوراً حديثاً، دينامياً ووظيفياً، لعلم النفس (أعني أنه ينظر في الظاهرات النفسية من وجهة نظر وظائفها في الحياة ويتساءل على سبيل المثال: «مافائدة الطفولة، والنوم، والذكاء... ؟». وينبغي للظاهرة السيكولوجية، في رأيه، أن تُدرس في سياقها من ارتكاسات العضوية وألاتُعزل عن مجموع التصرّف. فكل حادث نفسي تصرف وكل تصرف تكيّفي. وأراد كلاباريد لنفسه، إذ تخلّى عن كل وثوقية، أن يكون ذرائعياً وأن يفوّض الأمر إلى الملاحظة والتجريب. وعلى هذا النحو إنما يكتشف كلاباريد عشرية من القوانين السيكولوجيَة، مثل **قانون الحاجة** («الفاعلية تثيرها حاجة دائماً») و**قانون الاهتمام الآني** («في كل لحظة، تعمل عضوية وفق خطّ اهتمامها الأكبر»)، التي يطبقّها على التربية. ويلتقي تفكيره تفكير جون ديوي (1859-1952) وتفكير أوفيد ديكرولي (1871-1932)، الموجودة في الحركة البيداغوجية المسمّاة «المدرسة الفعّالة».
ويوصي المربين على وجه الخصوص أن يبذلوا جهودهم لمعرفة الطفل وسبْر ميوله الطبيعية (اللعب على سبيل المثال). ولا يُجدي شيئاً أن نفرض على تلميذ فاعلية لاتروق له؛ فالأفضل أن نحاول فهمه، ذلك أنه، إذا أفلحنا في اكتشاف اهتماماته أو في إيقاظها، سيجنّد كل طاقاته وينجز عمله دون تعب. فلم يعد المعلم، في هذا المنظور، من ينبغي له أن ينقل ضرباً من المعرفة إلى تلاميذه، بل هو دليل، معاون،

بفضله سيكون ممكناً أن يمضوا إلى النهاية في درب البحث. ونذكر من كتب كلاباريد الرئيسة: ترابط الأفكار؛ سيكولوجيا الطفل والبيداغوجيا التجريبية (1903)؛ المدرسة على قدّ التلميذ (1920)؛ التوجيه المهني، مشكلاته وطرائقه (1922)؛ كيف نشخّص قابليات التلاميذ (1924)؛ التربية الوظيفية (1930)؛ الأخلاق والسياسة أو عطلة الاستقامة (1940).

N.S.

كلاين (ميلاني) Klein (Mélanie)

عالمة نفس انغليزية من أصل نمساوي (فيينّة، 1882- لندن، 1960).

كانت ميلاني كلاين، مع أنّا فرويد (1895-1982)، واحدة من عالمتي نفس سبّاقتين في تطبيق التحليل النفسي على الأطفال. وبدأت مهنتها، مهنة التحليل النفسي، عندما بلغت الرابعة والثلاثين من عمرها. وتصبح ميلاني، بعد أن درست الحقوق والتاريخ، تلميذة سنْدور فورنزْي (1873-1933)، ثم تلميذة كارل أبرهام (1877-1925) في معهد التحليل النفسي. وتستسلم، بعد موت أبراهام، إلى إلحاحات أرنْسْت جونز (1879-1958) وتذهب إلى لندن (1926)، حيث تستقرّ نهائياً. إنها تستخدم على وجه الخصوص، في تحليل مرضاها الصغار، كهرْمان هوغ-هيلْموث، الألعاب حيث يوظف الأطفال كل وجودهم. وتعالج وتفسّر السلوكات الملاحظة (اختيار، رفض، شرح. . .) وفق مبادئ التحليل النفسي وتتوصّل على هذا النحو إلى أن توضّح، في عالم متخيّل غنيّ إلى الحدّ الأقصى، استيهامات الموضوعات الجزئية لدى الطفل، التي ستكوّن انطلاقاً منها تصوّراً أصيلاً لحياة الرضيع النفسية وللطفل الصغير. ولكنها تعارض، منذ عام 1927، أنّا فرويد، أول الأمر بسبب موقف المحلّل في العلاج. وفي حين تعتبر أنّا فرويد أن المحلّل لايمكنه، مع أخذ نضج الطفل وتبعيته للراشدين بالحسبان، أن يظلّ حيادياً وأنه سيكون مسوقاً، بالضرورة، إلى اتخاذ مواقف تربوية، أو أنه، على الأقلّ، سيعيشه الطفل بوصفه مربيّاً آخر، تؤكد ميلاني كلاين أن ثمة نقيضة بين التحليل النفسي (ولو أنه مطبّق على الأطفال) والبيداغوجيا. وتحجب هذه الخصومة

الطرائقية في الواقع خلافات أعمق على المستوى النظري. والحقيقة أن ميلاني كلاين تركّز بحوثها على نزاعات أبكر، تحدث في العلاقة مع الأم، في حين أن أنّا فرويد، الأمينة لفكر أبيها، تتابع بحوثها في التطوّر الأوديبي. وتُساق ميلاني كلاين إلى أن تحدّد طورين في السنة الأولى من الحياة، يتميّز كل منهما بـ «علاقة بالموضوع» خاصّة (أي بأسلوب في الإدراك وتحديد الموقع بالنسبة لـ «الموضوع»).

والطور الأول من هذين الطورين، المسمّى **الوضع الذهاني الهذائي الفصامي**، يشمل الأشهر الثلاثة الأولى أو الأربعة من الحياة على وجه التقريب. ويقيم الرضيع، في هذه المرحلة، علاقات بـ«موضوع جزئي»، ثدي الأم على نحو رئيس، الذي تُسقَط عليه الدوافع الليبيدية (غريزة الحياة) والدوافع العدوانية، «السادية الفمية» (غريزة الموت)، العنيفة حينئذ على وجه الخصوص. ولهذا السبب، يكون ثدي الأم منقسماً إلى موضوع «طيّب» وموضوع«سيء»: إنه ثدي «طيب» عندما يؤمّن اللذة ويوجّه دافع الحياة نحو الخارج؛ ويصبح «الثدي السيء المكروه والمضطهد»، دعامة غريزة الموت، عندما لايمنح هذه الإشباعات ويكون «محبطاً». ويحدث، بصورة ملازمة لانشطار الموضوع، انشطار الأنا» (أنا «طيّبة» و«أنا سيئة»)، بحيث يظلّ الجانبان «طيّب» و«سيء» منفصلين تماماً وأن «الموضوع الطيّب» لايمكنه أن يُدمَّر. ولكن الرضيع يخشى، خلال الزمن نفسه أن يدمّره «الموضوع السيّء» المجتاف، الذي يُسقط عليه دوافعه الخاصّة العدوانية. وبعد هذا الطور، نحو الشهر الرابع وحتى نهاية العام الأول، يتيح، للطفل الصغير، ضرب من التنظيم الأفضل للإدراكات، أن يحدّد موقعه على نحو أفضل. فأمه يدركها في كليتها، بوصفها شخصاً متميزاً منه، حاضراً تارة، وغائباً تارة أخرى، ويقيم علاقات مع أفراد آخرين. وعندئذ إنما يتأسّس **الوضع الاكتئابي**، الذي يبلغ نقطة ذروته نحو الشهر السادس. فالدوافع الليبيدية والدوافع التدميرية تقابلان «الموضوع الكلّي» من الآن فصاعداً. إن «الموضوع» نفسه، الأم، هو المحبوب والمكروه معاً. والطفل يعاني تجربة ثنائية المشاعر، مولّدة الإثمية. إنه يحبّ أمه، التي يحتاجها، وهو تابع لها كلّياً؛ ولكنه يغذّي في بعض الأحيان، بوصفها لاتشبع رغباته دائماً،

عداوة عنيفة لها تجعله يخشى أن تدمّرها ويفقدها (من هنا منشأ مفهوم الاكتئاب)؛ وتولد من هذا الوضع تكوّنات ارتكاسية، كالرغبة في إصلاح الأضرار التي تُسبّبها لأمه في استيهاماته. فتتضاءل آليات الإسقاط، في حين تتكثّف آليات الاجتياف (الاستدخال). وتميل الأنا بصورة ملازمة، بوصفها توقّفت عن أن تتجزأ إلى أجزاء «طيبة» و«سيئة»، نحو تكامل أفضل. ويتجاوز الطفل هذا الوضع الاكتئابي عندما يجتاف «الموضوع الطيّب» اجتيافاً ثابتاً دائماً. وفي رأي ميلاني كلاين أن أي واحد من هذين الطورين، الأول والثاني، اللذين يبلغان أوجهما في الطفولة الأولى، لا يُهملان أبداً إهمالاً نهائياً، وكل شخص يمكنه، طوال حياته، أن ينكص نحو أحد هذين الوضعين. والطور الأعتق من هذين الطورين، ذلك الذي يسود فيه انشطار الموضوع والأنا، وتكون فيه آليتا الدفاع، بصورة أساسية، هي الإسقاط والاجتياف، تقابله بنية ذهانية نجدها لدى الراشد الفصامي ولدى المصاب بالذهان الهذائي (البارانويا)؛ والطور الثاني، الذي تكون فيه الأنا موحّدة وتكون آليات الدفاع على وجه الخصوص هي التكوينات الارتكاسية والانعزال، إلخ، تقابله سيرورات نفسية نجدها على وجه الخصوص في الحداد والحالات الاكتئابية. أضف إلى ذلك أن علينا أن نلاحظ أن ميلاني كلاين تجعل عقدة أوديب عائدة إلى هذا الطور الثاني («الوضع الاكتئابي»)، أي منذ أن يكون بوسع العلاقات بـ«أشخاص كليين» أن تنبني.

وتثير نظرية ميلاني كلاين كثيراً من التحفّظات وعدداً من الانتقادات. وإذ تؤكّد ميلاني كلاين، على سبيل المثال، أن أنا بدئية تباشر فاعليتها منذ الولادة وتبين دفعة واحدة قادرة على إقامة علاقات بالموضوع وعلى معاناة الحصر ومراقبته، وأن الأنا العليا تعمل عملها الوظائفي بصورة مبكّرة جداً، منذ الأشهر الأولى، بوصفها مرجعاً تخريبياً، فإنها تجهل قوانين علم النفس التكويني (الذي أوضحها جان بياجه على سبيل المثال)، تلك القوانين التي تحكم النموّ السيكولوجي البيولوجي للطفل. وهي، من جهة ثانية، إذ تجعل الأم تؤدّي دوراً حصرياً في بناء شخصية الطفل، تضفي الامتياز بمغالاة على عضو من أعضاء محيطه، في حين أننا نعلم أن الأب،

على سبيل المثال، ليس أقل اتّصافاً بأنه أساسي (جـ. لاكان). وأخيراً، ليس بوسع المرء أن يمنع نفسه من أن يلفت النظر إلى السمة، النظرية بصورة أساسية، سمة منظومة بُنِيت على معيش الرضيع، معيش لا يمكن التعبير عنه مبدئياً. «من الواضح أن الحياة الاستيهامية للطفل ملأى بمعيش يتعذّر وصفه، ولكن من الواضح أيضاً أن صياغة معيّنة لهذا المتعذّر التعبير عنه ملأى بالسمات ذات الأشكال المقتبسة من الراشد. ويصعب قبول استيهامات كاستيهام الدمج الفمي لعضو الذكر لدى الأب أو قبول مفاهيم كمفاهيم الموضوع السيء المدرك أنه ثدي سيء يماثل عضو الذكر الذي دمجته الأم في جسمها، ذلك أننا ندخل بهذا، في المتخيّل، وقائع ليس مجراها معروفاً إلا على نحو متأخّر جداً...» (جـ. دو أوجورياغرا، 1970، ص58). وأحدثت ميلاني كلاين، التي يظلّ الفضل لها على الأقل في أنها أبرزت حياة الطفل الصغير المتخيّلة قبل تنظيم اللغة، تيّاراً حقيقياً من البحوث والمؤلفين مثل د. و. وينّيكوت، إ. جاك، اللذين ينتسبان إلى فكرها. (انظر في هذا المعجم: آليات الدفاع).

N.S.

الكلام

F: Parole

En: Rede

D: Wort

سيرورة استخدام اللسان في التواصل.

مفهوم الكلام يُعامل مَعاملةً مختلفة في الألسنية وعلم النفس. فالألسنيون، انطلاقاً من فرْديناند دو سوسّور (1857-1913)، يقابلون بين الكلام، بوصفه سيرورة، واللسان بوصفه منظومة من الوسائل المستخدمة في الكلام. وينظر علماء النفس إلى الكلام، على الأغلب، أنه جانب من جوانب الفاعلية النفسية أو أنه وظيفة من الوظائف النفسية العليا لدى الإنسان (بما فيها الفاعلية العقلية، الذاكرة، الإدراك، إلخ). ومن هنا منشأ مقاربتين سيكولوجيتين، مختلفتين، خاصتين بمشكل الكلام: ١) المقاربة النفسية الألسنية، حيث الانتباه يتوجّه إلى المكافئات السيكولوجية لوحدات اللسان والبناءات؛ 2)مقاربة علم النفس التقليدي للكلام، حيث يسود تحليل الإشراط الفيزيولوجي لنشوء الكلام ووظائف سيرورته نفسها؛ ولكن بنيته الداخلية لم تُحلّل. (انظر في هذا المعجم:الألسنية، علم النفس الألسني).

A.A.L.

الكلمة

F: Mot

En: Word

D: Wort

صوت أو زمرة من الأصوات منطوقة يمكن للإنسان أن يعبّر بها عن افكاره.

يبدو أمراً موضع شك أن تكون الكلمة ذات علاقة بواقع من الوقائع، على الرغم من أن مفهوم الكلمة مألوف لكل فرد يحسن القراءة والكتابة، وموضع شك أيضاً أن يكون بوسعنا أن نُطلق تعريفاً على هذا المصطلح غير التعريف التخطيطي - أو الطباعي - كأن نقول: «ماهو موجود بين فسحتين بيضاويين». والواقع أن الكلمات المخطوطة تتكوّن من وقائع ألسنية متغيّرة جداً. فبعضها، مثل من، جميل، أجل، متطابقة على وجه الدقة مع مونيم (أو مورفيم). وبعضها الآخر، على العكس، تركيبات وحدات (مثال ذلك **يحرّضونهم**). وحاول بعضهم تعريف الكلمة بمعناها، ولكن الكلمة إذا كانت، بين معان ممكنة أخرى، هي ما يعبّر عن علاقة (تعريف متكيّف من حروف الجر)، فإننا لانرى لماذا لاتكون حالات الإعراب في الألسن المعربة لاتكون كلمات. وأراد بعضهم الآخر أيضاً تعريف الكلمة بالسمة الثابتة لأشكالها، ولكن ذلك ينطبق على اللواحق التي ليست كلمات. وحاول آخرون، في زمن أحدث، إطلاق تعريف نبْري على الكلمة، ولكنه لاينطبق على الكلمة المخطوطة. وتعريف الكلمة بوصفها عنصراً منفصلاً عن العناصر المجاورة بإدخال عناصر أخرى تعريف إجرائي بصورة جزئية؛ إنه تعريف

يظلّ غير دقيق على الرغم من كل شيء، وغير إجرائي إزاء مجموعات من عدة كلمات مخطوطة، متلاصقة من الناحية الدلالية كثيراً أو قليلاً، مثل au fur et à mesure في اللسان الفرنسي، لاتنفصل على الإطلاق. ويبدو أن الكلمة واقع مخطوط، أي واقع ثقافي، ليس له وجود، على خلاف المونيم أو التركيب النحوي (سينْتاغم) بالنسبة لمن يمارس اللغة في شكلها الشفهي فقط. (انظر في هذا المعجم: المونيم، التصويت [فونيم]، التركيب النحوي [سينْتاغم]).

C.MA.

F: Métonymie — **الكناية**

En: Metonymy

D: Metonymie

إنابة كلمة مناب كلمة أخرى.

تعبّر الكناية عن فكرة أو تدلّ على شخص، أو حيوان أو شيء، مستخدمين مجازاً (أي كلمة مأخوذة بمعناها المجازي) يقيم مع المدلول ضرباً من العلاقة، المنطقية أو المألوفة فقط. وهكذا نتكلّم، على سبيل المثال، على «ثوب حصان»، أو «شرف العلم». وفي ظلّ شكل الكناية أيضاً إنما تُسمّى، في القرآن، حور الجنة، ذات الحسن الإلهي، اللواتي وعد الله المؤمن المسلم بهنّ في الحياة الآخرة؛ والواقع أن كلمة «حورية» التي تدلّ عليهن (مشتقة في العربية من الحور العين) ليست ذات علاقة، في الواقع، إلا بـ«عيونهن السوداء الكبيرة». والاستعارة والكناية موضع مقارنة غالباً. إنهما، في رأي الجماعة MU، من جامعة ليبج (جـ. دوبوا، ف. إيدولين، جـ.م. كلنْلَنْبرْغ، ب. مانْغه، ف بيرْ، ت. ترينون)، في علاقة من التكامل. وفي رأي هؤلاء الألسنيين أن «الاستعارة تُدخل سمات دلالية (Sèmes) تعيينية، أساسية، متضمَّنة في تعريف الألفاظ. أما الكناية، فإنها على العكس، تدخل سمات دلالية تضمينية، أي متلاصقة في كَنَف مجموع أوسع وتُسهم معاً في تعريف هذا المجموع. (انظر في هذا المعجم: التكثيف، الانزياح، الاستعارة، المجاز).

P.C.

كِنْسه (ألفريد شارل) Kinsey (Alfred Charles)

عالم بيولوجيا أمريكي (هوبوكن [قرب نيويورك]، نيوجرسي، 1894- بلومنغتون، إنديانة، 1954).

دكتور في العلوم(1920)، كنْسة يعلّم علم الحيوان في جامعة إنديانة بوصفه أستاذاً مساعداً أول الأمر، ثم أستاذاً أصيلاً (1929-1956). ودُعي كنسه عام 1938، بناءً على طلب الطلاب، إلى أن يرأس جماعة من الشخصيات (طبيب، قاض، قس) يُعهد إليها بمحاضرات في التربية الجنسية والتحضير للزواج. وتعهد إليه عام 1942 مؤسّسة روكفلر وجامعة أنْديانة أن يستقصي المشكلات الجنسية، بدءاً من أحلام اليقظة الغلمية، والاستمناء والمداعبات قبل الزوجية حتى الانحرافات. وجمع كنسه ومعاونوه في **معهد البحث الجنسي**: ورْديل بوميروا، ك. إ. مارْتان، بول جيبْهارْد، حديث أكثر من ستة عشر ألف شخص، موزّعين على كل أرض الولايات المتحدة الأمريكية ويمثّلون السكان الأمريكين. ونشروا نتائج أعمالهم على شكل تقريرين، الأول خاص بالسلوك الجنسي للرجل (1948)، والثاني خاص بالسلوك المرأة الجنسي (1958). ويبدو واضحاً، من خلاصة هذه البحوث، أن السلوك الجنسي لدى الرجل والمرأة كان سلوكاً متنوّعاً إلى الحدّ الأقصى؛ وأن ماكان يُستهجن استهجاناً كبيراً كان ممارسة رائجة؛ وأن «95 بالمئة من الأمريكيين ينبغي أن يكونوا في السجون لجرائم جنسية، لو كان علينا أن نطبّق القوانين النافذة المفعول في الولايات المتحدة الأمريكية». (انظر في هذا المعجم: **الانحراف الجنسي**).

N.S.

كورْساكوف (سيرجْفيتش) Korsakoff, (Sergheï Sergheïevitch)

طبيب نفسي روسي (1854 -1900).

محاضر في جامعة موسكو منذ عام 1888، سُمي كورْساكوف أستاذ الطب النفسي في هذه المنشأة عام 1893. وأصبح شهيراً، على وجه الخصوص، حين وصف ذُهاناً كحولياً ينطوي على اضطرابات خاصّة بالذاكرة ويعرضه الأكثر تفصيلاً، فيما بعد، للاضطرابات نفسها التي كان قد اكتشفها، بأشكالها النموذجية، في أمراض أخرى. ولقيت هذه الأعمال دوياً في العالم كلّه، ويحمل التناذر الذي وصفه اسمه منذ ذلك الحين. وكان كورساكوف أيضاً الأول الذي وضع، قبل كريبلْن (1856-1926) وبصورة مستقلّة عنه، أسس علمٍ لتصنيف أمراض الطب النفسي ينشد دراسة الأمراض العقلية من وجهة النظر لمبحث أسبابها. وابتكر، في روسية، أول تصنيف مفصّل للأمراض العقلية. ودرس في الوقت نفسه، دون أن يهمل وجهة النظر الدينامية، كل العوامل التي كانت تؤثّر في مجرى الأمراض العقلية. وكان هذا العيادي البارز يوصي، فيما يخصّ المرضى، بمنهج «اللاإكراه» (تحريم استخدام سترة المجانين بالقوة، على سبيل المثال) وباتّجاه إنساني، أكثر تفهّماً. ونذكر من مؤلفاته العديدة: **في الشلل الكحولي** (1887)؛ **الاضطرابات المرضية في الذاكرة وتشخيصها** (1890)؛ **في مسألة الأشكال الحادّة من الخَلْط العقلي**(1891)؛ **محاضرات في الطب النفسي** (الطبعة الثانية، 1901).

I.S.

كوفكا (كورت) Koffka (Kurt)

عـــالـم نفس أمـــريكي من أصـل ألماني (برلين، 1886 - نورثمْتون، ماساشوست، الولايات المتحدة، 1941).

يحضّر كوفكا، تلميذ كارل ستامْف (1848 -1936) في برلين، رسالة دكتوراه تحت إشرافه (1908) مخصصّة لدراسة تعلّم الإيقاع التجريبية. ويصبح، بعد أن كان مساعد ج. فون كريز في فريبورغ وأسْوالد كولْب في ويرزْبورغ (1909)، مساعد ف. شومان في فرانكفورت (1910)، الذي يلتقي عنده بماكس ورثايْمَر وولْفغانْغ كوهلر، اللذين يؤسّس معهما، **علم النفس الغشطالتي**. وإذ يُسمّى، عام1918، أستاذاً فوق العادة في جامعة جيسّنْ، فإنه يبقى فيها حتى عام 1924، ثم يهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يعلّم على التوالي في جامعات كورنْيل وكلارك ويسكونْسان، ثم في **كلية سميث** بدءاً من عام 1927. وانصبّت بحوث كوفكا بصورة خاصة على الإدراك، ولكنها انصبّت أيضاً على الذاكرة، وسيكولوجيا الطفل، وعلم النفس الاجتماعي وسيكولوجياالتعلّم. وفي رأيه أن قوانين **نظرية الغشطالت**، ولاسيّما قوانين تنظيم الأشكال، والتشاكل، والنسبية، وتغيّر الموضع، وأخيراً دينامية الحقل، يمكنها أن تشرح التعلّم. وكل تعلّم جديد يمكنه أن يُفهم أنه تكوّن «آثار» تذكريّة في الدماغ، تتبَنْين وفق القوانين المذكورة سابقاً. ومنظومة «الآثار» المتكوّنة على هذا النحو يمكنها أن تتعزّز بفعل الممارسة أو تضعف عندما لاتكون راسخة بفعل التكرار. ويحدث في هذه الحالة، على مستوى الدماغ، تغيّر في «آثار الإثارة» التي تميل إلى أن تكوّن شكلاً حسناً، إذ

تضيع بعض التفصيلات وتبرز أخرى. ويعرض كوفكا، في مؤلفه الرئيس، **مبادئ علم النفس الغشطالتي** (1935)، نتائج بحوث مختلفة في هذا العلم - بما فيها بحوث كورت لوفن (1890 -1947). ونديـن لـه أيضاً بمؤلفات عديدة منها: **الإدراك، مدخل إلى النظريةالغشطالتية** (1922)، **نموّ العقل** (1924). انظر في هذا المعجم: **الحقل، الشكل، الشكل التام الحسن [كثافة الحضور]، التعزيز).**

N.S.

الكوكائين

F: Cocaïne

En: Cocaine

D: Kokain

الكلمة أسبانية من لغة من البلاتا، الأرجنتين.

الكوكائين شبه قلوي مستخرخ من الكوكائين (Erythroxyloncoca،) شجيرة تتكاثر في الحالة الطبيعة في الأنْد (أمريكة الجنوبية) ولكنها تُزرع في بلدان أخرى، لاسيّما في سيلان وجامايكا.

تمضغ شعوب أمريكة الجنوبية، منذ العصور السحيقة في القدم، أوراق الكوكائيد لتتشاغل عن جوعها وتزيد المقاومة الجسمية. وفي تقدير المنظمة العالمية للصحة (O.M.S.)، يبلغ الاستهلاك السنوي 3كغ لكل فرد من السكان. فـالكوكائين أو الإيريثْدروكسيلون كوكا بودرة بيضاء بلورية تستخدم استنشاقاً من 3سغ إلى 30 سغ.

وتحدث النشوة الكوكائينية في ثلاثة أطوار: 1) يحسّ الفرد الأول الأمر بشيء من الغبطة؛ فيبدو فعّالاً، ثرثاراً وجريئاً؛ 2) ويطرأ طور من الإعياء والخمول، تبدو خلاله اضطرابات تنفّسية (لُهاث) وعصبية واضطرابات في جريان الدم: هلوسات بصرية (تدبّ الحياة في اللوحات وتشرع الستائر في الحركة) وسمعية وهلوسات حساسية عامة (إحساس بأن الفرد تفترسه طفيليات دقيقة تجري تحت الجلد)؛ 3)الأزمة تنتهي بحالة من السُبات. والإدمان المزمن على سموم الكوكائين يقود إلى تدهور عقلي، واضطرابات في السلوك (عدوانية)، والوجدانية، والإرادة،

والجنسية. ويسبب الكوكائين، من جهة أخرى، اعتياداً نفسياً قوياً. ومستهلك الكوكائين لم يعد يمكنه أن يستغني عن مخدّره، وذلك أمر يدفعه إلى الحصول عليه بكل الوسائل. ومعالجة هذا الإدمان الرهيب على المخدّرات لايمكن أن يُباشر بها إلا في الإطار الاستشفائي. إنها طويلة (سنة على الأقل)، والانتكاسات متواترة.

N.S.

كومينيوس Comenius (En Latin: Imos Komensky)

عالم بيداغوجي تشيكي (نيفْنيس، مورافيَة الجنوبية، 1592- أمستردام، 1670).

أفكار كومينيوس الفلسفية والبيداغوجية المعروضة في كتابه الذي ترجمه جـ. ب. بيوبيتّا إلى الفرنسية بعنوان **الكتاب العظيم في التعليم** (باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1952)، ثورية من نواحٍ كثيرة. فهو ينصح بتعميم التعليم المجاني، بدءاً من أصغر العمر، على كل الأطفال، أياً كان وضعهم الاجتماعي وجنسهم، دون استبعاد المتخلّفين عقلياً، ذلك أن «الواجب يفرض علينا، يوضّح كومينيوس، ألا نستبعد شخصاً من فوائد التربية والتعليم». وينصح، من جهة أخرى، بالتوجيه المهني في الرابعة عشرة من العمر، وبعون الدولة المادي للطلاب الفقراء- وطرد أولئك الذين «يبدّدون زمنهم ونقودهم في البطالة» من الجامعة -، وبالتكوين الأخلاقي والجمالي والجسمي للتلاميذ. ويلحّ، فيما يخصّ الأطفال الأصغر عمراً، على قيمة اللعب، ودروس الأشياء ودراسة الوسط، إذ يؤثر المدرسة «الحيّة تحت أشجار الزان والسنديان» على المدرسة «الخالية من الحياة، مدرسة الكتب». ولصالحهم ينشر كومينيوس **مدرسة الألعاب** (1657) ونادي الرسم(1958)، أول مؤلف بيداغوجي مزيّن بالصور. أما لتعلّم اللغات، فإنه يقترح طريقة حدسية في كتابه **الباب المفتوح على اللغات** 1628 -1631، الذي ترجمه أ. ك. فرنْيه إلى الفرنسية بعنوان: **باب الذهب**، 1898. ويطلب أخيراً إلى التلاميذ أن يعالجوا الأشياء باليدين، ويُجروا التجارب، ويزوروا الورشات، وأن

يكونوا على اتصال بالطبيعة وألا يتعلّموا شيئاً لايكون مفيداً لهم، وكلها مبادئ ستؤسّس البيداغوجيا الجديدة فيما بعد. فالمؤلفات المكتوبة لدى ج. أ. كومينْسكي واسعة جداً. وكانت أعماله البيداغوجية قد جُمعت تحت عنوان **الفاعلية التعليمية كلها**. أضف إلى الكتب المذكورة، بوسع القارئ أن يقرأ بالفرنسية بعض **الصفحات المختارة** التي نشرتها المنظّمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (يونيسكو)، باريس، 1957. (انظر في هذا المعجم: **المدرسة الفعّالة، التربية**).

N.S.

كونورْسكي (كيرْزي) Konorski (Jerzy)

عالم نفس وعالم في علم وظائف الأعصاب بولوني (لودز، بولونية 1903 ـ فارسوفية، 1973).

يكتشف كونورْسكي، خلال دراساته الطبية في فارسوفية، كتاب بافلوف، **دروس في العمل الوظائفي لنصفي الكرة الدماغية** (1926) ويقرّر مع زميله في الدراسة ستيفان ميلر، أن يقيما مخبراً صغيراً لدراسة المنعكسات الشرطية في قسم علم النفس من الكلية الحرّة البولونية، ثم في مخبر الفيزيولوجيا لكلية الطب. وأظهر كونورْسكي وميلر عام 1928، في تقارير جمعية البيولوجيا بباريس، ملاحظة عنوانها **في شكل خاص من المنعكسات الشرطية**، يحدّدان فيها نموذجاً جديداً من الإشراط، يسمّيانه «الإشراط من النموذج 2». وبافلوف، الذي لايعتقد بوجود نموذجين من الإشراط، يدعو الباحثين الشابين إلى المجيء للعمل معه في مخبره بلينِنْغراد عام 1931، ويبقى كونورسكي وميلر فيها سنتين. ويؤسّس كونورسكي، بعد عودته إلى فارسوفية عام 1933، مخبراً للمنعكسات الشرطية في مؤسّسة نينكي للبيولوجيا التجريبية، ويتعاون مع عالم النفس باله وينظّم مخبراً لعلم النفس الحيواني في جامعة فارسوفية. ويقتل النازيون ميلر خلال الحرب، في حين أن كونورسكي يفلح في الوصول إلى الاتحاد السوفييتي، حيث تُعهد إليه إدارة مخبر في سوكْهومي (جورجية)، مخصّص لدراسة الآفات العصبية الناجمة عن جروح الحرب. ويعود إلى لودْز بعد انتهاء الحرب ويدير مؤسّسة نينكي مجدّداً؛ ودُعي عام 1969 إلى جامعة فارسوفية. وثمة مؤلفان من مؤلفات كونورسكي الذي

كان عضواً في أكاديمية العلوم ببولونية ومدير مجلة **الوقائع العصبية التجريبية**، كانا قد تُرجما إلى الانغليزية؛ إنهما: **المنعكسات الشرطية والتنظيم العصبوني**، الذي أهداه كونورسكي إلى بافلوف وشيرآنغتون معاً (كمبْردج، 1948)؛ **فاعلية الدماغ التكاملية** (شيكاغو، 1967). (انظر في هذا المعجم: **الإشراط الأداتي أو الإجرائي**).

N.S.

كوهْلر (وُلفغانغ) Kohler (Wolfgang)

عالم نفس أمريكي من أصل ألماني (رافسال، 1887- إنفيلد، نيوهامشاير، 1967).

يقدّم كوهلر، بعد دراساته في توبنْجنْ، بون وبرلين، حيث كان تلميذ عالم النفس كارل ستومْف (1848 -1936)، أطروحته للدكتوراه (1909) ويصبح معاون ف. شومان في معهد علم النفس بفرانكفورت سور - لو - مان. ويصادف فيه ماكْس ورثْيمر (1880 -1941) وكورت كوفكا (1886-1941) اللذين يتعاون معهما في سلسلة من البحوث في الإدراك البصري، وعلى وجه أخصّ في الحركة الستروبوسكوبية. ويكوّن العلماء الثلاثة نواة مايُسَمّى مدرسة برلين، التي تتوجّه أعمالها نحو سيكولوجيا المجموعات، على عكس السلوكيين الأمريكيين في العصر نفسه. وإذ أُرسل إلى جزيرة تينيريف (أرخبيل كاناري) عام 1913 من أجل دراسات تجريبية على ذكاء الحيوانات، فإنه فوجئ بإعلان الحرب ووجب عليه أن يظلّ فيها حتى عام 1920. وينشر كوهْلر مؤلّفاً ذا دويّ: **ذكاء القرود العليا** (ترجمه إلى الفرنسية ب. غيّوم، ألكان، 1927) يوجّهه إلى علماء العالم كلّه. ويبرهن فيه على وجه الخصوص أن القرود الشبيهة بالإنسان قادرة على أن تستخدم، بل تبتكر أدوات (عصا طويلة، على سبيل المثال، لتجذب إليها ثمرة تشتهيها). ويعرض فيه أيضاً كيف يعمل الذكاء عمله الوظائفي. إنها تكفّ عن أن تنخدع بعد بعض المحاولات غير المثمرة: يبدو لها الحلّ بضرب من الفهم الحدسي (الاستبصار: in-sight) للوضع: يكدّس الشامبنزي صندوقين أحدهما على الآخر ويستخدم غصن

شجرة عصاً لبلوغ قرن الموز الموضوع بعيداً عن متناوله. فليس ثمة، يقول كوهلر، تجميع عناصر يدركها أول الأمر بصورة منعزلة، بل فهم إجمالي للوضع. ولم تتّخذ العصا والصندوقين معناها وقيمتها الوظيفية إلا في مجموع تشكّل جزءاً منه؛ وهذا الموضوع «هو الذي اصطفاها ونظّمها». ويجرّب كوهلر أيضاً، في تينيريف، على الدجاج. فيضع أمامها سطحين رماديين أحدهما A داكن أكثر من الآخر B، يضع عليهما حبوباً، ولكنه يمنعها من الوصول إلى السطح الفاتح. وعندما يتعوّد الدجاج، فيما بعد، على أن ينقر الحبوب من على السطح الداكن A، يستبدل السطحÁ بالسطح A، والسطح Á قاتم أكثر من السطح A أيضاً؛ ويُلاحظ أن الدجاجات لم تعد تنقر، من الآن فصاعداً، من على السطح A بل من السطح Á، كما لو أنها لم تكن قد تعلّمت أن تميّز فارق لون معيّن، بل ضرباً من النسبة: السطح الأدكن من السطحين الرماديين.

ودُعي كوهلر، بعد عودته إلى ألمانية، أول الأمر أن يعلّم علم النفس في غوتنْجن (1920-1921)، ثم سُمّي مديراً لمعهد علم النفس في برلين، حيث خلَف كارل ستَمْف(1922). ويؤسّس عام 1921، مع كوفكا وويرتْايْمَر مجلة لعلم النفس سيتوقّف إصدارها عام 1935. ويهاجر كوهلر، المعادي للنظام النازي، إلى الولايات المتحدة الأمريكية (1935). ويعلّم الفلسفة في **كلية سوارْثمور** حتى عام 1955، ثم علم النفس في **كلية دارتْماوس** (نيو هامْشاير) [1958]. وندين لكوهلر بعدة مؤلفات نذكر منها **علم النفس الغشطالتي** (نيويورك، لايْف رايْت، 1929، الترجمة الفرنسية: **سيكولوجيا الشكل**، باريس غاليمار، 1964)؛ **ديناميات في علم النفس** (نيويورك، ليفرايت، 1940)؛ **في طبيعة الترابطات** (1941)؛ **مهمّة علم النفس الغشطالتي** (برانْسيتون، مطابع جامعة برانْسيتون، 1969). (انظر في هذا المعجم: **الشكل**، **الصورة**، **الحركة الستروبوسْكوبية**).

N.S.

كريلَنْ (إميل) Kreapelin (Émile)

طبيب نفسي وعالم نفس ألماني (نوسْتريليتز، ميكلنبورغ، 1856. ميونخ، 1926)

كريلَنْ معروف على وجه الخصوص بعلم تصنيفه الأمراض في الطب النفسي. إنه وضع تصنيفاً منهجياً للأمراض العقلية تبعاً لمبحث أسبابها (اضطرابات ناجمة عن رضّ جمجمي، عن اعتلال الدماغ، عن التسمّم، عن تصلّب الشرايين، عن مرض معدٍ، عن فقدان التوازن في إفراز الغدد أو الأيْض، عن الوراثة، إلخ) وعزل زمرتين من الذهانات الوراثية: ضروب الخَبَل المبكّر والذهانات الهوسية الاكتئابية، المتعارضتين في تطورهما. الأولى تُعتبر غير قابلة للشفاء؛ والثانية تُعتبر أنها يمكنها أن تتطوّر نحو الشفاء. إنه يجمّع، في ضروب الخبل المبكّر، فصام المراهقة، الخبل نظير الذهان الهذائي (بارانويا)، الكاتاتونيا، البارافرينا: هذه الأمراض تصيب الصغار، الذين يُظهرون، بعد بضع سنوات، حالة خَبَل خاصة: الذاكرة والتوجّه في الزمان والمكان مصابان بخَلَل ضعيف؛ ولكن اللغة غير متماسكة ويُبدي المريض نوبات من النزعة السلبية، والاصطناعية ومراحل إثارة. أما الذهانات الهوسية الاكتئابية، فإنها تتطوّر وفق أطوار تتناوب فيها الاكتئابات ونوبات الهوس. ولكن كريلَنْ وصف أيضاً حالات مختلطة تنطوي معاً على أعراض الهوس والسوداوية. وكان أحد الأوائل الذين تبنّوا طرائق علم النفس التجريبي في الطب النفسي. فاستخدام القياسات الموضوعية والروائز، ولاسيّما روائز ترابط الكلمات في فحص المرضى العقليين. وأعدّ، هو نفسه، رائزاً معروفاً

بتسمية دفاتر كريلن، يتكوّن من أعمدة من الأرقام المطلوب جمعها، وتتيح تقييم تأثير التمرين والتعب. واستخدم لدراسة تأثير المخدّرات، كالنيكوتين والكحول، في السلوك والعضوية، طريقة أزمنة الارتكاس. وأخيراً، عُني كريبلَنْ أيضاً بتخطيط العمل العضلي وأجرى دراسات في منحنيات العمل والتعب. (انظر في هذا المعجم: الكاتاتونيا، فصام المراهقة، الذهان الهوسي الاكتئابي، الهوس، الاصطناعية، السوداوية، نظير الذهان الهذائي، البارافرينيا).

M.C.

حـــرف
الــلام

اللاشعور

F: Inconscient

En: Unconscious

D: Unbewubt(adj), Unbewubt(subst)

إذا استخدمنا المصطلح صفة، فإنه يدلّ على ما يخلو من الشعور بطبيعته (حجر، على سبيل المثال) أو على ما يفلت عَرَضاً من أن يكون شعورياً، كمعظم آليات الضبط العضوية أو بنية اللسان، التي تظلّ مجهولة من المتحدّث ما دام لم يدرس نحوها وتستمرّ، حتى عندئذ، في أن تكيّف قوله على غير علم منه.

وإذا استخدمناه اسماً، فإنه يدلّ على مجموع الحوادث التي ليس لدينا شعور بها. إنها كل مكتسباتنا الشخصية، وأفكارنا، وإدراكاتنا، وذكرياتنا الضائعة، بمناسبة ظروف مناسبة؛ إنه الماضي المطمور، والحاضر الذي لا نوليه اهتماماً، والمستقبل الذي نحن حاملوه.

ومن المعلوم، منذ العصور القديمة على الأقلّ، أن الحياة النفسية لا ترتدّ إلى ما هو شعوري وأن عدداً من سلوكاتنا: أفعال آلية، أوضاع غير معروفة لنا وحتى بعض التصرّفات، توجد خارج إرادتنا وشعورنا. فسقراط (نحو470-399 ق.م). كان يقول إن «جنّه» الحارس، الذي لا يخدعه أبداً، هو الذي كان قد أوحى له أن ينذر نفسه للفلسفة. ونجد مفهوم اللاشعور لدى ويلْهلْم غوتْفريد ليبنز (1646-1716)، الذي يرى في الإحساس نتيجة ضرب من لانهائية من الإدراكات التي تفلت من انتباهنا لأنها مفرطة في الصغر، أو مفرطة في الكبر، أو مغالية في

الاتحاد: إن ضجة الأمواج، ضجتها الخرساء، على سبيل المثال، هي نتاج تصادم قطرات صغيرة من الماء لا تُحصى تؤلف هذه الأمواج. ولكن الأهم يكمن في أن «هذه الإدراكات الصغيرة هي التي تحدّدنا في كثير من المصادفات دون أن نفكر فيها» (محاولات جديدة في وظيفة الفهم الإنساني، 1704، مقدّمة). ويستشعر رونه ديكارت (1596-1650) هو نفسه أيضاً، الذي لم يكن مع ذلك يقبل سوى نسقين من الواقع: الشيء الممتدّ، مظهر الطبيعة، ثم الواقع المعرفي، الوجود الشعوري، الشعور، والذي كان يفصل الروح عن الجسم، أقول يستشعر وجود سيرورات لاشعورية. والواقع أنه يذكر في المقال الذي كان آخر مؤلفاته: أهواء النفس (1649، مقال136): «ضروب النفور الغريبة لدى بعض الأشخاص، التي تمنعهم من تحمّل رائحة الورود، أو وجود هرّ»، هذه الأوضاع ناجمة عن واقع مفاده أنهم «في بداية حياتهم كانت بعض هذه الأشياء المماثلة قد صدمتهم صدمة قوية (. . .) دون أن ينتبه أحد منهم إلى ذلك ولم يكن لديه فيما بعد أي ذكرى لها. . .». والفكرة نفسهاسيعبّر عنها بعد ثلاثة قرون على وجه التقريب س. فرويد(1912) الذي يقول إن الحياة النفسية «ملأى بالأفكار الفاعلة مع أنها لا شعورية» ومن هذه الأفكار إنما تولد الأعراض المرضية.

وكان علماء النفس الحديثون مدفوعين إلى المصادرة على فاعلية للفكر لاشعورية ليشرحوا بعض الظاهرات، كالأشكال المختلفة من التعلّم (عادات، منعكسات شرطية، الخ)، وترابط الأفكار، والاختراع، والإبداعية، أو ليشرحوا أيضاً سيرورة الإيحاء في النوم المغناطيسي: إن شخصاً يتلقى أمراً تحت التنويم المغناطيسي سينفّذه، ما إن يستيقظ، مع أنه ليس لديه أي ذكرى للأمر المتلقى. ويرى ويلهلم وندت (1832-1920) في اللاشعور نمطاً كامناً من أنماط الفاعلية الدماغية الي يمكنها أن تؤثر في سلوك الفرد بعمق. واللا شعور، في رأي برادين (1874-1958)، «بذرة الحياة النفسية»، شرطها وعنصرها الأساسي. وتكمن وظائفه الأساسية في تهيئة العمليات الفكرية ودعمها وتحرير التفكير لمهمات أخرى. وبعد أن تابع جان مارتان شاركو (1825-1893)، في سالبيتريير،

وهيبوليت ماري برنهايم (مولهاوس1837 - باريس، 1919)، بحوثهما في التنويم المغناطيسي، متابعة معمّقة جداً، وبرهنا على وجود آليات لا شعورية، استخلصا أن المصابين بالأمراض العقلية تقودهم في أعمالهم سيرورات تخفى عليهم كلياً. (كالهستيريين على سبيل المثال، الذين تقودهم انفعالات مكبوتة). ويرى بيير جانه في اللاشعور مفعول ضرب من تفكّك الشعور، العاجز عن أن يسود مجموع الحياة النفسية جراء ضعف عضوي، والمسؤول بالتالي عن قصور وظيفة الواقعي. ولانكماش حقل الشعور نتيجة منطقية مفادها مرور جزء من الظاهرات النفسية والسلوكات في اللاشعور، وينجم عن ذلك بالترابط تحرير آليات ذهنية. ولكن لدى سيغموند فرويد (1856-1939) على وجه الخصوص إنما سيتّخذ مفهوم اللاشعور كل أهميته، إذ يصبح سيرورة دينامية آليتُها الأساسية هي النزاع: نزاع بين القوى المتضادّة (ميول، رغبات)؛ نزاع مع المقتضيات الاجتماعية، الأخلاقية، والدينية؛ نزاع مع العالم الخارجي. ويميّز فرويد، في**نظرية الجهاز النفسي الأولى** (المسماة1ère topique)، ثلاثة منظومات في الشخصية: الشعور؛ قبل الشعور، أو الحياة النفسية الكامنة الجاهزة؛ وأخيراً، اللاشعور، الذي يتكوّن من عناصر مكبوتة لايمكنها أن تبلغ المنظومة قبل الشعورية- الشعورية لأن آليات دفاع تعارضها (الكبت). وهذه العناصر هي، بصورة أساسية، رغبات، وعلى وجه أخصّ رغبات من الطفولة ورغبات جنسية يشقّ على الشخص أن يقبلها. إنه ينبذها إذن كما لو أنها غريبة عنه. ويسلك، إذ يجعلها لاشعورية، كما لو أنها لم تكن موجودة ويوفّر على نفسه عواطف مؤلمة كالخذي والإثمية. ولكن ممثّلات الدوافع، وإن ظلّت مستمرّة في النسيان، ليست خارج المجال النفسي لهذا السبب، وهي تنزع دائماً، بوصفها مشحونة بطاقة دافعية قوية، إلى أن تنبعث في الشعور أو في العمل. ولكن هذه «الفسائل»، فسائل اللاشعور، تصطدم أيضاً بقوة من المراقبة أخلاقية وثقافية معاً: إنها الرقابة، التي لا تسمح لها أن تظهر إلا مقنّعة، في تكوينات التسوية كالأفعال الخائبة (زلات القلم واللسان، النسيان)، والأحلام والأعراض العصابية.

وللاشعور قوانينه الخاصة المختلفة عن قوانين المنظومة الشعورية؛ إنه لا يبالي بالزمن، يجهل الواقع والمنطق، يتكيّف مع التناقضات ولا يحكمه سوى مبدأ اللذة. وفي **نظرية الجهاز النفسي الثانية**، تاريخها بداية سنوات 1920 وفيها ينيب فرويد مناب منظومات الشعور، قبل الشعور واللا شعور، ثلاثة مراجع: **الهو** (مستودع الطاقة النفسية)، **الأنا**، **الأنا العليا** (وهي تكوين انتقادي يتألف من مقتضيات الأبوين، وممنوعاتهما). ويشمل اللاشعور كلية الهو وجزءاً من الأنا والأنا العليا. إنه يكوّن إذن أساس الحياة النفسية، حيث تولد الرغبات على شكل استيهامات، في حين تتنظّم الروابط بين الإنسانية والتصرّفات. مثال ذلك أن العدوانية اللا شعورية لأم إزاء طفلها غير المرغوب سيثير لديها عاطفة لاشعورية من الإثمية، يليها سلوك من «التكفير»، لاشعوري أيضاً، يتجلّى بعنايات مغالية في الانتباه والمحبة.

وتصطدم دراسة اللاشعور بصعوبة رئيسة، لأنها تحاول، بالتعريف، إدراك واقع يفلت من الشعور. ولكن الإدراك المباشر ليس أمراً لا غنى عنه للمعرفة، والشيء الخفيّ يمكن أن يُكتشف ويُحدّد بمفعولاته. فلنُفكّر على سبيل المثال بأوربان لو فيرييه (سان لو، 1811–باريس، 1877)، الذي حدّد موضع الكوكب نبتون وهو يلاحظ حركة الكوكب أورانوس. فسبْر اللاشعور يحدث إذن بطريقة الترابطات الحرّة، وتحليل الأفعال الخائبة، وبدراسة الأحلام على وجه الخصوص. وهذا السبر لا غنى عنه لفهم الأعصبة وشفائها.

ومفهوم اللاشعور ليس مقبولاً على نحو كلّي، مع أن قرناً من الأعمال تدعم هذا المفهوم دعماً متيناً. مثال ذلك أن جان بول سارتر ينبذه في كتابه **الوجود والعدم** (1943)، ذلك أنه يعتبر أن كل ما يحدث فينا شعوري، ولكنه غير معروف منا بالضرورة. وثمة مستويات من الشعور في رأي هذا المؤلف: الشعور التفكّري والشعور اللاتفكّري. وتشكّل التجربة المعيشة جزءاً من هذا الأخير. ويتيح التحليل النفسي إجراء المرور من الشعور اللاتفكّري الى الشعور التفكّري،

ولا يتعلّم المريض إلا ما عرفه دائماً، ما كان قد فعله وأحسّ به دون أن يكون شاعراً به على نحو واضح.

وموقع علماء النفس السوفييت في هذا الخطّ نفسه من التفكير على وجه التقريب، مثل ف. ف. باسّين وإوزْنادز. ولا ينفي هذان العالمان واقع لاشعور سيكولوجي، ولكنهما يرفضان المخطّط الفرويدي. بل إن إوزْنادز برهن تجريبياً على وجود هذا اللاشعور المغاير للمكبوت وآليات الكبت. وكانت التجربة تكمن في أن يُعهد إلى فرد كرتان من وزن متساوٍ وحجم مختلف، وكانت الكرة الصغيرة موضوعة دائماً في اليد نفسها. ثم كان يُطلب إليه، عندما كان يمسك كرات متماثلة في الوزن والحجم معاً، أن يدلّ على الكرة الأكبر. وكان الفرد يشير، في معظم الحالات، إلى الكرة التي كانت تحملها اليد التي تلقّت حتى هنا الكرة الأصغر. ويستنتج إوزْأندي من هذه التجربة أن ضرباً من **الاتجاه** أو منظومة من القيم، التي تؤثر دون علم منه في إدراكاته، قد استقرّت في حياة الفرد النفسية. إنها لا تنتمي إلى المجال المعرفي (مجال التفكير) ولا إلى المجال الوجداني. ويعتبر علماء النفس السوفييت أن المسألة مسألة سيرورات شعورية. ونحن نعتقد، من جهتنا، أن هذه الاتجاهات هي تحت الشعورية أو قبل الشعورية بالحري، أي أنها تحت الشعور ولكنها قادرة على أن تكون مقبولة من الشعور منذ أن نلفت الانتباه إليها. وفي رأينا أن اللاشعور لا ينبغي تصوّره أنه مكان التقاء الذكريات أو مكبوت من المكبوتات، بل هو بالحري بنية متمثّلة، مخطّط دينامي مفتوح على العالم، ينظّم العناصر المتلقاة (البيولوجية، الاجتماعية، الثقافية)، يكيّفها ويدمجها في الحياة النفسية ويمنح الموجودات والأشياء معنى. (انظر في هذا المعجم: **اللاشعور الجمعي، اللاشعور الإثني، اللاشعور الخاص**).

N.S.

اللاشعور الجمعي

F: Inconscient Collectif

En: Collective inconscious

D: Kollectives Unbwusstes

ما كان، في الشعور الشخصي، موروثاً وغير مكتسب على نحو فردي

كـان س. فـرويـد قـد وضّـح المفـهـوم، ولكن كـارل غـوسـتـاف يونغ (1875-1961) هو الذي أطلق عليه هذه التسمية. فالموجود الإنساني يحمل عند ولادته بعض الإمكانات التي تبين فيما بعد، مع نضجه ونموّ ميوله، في تصرّفه. وفي كل منا موروث سيكولوجي، «راسب كل ما عاشه الناس منذ أبعد البدايات» (ك. غ. يونغ) المنقول إلينا وراثياً. إنها عناصر مشتركة بين النوع الإنساني، وإمكانات جبلّية للعمل الوظائفي النفسي، وغرائز ونماذج بدئية (أي أشكال من الامتثالات الفارغة، حيث تتكوّن الرموز والأساطير، الصور والأحلام). ويكوّن هذا المجموع، في رأي يونغ، «ضرباً من قاعدة الحياة النفسية في ذاتها، شرطاً دائم الحضور، ثابتاً، مماثلاً لذاته في كل مكان». ومحتويات اللاشعور الجمعي، على عكس اللاشعور الشخصي التي تكون محتوياته فريدة ولا توجد لدى أشخاص آخرين، كلية وتبدو بانتظام. (انظر في هذا المعجم: اللاشعور).

N.S.

F: Inconscient idiosyncrasique **اللاشعور الخاص**
(ou idiosyncratique)

En: Idiosyncrasie (or) idiosyncratic unconscious

D: Idoisynkratisches unbewubtes

اللاشعور الخاص يدلّ على المادة المكبوتة تحت تأثير الكرب، اللذين (المادة والكرب) ليسا متواترين ولا نوعيين في ثقافة أو أنهما، إذا حدثا على نحو غالب، ليسا لهذا السبب نمطيين، ذلك أنهما لا ينجمان عن النمط الثقافي الأساسي. وينجم عن ذلك صدمات نفسية تولّد نزاعات دائمة في اللاشعور الفردي. (انظر في هذا المعجم: **الطب النفسي الإثني، اللاشعور**).

F.M.J.

اللاشعور الإثني

F: Inconscient ethnique

En: Ethnical unconscious

D: Ethnisches unbewubtes

القاع الثقافي اللاشعوري

يتميّز اللاشعور الإثني تميّزاً تاماً من اللاشعور العرقي لكارل غوستاف يونغ؛ وانتقاله لا يجري بيولوجياً ولكنه «يُعلّم» من جيل إلى جيل ويتغيّر عندما تتغيّر المقتضيات الأساسية للثقافة. ولأن «كل ثقافة تتيح لبعض الاستيهامات، والدوافع والمظاهر الأخرى من الحياة النفسية أن تبلغ مستوى الشعور وتظلّ في هذا المستوى وتقتضي من أخرى أن تكون مكبوتة» إنما «يشترك كل أعضاء ثقافة واحدة في حيازة عدد معيّن من النزاعات اللا شعورية». (انظر في هذا المعجم: **الأنتروبولوجيا، الشخصية الثقافية، الطب النفسي الإثني**).

F.M.J.

لاشْلي (كارْل سبنْسر) Lashley (Karl Spencer)

عالم نفس أمريكي (دافيس، فرْجينية الغربية، الولايات المتحدة، 1890-بواتيه، فرنسة، 1958)

يدافع لاشْلي، بعد دراساته في جامعة جون هوبكنْز، حيث كان تلميذ ومساعد هربْرْت سبنسر جنِّنْغز (1868-1947) وجون برودوس واطسون (1878-1947)، عن أطروحة في علم الحيوان (1914) ويصبح مساعد أستاذ (1920) ثم استاذاً في جامعة مينيزوتا بمينيا بوليس (1924). ويحصل لاشلي، إذ ذهب إلى شيكاغو، عام 1920، لإجراء بحوث في معهد بحوث الشباب، على كرسي أستاذ في جامعة هذه المدينة حيث يعلّم من 1929 إلى 1935. وسُمّي في هذا التأريخ أستاذاً في جامعة هارْفارد حيث سيظلّ حتى تقاعده (1955)، إذ بلغ الدرجة العليا من وظائف أستاذ في علم النفس العصبي (1937) ووظائف مدير مخابر يال لدراسة الرئيسات في أورانج بارك (فلوريدا)، حيث كان قد خلف روبرت ميرنْز يركز (1876-1946) عام 1942. ونذر نفسه لاشلي، العالم التجريبي البارع، لدراسة الآليات العصبية في التعلّم والذاكرة، على وجه الخصوص. وكان يبذل جهده، بتقنيات من الجراحة العصبية، ليقيّم بصورة خاصة عواقب الجروح الدماغية، التي مارسها على الفأر، في حفظ المعارف والقدرة على أن يتعلّم تشكّل متاهة. ولاحظ على نحو خاصّ أن فقدان الذكريات كان تابعاً لأهمية الجرح التشريحية (امتداده) أكثر من تبعيته لتموضعه. واستنتج من ذلك، من جهة، أن التعلّم كان تابعاً للدماغ بكليته وأن بعض الأجزاء من هذا العضو، كانت، من جهة أخرى، قادرة على أن تحلّ محلّ أجزاء أخرى مصابة بالأذى وتقوم بوظائفها. ونذكر من كتاباته: **آلية الدماغ والذكاء: دراسة كميّة للأضرار التي تصيب الدماغ** (1929).

N.S.

لافاتر (جوهان كاسْبار) Lavater (Johann Kaspar)

راع، ولاهوتي، وفيلسوف، سويسري (زوريخ، 1741-زوريخ، 1801).

درس لافاتر الطبع بحسب الإيماء وسمات الوجه وجدّد الفراسة التي كان الأقدمون قد أرسوا أسسها. وكان لافاتر، صديق غوته وتلقّى تأثيره، يُعنى بعلم التشكّل (المورفولوجيا)، إذ أنه لم يدرس شكل الرأس وتعبير الوجه فحسب، ولكنه درس أيضاً بنية الجسم. ولاقى كتابه، **محاولات فراسية** (1772)، وكتابه، **عناصر من مبحث الفراسة بغية تشجيع المعرفة وحبّ الناس** (4 مجلّدات، 1775- 1778)، نجاحاً كبيراً ولكنهما لم يكونا يتصفان حقاً بالسمة العلمية.

N.S.

اللاقحة

F: Zygote

En: Zygote

D: Zygote

خلية ناتجة عن اتحاد مشيجين، أحدهما مصدره الأب، والآخر مصدره الأم، وكلاهما ذو (ن) صبغيّات.

إخصاب منيّ بيضة يتيح اتحاد الموروثين الوراثيين لكلا الأبوين ويولّد موجوداً مزيداً يحمل 2 ن صبغيات. وفي نهاية بعض الدقائق التي تتكوّن هذه الخلّية البدئية، تظهر الانقسامات الخلوية الأولى التي تفضي إلى تكوّن الجنين. وتتلاحق هذه الانقسامات حتى الولادة (بل وبعدها)، ولكن كل خلايا الفرد ستحمل الإعلام الوراثي نفسه، المطابق لإعلام اللاقحة.

M.S.

لاكان (جاك ماري) Lacan (Jacques Marie)

طبيب فرنسي (باريس، 1901–باريس، 1981).

لاكان، الرئيس القديم للعيادة في كلية الطبّ بباريس، يتوجّه نحو الطب النفسي وينشر، عام 1932، أطروحة تلفت الأنظار: **في ذهان البارانويا (الذهان الهذائي) بعلاقاته مع الشخصية** (باريس، لو فرانسوا، طبعة جديدة، باريس، سوي، 1975). تلميذ رودولف لوونشتاين، الذي يباشر معه تحليلاً نفسياً تعليمياً، يُقبل لاكان في رابطة التحليل النفسي بباريس ويعرض بماريانباد، في المؤتمر العالمي للتحليل النفسي (1936)، مداخلة هامّة تتناول مرحلة المرآة، **نظرية فترة بنيوية وتكوينية في تكوين الواقع، المدرَك في علاقته بتجربة التحليل النفسي ونظريته.** ويعرض لاكان، في هذه الدراسة، أن التمايز النفسي، بوصفه نتيجة سلسلة من التماهيات (التوحّدات) المتتالية، يبدأ مبكّراً جداً، بين الشهر السادس والثامن عشر. وفي هذا العمر يستبق الطفل استباقاً متخيّلاً إدراك وحدته الجسمية بالتماهي بأشخاص محيطه. ويدرك، أمام المرآة، شكلاً (غيشطالتاً) يماثل شكل الغير. فيتكوّن على هذا النحو أول رسم لـ «الأنا». وكانت الفكرة نفسها قد استُؤنفت وطُوّرت ونشرت بعنوان: **مرحلة المرآة بوصفها مكوّنة وظيفة الأنا الشخصية، كما تبين لنا في تجربة التحليل النفسي»، في المجلة الفرنسية للتحليل النفسي** (1949، XIII، 4) وفي **كتابات لاكان** (1966، باريس، سوي). وكان لاكان مدعواً، بعد الحرب العالمية الثانية، إلى أن يعلّم، على التوالي، في عيادة الأمراض العقلية بمشفى القديسة آن، في دار المعلمين العليا، في كلية الحقوق والمدرسة العملية للدراسات العليا (1963).

ويقدّم لاكان نفسه بنيوياً، أعني أنه يبحث وراء الحوادث عن تنسيقها، وعلاقاتها، ومنطق المنظومة الداخلي. وكونه متأثراً بأعمال الألسنيين، ولا سيّما بأعمال فرْديناندْ دو سوسّور (1857-1913) ورومان جاكوبْسون (1896 -1982)، فإنه يتصورّ اللاشعور شبكة من «الدّالات» يرتبط فيها كل عنصر بالعناصر الأخرى، وتخضع اتّحادات الدالات هذه لقوانين دقيقة وتكوّن مقولات ومجموعات فرعية. وهذا التصورّ، تصور اللاشعور، يتلخص في الصيغة التالية: «اللاشعور متبنْين تبنين لغة»(1953).

وفي رأي لاكان أن كل المحاولات لتوفيق التحليل النفسي مع علوم أخرى (الفيزيولوجيا العصبية على سبيل المثال)، أو نظريات أخرى كالنظريات الفينومينولوجية (موريس مرلو-بونتي) أو البنيوية (أ. كاردينر، م. ميد) عبث ولايمكنها إلا أن تخون فكر فرويد. فموضوع التحليل النفسي هو اللاشعور؛ ينبغي لنا أن نعيده إلى مكانه العملي والنظري الأصلي: حقل الكلام، وندرسه كما ندرس اللغة، في ظلّ إضاءة الألسنية. إن اللغة تجعل ماهية الأشياء رمزية؛ وتُدخل الفرد في مجال بين الذاتية؛ وتفرض علينا أيضاً، بشكلها، شكلي الثقافة والنظام الرمزي. وهي تؤدي دوراً أساسياً في تكوين الشخصية بمقدار ما تؤثّر مبكّراً. فالطفل يولد في عالم من الكلمات والرموز التي تفرض نفسها عليه وتصوغه؛ إنه يندرج في نظام قائم مسبقاً ذي طبيعة رمزية، قانونه المؤسِّس يسميّه جاك لاكان بمصطلح «الأب الرمزي» أو «اسم الأب» أيضاً. ويخضع الطفل للغة والمجتمع الذي ينتمي إليه ولثقافته، دون أن يكون لديه خيار إلا في قبولها أو يغوص في الجنون. فالموجود الأصيل، في هذه الشروط، لايكمن في قول الشخص وسلوكه، ولكنه يحتجب دائماً تحت قناعه (في اللاتيني، Personna كانت تعني في البدء قناع المسرح، الدالّ على دور الممثّل). وعندما يجري الكلام خارج الفرد الواعي، يصبح مع ذلك مثير المرض. فالعصابي، على سبيل المثال، الذي «يتألم من الذكريات والقول المطمور» (أنطون فيرغوت، 1970)، موجود كله في قوله

اللاشعوري؛ وينبغي له، حتى يعود إلى ذاته ويضطلع كلياً بمسؤولياته، أن يفكّ رموز هذه اللغة التي تظلّ خارجية بالنسبة له مع أنها تعبّر عنه في الوقت نفسه.

وتؤدّي عقدة أوديب دوراً أساسياً في النظرية اللاكانية. فالعلاقة الجنسية، في المثلث أب، أم، طفل، حيث يحمل كل منهم اسمه ويحكمه نظام أساسي واضح، تنتظم في ظلّ علامة القضيب الرمزية، بالنظر إلى أن الأب نصير القانون وضامنه. وينتقل الطفل، في هذه الكوكبة الأسرية، من علاقة انصهار بالأم إلى علاقة يتوسّطها الكلام، وذلك أمر يفترض ضرباً من التباعد، من الذاتية وامتلاك «دالّ». وإذا ظلّ الفرد مثبّتاً على أمه في علاقة مباشرة، فإنه لا يمكنه أن يجري الإنابة الملازمة للغة ويظلّ محروماً من ذاتيته. وهذا الإخفاق يميّز الذهان.

هذا الملخّص، غير الكامل، التقريبي، لبعض أفكار لاكان، لا يبلغ أيضاً درجة اليقين، ذلك أن المرء لا يثق أبداً أنه فهم هذا المؤلف. والحقيقة أن الألفاظ الخاصّة بالخاصّة والألفاظ المستحدثة غزيرات في لغته الهرمسية، بل الذاتية، والكلمة الواحدة يمكنها أن تتخذ دلالات متعدّدة. وهكذا يدلّ مصطلح «آخر»، بالتناوب، على شخص ثالث شاهد، الأب أو الأم، اللغة، الحوار في التحليل النفسي وحتى اللاشعور (لأنه «الآخر»، آخر الفرد). ولا تهتزّ مشاعر لاكان من الانتقادات الموجّهة إلى أسلوبه؛ إنه يعتبر نفسه راضياً إذا كانت موسيقى خطابه تقول شيئاً لمن له أذُن (1973). ولا يكدّره، يكتب جورج مونان (1973) قائلاً، «كون نواة التحليل النفسي المتينة في فكر لاكان لم يكن ممكناً قطّ توضيحها في لغة عادية»، ذلك أن إبهام اللغة، إذا كان ممكناً أن يكون له سحره في الشعر، لا سند له في العلم. ويلوم أيضاً بعض المؤلفين لاكان على صمته إزاء الوجدانية وكونه تجاهل الجسم المشخّص تجاهلاً منتظماً. (انظر في هذا المعجم: الحاجة، الرغبة، اللغة، الذهان الهذائي [بارانويا]، الرمز).

N.S.

اللثغ

F: Blésité, blèsement

En: Lisping

D: Lispein

هذا المصطلح لا يدلّ على التَعْتَعَه، على الرغم من الاشتقاق باللغة الفرنسية، بل على اضطراب في الكلام يظهر، في النطق، بإبدال صامت بصامت آخر.

يبدو هذا القصور شائعاً خلال اكتساب الطفل لغته: وربما يكون ناجماً عن سَمَع معيب أو عن تمييز سيء للصوامت بقدر ما يكون عن اضطراب حركي أو تشوّه في أعضاء التصويت. واللثغ، بوصفه خاصّة ضروب التأخّر اللغوي دون خطورة على الأطفال، يمكنه ألا يكون إلا عابراً أو يمكنه أن يدوم لدى الراشد. ويتميّز اللثغ بضعف في انبناء الصامت، مع انزياح هذا الانبناء نحو الأمام في بعض الأحيان: هكذا يميل الصامت (ت) نحو (د)... وهناك حالة نموذجية من اللثغ هي الزأزة، التي تكمن في إحلال الصوامت الشينية محلّ الصوامت الصافرة (س، ز).

C.MA.

اللَّثْلَثَة

F: Glossolalie

En: Glossolalia

D: Glossolalia

مصطلح لثلثة، الذي أدخله في مجال الطب النفسي، بداية القرن العشرين، تيودور فلورْنوا (1864-1920)، يُعرّف أنه ابتكار مريض عقلي هاذ، ابتكار إرادي ومستمر، لغةً جديدة (أو يراد لها كذلك) ذات معنى يتميّز بنزعة التمركز على الذات.

يصبح فكّ رموز التعبير الاصطلاحي المتخيّل، غير المفهوم لمن يكون غير مطّلع عليه، ممكناً ومنال هذا التعبير محتملاً عندما نتعوّد على نحوه الأوّلي ومفرداته (التي يظلّ معناها ثابتاً). ويقتصر المريض، على وجه العموم، (المصاب بجنون العظمة، المضطهَد غالباً)، المقتنع أنه يستخدم لغة جديدة، على أن يشوّه، ببراعة قوية أو ضعيفة، كلمات اللغات المعروفة، مقترحاً دالاً جديداً لمدلول معيّن. فاللثلثة ذات علاقة إذن بتشوّه اللغة السطحي، التي يمكنها أن تبين ويُراد لها أن تبين، على عكس **خَلَل التعبير الشفهي الفصامي**، حيث يكون الاضطراب أكثر عمقاً.

إن **شبه اللثلثات**، القريبة من اللثلثة ولكنها تستجيب لبواعث أخرى، الناجمة عن تشويهات منتظمة للغة الدارجة، تفضي الى اللغات الخاصة (كلغة اللصوص على سبيل المثال). ويمكن إنتاج هذه اللغات بإضافة حروف أو مقاطع إلى الكلمات، أو بحذفهما، أو قلبهما. (انظر في هذا المعجم: **خلل التعبير الشفهي الفصامي**).

N.S.

اللحظة المناسبة

F: Kairos

En: Kairos

D: Kairos

كان المحلل النفسي السويسري أرْثور كيلهولز قد أدخل مفهوم اللحظة المناسبة، عام 1956، للدلالة على اللحظة الانتقائية حيث يمكن لتدخّل علاج نفسي مباشر أن يبلغ مفعولاً علاجياً أمثل ومفارقاً.

استأنف محلّل نفسي آخر، الأمريكي هارولد كيلْمان، مفهوم اللحظة المناسبة ونشره نشراً واسعاً في سلسلة من المنشورات المتسلسلة بدءاً من عام 1960.

وكلمة Kairos كانت تعني، في الأصل، «القياس الصحيح»، «التناسب المنشود»، «المكان المناسب»، «القِوام الصحيح» ولاسيّما «اللحظة المناسبة». وهذا المعنى الأخير هو الذي تغلّب في الطب. وكانت كتابات هيبوقراط تعلّم أن، في الأمراض الخطيرة، لحظة حرجة حيث حالة المريض ينبغي أن تتحسّن أو تسوء. وتبدو أعراض ذات مدّة قصيرة؛ وعلى الطبيب الماهر أن يتعرّف عليها في لحظة ظهورها حتى يطبّق العلاج المنشود مباشرة. وذلك ما يعبّر عنه القول المأثور: «الفن طويل، والزمن قصير، والفرصة المناسبة (Kairos) سريعة الزوال، والتجربة خادعة». ويبدو أن هذا الحسّ الطبيّ العام زال من الاستخدام.

ومصطلح اللحظة المناسبة كان فلاسفة ولاهوتيون قد استخدموه، من ثمّ، لتحديد اللحظة الانتقائية لهداية دينية. ومنحه تيليش، في اللاهوت الحديث،

معنى «الزمن المنجَز». وكان بعض الأطباء النفسيين ذوي النزعة الوجودية قد بعثوا الحياة في المصطلح فيما بعد. واستخدمه هؤلاء الأطباء، لسوء الحظ، بعدّة معانٍ مختلفة، نجم عن ذلك التباس كبير، ويبدو لنا أمراً مشروعاً أن تُترك له الدلالة التي كان قد منحها إياه كيلْهولز.

وينطوي مفهوم اللحظة المناسبة، في تفكير كيلْهولز، على أكثر من الاختيار السديد للحظة المناسبة من أجل تدخّل (التوقيت، «اللحظة السيكولوجية»، الخ). فالمقصود مصادفة سيكولوجية خاصّة تمثل، في لحظة معيّنة، لدى مريض؛ ومن المهمّ للمعالج النفسي أن يعرف هذه المصادفة بغية القدرة على أن يستخدمها استخداماً مناسباً.

في أي شيء تكمن هذه المصادفة وهذا التدخّل؟ ها هو مختصر من ملاحظة كيلْهولز الأصيلة بهدف تحديد الأفكار:

كان الأمر ذا علاقة برجل في الثالثة والأربعين من عمره، عازب، يعيش، بعد أن أُدخل إلى مشفى الطب النفسي بمناسبتين مع تشخيص فصام، لدى أبويه، واهن العزيمة، عاطلاً عن العمل، دون طاقة، يقضي أيامه في اجترار أفكاره السوداء وينظر إلى المستقبل دون أمل. ومضى، وقد سمع كلاماً على الجراحة النفسية، يجد كيلْهولز طالباً إليه إن كان هذا النوع من التدخل الجراحي يُطبّق عليه. ودعاه كيلهولز إلى أن يقصّ تاريخه، وأصغى إليه بانتباه، وأجابه بهذه الكلمات البسيطة: «لا تبق عبئاً على أبويك، عدْ إلى العمل، ولو أن ذلك يبدو لك عسيراً أومتعذّراً؛ إنك بفضل العمل إنما تستعيد ثقتك بنفسك. كنت عاملاً جيداً، أصبح عاملاً جيداً من جديد».

وحين سمع المريض هذه الكلمات، ذهب إلى أخته وصهره اللذين كانا يعملان في البستنة ويحتاجان إلى اليد العاملة. فاستخدماه مباشرة وشرع منذئذ يعمل بكل قواه. وعندما نشر كيلْهولز مقاله الذي كان مخصّصاً له، لم يكن هذا الرجل قد أبدى أي عرض من المرض العقلي منذ ست سنوات.

وكانت الدهشة قد أصابت كيلْهولْز بسبب النتيجة المذهلة الناجمة عن نصف ساعة من الاستشارة الوحيدة، كان قد قضاها مع هذا المريض، مريض كان من قبل قد استشار علماء نفس وأطباء نفسيين عديدين. وكان هؤلاء قد قدّموا له نصائح شبيهة بنصائح كيلْهولْز، ولكن المريض لم يكن قد أخذ بها قطّ. واستنتج كيلهولز من ذلك أن العامل العلاجي الرئيس كان «اللحظة المناسبة» لتدخّله. وقارن كيلهولز هذا الشفاء بضروب «الشفاء» المعجزة، التي نجح فيها شفاة عديدون. ويذهب بعض المرضى من طبيب إلى آخر إلى أن يأتي يوم يعلنون فيه مجافاتهم لـ«الطب الرسمي». وحينذاك، يمضون إلى استشارة شافٍ ويستعيدون صحتهم سريعاً. ويعزو كيلْهولْز هذا المفعول إلى أن المرضى يحسّون إحساساً غامضاً أن اللحظة أصبحت مناسبة لتدّخل، يليه الشفاء. وإذا كانوا يذهبون لرؤية شاف بدلاً من طبيب، فسبب ذلك، يعتقد كيلْهولْز، شكل معيّن من معارضة الطب الرسمي ناجمة عن عقدة أوديبية قديمة (ربما يمثّل الطبيب وجهاً أبوياً، في حين أن الشافي ضرب من العم السليم النيّة، الخارجي بالنسبة للأسرة).

وأصبحت ملاحظة كيلهولز مثيرة للاهتمام على وجه الخصوص بفعل واقع مفاده أن المريض الذي كان قد لخّص تاريخه بإيجاز نشر من جهته، في مجلة سويسرية، قصة طويلة إلى حد كافٍ، قصة مرضه. ويتيح تحليل هذه القصة توضيح الآليات السيكولوجية التي تقود مريض كيلهولز إلى الشفاء.

كان المريض، أول الأمر، مليئاً بالثقة مسبقاً بكيلْهولْز الذي كان قد عالج بنجاح زوجة أبيه الثانية، المصابة باكتئاب. ومن الواضح أيضاً أن سيرورة الشفاء كانت قد بدأت من قبلُ، قبل أن يمضي المريض لرؤية كيلهولز. وكان المريض يبحث، وقد فقد الأمل في التخلّص من ورطته بنفسه، عن عون خارجي: وكانت فكرة ذهابه لاستشارة المحلّل النفسي ضرباً من المسعى الإيجابي، الدالّ على رغبة صحيحة في إيجاد مخرج لوضعه.

أضف إلى ذلك أن نصيحة «عدْ الى العمل» كانت ذات أهمية للمريض، شخصية تماماً. ففي أثناء سنيّ مراهقته وشبابه، عانى هذا المريض مرارة البطالة أو

إنجاز أعمال مؤقتة كان يكرهها. وشعر فيما بعد بعاطفة إنسانية أنه يعمل ويمنح كامل قدرته، ولكن على نحو عابر مع الأسف. وكان فصامه، الحقيقي أو المزعوم، ضرباً، دون شك، من انبعاث حياته القديمة، حياة البطالة، وكان شفاؤه بالضرورة أيضاً تحقيقاً متأخّراً لرغبته القديمة المحمومة في العمل.

وأنتج تدخّل كيلْهولْز، حتى لو قبلنا الاعتراض الذي مفاده أن سيرورة من الشفاء التلقائي كانت من قبلُ جارية وأن الشفاء النهائي سيحدث على أي حال، تسارعاً ملحوظاً لهذه السيرورة، وحفزاً علاجياً حقيقياً.

فنحن نُساق إذن إلى أن نميّز اللحظة المناسبة بمصادفة مزدوجة، ترجع إلى المريض من جهة وإلى المعالج من جهة أخرى.

ونحن، من جانب المريض، نجد المجموعة التالية: 1- إنه فقد الأمل في الشفاء بوسائله الخاصة؛ 2- لم يفقد كل أمل في الخلاص فقداناً تاماً، ولكنه يعتبر أن الخلاص لا يمكنه أن يأتي إلا من عون خارجي؛ 3- إنه مستعدّ لقبول هذا العون الخارجي، وحتى لإحداثه في بعض الأحيان بمسعى إيجابي.

ونجد، من جهة المعالج، هذين العنصرين: 1- المعالج يفهم الوضع وكشف الواقع الرئيس الذي مفاده أن «اللحظة المناسبة» وصلت؛ 2- إنه قادر على أن يجري التدخّل الملائم، الذي ينبغي له أن يكون موجزاً وحاسماً.

واستخدام اللحظة المناسبة غير جديد كل الجدّة على الإطلاق.

فثمة معالجون نفسيون جيّدون عرفوا دائماً بوجود لحظات انتقائية يكون خلالها المريض ناضجاً لتدّخل معيّن، تدخل كان سابقاً لأوانه من قبلُ وأصبح ناجعاً فيما بعد، وينبغي بالتالي أن يجري على النحو المنشود واللحظة المنشودة. إن بعض العاملين في جمعيات مكافحة الكحول اكتسبوا مهارة كبيرة في معرفة اللحظة المناسبة لإجراء مسعى حاسم لدى كحوليّ. إنهم يترصّدون اللحظة التي يكون فيها هذا الكحولي، القريب من حالة اليأس، الشاعر معاً بخطورة حالته وعجزه عن

الخروج من مأزقه بوسائله الخاصة، ما يزال يحتفظ مع ذلك ببعض الأمل في الخلاص.

ويبدو لنا محتملاً أن عنصر الزمن المناسب نفسه هو الذي يؤثّر بوصفه عاملاً علاجياً رئيساً في بعض ضروب الشفاء التي حققّها بعض الشفاة، كما أشار إلى ذلك كيلْهولْز.

وهناك مزايا مشابهة موجودة في بعض الضروب من الشفاء المعجزية التي حدثت في بعض أماكن الحج كلوردْ. فالمريض يُعتبر متعذّراً شفاؤه وتخلّى عن كل شفاء بالطب الرسمي. ولكنه لم يفقد كل أمل (ولولا ذلك لما باشر حجاً طويلاً قاسياً). والمرض ما يزال، من جهة أخرى، لم يتجاوز كلياً نقطة اللارجوع. ويطرأ الشفاء المفارق غالباً في أوج الاحتفالات الدينية، آخر يوم من الحج، خلال الصلوات النهائية غالباً!

وخلاصة القول، علينا أن نلاحظ أن **اللحظة المناسبة** مفهوم جيّد التحديد، استخدامه يتيح في بعض الأحيان نجاحاً علاجياً باهراً. ولكن هذا الاستخدام ينبغي أن يتقرّر بدراية. إنه لوهم مشؤوم أن يتصوّر المرء أن بمقدوره الحصول غالباً على شفاء سريع نهائي من حالة من حالات الطب النفسي بمجرّد بعض النصائح الصادرة عن الحس السليم.

وفكرة المعالجة بواسطة العلاج النفسي تقترن على الأغلب، من جهة أخرى، بفكرة تطوّر طويل ينطوي على إعداد بطيء وعلى حلّ التحويل بكل تقلّباته، حلّ ليس أكثر سرعة. فعلى كل معالج نفسي أن يألف هذا المفهوم الذي مفاده أن ثمة لحظات في الحياة الإنسانية يكتسب الزمن فيها قيمة نوعية جديدة، وأن معالجاً نفسياً خبيراً يمكنه في بعض الأحيان، إذا أخذ بالحسبان هذه اللحظات الحرجة، أن يحصل على شفاء سريع في حالات تُعتبر خطيرة، إن لم تكن لا أمل فيها (انظر في هذا المعجم: **البطالة، عقدة أوديب، العلاج النفسي، الفصام**).

H.F.E.

اللذّة

F: Plaisir

En: Pleasure

D: Lust, Vergnügen

شعور بالهناء والرضى يرتبط بإحساس مستساغ أو بإشباع حاجة أو ميل.

واللذة غير مستقرّة؛ إنها لا تستسلم للشّبَع ولا لحلّ التوتّر الناشئ من الحاجة. ومفعولها، شأنها شأن الألم، أن توجّه فاعلية الفرد على درب التكيّف: فالطفل يرفض المادة المرّة، المحفوفة بالخطر على وجه العموم، التي يحملها إلى فمه، ولكنه لا يرفض قطعة الحلوى الصغيرة ذات المذاق المستساغ. واللذة تابعة لـ الرغبة أكثر من تبعيتها للمنبّه. والواقع أن الحرارة نفسها يمكنها أن تكون مصدر لذّة للفرد إذا كان يشعر بالبرد، أو لا تكون محتملة إذا كان مصاباً بالحمّى. ففي الحالة الأولى، يصحّح المنبه (الحرارة) ضرباً من فقدان التوازن؛ ويفاقم فقدان التوازن في الحالة الثانية. وملاحظة مماثلة يمكنها أن تحدث مع الروائح والمذاقات: نستقبل مع اللذة طعاماً عندما نكون في حالة صيام، ولكننا ننبذه عندما نكون في حالة شبَع. فالمستساغ وغير المستساغ يمكنهما إذن أن يُعتبرا مؤشّرين للقيمة الفيزيولوجية لمنبه. ونحن، على وجه العموم، نبحث عن المفيد وما يمنحنا اللذة، ونبتعد عن غير المفيد وما يسبّب لنا الإزعاج.

ويُلاحظ البحث عن اللذة والهروب من الألم، خاصّتين من خصائص الموجودات الحيّة، حتى لدى الحيوانات الدنيا، كبرغوث الماء أو المتطاولات (الأوليات ذات الأهداب). فهذه المتعضّيات تتوجّه نحو مصادر الإثارة (توجّه

مكاني إيجابي)، وتنصرف عن المصادر التي تسبّب لها الأذى («أمراض» بالمعنى الذي يحدّده جـ. فيّو) أو تعرب عن تفضيلها لشدّة خاصة من التنبيه (حرارة، نور) متجمّعة في منطقة معيّنة من الحقل التجريبي.

واكتشف جـ. أولْدز وميلْنَر (1954) وجود مراكز لذة لدى الحيوانات العليا (فئران وثدييات أخرى)، متموضعة في قاعدة الدماغ الأعلى. وتُنتج إثارة هذه المناطق (الغنيّة على نحو خاص بالمورفينات العضوية)، بواسطة مساري كهربائية دقيقة مزروعة في الدماغ، حالة انفعالية مستساغة. فإذا علّمنا فأراً أن يمنح نفسه هذه اللذة بالضغط على رافعة، فإننا نلاحظ أنه يفعل ذلك بإيقاع عمل يتزايد سرعة (حتى 1920 تنبيهاً في ساعة)، ماضياً إلى حدّ يجهل الطعام الذي يُقدّم له. واللذة نتيجة إثارة عصبية يُحدثها عامل فيزيائي (إحساس) أو نفسي (نجاح في مشروع، على سبيل المثال). إنها انفعال ذو شدّة متغيّرة ترافقه، لدى الإنسان، أفكارٌ وصور، ويمنحه عاطفة من السرور والسعادة. (انظر في هذا المعجم: **الحاجة، الألم، الانفعال، المورفين العضوي، الاتّزان الحيوي، القصاص، التعزيز، التوجّه المكاني**).

N.S.

اللزوجة العقلية

F: Glischroïdie

En: Adhesivness

D: Klebrigkeit

مصطلح منسوب إلى منكووِسكا، يُستخدم للدلالة على اللزوجة العقلية التي يُفترض أنها تكوّن سمة من السمات الأساسية للشخصية الصرعية ولشبه الصرعية، بل إن هذا المصطلح مرادف لشبه الصرع، في رأي بعض المؤلفين.

تظهر اللزوجة العقلية، على وجه الخصوص، ببطء تكوين الأفكار، ووجدانية «مزعجة»، ولصوق خاص بالأشخاص والأشياء. (انظر في هذا المعجم: الصرع، التاذر الصرعي لرورشاخ).

H.G.

اللسان

F: Langue

En: Langue

D: Sparche

منظومة من الأساليب لبناء القول يعرفها، ويتبناها، ويستخدمها، كلّ فرد بهدف التواصل.

مفهوم اللسان يشمل عادةً: 1- منظومة من العلامات (يمكنها، لتبسيط الأشياء، أن تتمثّل في كلمات)؛ 2- قواعد بناء لقول سديد، انطلاقاً من علامات معزولة، ومجموعة الوسائل المستخدمة؛ 3- وسائل تكوين العلامات ذاتها ومنظومة الوحدات المسخدمة. ونميّز، وفقاً لذلك، عدة منظومات فرعية في منظومة اللسان أو عدة مستويات: صوتية، نحوية، دلالية، الخ؛ مجموعة مصطلحاتها وفهمها ليسا واحداً لدى الألسنيين كلهم. ويمكننا أن نضمّن مفهوم اللسان قواعد (ووسائل) بناء نص كامل، انطلاقاً من أقوال مفصولة، كذلك قواعد (ووسائل) التعبير عن المنظور الوظيفي في القول، ودرجة الأهمية لأجزائه، الخ. ويميّز ألسنيون عديدون (إ. كوزوريو على سبيل المثال) بين **منظومة اللسان** و**معيار اللسان**، إذ نفهم هذا المصطلح الأخير أنه مجموعة الإنجازات التقليدية لمنظومة اللسان في التواصل. واللسان جزء من الثقافة (والتجربة الاجتماعية والتاريخية) لشعب معين من الشعوب. وإذ يتمثّله ممثلو هذا الشعب، فإنه يبدأ في أن يظهر على شكل ملكة لغة، بوصفها تنظيم السيرورة العصبية، التي تشرط القدرة على

التواصل اللفظي وإدراك اللغة وتقوم على المبادئ العامة للعلم الفيزيولوجي الخاصّ بالفاعلية الإنسانية.

ويُستخدم مفهوم «اللسان» في علم النفس والفلسفة، استخداماً معمّماً، بوصفه مرادفاً جزئياً للغة والكلام. إنه، في الألسنية، يتعارض مع هذه المفاهيم منذ أيام فرْديناند دو سوسّور (1857-1913)، مع أن معايير هذا التعارض ليست واحدة لدى مختلف الألسنيين. والأغلب أن اللسان يتعارض مع الكلام تعارض الاجتماعي والفردي، وتعارض الضمني والحالي، أو كتعارض نمط علمي مع الوقائع المدركة واقعياً، خلال التواصل.

ويبرز اللسان، في فاعلية الإنسان النفسية، أداة معرفة (تعميم)، وليس بوصفه فقط أداة تواصل. إنه يتوسّط أيضاً سيرورات الذاكرة، والإدراك، والخيال، والتعبير عن العواطف، الخ. وهذه الوظائفية المتعدّدة للسان هي التي، في المستوى الأول، تميّزه من «لسان» الحيوانات، الذي يمثّل مجموعة من الإشارات التواصلية (انظر في هذا المعجم: لغة الحيوانات، الكلام).

A.A.L.

F: Tache aveugle **اللطخة العمياء**

En: Blind spot

D: Blinder fleck

مكان من الحقل البصري حيث يقع إسقاط المنطقة غير الحسّاسة من الشبكية المقابلة لنقطة انبثاق العصب البصري (حُلَيْمة العصب البصري).

لهذه البقعة التي تُسمى أيضاً panctun caecum شكل بيضوي، وامتداد نحو خمس درجات وموجودة من الجانب الصدغي بين 13 درجة و17 درجة من نقطة التثبيت؛ ثلثاها موجودان تحت خط التنصيف الأفقي. وكان عالم الفيزياء الفرنسي إدْم ماريوت (1620-1684) قد اكتشفها عام 1668. ووجودها يفسّره واقع أن المنطقة من الشبكية التي تتفرّع منها ألياف العصب البصري خالية من مستقبلات الضوء (مخاريط أو عصيّات)؛ فلا وجود إذن لوظيفة الرؤية في هذا المكان.

N.S.

اللعب

F: Jeu

En: Play, Game

D: Spiel

فاعلية مُتَبَنْينة تكمن إما في مُمارسة، دون مضمون، لوظائف حسّية حركية، عقلية، اجتماعية، وإما في إعادة إنتاج وهمية، على نمط رمزي، لوضع معيش.

يتميّز اللعب من فاعليات التكيّف، المتّجهة نحو إشباع حاجات غريزية أو مكتسبة. وتحدث لدى الطفل، كما لدى الحيوان الصغير، فاعليات حسّية حركية بهدف اللذة في ممارسة قدرات هي في درب النموّ: متابعة شيء، مصّ الإبهام، معالجة أشياء باليدين، مناغاة، جري، إلخ. ففي هذه **الألعاب الوظيفية** تتدخّل **ارتكاسات دائرية**؛ والحركة يجعلها التوتّر والتغيّرات الإدراكية التي يثيرها مستمرّة. والألعاب تمتزج قليلاً أو كثيراً بالألعاب التي تُضفى عليها الصفة الاجتماعية وتحكمها قواعد تتوالى خلال الطفولة: جريٌ وراء الكرة، قفزٌ على الحبل، ألعاب مهارة، وتوازن، واكتساب مهارة الأدوات... ويعيد الطفل، في **ألعاب الخيال**، إنتاج وضع ماض، عمل من أعماله الخاصة أو عمل شخص يتماهى به. وفيها ضرب من مكوّنة المحاكاة، تحدث على أساس من رغبة (لا من حاجة)، رغبة الانتقال خارج الحاضر.

وبوسعنا تصنيف ألعاب الخيال بحسب أشكال هذا الانتقال المتعدّدة. نجد في البداية، نحو الشهر الخامس عشر إلى الثامن عشر، **ألعاب المحاكاة**، ينفّذ فيها الطفل

قصداً حركةً (من حركاته أو حركات الغير) أثارت اهتمامه أوشغلت باله. ثم ينفّذ الطفل حركة معيّنة بواسطة بديل له: دمية، شيء، موجود، يسقط عليها أوضاعه، وحالاته الانفعالية، وحركاته. ويجتاف، في مستوى ثالث، وضع شخص أضفى عليه قيمة كبيرة ويعيد إنتاج أعماله التي تبدو له مثيرة: أمه، التي يجسّد دورَيْها، دوري الحامي-المسيطر، لكي يعيش مجدّداً أفراح حضورها ويستبعد الحصر الذي يوجده في نفسه ذهابها؛ ثم هذا الراشد أو ذاك، فيما بعد، الذي يتمتّع ببعض من المكانة: سائق سيارة، بنّاء، جندي، طبيب... أو حيوان رائع: أسد، ذئب، إلخ، وتتدرج هذه الشخوص في فاعليات معقّدة، حيث إعادة إنتاج المشاهد الملاحظة يحدّدها تحديداً تضافرياً ويقدّمها تقديماً مسرحياً معيش العلاقات بين الشخصية، والرغبات وضروب الحصر التي تثيرها هذه المشاهد. ولهذه التركيبات وظيفة ثلاثية: تنفيس المخاوف، استباق المسرّات، والتعويض عن الإخفاقات (بياجه). وهي تؤمّن للطفل، على النمط الرمزي، إمكان تجاوز تبعيته للراشدين، ويقاوم عدوانية هؤلاء بواسطة ضروب العدوان الخيالي. وفي مستوى رابع، بعد مرحلة يربط فيها الطفل خيالاته بعضها ببعض، يفلح الأطفال نحو السنة الرابعة إلى الخامسة في أن يوزّعوا الأدوار فيما بينهم: طبيب/ مريض، دركي/ سارق، معلم/ تلميذ، الخ. وهذه الألعاب، **ألعاب الدور**، تقدّم المناسبة للطفل لإيجاد شركاء له، بدائل الراشدين، وإيجاد فاعليات متكيّفة مع رغبتهم في الحياة العلائقية، لا سيّما رغبتهم في السيطرة المباشرة أو غير المباشرة على الآخرين. وألعاب الدور، حيث يؤدّي التماهي دوراً أساسياً، تفتح الدرب الى **الألعاب ذات القواعد**، التي تنشد توطيد الذات بالتنافس بين المتنافسين الموضوعين على قدم المساواة. وهذه القواعد ينقلها مجتمع الطفولة من جيل الى جيل؛ ومصدرها يكمن مع ذلك في طقوس المجتمعات القديمة. وشروح اللعب كثيرة، تدلّ على غنى هذا التصرّف. فاللعب، في رأي كارل غروس، هو الممارسة المسبقة لميل لا ينمو على الغالب إلا فيما بعد. إنه محاكاة فاعليات الراشدين الاجتماعية ويُظهر الرغبة في تجاوز الطفولة (جان شاتو). إنه، في ظلّ أشكاله الرمزية، ينشد أن يشبع الدوافع

التي تكبتها الرقابة الاجتماعية إشباعاً غير مباشر : الفضول الجنسي ، الرغبة في السيطرة على الأبوين والراشدين ، الإجابة عن العقد (تحليل نفسي). إنه تمثّل حرّ لمجالات الواقعي المتعدّدة، تبعاً للتمركز على الذات السائد لدى الطفل (جـ. بياجه). وهو تعلّم الإيقاع والنظام تدريب على تنظيم التصرّفات الراشدة، ينفذ إليه الابتكار، وغائية دون غاية(جـ. هوينْزنْغا). فكثير من الصحة موجود في هذه الفروض: اللعب، مع اللغة، يكوّن درب الوصول إلى الفاعليات الثقافية : عمل، فن، إيديولوجيا، سياسة، وإلى العلاقات بين الشخصية التي تدعم الفاعليات الثقافية: حب، كراهية، غيرة، اكتشاف الغير. فرغبة الطفل في أن يسود الثقافة التي تحيط به وبنية هذه الثقافة، المختلفة من مجتمع إلى مجتمع، هما اللتان تصوغان إذن، صوغاً عن بُعد، وتبعاً لقدرات الطفل المتغيّرة، هذا اللعب. (انظر في هذا المعجم: العلاج باللعب).

PH.M.

اللعب (ألعاب تجريبية) **F: Jeux expérimentaux**

En: Experimental game

D: Spielexperimente

أوضاع لعب تُستخدم في علم النفس الاجتماعي لتُدرس التفاعلات الاجتماعية دراسة تجريبية، كالمنافسة، والتعاون واتّخاذ القرار في وضع نزاعي.

ننطلق، لتوضيح المفهوم من مثالين مشخّصين أولهما مقتبس من جـ. د. ولْيمز (1956) والثاني من أ. و. توكر: 1) لنتخيّل أنه يتعذّر على بيير وزازي، بعد أن عزما على اللقاء في مفترق طرق، أن يوضّحا المكان الصحيح لموعدهما. والمنطقة كثيرة الحركة، وأمام كل منهما أربع طرق ممكنة. ويعلم بيير أن زازي لايحب الارتفاعات، ويعلم زازي أن بيير يكره أعماق الوديان. فأي طريقين إذن ينبغي لهما أن يسلكا حتى يكون لديهما أفضل الحظوظ في الالتقاء؟ كلاهما شخصان عقلانيان، غيريّان باعتدال، يرغبان في الحصول على الحدّ الأقصى من الإشباع مع الحدّ الأدنى من الألم. فثمة احتمال كبير إذن أنهما، كلاهما، سيعتمدان استدلالاً واحداً ويحلّلان الوضع تحليلاً واحداً. وتتلاقى طرق بيير (من الغرب الى الشرق) وطرق زازي (شمال-جنوب) في ارتفاعات عن سطح البحر مختلفة واردة في الجدول التالي:

طرق زازي

4	3	2	1		
100 م	500 م	200 م	700 م	1	
400 م	300 م	200 م	200 م	2	
400 م	400 م	300 م	500 م	3	طرق بيير
600 م	100 م	200 م	300 م	4	

ينبغي لزازي بصورة طبيعية، بعد أن ينظر في الاحتمالات كلها، أن يسلك الطريق رقم 3؛ ويسلكه بيير أيضاً. ويليتقيان في هذه الحالة على ارتفاع 400م.

2) المثال الثاني معروف باسم مأزق السجين. وملّخص اللعبة هو التالي: مجرمان آ وب، مسجونان بسبب حادثة قتل، ينبغي لهما أن يُحاكما، ولكن ثمة نقصاً في الأدلة لإدانتهما. كلاهما في زنزانتين منفصلتين وليس بوسع أحدهما أن يتواصل مع الآخر. وتبذل الشرطة جهودها لجمع الإثباتات ضدّهما والحصول على اعتراف. وإليكم مصفوفة هذه اللعبة:

السجين ب

2	1		
1،0	0,9؛0,9	1	السجين آ
0,1؛0,1	1،0	2	

السجين آ اختار الخطوط الأفقية، السجين ب الأعمدة العمودية. ويحدّد تفاعل الخطوط والأعمدة خانات تمثل فيها «مدى» العقوبات التي ستُفرض (على يمين الفاصلة نقطة[؛]، عقوبات آ؛ وعلى يسار الفاصلة نقطة، عقوبات ب).

الاحتمال الأول: يعترف كلاهما بالجريمة الشنيعة وسيعاقبان عقوبة قاسية (آ1، ب1). الاحتمال الثاني: يعترف أحدهما ويشي بالثاني؛ فيفيد من حِلْم المحكمة، في حين أن الثاني ستنزل به عقوبة قاسية (احتمال آ 1، ب2). الإمكان الثالث: لا يعترف أي منهما وسيحكم عليهما بعقوبة خفيفة لجريمة ثانوية (آ2، ب2). وسيكون الاختيار سهلاً لو كان ثمة تفاهم مسبق أو كان يوجد حدّ أدنى من التواصل والثقة بين الشريكين في الجرم، ولكن الحالة ليست على هذا النحو، وتسول لكل منهما نفسه أن يخدع الآخر ليفيد من تساهل المحكمة، وذلك أمر يعرّضهم إلى خطر جرّهما إلى الاعتراف، كل من جهته، والوشاية بالآخر، وذلك أسوأ قرار (آ1، ب1). ونرى بهذا الصدد كم يمكنه أن يكون مضراً بكل من الشركاء المشتركين في وضع من التفاعل الاجتماعي ضربٌ من مناخ عدم الثقة المتبادل (انظر في هذا المعجم: **نظرية الألعاب، الإستراتيجية، التكتيك**).

J.K.(ترجمه إلى الفرنسية **J.S.T.**)

لَعْق القضيب

F: Fellation

En: Fellatio

D: Fellatio

مداعبة عضو الذكر بالفم

هذه الممارسة الجنسية، الموجودة على الغالب في تمهيدات الجماع، تنتشر انتشاراً متعاظماً. فنسبة الأشخاص الذين يمارسون الجماع الفمي في الولايات المتحدة الأمريكية، بين عام 1948 (تقرير كنسه) و1972 (أ. إتْزيوني) انتقل من 26 بالمئة الى 49 بالمئة لدى الأشخاص في العقد الخامس من عمرهم. وتستخدم 25 بالمئة من النساء في فرنسة، وفق تقرير سيمون (1972)، هذا النوع من المداعبة. والقذف في الفم يشقّ على بعضهن احتماله في بعض الأحيان، فيبصقن المنيّ، وتثمّن بعضهن، على العكس، مذاقه. ويُستخدم لعق القضيب أحياناً طريقة من طرائق منع الحمل. (انظر في هذا المعجم: الجماع، التبظير [لعق البظر]، كنسه [ألفريد]).

M.S.

اللغة

F: Langage

En: Language

D: Sprache

مجموعة من أفعال الكلام ينجزها هذا الفرد أو ذاك أو تنجزها جماعة من الأفراد.

اللغة، وفق نظرية فيرديناند دو سوسّور (1857-1913)، مفهوم عام يشمل مفهومي اللسان والكلام. ولا يستخدم هذا المصطلح مع ذلك، في الأغلب، بالمعنى الألسني بصوة أساسية، بل يُستخدم مرادفاً جزئياً لكلمة الكلام وحتى لكلمة لسان. وتُستخدم اللغة للتواصل. وفيها إنما تتحقّق مع ذلك جوانب أخرى من حياة الإنسان النفسية: الفاعلية العقلية، الانفعال، الإرادة، الإدراك، الخيال. وتكوّنُ اللغة لدى الطفل تابع لنموّ فاعليته، الذي يحدّد تطوّر أهداف التواصل ووظائفه ونموّ المقدّمات السيكولوجية الفيزيولوجية للغة. فالطفل لا يمكنه بعدُ، بين السنة والسنة والنصف من عمره، أن يستخدم الأصوات ليواجه الكلمات المتشابهة، وليس بوسعه أن يبني جملاً ولا يستعمل إلا الكلمات المتمايزة، تبعاً لوضع معيّن. (انظر في هذا المعجم: اللغة [اكتساب اللغة]).

A.A.L.

F: Language (acquisition du) **اللغة (اكتساب اللغة)**

En: Language acquisition

D: Spracherwerb

يولد الطفل في عالم من العلامات والرموز، التي ينبغي له أن يتمثّلها بسرعة حتى يكون قادراً على أن يندمج، اندماجاً متناغماً، في المتّحد الإنساني الذي ينتمي إليه. ويبدأ تعلّم اللغة- مُنظومة شكلية من العلامات تتدخّل بوصفها أداة تواصل محكيّ وتتيح الفهم المتبادل بين الأفراد في حدود منطقة معيّنة- منذ الولادة، بفعل التلقّي السمعي للتصويتات (فونيم)، ويدوم الحياة كلها. ويؤسّس الكلام صلة بين الطفل ومحيطه. ويجعله يبلغ الفكر الذي يشارك فيه أفراد المجتمع، بواسطة الأصوات (الإصدار الصوتي) المدركة بوصفها تعاقباً مجهوراً ذا دلالة، وليس مجموعاً من الضجّات الخاصة. فتعلّم الكلام، إنما هو معرفة العلاقات الاصطلاحية التي تقيمها الأصوات مع المفاهيم والأشياء، وتمثّل القواعد التي تحكم التواصل، واكتساب مهارة الإصدار الصوتي بربطه حدْسياً بالكلمات والأشياء. وتعلّمُ الكلام إنما هو تعلّم العالم، عالم ليس «عالماً-من-أجلي»، بل بالحري عالم أُضفيت عليه الصفة الاجتماعية تُدخلنا اللغة فيه: «عالم-من-أجلنا». وليس في عالم البشر شيء لا اسم له؛ فكل شيء واقع يمكننا أن نسمّيه. ولا يربطنا الكلام بعالم الأشياء إلا بصورة ثانوية، بعد أن أدخلنا في عالم الأشخاص، الذي يعبّر عن وجوده تعبيراً رمزياً. ويستقرّ الحوار بين الطفل ومحيطه، منذ ولادته، في حين أن السبيل إلى المعنى مسدودة أمام الوليد، ذلك أن «الكلام دون جواب لا وجود له، ولو أنه لا يصادف سوى الصمت، شريطة أن يكون هناك سامع»(لاكان).

واكتساب اللغة مشروط : أولاً، بسلامة ونضج الجملة العصبية، والحسّية، والمصوّتة. وتكوّنُ النخاعين (أي ظهور النخاعين حول الألياف العصبية) في مراكز اللغة، الذي يبدأ انطلاقاً من الشهر الخامس من الحياة داخل الرحم، يمتدّ بين ثلاث سنوات وخمس من العمر؛ ثانياً، باندماج الطفل في تجمّع إنساني. ويتعذّر تعلّم الكلام دون أن يتحقّق هذان الشرطان: الطفل الصغير لا يتكلّم قبل أن يبلغ عامه الأول، والمعتوه لن يتعلّم الكلام أبداً؛ والطفل المنعزل أو المهجور لا يمكنه، من جهة أخرى، أن يبلغ مستوى اللغة، حتى لو أن جهازيه العصبي والعضلي سليمان (حالة الأطفال المتوحشين على سبيل المثال)، ذلك أنه ينقصه، شأنه شأن الطفل الأخرس، نموذجاً ألسنياً يمكنه أن يقلّده. فالمحاكاة، في تعلّم اللسان، تؤدّي دوراً رئيساً. إنها هي التي تتيح للطفل أن يكرّر الكلمات ويركّب الجمل الصحيحة من وجهة نظر النظم، نظم الكلمات، في حين أنه يجهل كل شيء عن هذا النظم. والطفل لا يتعلّم الأقوال، ولكنه، حدسياً، يتعلّم القواعد التي تتيح له أن يفهمها وينتجها. ولا تكمن محاكاة اللغة، محاكاة يقوم بها الطفل، في ضرب من «النسخة المطابقة» لجمل الراشد، بل في ابتكار أقوال تخضع لانتظام معيّن في نظم الكلام. وعندما يحاول الطفل أن يتكلّم، فإنه يفعل ذلك وفق قواعد نحوه الأولي الشخصي، التي يتنامى إتقانها مع النمو السيكولوجي البيولوجي. ويوجد، في رأي ماك نيل كما في رأي ن. شومسكي (المولود عام1928)، جهاز فطري لاكتساب اللغة في كل موجود إنساني(**جهاز اكتساب اللغة**)، قادر على أن يبني الكفاية في لسان انطلاقاً من الكلام المسموع؛ فالقابليات الموجودة مسبقاً عند الولادة تنمو تحت التأثير المحرّض للأقوال والأوضاع المدركة.

وليس لدى الرضيع، في البداية، إلا الصراخ، والبكاء، والأصوات، والأوضاع، والإيماء، للتعبير عن حالاته الوجدانية. ولكن ذلك يكفي، في العلاقة ذات الامتياز التي يقيمها مع أمه، حتى يستقرّ التواصل. وتنمو، بدءاً من الشهر الثاني أو الثالث، فاعلية تصويتية لعبية، **الثرثرة**، حيث يثرثر الطفل الصغير

و«يناغي». واللذة التي ينالها من إصدار الأصوات تقوده إلى أن يكرّر إصداراته الصوتية الخاصة (ارتكاس دائري في الشهر الثاني)، قبل أن يعيد إنتاج الإصدارات الخاصة بأشخاص محيطه (المصاداة اللفظية في الشهر التاسع).

ويؤكّد العديد من المؤلفين، بعد رومان جاكوبسون (1896-1982)، أن ترتيب اكتساب التصويتات منتظم وكلّي. فالصوت الأول هو الصائت/ a/ ، تليه عن كثَب الصوامت/ P/ و/ m/ حيث إنتاج كلمة «بابا» و«ماما» / ,maman papa/ ؛ ثم تستقرّ فيما بعد / t/ و/ n/ ، ثم / i/ ، / é/ ، / ou/ . و«سواء تعلّق الأمر بالأطفال الفرنسيين أو الاسكنديناڤيين، الانغليز، السلاف، الهنود، الألمان، الهولانديين أو اليابانيين، كتب جاكوبسون يقول، كل وصف دقيق يؤكّد الواقع المدهش الذي مفاده أن التسلسل الزمني النسبي، الخاصّ بترتيب معيّن للاكتسابات الصوتية، يظلّ هو نفسه دائماً وفي كل مكان». فبين الشهر الرابع والعاشر تقريباً، يشهد المرء غنىً عجيباً في إمكانات الطفل الصوتية: الصوائت والصوامت الأكثر اختلافاً، تمطّقات (ظاهرات صوامتية من النموذج التنفّسي، نجدها، على سبيل المثال، في بعض الألسن بأفريقية الجنوبية)، صوائت مزدوجة (صوائت يتغيّر جرسها خلال النطق: مثال ذلك / ou/ في الكلمة الانغليزية mouse)، إلخ. ويبدو الطفل قادراً، في هذا العصر، على إنتاج كل الأصوات الخاصة بالنطق التي يمكننا تخيّلها، أصوات الألسن المعروفة جيداً والأصوات الماثلة في بعض التعابير الاصطلاحية، على حد سواء. وإذ استأنف بورهوس وفريديريك سكينر (المولود عام 1904) بعبارات أخرى، تلك الأفكار التي عبّر عنها من قبل هيبوليت تين (فوزييه، أردن 1828، -باريس، 1893) وإي. لاتيف (1934)، فإنه يعتبر أن اللسان الأم حصيلة الإشراط الفعّال. فعندما تلاقي بعض التصويتات التي ينطقها الطفل) «ماما»، «بابا»، «تاتا»، «مي مي»، إلخ) قبولاً لدى أعضاء محيطه، فإن هؤلاء الأعضاء يستجيبون، مظهرين رضاهم، بعلامات استحسان، بعلامات محبة، أو يستجيبون أيضاً بإعطائه الشيء الذي دلّ عليه، بحيث أن بعض التصويتات (فونيمات) تتعزّز وبعضها الآخر لا يتعزّز؛ وتكتسب التصويتات

الأولى بالتدريج دلالة بالنسبة للفرد، الذي يحتاز الشعور بمفعولها على المحيط، في حين تنطفئ التصويتات الأخرى.

ويكتسب الطفل، خلال المرحلة قبل اللسانية، مجموعة منفعلة من الكلمات: إنه يفهم بعض الألفاظ والتعابير قبل أن يكون بمقدوره أن يلفظها. وتبدو الكلمات الأولى بين الشهر الثاني عشر والخامس عشر. إن لها قيمة الجمل. ذلك أن الطفل عندما يقول «بابا»، فإن هذه الكلمة يمكنها أيضاً أن تعني: «يصل بابا» أو «بابا ذهب» أو «احملني، بابا»؛ فالمعنى يصل إلينا بواسطة الوضع، والتنغيم، والإيماء، والحركات المقترنة بهذه **الكلمات الجمل**. ويعبر الطفل، في نحو الشهر الثامن عشر، مرحلة جديدة، إذ يصبح قادراً على أن يجعل كلمتين متجاورتين، تشكّلان أشباه جمل؛ وسيقول، على سبيل المثال: «البيبي bébé دودو» ليفهمنا أن «الطفل الصغير نائم» أو أنه هو ذاته يرغب في النوم. ويبدأ أيضاً في أن يدخل الأفعال بصيغة المصدر في لغته. ويكوّن، نحو السنة الثانية، جملاً صحيحة من الناحية النحوية. ويغتني قاموسه بسرعة منذئذ وحتى السنة الثامنة تقريباً. وأحصى م. إ. سميث (1926) 272 كلمة في السنة الثانية، 396 في الثالثة؛ 1540 في الرابعة، 2072 في الخامسة، 2562 في السادسة. ويعرف الراشد المتوسّط نحو 20000 كلمة، ولكن بعض الأشخاص المثقفين يملكون قاموساً من المفردات يتألف من 50000 كلمة. فكل كلمة جديدة لدى الطفل تفضي إلى تعديل في لغته.

يتصرّف الطفل، بفضل اللغة، بوسيلة عمل وتصور يتلاعب بها تلاعباً ترافقه اللذة. فالكلمة تمنحه السبيل للوصول إلى الرمزية وتتيح له، أكثر أيضاً، أن تعوّض عن غياب موجودات من عالمه، أشخاص، وحيوانات، وأشياء، بوسعه من الآن فصاعداً أن يسمّيها ويستحضرها حسب مشيئته، موجودات دمجها ويملك على الأقل «انعكاسها» في صميميته. ويعترف جان بياجه (1896-1980) بنموذجين أساسيين من لغة الطفل: 1- لغة التمركز على الذات، التي تمتدّ على المرحلة بين ثلاث إلى خمس سنوات، حيث لا يهتمّ الطفل أن يعرف إلى من يتكلّم

ولا من يصغي إليه. إنه يتكلم على سبيل مرافقة العمل (ولكن الكلام يكوّن الأساسي في العمل أيضاً على الغالب). إنه عصر الحوار الذاتي بل عصر «الحوار الذاتي الجماعي» (أطفال متجمّعون يهتمّون بألعابهم، إذ يتكلّم كل طفل لذاته، دون أن يشغله ما يقوله الآخرون)؛ 2) اللغة التي يُضفى عليها **الصفة الاجتماعية**، لغة تبدأ نحو السنة السابعة الى الثامنة. وليس إلا في هذه الفترة إنما يتوجّه الطفل توجّها واقعياً إلى سامعه الذي يحاول هذا الطفل أن يؤثّر فيه، ويأخذ بالحسبان وجهة نظره، ويتبادل الأفكار معه. فالكلام يزدهر ازدهاراً كبيراً ويتّخذ معناه كله، معنى يكمن في أن يتبادل الدلالات مع الغير. ولكن الطفل ينبغي له أن يرغب في التواصل مع مثيله، وسيظلّ الكلام، دون هذه الرغبة، فقيراً (كما أمكننا أن نلاحظ نحن شخصياً لدى الأطفال الذين ترعرعوا في المؤسسات)، وستكون اللغة سلبية. فاللغة وسيلة التنشئة، وسيلة ذات امتياز. إنها تتيح للطفل أن ينقل فكرته، ويؤثّر في الغير (الأوامر والأسئلة تثيران أجوبة)، وأن يتكيّف مع الجماعة (يتلقّى التقاليد والقيم الاجتماعية) ويبُرز نفسه (مثال ذلك الطفل الذي يطرح مجموعة من الأسئلة، دون أن يصغي إلى الأجوبة، ليلفت انتباه محيطه ويحتفظ به مثبّتاً على ذاته). وتُستخدم اللغة أيضاً لجعل الغير يعترف بالطفل بوصفه شخصاً أو ليتحرّر من توتّرات داخلية (بالشتيمة، على سبيل المثال، عندما يكون العدوان المباشر متعذّراً، أو بالبوح والاعتراف أو العلاج التحليلي النفسي أيضاً). وأخيراً، تتيح اللغة استباق التجربة الشخصية وتصبح مصدر معارف. فاللغة تكوّن معاً أساس الحياة الاجتماعية والأداة الأساسية للفكر. (انظر في هذا المعجم: **الكفاية**، **الإنجاز**).

N.S.

اللغة (وظيفة اللغة)

F: Langage (Fonction du)

En: Language function

D: Sprachfunktion

نظام من الأغراض والمهمّات يقتضي حلّه استخدام اللغة.

ينبغي أن نميّز وظائف اللسان، التي تتحقّق في كل فعل من أفعال اللغة، (مثال ذلك وظيفة التواصل أو وظيفة أداة الفاعلية الفكرية)، من وظائف اللغة، كالوظيفة الشعرية، الوظيفة السحرية... أضف إلى ذلك أن ثمة عدة وظائف اجتماعية للتواصل: مثال ذلك وظيفة التنشئة الاجتماعية، وظيفة الرقابة الاجتماعية، وظيفة تماهي (توحّد) الفرد بالجماعة وهو يتكلّم.. وينبغي أن نميّز وظائف وحدات اللسان وخصائص مختلف الأساليب من وظائف اللغة. (انظر في هذا المعجم: **التواصل، الألسنية، الكلام**).

A.A.L.

F: Langage des animaux **لغة الحيوانات**

En: Language of animals

D: Tiersprache, Tierisches kommunikations system

منظومة من العلامات يفهمها ويستخدمها أعضاء أسرة بيولوجية حيوانية واحدة.

تصطدم دراسة التواصل لدى الحيوانات بصعوبة عملية رئيسة: يتعذّر التحقّق من أقوالنا بصوة مؤكّدة تعذراً شبه مطلق. وذلك يشرح أن لبعض الباحثين ارتكاسات انفعالية على هذا الموضوع، وأن المناقشات تكون حامية بين أنصار لغة حيوانية وخصومهم الذين يعتقدون أن «القدرة على التمثّل الرمزي، مصدر مشترك للمجتمع، والفكر واللغة، لا تظهر إلا لدى الإنسان (ميشيل غوستار، 1975، ص161). وإذ نحاول أن نكون بعيدين عن هذه المجادلة، فإننا نعترف، لنبدأ، أن مفهوم اللغة يشمل عدة وقائع. فثمة، أول الأمر، اللغة **المنفعلة**، تلك التي تُفهم دون استخدامها (الكلب يطيع أوامر معلمه)؛ ثم تأتي اللغة **الفاعلة**، تلك التي نستخدمها، وهي دائماً أكثر اختزالاً من السابقة؛ واللغة **المحكيّة** (خاصة الإنسان)؛ وأخيراً، اللغة **غير اللفظية**. وليس الكلام أمراً لا غنى عنه لنقل الدلالات إلى فرد أو إلى جماعة. فالحركات، والإيماء، والأوضاع، تكفي في حالات عديدة للتعبير عن النوايا الودّية أو العدوانية، أو حالة حيوية -نفسية- وجدانية. ويبدو من الصعب، إذا سلّمنا بهذا التعريف، ألا نعترف بوجود «شبه لغة» على الأقلّ، إن لم نعترف بوجود لغة. فكلّ الحيوانات الاجتماعية تتواصل بينها بواسطة إشارات

مناسبة، متغيّرة حسب الأنواع: غناء العصافير، وصفير الدلفين أو تمطّقه، ورقص النحل، وصراخ القرود، ونعيق الغراب، والهمهمات، والأنين، والخرخرة، إلخ، كلها وسائل إعلام للضروب الحيوانية المختلفة. وبيّن عالم الحيوان النمساوي كارل فون فريش (المولود عام 1886) وتلاميذه أن النحل يملك منظومة معقّدة من التواصل حيث تتدخّل، مترافقةً، إشارات حسية حركية، بصرية، اهتزازية، صوتية وكيميائية. وأثبتت البحوث في مجال الدلافين أن التواصل بينها يحدث بواسطة فوق الأصوات. ويلاحظ جون ك. ليلي أن الدلفين المعزول يظلّ صامتاً، ويتواصل دلفينان تواصلاً هادئاً، في حين أن جماعة من الدلافين تُحدث ضوضاء مدهشة من فوق الأصوات. ولوحظ أن دلفيناً كان قادراً على أن يقيّم وضعاً معيّناً وينقل معلوماته إلى مثيله، الذي كان ينفّذ عندئذ المهمّة التي أُمر بها تنفيذاً صحيحاً.
وكوّن التواصل بين القرود موضوع ملاحظات عديدة تثير الاهتمام. ويروي ميشيل غوسْتار (1975، ص119)، مستشهداً بستروهْساكر (1969)، أن «قرود فرْفه (Vervet) في أفريقية تستخدم علامات إنذار بالخطر مختلفة وفق كل نموذج من القنّاص. إنها تصدر، لإعلان وصول نسر أو حضور فهد متربّص، أو مرور كوبرا أيضاً، نداءات مختلفة يُطلق كل نداء منها استجابة مختلفة. فيُطلق نموذج الإصدار الصوتي الأول هروباً متسارعاً لكل القرود إلى الأشجار؛ ويسبّب الثاني استجابة مختلفة: الحيوانات تهجر الأغصان المنخفضة من الأشجار لتحتمي بقمّة الأشجار؛ ويفضي النموذج الثالث من الإشارة تجمّع الحيوانات كلها، التي تتبع الأفعى، عن بُعْد، طوال عبورها المجال الحيوي». وتتوافق الملاحظات كلها فيما يتعلّق بـ**قرود الهجرسيات** أو القرود الكبيرة على حدّ سواء. ولاحظ ميتْزيل (1971)، على سبيل المثال، أن الشمْبانزي يشير إلى أمْثاله بالحركات، والإيماءات، وإصدار الأصوات، إلى وجود الغذاء واتجاهه، بل إلى المكان الذي اكتشفه فيه، أو رأى أفعى خطرة. ولا تتيح لنا هذه الملاحظات أن نحسم نهائياً لمصلحة وجود لغة متكوّنة لدى الحيوانات علانيةً، ولكنها تُرغمنا على التأمل وإعادة النظر في الآراء المفرطة في اليقين كالآراء التي تجعل من اللغة وظيفة إنسانية بصورة نوعية. وقيل إن ما يميّز

لغة الحيوانات عن اللغة الإنسانية يكمن، على نحو أساسي، في أن سمتها فطرية ومتماثلة الشكل في النوع المأخوذ بالحسبان. واعتقد بعضهم أنهم رأوا البرهان في الواقع الذي مفاده أن قرداً من السعالي أُسر وعمره بضعة أسابيع، معزولاً عن أمثاله، كان يُصدر، إصداراً تلقائياً، أصواتاً تماثل أصوات الأفراد الأخرى من نوعه. ولكن ما أثبتوه على هذا النحو ليس إلا فطرية «كفاية»؛ ولا يزال ينقصهم أن يحدّدوا نصيب التعلّم في «الإنجاز»، أي استخدام اللغة. وهذا النصيب ليس أمراً يُستهان به، لدى الإنسان فحسب (الأطفال المتوحشون لا يتكلّمون)، ولكن لدى الحيوانات أيضاً، كما بيّنت تجارب عديدة ذلك، كتجارب و. إ. د. سكوت (1901) على طيور صفارية صغيرة فُصلت عن جماعتها، أو تجارب إ. كونْرادي (1905) على طيور دوري ترعرت في وسط طيور كناري. فمعارفنا الخاصة بلغة الحيوانات مجزآة جداً وغير مؤكّدة، ولكن ذلك لا يجيز لنا أن نستخلص أنها غير موجودة. فـ «كيف يمكننا أن نكون واثقين أن الثرثرة دون موضوع ظاهر، ثرثرة جماعة من الشمبانزي، ليست في الواقع نقاشاً ينصبّ على ما زعم أحدها أنه رأى اليوم الفائت، أو حتى على طبيعة الكون؟ سؤال يسأله بحقّ أوتّوكينوبرغ (1945، الترجمة الفرنسية، ص41). إننا نجهل كل شيء على وجه التقريب عن لغة الحيوانات، ولكن ما نعرفه عنها يتيح لنا أن نقول إنها تبدو مرتبطة باللحظة الحاضرة وإنها لا تملك الانبناء الثاني. وهي تكون في ذلك أقرب إلى منظومة من التأشير منها إلى لغة متكوّنة علانية. (انظر في هذا المعجم: **الانبناء، الكفاية، رقص النحل، الذكاء الحيواني، اللسان، الإنجاز، الفيرومون، الطفل المتوحش**).

N.S.

لغة الصمّ البكم

F: Langage des sourds-muets

En: Deaf -and- dumb language

D: Taubstummesprache

وسيلة تواصل وتعبير حركية يستخدمها الصمّ البكم.

الصمّ يستخدمون اللغة الحركية استخداماً واسعاً عندما يكونون مجتمعين، ولو أنهم قادرون على استخدام اللسان الشفهي بفضل التربية. هذه اللغة أكثر إعداداً وتعقيداً من كل أنماط التواصل غير اللفظي. ويُظهر تحليل الحركات عدداً معيّناً من الأساليب التي تتيح فهم ابتكارها. وتقدّم المحاكاة على نحو إلماعي قليلاً أم كثيراً، سمات الشيء، والعمل، والنوع، الممثّلات. إنها متكيّفة على نحو خاص مع الألفاظ التي تصف الإنسان أو ما يفعل (مثال ذلك أن مهنة تمثّل بعمل يميّز العامل الذي يمارسها: السجْع للنجّار، وصفّ الأحرف لعامل الطباعة. وتنطبق المحاكاة، بالتماثل أو التشاكل، على الحيوان الذي تُمثَّل سماته أو خصائصه (كالقرنين للثور، وعمل الحكّ للقرد...). وتتدخّل أيضاً فيما يتعلّق بالأشياء التي تمثّل اليد أو الإصبعُ التي تتحرك شكلها أو حركتها أو ترسيمها (للبرق، ترسم اليد خطاً متعرجاً). والمطابقة تستحضر العمل الذي يُمارس على شيء أو الارتكاس الذي يثيره (أحد أساليب الدلالة على الهرّ يكمن في مداعبة هرّ متخيّل محمول على الذراع). وتنطبق على الصفات (الوزن الثقيل أو الخفيف يُعبَّر عنهما بالصعوبة أو اليسْر اللذين نرفع بهما شيئاً). وتلجأ الحركات لجوءاً أساسياً إلى التمثيل، الذي يمنح شكلاً مادياً لألفاظ ليس لها محتوى مشخّص. وذلك يتحقّق بـ التماثل،

الترابط أو التشخيص. فحركة «التعليم» تقدّم مثلاً نموذجياً من التماثل، كما نرى في الوصف الذي وصفه به لامبير. «باليدين معاً، نأخذ كما من جبهتنا قبضات من الذكاء ونلقيها على جبهة آخر يكون موجوداً أمامنا». وحركة «الربح» تقدّم مثالاً على التشخيص: إنها الحركة المألوفة لالتقاط الدراهم بيد. وتقتبس اللغة الحركية اقتباسات كثيرة لتمثيلات دارجة في المجتمع: سمات اللباس (كالشارات للضابط، أو، على نحو أعمّ، للرئيس، وتطريزات الثوب للأكاديميين، والسمات الاحتفالية (كالحلقة للزواج والماء للمعمودية)، أو السمات الشائعة بالنسبة للفن، بل اللغة (الميزان للعدالة...).

وأدّى الأب دو ليبّه (1712-1789) دوراً حاسماً في تكوين لغة حركية حوفظ عليها في أيامنا هذه. كانت البيداغوجيا التي طبّقها قائمة على استعمال الحركات أو، وفق تعبيره، على «علامات منهجية»، وذلك كان قد أرغمه على أن يترجم، بهذا الشكل، مجموع الألفاظ الضرورية للتربية. وقال إنه استند على التعبيرات التي ابتكرها الصمّ أنفسهم ابتكاراً تلقائياً، ولكن جزءاً كبيراً من الحركات تعكس ضرباً من قصد التحليل الواضح والعقلاني، غير التلقائي على الإطلاق. فلم يترك قاموساً لهذه «العلامات المنهجية». ونحن إنما نجد بعضها مذكوراً على نحو عرضي. وهكذا الأمر بالنسبة الى الحركات الخاصة بـ رجل وامرأة المستخدمين لديه لفظين نحويين للدلالة على المذكّر والمؤنّث. فحركات الأول تكمن في رفع اليد إلى القبّعة وحركات الثانية في أن يُرسم بالإبهم، على طول الخدّ، تلك العمرة التي كانت نساء القرن الثامن عشر يعتمرنها. وتستمرّ الحركة الأخيرة في أن تكون مستعملة في أيامنا هذه. ويبيّن فحص كتابات الأب سيكار، خليفة الأب دو ليبّه، الذي وصف بعض العلامات، وفحص القواميس المكتوبة خلال القرن التاسع عشر (بيليسيه، الأب لامبير)، دوام استخدام الحركات نفسها، على الرغم من غياب الدعم المؤسسي (تعليم منهجي، كتابة) التي تفيد منه الألسنة الشفهية.

وأسهم تأثير الأب دو ليبّه ومدرسته في نشر الحركات التي يعلّمها لتلاميذه في بلدان عديدة. ولهذا السبب، تكون الحركات التي يستخدمها الصمّ في الولايات

المتحدة هي نفسها على الغالب التي تُستخدم في فرنسة: إن لوران كليرك، التلميذ الأصمّ للأب سيكار، هو الذي أدخلها في أمريكة (المقابلة بين الحركات تتيح لنا أن نعيد تكوين ما كانت العلامات المستخدمة في زمن الأب دو ليبّه أو في زمن سيكار على الأقل). ولكن اللغة الحركية للصمّ ليست واحدة في البلدان جميعها. فثمة بدائل عديدة جداً، وذلك أمر قاد اتحاد الصمّ العالمي إلى البحث في توحيد الحركات بغية تسهيل التواصلات العالمية. وكان الأب دو ليبّه يعتقد أن ضرباً من ضروب التفوّق للعلامة كونها طبيعية، أي أنها ذات صلة مباشرة بالأشياء، وذلك أمر يستبعد التقييدات الجغرافية التي تفرضها السمة الاصطلاحية للألسن الشفهية. والواقع أن كل شيء، أو وضع، أو صفة، يمكنها أن تدلّ عليه تشكيلة من العلامات. فالمواضعة تتدخّل، أقلّه في اختيار التحديد المتبنّى؛ من هنا منشأ التنوّعات، الموجودة حتى داخل بلد واحد، بين تلاميذ المدارس المختلفة.

وقاد هاجس منح الطفل الأصمّ إمكان التواصل مع الذين يسمعون إلى تطوير الطرائق الشفوية في المدارس. ونجم عن ذلك أن الحركات كانت قد استُبعدت، جرّاء كونها لا تؤمّن هذا التواصل وتصبح ضرباً من اللغة الخاصّة التي تسجن الأصمّ (المتعلّق بها كثيراً مع ذلك) في دائرة الصمّ الآخرين. بل بدا لبعض المؤلفين أن استعمال الحركات كان يقود إلى صعوبات في اكتساب اللسان. والواقع أن اللغة الحركية، التي استمرّت في الممارسة، تحذف عدداً كبيراً من ضروب الدقّة والتمييزات، ولاسيما من النسق النحوي، المندرجة في الألسن الشفوية؛ ومن هنا منشأ أخطاء بيّنها المدرسون في استعمال هذه الألسن. وبدا، بصورة متلازمة، أن السمة المشخّصة والتمثيلية للحركة مانع لاكتساب أشكال الفكر المجرّدة (ذكر أومبْدودان وبيله، على وجه الخصوص، عدداً من الوقائع والأدلّة في هذا الاتجاه). وهذه الاعتراضات تصحّ عندما تكون اللغة الحركية منبوذة أو موضع الحطّ من قيمتها وتكفّ عن أن تفيد من تعليم وإغناء منهجيين. وهي تنطبق على نحو أقلّ عندما تُعامل اللغة الحركية معاملة الألسن الشفوية، كما هي الحال في الولايات المتّحدة الأمريكية، حيث تحتفظ اللغة الحركية بمكان في بعض المدارس، حتى في

المستويات العليا من التعليم. وتوحي دراسات حديثة أن اللغة الحركية يمكنها أن تُستخدم استخداماً نافعاً في تربية الأطفال الصمّ الصغار جداً، الذين تتيح لهم، بصورةمبكّرة، أن يتواصلوا ويتوصّلوا إلى المعاني التي يُعبّر بفضلها عنها تعبيراً يسيراً (مشكلات النحو ما تزال غير ذات أهمية في المراحل الأولى من اكتساب اللغة).

والأفكار المختلفة التي تتناول لغة الصمّ الحركية ذات علاقة بالغموض الذي تنطوي عليه. إنها يمكنها، بوصف الأشخاص الذين اكتسبوا مهارة اللسان الشفهي يبنونها، في جزء منها، ويطوّرونها ويستخدمونها استخداماً على النحو الأفضل، أن تبلغ، كما هو الأمر لدى الأب دو ليبّه، دقائق اللسان الشفهي وأن يكون لها القيمة التي له في نقل المعارف وتكوين الفكر. ولكنها تفقد على هذا النحو أصالتها، إلا فيما يخصّ مادتها، وتفقد «اشتقاقاتها» ضمن بعض الحدود. أضف إلى ذلك أن سمتها اليدوية والتمثيلية تؤمّن لها ضرباً من البساطة تسهّل بلوغها وممارستها. ومن هنا منشأ استعمالها، بوصفها شيفرة محتملة، في العمل، لدى الذين يسمعون، ولدى الباحثين، الذين اختاروا أن يعلّموا لساناً إنسانياً، مع بعضٍ من النجاح، تلك القرود الشبيهة بالإنسان (غارْدنَر وغاردنر). ولكنها عانت عندئذ إفقاراً لإمكاناتها على المستوى المعرفي والألسني. (انظر في هذا المعجم: **فن المحادثة بالأصابع، الذكاء الحيواني، الصم البكم**).

P.O.

لنتون (رالف) Linton (Ralph)

إتنولوجي وأنتربولوجي أمريكي (فيلادلفية، 1893-نيوهافن، كونكتيكوت، 1953).

استأنف لنتون تصوّر كارْدينر (المولود عام1891)، وهو ينتقده، للشخصية الأساسية؛ وأكمله إذ أدخل مفهوم «الوضع الاجتماعي» أو بالحري «شخصية وضع»: الموقع الاجتماعي والأدوار الناجمة عنه أكثر أهمية، في رأيه، في الشخصية الأساسية، من آليات التحليل النفسي التي يعتبرها كارْدينر أساسية. فثمة أوضاع تفرض نفسها علينا منذ الولادة: أوضاع طبقة أو طائفة، رجل أو امرأة، الخ، وأخرى يمكننا أن نكتسبها: مهنة، اختيار الجماعات الاجتماعية، ذلك أن هذه الأوضاع تابعة، جزئياً على الأقل، لمبادرتنا. واتجاهاتنا مشروطة أول الأمر بالانتماء إلى طبقة، وتُبنى شخصية الطبقة، بعد الطفولة على وجه الاحتمال، على أساس شخصية أساسية مشتركة.

ولنْتون أحد الذين عملوا فعلاً للتقريب بين علم النفس والإتنولوجيا. وترتبط أعماله بالأنتربولوجيا السيكولوجية التي أسّستها مارغريت ميد (1887-1948) وروث بينديكت (1936) حوالي1930. ومن مؤلفاته الرئيسة، نذكر أول الأمر: **دراسة الإنسان** (1936). وهذا المؤلَّف الكلاسيكي من الأنتربولوجيا، المترجم إلى الفرنسي، الذي قدّمت له إيفيت دلْسو (**في الإنسان**، دار نشر مينوي، 1968)، يحتوي بيبلْوغرافيا كاملة لأعمال لنتون. ولنشرْ أيضاً إلى: **الخلفية الثقافية**

للشخصية (1945، ترجمه إلى الفرنسية أ. ليوتار بعنوان أساس الشخصية الثقافي، باريس، دونو، 1959)؛ الثقافة والاضطرابات العقلية (1956، مؤلف منشور بعد وفاته، سبرينغ فيلد، شارل ك، توماس). (انظر في هذا المعجم: الشخصية الثقافية).

N.S.

اللَّوْثة

F: Hypomanie

En: Hypomania

D: Hypomanie

حالة من الإثارة العقلية تعيد إنتاج علامات الهوس الحادّ على صورة هيّنة.

الأشخاص المصابون باللوثة أو الهوس الخفيف يكونون في حالة غبطة ومرح؛ إنهم يصرفون فاعلية حركية شديدة تقودهم إلى الانتقال باستمرار، وإلى تغيير غالبٍ لاهتماماتهم ويمنحون وجودهم طرازاً مفككاً غير متوقّع. ويظهر العمل الوظائفي المتسارع لتفكيرهم بفيض من الأفكار، السطحية على الغالب، ومشروعات غير متكونّة يعبّرون عنها بثرثرة دائمة. ويمكنهم مع ذلك، من وقت إلى آخر وفي بعض الفاعليات، أن يكونوا منتجين وفاعلين. وتنشيط المزاج سبب سيول من الانفعالات، ونوبات الغضب، وحتى الجنح في بعض الأحيان. هذه الحالة يمكنها أن تكون عابرة أو مألوفة. فالحالة، تشبه عندما تكون عابرة، أزمة الهوس الحاد، التي يمكن أن تمهّد لها أو تنتهي بها، أو تمثّل شكلاً خفيفاً منها ذا حركة دورية. أما إذا كانت الحالة مألوفة، فإنها تكون مكونّة للشخصية (لوثة جبلّية). واللوثة تقترن دائماً على وجه التقريب بمورفولوجيا (تشكّل) من نموذج البدين المساوِق. (انظر في هذا المعجم: **تشكّل البدين**).

J.MA.

لورنْز (كونار زاخارياس) Lorenz (Konard Zacharias)

عالم في علم النفس وعلم الحيوان، نمساوي (مولود في فيينّة، 1903).

يُسمّى لورنز، بعد دراسات الطب التي يبدأها في الولايات المتحدة وينهيها في فيينة، مساعداً في كلية الطبّ (1928)، ثم يعلّم سيكولوجيا الحيوان والتشريح المقارن في جامعة هذه المدينة (1937-1940). ويصبح، في أيلول (سبتمبر) 1940، مدير القسم لعلم النفس في جامعة كونيغْسبيرغ. ويُعيّن، خلال الحرب، اختصاصياً في علم الأعصاب بمشفى بوزنان. ويستأنف لورنز، بعد انتهاء الحرب، وظائفه في جامعة كونيغْسبيرغ، ثم يُسمّى مدير معهد الدراسات المقارنة للسلوك في ألتنْبيرْغ (النمسة). ويشغل، عام1951، وظائف مدير لمعهد فيزيولوجيا السلوك ماكس-بلانك، وبولْدرنْ، ثم سويسنْ (1954). وعارض لورنْز بوصفه متأثّراً تأثراً قوياً بمعلمه، عالم الطيور الألماني أوسكار هنْروث (1821-1945)، وبأعمال جاكوب فون إوإكْسكول (1864-1944) التي تتناول سلوكات المتعضّيات في وسطها الخاص (umwelt)، معارضة قطعية طرائق السلوكية وأسّس، في بداية الثلاثينات، مدرسة الإثولوجيا الموضوعية (دراسة السلوك الحيواني العفوي). ويقود لورنز دراساته في الطبيعة وفي الشروط القريبة بقدر ما يمكن من الوسط الطبيعي، بدلاً من دراسة سلوك الحيوانات الواقعة في الأسر. واستطاع على هذا النحو أن يبيّن الدور الاجتماعي لبعض المنبّهات النوعية أو «المطلقات» déclen-cheurs(Auslöser بالألماني؛ Releaser بالانغليزي) كوضع، صراخ، غناء، لون أو رائحة، ويعدّ نظرية «الآلية المطلِقة الفطرية». فكل نوع حيواني حسّاس، في رأي

المدرسة الوضعية، لعدد معيّن من المنبّهات (لا لأخرى)، التي تطلق سلوكات معيّنة. مثال ذلك سمكة أبو شوكة، سمك مياه حلوة، ترتكس ارتكاساً عدوانياً لوجود سمكة (أو رامج) ذات بطن أحمر (لكل الذكور من هذا النوع بطن أحمر في مرحلة التكاثر). ومفعول المطلِق ذو علاقة مع ذلك بعمر الفرد، والفترة الزمنية من السنة، وحالته الفيزيولوجية والهرمونية. ونشر لورنْز مقالات وكتباً عديدة، نذكر منها: مقالاً عنوانه «كان يتكلّم مع الثدييات، والعصافير والأسماك» (1948) (تُرجم إلى الفرنسية، باريس، فلاماريون، 1968)؛ كتاب **العدوان، تاريخ طبيعي للشرّ** (1965، الترجمة الفرنسية بالعنوان نفسه، فلاماريون، 1969)؛ كتاب **تطور السلوك وتغيّره** (1963، الترجمة الفرنسية بعنوان: **تطوّر السلوك وتغيّره: الفطري والمكتسب**، باريس، بيّو، 1967). نال لورنْز، عام 1973، جائزة نوبل للفيزيولوجيا أو الطب، بالاشتراك مع نيكولاس تانْبرْجنْ (مولود عام 1907) وكارل فون فريش (مولود عام 1886).

N.S.

Luria, Lurija (Alexander Romanovitch) لوريا، لوريجا (ألكسندر رومانوفيتش)

عالم نفس وطبيب روسي (كازان، 1902 –موسكو، 1978).

كان لوريا متأثراً بإيفان سيتْشينوف (1829-1905) وإيفان بيتروفيتش بافلوف (1849-1936)، ولكنه كان على وجه الخصوص تلميذ ليف سيمينوفيتش فيغوتْسكي (1896-1934) ومعاونه. وعُني مع فيغوتسكي بالنموّ النفسي الحركي لدى الطفل، وعلى وجه الخصوص باكتساب اللغة ودورها في تطوّر السلوك. وقادته تجربته، التي اكتسبها من ملازمة أسرّة المصابين بجروح في الدماغ، إلى أن يصوغ «مبدأ التموضع الدينامي الذي توجد بحسبه جمل وظائفية معقّدة يدعمها العمل المتناغم لمناطق الدماغ المختلفة والمتباعدة غالباً. وهذه الجمل الوظيفية بُنيت خلال الزمن، ووفق تجربة الفرد عندما يكون الأمر متعلّقاً بالسيرورات العقلية. وهكذا فإن عرضاً ناجماً عن جرح دماغي محدّد لا يمكنه أن يشير إلى أن الوظيفة التي يعكس فقدانها تكمن في هذه المنطقة الدماغية. وليست هذه المنطقة سوى أساس من الأسس العصبية التي انعكس صدى تدميرها على الجملة كلها» (هـ. هيكان، 1978، ص. 310). ولوروريا أحد مؤسسي فرع معرفي جديد، **علم النفس العصبي**، الذي يدرس الوظائف العقلية الكبرى، كاللغة، والذاكرة، والذكاء، في علاقتها بالبينات الدماغية والفاعلية العصبية العليا. وندين له، على وجه الخصوص، بتصنيف أشكال الحُبسة، القائم على تحليل ألسني يشمل: 1) الحُبسة بفعل التفكّك الفونيتيكي (الصوتي)؛ 2) الحبسة مع اضطراب التواصل في

العلاقات؛ 3) الحبسة بفعل فقدان التركيب المتتالي للعناصر في مجموعات مستمرّة؛ 4) الحبسة الجبهية بفعل فقدان الوظيفة المنظّمة للغة. وأرسى لوريا أيضاً الأسس العلمية لتقنيات إعادة التربية لاضطرابات اللغة، والحركة، والإدراك.
ونذكر من مؤلفاته العديدة: **الوظائف القشرية العليا لدى الإنسان** (بالروسية والانغليزية، 1962)؛ **الكتاب الصغير عن ذاكرة عظيمة** (بالروسية، موسكو، 1965، ترجمه إلى الفرنسية ن. روش دو تدوينبْرغ وشافرنْيف بعنوان **ذاكرة أعجوبة: دراسة نفسية بيوغرافية**، نيوشاتِلْ، دولاشو ،نيستله، 1970)؛ **الفصوص الجبهية وضبط السيرورات النفسية** (بالروسية والانغليزية، 1966)؛ **الطفل المتأخّر عقلياً** (1974، تولوز، بريغا)؛ **اللغة والنموّ السيكولوجي لدى الطفل** (بالروسية، بالتعاون مع ف. يودوفيتش، 1956، أكاديمية العلوم البيداغوجية، الطبعة الانغليزية، لندن، 1958)؛ **مبادئ اصطفاء الأطفال للمدارس الخاصّة** (بالروسية، بالتعاون مع جـ. دولْنيف، 1956، موسكو، أكاديمية العلوم البيداغوجية)؛ **اضطرابات حلّ المشكلات** (بالتعاون مع ل. س. تسيفيتكوفا، ترجمه إلى الفرنسية ر. ليرمْيت، باريس، غوتيه-فيلار، 1967). (انظر في هذا المعجم: **الحُبسة، غولدشتاين، لاشْله، علم النفس العصبي**).

M.C.

لو سِنّ (رونه) Le Senne (René)

فيلسوف وعالم في علم الطباع، فرنسي (إِلْبوف، سين- بحري، 1882 -باريس، 1954).

كان لوسنّ، الذي يعارض جون بول سارتر (1905-1980) والشيوعيين معارضة جذرية، فيلسوف القلق الإنساني. ومنح لو سنّ مجدداً علم الطباع ضرباً من الانطلاقة الجديدة حين ترجم كتاب جيرار هيمانْز (1857-1930) **سيكولوجيا النساء**، ويسّر واستكمل تصنيف المدرسة الهولاندية. ونشر أيضاً كتاباً عنوانه **الكذب والطبع** (1930، ألكان) و**المطوّل في علم الطباع** (1954، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية). ويُعرّف الطبع في رأي لو سنّ أنه «مجموعة من الاستعدادات الجبلّية تكوّن الهيكل العظمي العقلي لإنسان»(1945، ص 90). ويحاول في مؤلفاته أن يبيّن العلاقة المتبادلة بين الطبع والشخصية ويشرح مؤلفات بعض الكتّاب (ألفريد دو فيني، على سبيل المثال) والفلاسفة انطلاقاً من نموذجهم الطبْعي. ويقترح لو سنّ أن تُضاف إلى الخصائص الأساسية الثلاث لدى هيمانز وويرْسما (الانفعالية، الفاعلية، الرجع) ثلاثة عوامل أخرى: اتّساع حقل الشعور، الذكاء التحليلي، والتمركز على الذات-التمركز على الغير، المخصّصة لإدخال فروق دقيقة بين النماذج الثمانية التي حدّدتها المدرسة الهولاندية. إن لو سنّ درّب تلاميذ عديدين أشهرهم كان غاستون برجه (1896-1960). وبوسعنا

أيضاً أن نذكر من مؤلفاته: **المدخل إلى الفلسفة** (1952، المنشورات الجامعية الفرنسية)، **المانع والقيمة** (1934، باريس، أوبيه)، **المصير الشخصي** (1951، باريس، فلاماريون)، **اكتشاف الله** (1955). (انظر في هذا المعجم: **علم الطباع**).

M.C.

لوفن (كورت) Lewin (Kurt)

عالم نفس أمريكي من أصل ألماني (موجيلنو، قرب بيذغوس، كوجافي، بولونية الحالية 1890–نيوتونفيل، ماساشوست، 1947).

يُعنى كورت لوفن، المتحدّر من وسط تجّار صغار، بعلم النفس منذ دخوله إلى الجامعة (1910). وزميلا دراسته في برلين، حيث يتابع محاضرات إرنْست كاسيّدرَ (1874-1945)، هما ولْفغانغ كوهلر (1887-1967) وكورْت كوفكا (1886-1941)، اثنان من المؤسّسين الذين سيؤسّسون نظرية الغشطالت. وبوصفه مدير البحوث، اختار كارل ستومْب (1848-1936)، الذي كان هو ذاته تلميذ فرانْز برينْتانو. واستقبلته جامعة برلين دكتوراً في الفلسفة عام 1914. وبعد الحرب، التي شارك فيها مشاركة بارزة، يعود إلى منصبه في جامعة برلين، ويُسمّى مساعداً في معهد علم النفس (1921)، الذي يديره ولفغانغ كوهلر في ذلك الحين، ثم أستاذاً مساعداً (1926). ومن طلابه بلوما زيغارنْيك وتامارا دامْبو، على وجه الخصوص. وإذ تأثّر لوفن بأفكار سيكولوجيا الشكل «الغشطالت» (1920)، فإنه يعيد فحص موضوعات علم النفس الكلاسيكي، كمشكلات الإرادة، وترابط الأفكار، والإدراك، من وجهة نظر نسبية، ويعكف على تحليل التصرّفات، الذي جدّده التحليل النفسي، تصرفات يطمح إلى أن يضفي عليها المنهجية في نظرية متماسكة لا تأخذ الفرد بالحسبان فحسب، ولكنها تأخذ الشخص في وضع بالحسبان، مع كل النتائج الاجتماعية والثقافية التي يفترضها ذلك. ويتوصّل إلى أن يبتكر ابتكاراً مبكّراً مفهومات جديدة: «الحقل السيكولوجي»، «مجال الحياة»،

«تقليص التوتّرات»، «التكافؤ»، الخ. ويمثّل تمثيلاً هندسياً، مستلهماً الطوبولوجيا الرياضية، مظاهر الواقع الاجتماعي الأساسية، ويحدّدها برموز ويجري عمليات جبرية انطلاقاً منها. مثال ذلك أنه يعبّر عن سلوك فرد بالصيغة التالية: C=(f)S، حيث C يمثّل السلوك، S الوضع الإجمالي. ولكن S، في الوضع الإجمالي، يشمل كلية الحوادث التي تؤثّر في السلوك، الأحداث الاجتماعية والأحداث الفيزيائية، والأفكار الشعورية والأفكار اللا شعورية، على حدّ سواء. ففي الحقل السيكولوجي، كل قطيعة توازن، كل تغيّر يُصيب عنصراً في المجموع يسبّب «توترات» ويحرّر «قوى» (تظهر بحاجات، ورغبات و«قيم» إيجابية أوسلبية..) يفضي تفاعلها إلى تعديل في البنية الإجمالية. ويختار لوفن عام 1933، تحت الضغط المتعاظم لمعاداة السامية في ألمانية، وبمناسبة دعوة وجّهتها إليه جامعة ستانفورد في كاليفورنية، أن يظلّ في الولايات المتحدة. ويعلّم فيها أول الأمر بجامعة كورنُه (نيويورك)، ثم بجامعة إيّوا (1935-1939)، ثم بجامعة ستانفورد من جديد، ثم هارفارد، وأخيراً، بجامعة إيّوا من عام 1940 إلى 1945. ويدرس كورت لوفن، متأثراً بمناخ البحث الأمريكي، بعض المشكلات الخاصة بالسلوك الإنساني، كالإحباط والنكوص (1937-1941)، ومستوى الطموح (1936-1944)، والتعلّم (1942)، مشكلات ينظر فيها من وجهة نظر دينامية. وتقوده نظرياته إلى أن ينتقل من مشكلات علم النفس الفردي إلى دراسة الجماعات الاجتماعية والوسط الاجتماعي التي يتحدّد موقعها فيه. فالجماعة «كل»، شأنها شأن الفرد، تقع في بيئة مجموعها يكوّن «حقلاً اجتماعياً»، نظير «الحقل السيكولوجي» الموصوف سابقاً. إن المفهومات نفسها يمكنها أن تُطبّق إذن في كليهما. ويؤسس لوفن عام 1945 **معهد ماساشوست للتكنولوجيا**، كمْبريدج، ثم **مركز البحث للجماعات الدينامية**، الذي سينتقل بعد موته إلى آن أربُور (ميشيغان) وكان تأثيره في علم النفس الاجتماعي غالباً. إننا إنما ندين له بمفهوم «دينامية الجماعة»، المشتقّة مباشرة من نظريته، نظرية الحقول، وهو الذي أسّس بالفعل علم النفس الاجتماعي التجريبي.

ونذكر من مؤلفاته الأساسية: النظرية الدينامية للشخصية (1935، نيويورك، ماك غراوْ-هيل)؛ مبادئ علم النفس الطوبولوجي (1936)؛ حلّ النزاعات الاجتماعية (إنه مؤلف نُشر بعد موته عام 1948)؛ نظرية الحقل في العلوم الاجتماعية: وثائق نظرية مختارة (1951). وكانت مستخلصات من مؤلفاته ومقالات عديدة قد تُرجمت إلى الفرنسية في كتاب علم النفس الدينامي (المنشورات الجامعية الفرنسية، 1959). (انظر في هذا المعجم: السلوك، البحث-العمل، علم النفس الطوبولوجي، مفعول زيغارْنيك).

R.M.

لوك (جون) Locke (John)

طبيب، عالم نفس، فيلسوف وعالم بيداغوجيا، انغليزي (رِنْغتون، قرب بريستول، سومرْسِتْشاير، 1632–أواتس، إيسّيكس، 1704).

لوك مؤسّس حقيقي لتيّار فلسفي ذي نزعة اختبارية وحسّية سينمو في القرن الثامن عشر في أوروبة، مع دافيد هيوم (1711-1776) وإ. ب، دو كوندِيّاك (1714-1780)، على سبيل المثال. إن التجربة الحسّية (الإحساسات واتّحاداتها) هي وحدها، في رأي لوك، مصدر أفكارنا، قيمنا وحقائقنا، وحتى تفكّرنا أو أحكامنا، التي هي إحساسات إحساسات أو أفكار أفكار. والفهم وظيفة فعلية؛ إنه يكمن في أن نتبيّن «الترابطات». أما العقل، فإن لوك يسلّم بوجوده ويمنحه، من جهة، وظيفة تنظيم الأفكار حتى نكوّن منها استدلالاً (وظيفة منطقية)، ومن جهة أخرى، وظيفة أن يعرف أن ثمةٍ موجودات أخرى موجودة (دون القدرة على قول شيء عن طبيعتها أو ماهيتها؛ وظيفة تأكيد الوجود للموجود المطلق والموجودات).

ويدين لوك، في مؤلفه عن التربية، ذلك النظام التقليدي، القائم على دراسة الكلمات دون الأشياء، الذي لا يفضي إلا إلى كثرة الكلام وإفقار الفكر. وإذا أراد المرء أن يستدلّ استدلالاً سليماً، فإن من المحتّم أن يستغني عن أفكاره القبلية وأن يجري، من أجل ذلك، تجاربه الخاصة، ويلاحظ، ويرى وينتقد. فالمعرفة المباشرة يتعذّر أن يحلّ محلها شيء آخر، و«إذا لم نر بأعيننا الخاصة، فإن نكون جاهلين

بمقدار ماكنّا قبلاً». أضف إلى ذلك أن لوك يوصي بصلابة الجسم، وألعاب الهواء الطلق، والاغتسال بالماء البارد، إلخ، ويطلب أن يُعامل الطفل معاملة الشخص المدرك. وتأليفه البيداغوجي مرافعة من أجل تعليم قائم على الملاحظة والاكتشاف الشخصي ومن أجل تربية جسمية. (انظر في هذا المعجم: المدرسة الفعّالة، الترابطية).

R.M.

اللون

F: Couleur

En: Colour, Color

D: Farbe

جزء من الطيف الضوئي الذي يعكسه جسم وتدركه العين.

انطباع اللون ناجم عن «المعالجة» التي تطرأ على النور وهو يسقط على جسم. فهو يولّد الإحساس بالأبيض إذا كان الانعكاس كلياً؛ ويظهر بانطباع الأسود إذا كان امتصاصه كلياً. فالجلد الأبيض، القليل الصباغ، يعكس 20 إلى40 بالمئة من النور الذي يتلقّاه؛ والأسود، الذي يحتوي كمية كبيرة من حبوب الميلانين، لا يكاد ينشر 1 بالمئة من النور الطارئ. وقدرة الانعكاس لشيء من الأشياء (albedo) تُقاس بنسبة النور المنعكس على النور الطارئ. فاللون الموضوعي ناجم من الناحية الفيزيائية عن أن جسماً يمتصّ بعض الأطوال من موجة النور ويعكس هذا الجسم أشعة أخرى مرئية. والمادة الحمراء هي المادة التي تمتصّ كل الأشعة القصيرة؛ والأزرق يمتصّ الأمواج الطويلة ويعكس القصيرة؛ والأخضر يمتصّ الأشعة الأطول والأشعة الأقصر ويعكس الأشعة ذات الأطوال المتوسطة. والعين الإنسانية يمكنها أن تميّز أكثر من مئتين من الألوان المختلفة، ولكن إدراكها ليس ذا شكل واحد في كل حقل الرؤية. ونحن ندرك، في جزئه المركزي، كل الألوان؛ وكلما ابتعد الشيء عن المركز، نتوقّف عن رؤية الأخضر أول الأمر، ثم الأصفر والأحمر، والأزرق والبنفسجي أخيراً. ولا يُدرك أي لون على جوانب حقل الرؤية، بعد زاوية45 درجة بدءاً من المركز. وسبب ذلك بنية الشبكية. ومن المعلوم

أن الشبكية تحتوي 6 إلى 7 ملايين من المخروطات و120 إلى 130 مليوناً من العصيّات. ولكن هذه الخلايا البصرية تتوزّع في الشبكية توزعاً غير متساوٍ. ففي مركز الشبكية، في محور العين، مكان النُقرة (انخفاض قطره من 1 إلى 2 ملم)، لا توجد سوى مخاريط متلاصقة (نحو 000 30). وتبدو، خارج النقرة المركزية، العصيّات التي تصبح متزايدة العدد كلّما ابتعدنا عن مركز الشبكية، في حين أن المخاريط تندر تدريجياً لتختفي كلياً في المحيط. ورؤية الألوان تؤمّنها المخاريط. وبيّن عالم الفيزياء الإيقوسي جيمس كليرك ماكْسويل (إدمبورغ، 1831-كامْبريدْج، 1879) أن مزيجاً من ثلاثة ألوان (الأزرق 475 mu، الأخضر 528 mu، الأحمر 630 mu)، يتيح الحصول على كل الألوان الأخرى. وأفلح الانغليزي و. أ. هـ. روشْتون، عام 1952، في البرهان على أن ثمة في المخروطات ثلاثة ضروب من الصباغات تمتص بصورة نوعية أشعة ضوئية من أطوال مختلفة. وسمّى chloralable الصباغ الذي يمتص الأخضر (ويكوّن الإحساس بالأخضر)، -éryth rolabe الصباغ الذي يستقبل الأحمر، Cyanolabe الصباغ النوعي للأزرق (امتصاص أقصى 450 mu). وليست الشذوذات في رؤية الألوان نادرة (نحو 8 بالمئة من السكان)؛ فالفرد لا يدرك في **عمى الألوان** achromatopsie سوى فروق الضياء أو الإنارة، ذلك أن العصيّات تؤمّن الرؤية وحدها. وفي **الدالْتونية**، يخلط الفرد بين الأحمر والأخضر، جرّاء، كما يُعتقد، غياب ثلاثة صباغات ضرورية لرؤية الألوان.

وللألوان مفعولات سيكولوجية شتّى على الإنسان: الإشعاعات الأقصر (الألوان الباردة: البنفسجي، النيلي، الأزرق) مهدّئة؛ والأطوال الكبيرة للموجة (الألوان الحارّة: البرتقالي والأحمر) مثيرة. وتتحسّن الراحة البصرية في محلّ من المحلات بدهان المساحات المختلفة على نحو عقلاني. مثال ذلك أن الأزرق والأخضر، اللذين يمنحان شعوراً بالاتّساع والنضارة، يُستخدمان في غرفة ذات تدفئة عالية؛ وفي غرفة معرّضة للشمال، يُستخدم الأصفر والذهبي بالحريّ، اللذين يذكّران بالشمس. وتدلّ استقصاءات أجريت مع العمال على أنهم يفضّلون

العمل في ورشات جدرانها مدهونة بالأخضر وسقفها بالأزرق. ويستخدم اللون، في المصانع والورشات، لمنح الآلات والإرشادات بروزاً خاصاً. ونقول، على وجه العموم، إن هياكل الآلات خضراء أو رمادية، في حين أن أجهزتها الأساسية من لون الشامْوا. ويؤدّي اللون، في إدراك الإشارات، متغيّراً غنيّاً بالمعلومات، واستخدامه يقلّص عدد الأخطاء والحوادث. وبعض المواصفات مطبّقة عالمياً في أيامنا هذه: إشارات الوقوف أو المنع حمراء، وإشارات الالتزام زرقاء، وإشارات المسموح خضراء. وثمة رايات صفراء تعلن خطراً ميكانيكياً، ورايات برتقالية تعلن خطراً حرارياً. إلخ. إننا نتوصّل، باستخدام الألوان، إلى الإقلال من التعب، وزيادة الراحة والإنتاجية، وتحسين الجوّ المحيط. (انظر في هذا المعجم: البيئة).

N.S.

ليبْنز (ولْهلْم غوتْفريد) Leibniz (Wilhelm Gottfried)

فيلسوف وعالم ألماني (ليزيغ، 1646 -هانوفر، 1716).

مفهوم الموناد، في فلسفة ليبنز، يحتلّ مكاناً أساسياً. وبهذا الاسم، يقصد ليبنز الجواهر البسيطة، غير القابلة للانقسام، التي تكوّن الكون. ولكن لكل منها «طاقة كامنة ثابتة من القوة الفاعلة التي تقيس درجة وجودها» (إيفون بولوفال). فكل موجود في العالم هو، على هذا النحو، وحدة دينامية تقع في مستوى مرتفع قليلاً أو كثيراً في تراتب الموجودات، إذ يكوّن التحقّق الواقعي الأكبر أو الأصغر للطاقة المحايثة، في كل فرد، هذه الدرجات. فليس ثمة انقطاع في السلسلة الصاعدة التي تمضي مما نسمّيه «المادة» حتى الله (موناد مطلقة متحقّقة في الواقع كلياً)، مروراً بالنباتات، والحيوانات، والبشر، والموجودات فوق الإنسانية (الأرواح فوق الطبيعية)، إذ تنطوي أيضاً كل فئة من هذه الفئات، ذات التقطيع المصطنع، على درجات وسطى.

كلّ نمو موناد وتاريخها يحدثان بفعل سببية داخلية خاصّة، وليس بفعل تدخّلات خارجية، ذلك أن السببية الفيزيائية ضرب من الوهم؛ والواقع أن التقاء الظروف أو تعاقبات الظواهر هما فعل «انسجام مقرّر سلفاً» لمسارات كل المونادات. وكل منها تحوز خاصتين أساسيتين: إمكان أن تتصورّ الكون؛ والنزوع، الذي يجعلها تتجّه نحو تصوّر جديد. ولكن المونادات يمكنها، وفق موقعها في التراتب، أن تكون ذات تميّز كبير أو ضعيف (المونادات الحيوانية، على سبيل المثال، ليس لها وعي، ولكنها تتقن الإفادة من التجربة على الأقل). أما لدى الإنسان، فإن

في الموناد التي انتقلت طاقتها الكامنة الكونية من القوة إلى الفعل جزئياً، كل شيء يحدث في الكون، وما حدث وسيحدث، حاضر أيضاً، ولكن الوعي الإنساني لا يدرك إلا جزءاً ضئيلاً من هذه المعطيات. وهكذا أُدخل في نظرية ليبنز مفهوم اللاشعور، مكان «الإدراكات الصغيرة» التي تقع تحت عتبة الشعور، وبواسطتها نحن نتوحّد بالكون كلّه، بتاريخنا الخاص وبالمبدأ الدينامي للخلْق. ويرتاب ليبنز في الدور الكبير الذي يؤدّيه هذا اللاشعور ويتخيّل ما سيحدث لو أن بوسعنا أن نحتاز الشعور بهذا العالم الغامض. «ثمة في كل لحظة، كتب ليبنز يقول، ضرب من لانهائية الإدراكات فينا، ولكننا لا نفطن إليها ولانفكر فيها، أعني ثمة تغيّرات في النفس ذاتها لا نتبيّنها. . . »؛ ويضيف فيما بعد: «بوسع المرء أن يقول إن الحاضر، بنتيجة هذه الإدراكات الصغيرة، زاخر بالمستقبل ومثقل بالماضي. . . » (**محاولات جديدة في الفهم الإنساني**، توطئة، مؤلّف مكتوب عام1704 ولكنه منشور عام1765). إن علماء النفس الحديثين لفتوا الأنظار إلى الأهمية التاريخية والسيكولوجية لهذا التصور، الذي يبشّر بنظرية س. فرويد، ويبشر أكثر أيضاً بنظرية ك. غ. يونغ.

ولنذكر من مؤلفات ليبنز الرئيسة: **مقال في الميتافيزيقا** (1685)؛ **محاولات في تسويغ طيبة الله، حرية الإنسان وأصل الشر** (1710)؛ **علم المونادات** (1714، الترجمة الفرنسية عام1840). (انظر في هذا المعجم: **اللاشعور**).

R.M.

الليبيدو

F: Libido

En: Libido

D: Libido

إنه، في رأي فرويد، طاقة حركية لغرائز الحياة، وهو، في رأي ك. غ. يونغ، طاقة نفسية.

ليس الليبيدو، وهو «المظهر الدينامي في الحياة النفسية للدافع الجنسي»، مرتبطاً على وجه الحصر بعمل الأعضاء التناسلية الوظائفي. إنه يمكنه أن يتوجّه نحو أشخاص أو أشياء خارجية (**ليبيدو الموضوع**) و يرتدّ إلى الجسم الخاص (**ليبيدو الأنا** أو **الليبيدو النرجسي**)، أو يغذّي الفاعليات العقلية (**الليبيدو المصعّد**). وللليبيدو أهمية أساسية في التصرّفات الإنسانية، التي يشرط الجزء الكبير منها. وهذه الطاقة الغريزية تتموضع، خلال النموّ، في بعض المناطق المثيرة للغلمة، المتغيّرة بحسب العمر، أو في بعض الموضوعات. وفي رأي س. فرويد وكارل أبراهام (-1925 1877) أن الليبيدو يمرّ على التوالي بالمراحل التالية: المرحلة **الفمية** (المبكّرة، مرحلة المصّ، المتأخرة، مرحلة القسوة الكبيرة)، المرحلة **السادية الشرجية**، ثم **التناسلية** (المبكّرة: الطور القضيبي، المتأخّرة: التنظيم التناسلي بالمعنى الدقيق للكلمة، الذي يحدث في البلوغ). إن سمات عديدة من الطبع ومعظم السلوكات غير المتكيّفة (أعصبة، انحرافات جنسية) يمكن أن تشرحها **تثبيتات** الليبيدو الدائمة في فترات زمنية شتّى من تطوّره أو يشرحها **نكوصه** إلى مراحل من نموّه. وتُلام هذه النظرية على أنها تعيد كل النزاعات إلى هذا المصدر من الطاقة.

N.S.

ليفي ستراوس (كلود) Lévi- Strauuss (Claude)

فيلسوف وأنتربولوجي فرنسي (مولود في بروكسل، بلجيكة، عام1908).

يذهب ليفي ستراوس، الحائز على درجة الأستاذية في الفلسفة (1931)، إلى البرازيل حيث يحتل كرسي علم الاجتماع في جامعة ساو باولو ويدرس التنظيم الاجتماعي لهنود البورورو (1936). ودُعي إلى الولايات المتحدة عام 1940، حيث يلتقي الألسني رومان جاكوبْسون (1896-1982)، الذي يفتح له منظورات جديدة. ويلاحظ على وجه الخصوص أن «ظاهرات القرابة، في نسق آخر من الواقع، والظاهرات الألسنية، من نموذج واحد» (1958، ص41). ويجمع ليفي ستراوس، إذ يستيقظ فضوله العلمي، وثائق عديدة مشتّتة يُخضعها إلى تحليل بنيوي، مستوحى من الطريقة الفونولوجية لـ ن. تروبتْزكوي، ويبرهن أن قواعد الزواج الملاحظة في المجتمعات الإنسانية «تمثّل كلها أساليب لتأمين تداول النساء في كنَف جماعة اجتماعية، أي إحلال منظومة سوسيولوجية من المصاهرة محل العلاقات في القرابة الدموية» (المصدر نفسه ص68). وينشر ليفي ستراوس مؤلّفاً عنوانه **البنيات الأوّلية للقرابة** عام 1949، وكتاباً عنوانه **الأنتربولوجيا البنيوية** 1958. ويحتل، إذ سُمي أستاذاً في الكوليج دو فرانس (1952)، كرسي الأنتربولوجيا الاجتماعية الأول. ويدرس في كتابه **الفكر المتوحّش** (1962) مظاهر الفكر الإنساني التلقائية ويبيّن على وجه الخصوص أن مفهوم «التصنيف» معطى دائم وكلّي للفكر الإنساني. وكتب ليفي ستراوس أيضاً كتباً عن **الطوطمية في أيامنا**

هذه (1962) وتابع الدراسة المنهجية لميثولوجيا الجماعات جهِ Gé في البرازيل، مادتّها متجمّعة في كتابه الميثولوجيات: النيّء والمطبوخ (1964)؛ من العسل إلى الرماد (1966)؛ منشأ عادات المائدة (1968)؛ الإنسان العاري (1971). وندين له أيضاً بـ: المدارات الحزينة (1955)؛ الأنتربولوجيا البنيوية2 (1973)، وأعمال عديدة أخرى. وانتُخب، عام1973، عضواً في الأكاديمية الفرنسية. (انظر في هذا المعجم: الأنتربولوجيا).

N.S.

ليونْتيف (ألكْسييف نيكوليف) Leontiev (Alexeiev Nicolaiev)

عالم نفس روسي (موسكو 1903، -موسكو، 1979).

كان ليونْتيف، تلميذ سيمينوفيتْش فيغوتْسكي، متأثراً بالنظرية التاريخية الثقافية لأستاذه، التي تقرّر أن التاريخ يحدّد الناس وإن كانوا يبنونه. ولكنه تابع على وجه الخصوص بحوثه في درب **نظرية الانعكاس** للينين (سيمبيرسك، 1870-غوركي، قرب موسكو، 1924). فلينين يتصوّر الفكر أنه الانعكاس الفاعل للواقع الحسّي، الذي يفسّره الفكر ويغيّره: «الشعور الإنساني، يقول لينين، لايعكس العالم الموضوعي فحسب، ولكنه يبدعه أيضاً.»(1915، ص174 من الترجمة إلى الفرنسية). أضف الى ذلك أن الإنسان، بعمله، يحولّ بيئته، التي، بدورها، تُحدث تعديلاً فيه. وعلى هذا النحو إنما يسبّب التعديل في العلاقات بين الفرد والعالم الموضوعي ذلك الانتقال من الوظائف النفسية الأولية إلى الوظائف النفسية العليا. فالقوانين التي تحكم السيرورات الأولى، في هذا التطوّر، تُهمَل؛ والمستويات العليا من التنظيم النفسي تعكس العلاقات الجديدة بين الفرد والموضوع. وأحد موضوعات علم النفس الرئيسة، في رأي ليونْتيف، يكمن في دراسة الانتقال من مستوى إلى آخر من مستويات الفاعلية النفسية. ويوصي ليونتيف تحليل هذه المستويات انطلاقاً من المستويات العليا. وعلى هذا النحو، إنما يمكن أن يكتشف البحث السيكولوجي تلك «القوانين التي تكون الفاعليات النفسية بواسطتها قادرة على أن تكوّن تأليفات جديدة، أي قوانينها الأساسية». وصاغ

ليونتيف نظرية للإدراك السمعي تدمج المكوّنات الحركية في تحليل المنبّهات. مثال ذلك أنه حثّ الأفراد، الذين يعمل معهم ولم يكونوا يتوصّلون إلى تقدير ارتفاع صوت، على أن يغنّوا العلامات الموسيقية بصوت عال جداً أول الأمر، ثم يغنّونها غناء داخلياً. ولاحظ أن هذا التمرين يحسّن إنجازاتهم.

وعُني ليونْتيف أيضاً بالتغيّرات المحتملة لقوانين النموّ السيكولوجي الناجمة عن التطوّر التكنولوجي، التاريخي والثقافي. وليس لشروط الوجود الجديدة صدىً على الدافعيات والوجدانية فحسب، ولكن لها أيضاً صدى على الذاكرة، والاستعدادات العقلية، والعلاقات بين الفكر المشخّص والفكر المجرّد. وتسرّع سرعة وسائل التواصل ونقل المعلومات سيرورة اكتساب المعارف التي يسبّب تراكمها، منذ العمر الغضّ، نموّ الفكر المفهومي، نمواً أبكر. وهذه القضية، التي تعارض المعطيات السيكولوجية الكلاسيكية، ولا سيّما معطيات مدرسة جان بياجه (1896-1980) دافع عنها أيضاً علماء نفس سوفييت آخرون مثل ب. إي. كالبيرين. ويبيّن كالبيرين، إذ حلّل المراحل المختلفة لتكوّن عمل جديد لدى الطفل، أن الأطفال من عمر ست سنوات أو سبع يمكنهم، إذ يخضعون لتدريب خاصّ، أن يبلغوا الإجراءات الصورية دون أن يمرّوا، مروراً حتمياً بمرحلة الإجراءات المشخّصة. ونذكر من مؤلفات ليونْتيف الرئيسة: **نموّ الذاكرة؛ بحث تجريبي مخصّص للوظائف السيكولوجية العليا** (1930، موسكو، أكاديمية التربية الشيوعية)؛ **دراسة النموّ السيكولوجي** (1947)؛ **مشكلات النموّ النفسي** (1930، موسكو، أكاديمية التربية الشيوعية)؛ **دراسة النموّ السيكولوجي** (1947)؛ **مشكلات النموّ النفسي** (1959، موسكو، أكاديمية العلوم البيداغوجية؛ طبعة ثانية معدلّة 1964، تُرجمت إلى الفرنسية بعنوان **نموّ الحياة النفسية**، باريس، المنشورات الاجتماعية، 1976). (انظر في هذا المعجم: **الإجراء**).

M.C.

حـــرف
المـيـم

ما تحت الشعور

F: Subconscient

En: Subconscious

D: Unterbewusst (adj.), Unterbewusstes (subs.)

ما يوجد تحت عتبة الشعور.

مفهوم ما تحت الشعور، الذي استخدمه علماء النفس في بداية القرن، ولاسيّما بيير جانه (1859- 1947)، كان فرويد قد استبعده بسبب لبْسه. ويستخدمه بعضهم مرادفاً للاشعور، وآخرون ما دون الشعور (تحت الشعور التأمّلي ولكنه يستعمل بعضاً من الشعور العفوي). ولا يختلف ما تحت الشعور عن الشعور بالطبيعة، بل بالدرجة: إنه شعور مظلم، هامشي، تحت العتبي. (انظر في هذا المعجم: اللاشعور).

N.S.

F: Formation réticulaire, Substance réticulée	**المادّة الشبكية، التكوّن الشبكي**

En: Reticular formation

D: Reticulär -formation, Reticuläres system

شبكة كثيفة جداً من العصبونات في المنطقة الوسطى من جذع الدماغ وتمتدّ من البصلة السيسائية إلى تحت المهاد على وجه التقريب؛ إنها تؤدّي دوراً أساسياً في الضبط الإجمالي للسلوك، ولا سيّما في حالات اليقظة والنوم.

تتألف المادة الشبكية من عدد كبير من الخلايا العصبية ذات أطوال وأشكال شتّى تكوّن الوصلات الكثيرة بينها شبكة كثيفة تسوّغ تسمية التكوّن الشبكي التي أطلقها عليها عالم التشريح أوتّو فريديريك كارل ديترز (بون، 1834-1863). ونميّز، في هذه الكتلة المنتشرة، مجموع من النُوى، تسمّى نُوى الرفاء أهمها الموضع القلبي. والتكوّن الشبكي موجود لدى الفقاريات كلها، ولكن أهميتها تزداد عندما نرتفع في السلّم الحيواني. إنه أيضاً، بوصفه محلّ التقاء الانطباعات الحسّية بفعل التشعّبات (أو الروادف)، تشعبات الألياف الصاعدة، مركز توزيع وتكبير للمعلومات المتوجّهة نحوه، سواء تلك التي تولّدها تغيّرات النسبة الكيميائية في الدم، أو السيّالات الآتية من الأنظمة المستقبلة، أو رسائل العودة من المنشأ القشري. وتكوّن خلايا التكوّن الشبكي العصبية، بفعل امتداداتها المحوارية، دروباً منشّطة صاعدة (نحو القشرة الدماغية) ونازلة (نحو العصبونات المحركة والعصبونات الوديّة المستجيبة في النخاع الشوكي). وهذان النظامان يُستخدمان

على نحو متزامن ومتعاضد. **فالنظام الصاعد** يسوس فاعلية القشرة الدماغية (الشعور، النوم، التيقّظ)؛ و **النظام النازل** يراقب المنعكسات النخاعية والوظائف النباتية، والحركية.

ومن المعلوم، منذ أعمال هـ. و. ماغون ور. رينز (1946)، أن في النظام الصاعد نظاماً منشّطاً يمتدّ من الأهرام البصلية حتى تحت المهاد الخلفي، ونظاماً مثبّطاً يقع في المنطقة البصلية الحدبية الأمامية من جهتي الخط الوسط. ويرسل هذا النظامان اندفاعات عصبية نحو العصبونات المحركة الجمجمية والنخاعية. ويتلقّى النظام الشبكي المنشّط (أو «الميسّر») الصاعد سيالات الإعصابات الحسّاسة والحسّية، من القشرة الدماغية والنوى تحت القشرية. ويتلقّى النظام الشبكي المثبّط النازل رسائل صادرة عن البنيات القشرية، وتحت القشرية، والمخيخية.

وعندما يتنشّط التكوين الشبكي، نلاحظ في وقت واحد ازدياداً في الفاعلية الدماغية، وارتفاعاً في مستوى التيقّظ؛ ونلاحظ، بالتلازم، انخفاضاً في عتبة إطلاق الحركات، وعملاً وظائفياً متنامياً في الجملة الوديّة. وتسبّب الآفات الواسعة في التكوّن الشبكي سُباتاً ونوماً دائماً، يحدّد موضعه مخطّط الدماغ الكهربائي. وبيّنت دراسات تجريبية أخرى، لدى الحيوان، أن التكوّن الشبكي يؤدّي أيضاً دوراً أساسياً في سيرورات التعلّم، ذلك أن تدميره، على مستوى الدماغ المتوسط، يجعل تأسيس المنعكسات الشرطية أمراً متعذّراً. (انظر في هذا المعجم: **التنشيط، الدماغ الأعلى، الجملة العصبية، التيقّظ**).

M.S.

مارْتينه (أنْدره) Martinet (André)

ألسني فرنسي (سان ألبانْد -فيلار، قرب سان -جان -دو -موريين، سافوا، 1908).

درس أندره، مارتْينه، المولود في أسرة من المعلمين السافواياّر، في باريس وتابع، بصورة موازية لتحضيره درجة الأستاذية في اللغة الانغليزية، محاضرات الألسني فرنْانْد موسّه (مارسيل، 1892- ماشوران، سين -9- مارْن، 1956) وجوزيف فانْدره (باريس، 1975- باريس، 1960). ويقيم، بدءاً من 1932، اتصالات مع الألسنيين في دائرة براغ ومع لويس ترول جيلْمسْليف (كوبنْهاغن، 1899 -كوبنهاغن، 1965). ويدافع مارتْينه عن أطروحته لدكتوراه الدولة عام 1937؛ ويصبح في العام التالي مدير الدراسات الفونولوجية في المدرسة العملية للدراسات العليا. ويباشر خلال الحرب العالمية الثانية، بوصفه أسير حرب في معتقل من معتقلات الضبّاط، لدى رفاقه في الأسر، أوسع دراسة فونولوجية للفرنسية لم تتحقّق قبله قطّ. ويمارس عمله من 1946 إلى 1955 في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يؤمّن الإدارة الفعلية لمجلة **الكلمة**. ويتولّى أولى الأمر إدارة **الرابطة العالمية للغة المساعدة**، ويصبح بدءاً من عام 1947 أستاذ الألسنية في جامعة كولومبية بنيويورك ورئيس قسم الألسنية. ويعلّم مارتينه، بدءاً من عام 1955، الألسنية العامة في السوربون والمدرسة العملية للدراسات العليا. وينشر عام 1955 كتابه **اقتصاد التغيّرات الفونيتيكية**، الذي يُعتبر، في أيامنا هذه أيضاً أهم مؤلف في الفونولوجيا التزمّنية. وينشر عام 1960 كتابه **عناصر ألسنية عامة**، الذي

يظلّ أفضل مدخل من مداخل الفكر الألسني للمؤلف. ويدير منذعام 1965 مجلة الألسنية، التي تعبّر عن وجهات النظر للألسنية الوظيفية والبنيوية. ويتميّز اتجاه مارتينه، المعارض للمقاربات المنطقية الرياضية أو ذات النزعة النمطيّة، بشاغل الواقعية المدقّق. وفي حين يقترح معظم الألسنيين طرائقيتهم البنيوية، يلحّ مارتينه في المستوى الأول، من جهته، على السمة الوظيفية لتحليله. فتحليل الوقائع الألسنية تجري مع الأخذ بالحسبان تلك الوظيفة التي تضطلع بها في العمل الوظائفي للسان المتصورّ أنه أداة تواصل. وهذا التحليل يقدّم الإطار العام الذي تجري فيه إعادة التكوين البنيوي. ومن هنا منشأ التسمية، تسمية الألسنية الوظيفية والبنيوية.
ويعمّق مارتينه، في علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، إسهامات نيكولاس سورغيفيتش تروبتزكوي (1890- 1938)، التي يصحّحها في مفاهيم التحييد، التقطيع، السمات الملائمة، الارتباط وعلم أصوات البُنى. ويقترح، في مجال الوحدات ذات الدلالة، نسخة جديدة من التمييز بين علم الصرف وعلم تركيب الجمل، ويُدخل مفهوم التحييد، ويحدّد المفهوم المركزي للمحمول في مقاييس تركيب الجمل ويقترح تعريفاً ألسنياً لـا الجملة، مستبعداً كل إحالة إلى التنغيم وشكل التعبير الخطّي. ويقدّم تحليلاً لأساليب بيان الوظيفة وضرباًمن إضفاء التراتب على المونيمات بالقياس على مفهوم الاستقلال لتركيب الجمل. وأخيراً، أحد إسهاماته الأكثر شهرة بصورة كلية في الألسنية العامة هو مفهوم الانبناء المزدوج، الذي يتيح تعريف الألسن مع مقابلتها في الوقت نفسه بمنظومات التواصل غير الألسنية. (انظر في هذا المعجم: النبرة، الانبناء).

R.V.

F: Masochisme **المازوخية**

En: Masochism

D: Masochismus

المازوخية مصطلح ابتكره الطبيب النفسي الألماني ريشار فون كرافت -إيبنغ (1840-1902) انطلاقاً من اسم الكاتب النمساوي ساشر -مازوخ (1836- 1895) الذي يكشف تأليفه عن الجاذبية الغريبة للألم التي كان يستشعرها.

المازوخية، يقول جـ. لابلانْش وجـ. ب. بونْتاليس (1967، ص. 231)، «انحراف جنسي يرتبط فيه الإشباع بالألم أو الإذلال الذي يعانيه الفرد». وهي، في رأي ساشا ناخْت (1901- 1977)، «حالة اعتلال نفسي تتميّز بالبحث عن الألم». ويتميّز هذا التعريفان، على الرغم من أنهما يتّفقان في الإحالة إلى الألم، أحدهما عن الآخر بما مفاده أن الأول يجعل المازوخية انحرافاً جنسياً والثاني حالة اعتلال نفسي. وهذا الفارق في التصورّ ينبغي له أن يسترعي انتباهنا، ذلك أن هذا المصطلح مستخدم على وجه العموم دون دقّة، ومن هنا تنجم التباسات كثيرة. والواقع أن التعريفين يبدوان مقبولين، ولكنهما يدلاّن على أمور مختلفة. ونحن سنأخذ المازوخية بالحسبان، في دراستنا، من ثلاث وجهات نظر متمايزة.

1 – المقاربة الاقتصادية تبدو لنا الأفضل لتوضيح هذا المشكل. وبوسعنا، فيما يخصّ اقتصاد الألم، أن نكتفي بنموذج بسيط جداً: يرتبط الألم بزيادة التوتّر النفسي ويتناسب معه. ولهذا السبب، كل انخفاض في التوتّر يُنقص الألم ويؤمّن،

بفعل هذا ذاته، لذة. ونتبيّن هنا، بسهولة، ترجّحاً بين اللذة والألم، إذ يبدو الألم عند زيادة التوتّر وتبدو اللذة عندما ينقص هذا التوتّر. ولكن هذا النموذج لايكفي لشرح اقتصاد اللذة، ذلك أن ثمة ضرباً من لذة الإثارة، إلى جانب اللذة بفعل انخفاض التوتر. فالتنبيه الحسّي الناجم عن رائحة، عن مشهد أو مداعبة، يمكنه أن يكون مصدر لذة. والمتعة يمكنها إذن أن تكون ناشئة من إثارة تارة، ومن هدوء التوتر تارة أخرى. وهذان النمطان متداخلان غالباً: فلذة المائدة ترتبط معاً بسكون الجوع والتنبيه الناجم عن الذوق، بقوام الطعام وحرارته؛ وفي اللذة الجنسية تتوالى السيرورتان: ثمة، أول الأمر، لذة إثارة ناجمة عن توتر يتضخّم حتى هزّة الجماع، ثم لذة تراخي التوتّر. وعلينا أن نلاحظ أيضاً أن النموذج الذي يجعل اقتصاد الألم معارضاً لاقتصاد اللذة لايكفي لشرح الألم، ذلك أن هناك ضروباً من الألم بفعل نقص التوتر (ولكن هذا الجانب من المشكل غير مفيد لحديثنا). وما يناسب أن نلفت النظر إليه إنما هو أن النظامين، نظام اللذة ونظام الألم، يعملان بصورة مستقلة لدى الفرد «السوي». ومن المؤكد أن هذا الاستقلال نسبي (مثال ذلك أن الحكّة، التي يستشعرها المرء بغيضة، تهدأ بالحكّ الذي يكون مؤلماً في ظروف أخرى)، ولكن ثمة على الأقلّ، حتى لو وُجد بعضٌ من التداخل، فروقاً تكفي لتتيح لنا القول إن فرداً يميّز بسهولة على وجه العموم، عندما يستشعر حالة من التوتّر، إن كانت المسألة مسألة لذة أو ألم. ويصبح ممكناً على هذا النحو أن نحدّد المازوخية وفق معيار اقتصادي: إنه نمط من العمل الوظائفي ترتبط فيه اللذة والألم. ولكن هذا الرباط متغيّر، وبوسعنا أن نقابل بين نموذجين من الترابط:

آ) الوضع يؤمّن الألم واللذة معاً؛ مثال ذلك أن الفرد الذي يشعر بالإثمية في النجاح، يجد في الإخفاق ألماً، ولكنه يجد أيضاً إشباعاً ناجماً عن سكينة الإثمية. فالسيرورتان الاقتصاديتان المتعارضتان تجريان في «مكانين» مختلفين من الحياة النفسية؛

ب) اللذة والألم هما في «مكان نفسي» واحد، والألم ذاته هو الذي يسبّب المتعة. ونحن نقول، لنستأنف صيغ جان لابلانْش (1970، ص. 177)، إن الفرد

يتألم، في الوضع الأول، «ليكون بمقدوره أن يستمتع (حتى يدفع ضريبة الاستمتاع)» في حين أنه، في الوضع الثاني، يتألم «ليستمتع». فالوضع الأول يشهد على وجود نزاع داخل النفس من نموذج عصابي؛ ويكشف الوضع الثاني عن نمط من المتعة المنحرفة. وينجم عن هذه المعاينات أن التعريفين السابقين مطلقان بمغالاة: ليست المازوخية انحرافاً جنسياً أو حالة اعتلال نفسي، ولكنهما كلاهما يكونان وفق شخصية الأفراد المعنيين.

2- المقاربة الميتاسيكولوجية. في مقال عام 1924 عنوانه **مشكل المازوخية الاقتصادي** إنما يعرض فرويد نظريته الميتاسيكولوجية لهذا الانحراف. وهذه النظرية مبنيّة انطلاقاً من مفهومي دوافع الحياة ودوافع الموت اللذين اقترحهما، عام 1920، في كتابه **ماوراء مبدأ اللذة**. فطاقة دوافع الحياة أو الليبيدو تنزع إلى أن تُحدث حالة من الإثارة وتحافظ عليها. ودافع الموت موصوف من جانبين متمايزين ببروز ولو أنهما متكاملان. ويعرض فرويد دافع الموت أنه الميل إلى إنقاص التوتّرات تارةً، والميل إلى التدمير تارة أخرى. وهو، في الحالين، يمكنه أن يقود الموجود الحيّ إلى الموت، ولكنه إنما يقوده إليه بضرب من الانطفاء في الحالة الأولى، إذ يجعله يبلغ درجة العدم من الإثارة، ويمزّقه في الحالة الثانية «إرْباً إرباً».

ويتداخل هذان الدافعان على أنحاء شتّى. فدافع الموت، بمعنى الميل إلى الراحة، يتعارض أول الأمر مع الليبيدو لأنه يميل إلى إنقاص التوتّر الذي يرفعه الثاني. ودافع الموت يرتبط بالليبيدو أيضاً، ذلك أن الليبيدو يتحالف معه لتعديله، وذلك هو ما يشرح أن انخفاضاً في التوتر يكون مصدر لذة. وفي معناه الثاني، معنى دافع التدمير، يواجه الليبيدو بأنحاء كثيرة أخرى. ومهمة الليبيدو أن يجعل هذا الدافع، دافع التدمير، غير مؤذٍ، ويقوم بهذه المهمة حين يحوّل هذا الدافع، في الجزء الأكبر منه، نحو الخارج (س. فرويد، 1924 ، الترجمة الفرنسية، ص. 291)؛ فهو يرتبط به عندئذ، وذلك أمر يمنح السادية. ولكنه، من جهة أخرى يرتبط ليبيدياً بالجزء الذي يظلّ متّجهاً نحو الفرد، وذلك ما يمنح المازوخية الأولية.

وتفضي كل هذه الآليات، كما نرى، إلى ضرب من اتحاد الدوافع، يعزّزه تنبيهات منشأها الخارج. ويكتب فرويد في مؤلفه، **ثلاث محاولات في نظرية الجنسية** (1905)، أن الإثارة الجنسية تحدث بوصفها مفعولاً هامشياً لسيرورات داخلية «منذ أن تتجاوز شدّة هذه السيرورات بعض الحدود الكمّية» (1924، ص290). ويحدث هذا المفعول الهامشي أيضاً عند حدوث هزّات منشأها خارجي. وهذه «الإثارة المشتركة الليبيدية خلال التوتر والألم»، التي ستكون «آلية سيكولوجية طفلية» (المصدر المذكور، ص. 291)، تشرح أن الإثارة الجنسية والألم مرتبطان لدى الطفل. ولن يتحقّق ضرب من انفصال الاتحاد بين الدوافع إلا تدريجياً، واللذة يمكنها أن تبدو مستقلّة عن الألم. وأي تثبيت على هذه المرحلة من المازوخية الأولية يمكنه أن يشرح انحرافاً. وهذا التثبيت يمكنه، من جهة أخرى، أن يتعزّز بالمازوخية الثانوية الناجمة عن ارتداد السادية نحو الداخل في زمن ثان.

ثم ينظر فرويد في حركة المراجع النفسية (**الهو، الأنا، الأنا العليا**) في التصرّفات التي يعمل خلالها الفرد ضد مصلحته. وهناك تنظيمان ممكنان: في الأول، تفرض أنا عليا قاسية جداً على الأنا عقوبات؛ وفي الثاني، إن الأنا تستمدّ اللذة من كونها ضحية. فالمقصود إذن أنا عليا سادية تارة، وأنا مازوخية تارة أخرى. والسيرورة، في الحالة الأولى، عصابية، وهي، في الحالة الثانية، منحرفة. ولهذا المخطّط الميتاسيكولوجي، العرضة للمناقشة شأنها شأن كل نموذج نظري، مزيّةٌ مفادها أنه ينير العيادة جيداً.

3-**المقاربة العيادية**. رأينا أن الأعراض المازوخية يمكنها أن تشكّل جزءاً من تنظيمات نفسية إما عصابية وإما منحرفة. ففي حالة العصاب، تكون هذه الأعراض في مركز نزاع داخل النفس غير واضح دائماً، من حيث أنه لاشعوري في الجزء الأكبر منه، ولكنه يظهر دائماً بالحصر. وكان فرويد يقول إن التصرّف المازوخي لدى الأفراد العصابيين ينبغي له أن يُعزى إلى «عاطفة إثمية لاشعورية» (تعبير صحّحه فيما بعد قائلاً إنما كانوا بـ«حاجة إلى قصاص»). ونحن نجد النزاع هنا مجدّداً بين الأنا عليا التي تفرض الإثمية والأنا المقموعة. وسكينة هذه الإثمية

لايمكنها أن تأتي إلا من قصاص. وهذه الحركة بين هذين المرجعين مصدر قلق، ولكن هذا القلق يزول عندما يطرأ شيء بغيض. وتكشف دراسة الاستيهامات لدى مثل هؤلاء الأفراد عن التناقضات بين عدة ميول من ميول الشخصية.

وفي حالة الانحراف، يكون القلق غالباً. فالألم، والإخفاق، والإذلال، مصادر مباشرة للإشباع. ويُظهر الفرد على الأقلّ، حتى لو لايبدو أنه يشعر بمتعة، ضرباً من السكينة التي تشهد على الهناء.

ومن المناسب أن نفرّق، في الأعراض، بين التصرّفات والاستيهامات. ومن التصرّفات المازوخية الكثيرة، نميّز:

آ) **الفاعلية الجنسية المازوخية**. إنها تصرفات جنسية غيرية، غلمية ذاتية أو جنسية مثلية تحصل هزّة الجماع فيها بواسطة ألم أو إذلال. والمقصود هنا ما يسمّيه فرويد «المازوخية الغلمية المنشأ». إنه الانحراف المازوخي على النحو الأخصّ، لأن الفعل الجنسي الطبيعي يحلّ محله سلوك آخر. ولكن البنية النفسية، حتى في حالة فاعليات من هذا النوع، ليست منحرفة دائماً على وجه الحصر، ويمكنها أن تكون عصابية كلياً أو جزئياً؛

ب) **أفعال العدوان الذاتي**. إنها تصرّفات يجرح الأفراد خلالها أنفسهم، يحرقون أنفسهم، ويسبّبون الألم لأنفسهم، دون أن تبدو الجنسية أن لها ضلعاً في هذه الأفعال. وهذه الأفعال يمكنها، ولو أنها لا تفضي إلى نشوة جنسية حقيقية، أن تكون بدلاً لها. وللإثارة المؤلمة، التي تمضي في بعض الأحيان إلى ذروة يتوق الفرد بعدها إلى سكونها، سيْر هو سير اللذة الجنسية وتحلّ محلّها. فالمسألة، على هذه الصورة، مسألة إنجاز أفعال منحرفة تماماً. ولكن تصرّفات شبيهة على وجه التقريب يمكنها أن تشكّل جزءاً من حالة قلق عصابي وتسبّب هدوء هذا القلق بفعل آلية من زوال إضفاء الإثمية تكلّمنا عليها فيما سبق؛

جـ) **تصرّفات الإخفاق**. سواء كان الأمر ذا علاقة بالبحث عن الإخفاق، والخضوع أو الإذلال، فالعلاقة بالجنسية هنا غير واضحة. وهذا هو ما سمّاه فرويد

«المازوخية المعنوية». ومثل هذه التصرّفات يمكنها أن تكون عصابية، ولهذا الجانب على وجه الخصوص إنما كنا حسّاسين في عملنا لـ«تعريف المازوخية العيادي» (1968). وعلى هذا الجانب إنما يلحّ ناخْت أيضاً (1938). ولكن مثل هذه السلوكات يمكنها كذلك أن تندرج في ديناميكٍ منحرف، ولهذا النمط وحده إنما كان فرويد يحتفظ بمصطلح مازوخية معنوية. فمعرفة أي تعريف أفضل أمرٌ ضعيف الأهمية. والأكثر أهمية إنما هو أن نوضّح أيّ معنى نمنح المصطلح عندما نستخدمه. فكثير من الالتباسات في نصوص الطب النفسي تنشأ من غياب هذا التوضيح.

والاستيهامات المازوخية معروفة جيداً: «أن يُكمّم المازوخي، ويُقيّد، ويُضرب ضرباً مؤلماً، ويُساط، وتُساء معاملته على نحو أو على آخر، ويُدنّس، ويُذلّ»؛ وهذه الأمثلة التي اقترحها س. فرويد (المصدر المذكور، ص. 289) يمكنها أن تتكاثر إلى ما لانهاية له. ويكفينا أن نتذكّر الاستيهامات الشهيرة لدى ساشر -مازوخ، العقد والمرأة الشرسة المرتدية فرواً يغطّيها والمسلّحة بسوط. والاستيهامات المازوخية متنوّعة إلى حدّ كبير، ذلك أنها مرتبطة بالتاريخ الشخصي لكل فرد. فالمهمّ ليس إذن أن نضع قائمتها، بل أن نحدّد مكانها في علم العلامات. وعلينا أول الأمر أن نلاحظ أن هذه الاستيهامات أكثر تواتراً لدى العصابي منها لدى المنحرف، وأن نلاحظ على وجه الخصوص وجود ضرب من التقابل بين السلوك والمتخيّل. فالمنحرف ذو التصرّفات النموذجية لديه قليل من الاستيهامات؛ أما من لديه حياة استيهامية منحرفة غنيّة جداً، فإنه، على العكس، لا ينتقل إلى الفعل. وهذا النموذج الأخير من العمل الوظائفي النفسي هو الذي يوافق ما يسمّيه فرويد «المازوخية الأنثوية». ونحن نقتصر، بوصفنا لانستطيع أن نناقش هنا أسباباً قادت فرويد إلى أن يربط هذه المازوخية بالأنوثة، على أن نلفت النظر إلى أنه وصف على نحو دقيق جداً بعض الأفراد ذوي الاستيهامات التي تتوافق توافقاً كاملاً مع «أجهزة المنحرفين المازوخيين الفعلية» ولكنها لاتترافق بإنجاز عدوان ذاتي أو بإحداث ألم. والاستيهامات يمكنها أن تفضي إلى النشوة الجنسية، ولكن بترابطها مع الاستمناء.

وأصبح مألوفاً أن نتكلّم على المازوخية كلّما لاحظنا ضرباً من الإشباع في الألم أو الإذلال. وبما أن المصطلح غير موقوف للدلالة فقط على انحراف، فإن المهمّ، أمام كل عَرَض مازوخي، أن نتحقّق في أي ديناميك وفي أية بنية نفسية يندرج هذا العرض.

G.DA.

ماسْترز (وليم هووِلْ) Masters (William Howell)

عالم جنس أمريكي (كليفْلانْد، أوهايو، 1915).

يتخصّص ماسْترز، بعد دراسة الطب في جامعة دوشسْتر (1943)، في طب النساء والتوليد ويصبح مساعداً ثم رئيساً لعيادة كلية الطب في جامعة واشنطن سان لويس (ميسّوري). ويؤسّس عام 1952 **مؤسّسة البحث البيولوجي التاسلي**، حيث يدرس الآليات الهرمونية في الحمْل. ويبدأ بعد سنتين، مع عالمة النفس فيرجينيا إيشلْمان جونْسون (المولودة عام 1925 -التي ستصبح زوجته-)، بحوثاً في سيكوفيزيولوجيا الجنسية. ويقيس ماسْترز وجونْسون، في مخبرهما، تغيّرات الإيقاع القلبي، وإيقاعات الدماغ الكهربائية، والتنفّس، وضغط الدم، إلخ، ويسجلاّن الاستجابات الجنسية لنحوٍ من سبعمئة رجل وامرأة من كل الأعمار، من نهاية المراهقة حتى الشيخوخة المتقدّمة. ويباشران، بدءاً من عام 1959، علاجات في مبنى المركز الطبّي لعلاج اختلالات الانسجام الجنسية (العنِة والبرودة الجنسية) ويحصلان على نسبة مئوية من الشفاء مرتفعة جداً.

وتستند طريقتهما على أربعة مبادئ:

1) علاج الثنائي أمر لاغنى عنه، ذلك أن اختلال الانسجام الجنسي يعكس صعوبة التواصل بين الشخصية، التي لايمكننا تجاوزها إلا إذا قبل الشريكان في أن يتعاونا؛ 2) ينبغي للعلاج أن يقوده ثنائي من المعالجين حتى يكون بوسع كل مريض أن يتماهى مع المعالج ذي الجنس نفسه وحتى لاتقوم علاقة متميّزة بين المعالج وواحد من الزوجين؛ 3) ينبغي للثنائي أن يكون معفياً مؤقتاً (خلال خمسة عشر

يومياً) من مشاغله المهنية، الأسرية والمنزلية؛ 4) العلاج ينبغي له أن يجري وفق مخطط موضوع مسبقاً يمكننا أن نلخّصه على النحو التالي: يقيم الثنائي من المرضى، خلال اليوم الأول، في الفندق، ويتعرّف على المعالجيْن ويكتشف الأماكن؛ ولشريكي الثنائي، خلال اليوم الثاني، محادثة في آن واحد مع المعالج من الجنس نفسه؛ ويجري الحوار نفسه مع المعالج من الجنس المقابل، في اليوم الثالث؛ ويُخصّص اليوم الرابع لفحوص في المختبر ولقاء مع أربعة من أنصار القضية، إذ تهدف المناقشة إلى جعل الزوجين يحتازان الشعور بمشكلاتهما الخفيّة وإعادة الثقة بينهما؛ وتبدأ في اليوم الخامس تمرينات مخصّصة لاكتشاف كل المناطق المثيرة للغلمة في الجسم، إذ أن على كلٍ من الزوجين أن يقول ما يروقه وما لايروقه؛ وتُنظّم في اليوم السادس والأيام التي تلي تمرينات متدرّجة تبعاً للاضطراب السائد (قذف مبكّر، تشنّج المهبل، إلخ). وبحسب الإحصاءات التي ذكرها ماسترز وجونسون (1970)، لايوجد إلا 4 إخفاقات من 186 حالة عولجت من القذف المبكر (2.2بالمئة)؛ وبدت نسبة 2.3 بالمئة، من 213 حالة عولجت من العنّة المكتسبة، عصيّة على العلاج. وشُفيت، لدى النساء، كل حالات التشنّج المهبلي (29 حالة)، ولم توجد إلا 32 حالة إخفاق (16.6 بالمئة) من 193 عولجت لتعذّر بلوغ هزّة الجماع (أي أعلى مستوى من اللذة الجنسية). ونشر ماسْترز وجونْسون نتائج بحوثهما في عدة مقالات وكتب، لن نذكر منها سوى: **الاستجابة الجنسية الإنسانية** (1966، مترجم إلى الفرنسية بعنوان: **الاستجابات الجنسية**، باريس، ر. لافّون، 1968)؛ **عدم التلاؤم الجنسي الإنساني** (1970، مترجم إلى الفرنسية بعنوان: **ضروب عدم التفاهم الجنسي وعلاجها**، ر. لافّون، 1971)؛ **قيد اللذة** (1974، نيويورك، بوستون، ليتْل، براون وشركاه، مؤلّف حرّره روبرْت جـ. لوفان انطلاقاً من مقابلات سُجّلت على أشرطة).

N.S.

ماكارنكو (أنتون سيميونوفيتش) Makarenko (Anton Semionovitch)

عالم بيداغوجي سوفيتي (بيلوبولي، أوكرانية، 1888–موسكو، 1939).

بيداغوجيا أ. س. ماكارنكو انعكاس أصوله، انعكاس تجاربه الأولى في التعليم في وسط عمّالي، وانعكاس العصر التاريخي الذي عاش فيه. إنها تنشد تكوين الطبع لدى الراشد النموذج في المجتمع الاشتراكي وترتكز على اتّجاهين: التفاؤل والحزم. «ينبغي لنا دائماً أن نُسقط إلى الأمام أفضل ما لدى الإنسان، يقول ماكارنكو، ونقارب كل موجود بفَرَض متفائل، مع احتمال أن ننخدع»، ولكن ذلك لايستبعد الانضباط ولا النظام، الناجمين عن ضرورات الحياة. وحتى تكون هذه الحياة منسجمة ومنتجة، تُولي جمالية التصرّف، واللباس، وإطار الحياة، أهمية كبرى. ويعدّ ماكارنكو مكاناً واسعاً لـ**اللعب** في تكوين الطبع والخلية الأسرية بوصفها مكان تعلّم الحياة الاجتماعية. ويلحّ في مؤلّفه، **كتاب الأبوين** (1937)، على ضرورة ضربٍ من التربية المبكّرة الموسومة بالسلطان والقائمة على **المثال**. ويوصي مع ذلك، بوصفه خصماً لتربية حرة، كما كان يتصوّرها جون ديوي (1859- 1952) على سبيل المثال، ألا يُطلب إلى الطفل إلا ما هو قادر على تحقيقه، حتى يكتسب معنى قيمته، في إطار انضباط واعٍ، يدعمه مقتضى الجماعة. (انظر في هذا المعجم: **المدرسة الفعّالة، السلطان، ديوي**).

N.S.

ماك دوغال (وليم) Mac Dougall (William)

طبيب وعالم نفس انغليزي (لانكشاير، بريطانية، 1871-دورهام، الولايات المتحدة الأمريكية، 1938).

يؤكّد ماك دوغال، المتأثر بنظرية داروين وبنظريتي جيمس وبرغسون على نحو أكثر مباشرة، في كتابه **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي** (1908)، أن كل حياة سيكولوجية واجتماعية قائمة على الغريزة، اندفاع عميق هو، في وقت واحد، ضرب من توجيه الإدراك ومصدر ارتكاسات انفعالية، وللكل معنى بالنسبة للأوضاع النوعية. ويحظى هذا المؤلّف بنجاح كبير. وينشر ماك دوغال في لندن، عام 1912، كتابه: **علم النفس: دراسة السلوك**، الذي يعتقد فيه أنه يجري تأليفاً بين الفرويدية وسيكولوجيا الشكل (الغشطالت)، معتبراً أن في منشأ كل السلوكات قوة غريزية عمياء -يسمّيها فيما بعد L'hormé، الكلمة مشتقّة من كلمة إغريقية تعني «الدفعة» -تتجلّى في الأفعال المنظّمة، المتبنينة، التي أضفى عليه الغائية بقاءُ النوع إضفاءً مبهماً. ويعارض واطسن هذا التصوّر للسلوك بالسلوكية، سيكولوجيا الاستجابة، دون شعور ولاغريزة، التجريبية على نحو كلّي. وكان ماك دوغال ذا فكر فضولي ومنفتح عُني بمجالات عديدة، بما فيها علم النفس المقارب (Parapsychologie).

R.M.

الماهية

F: Essence

En: Essence

D: Wesen

الماهية هي الطبيعة المكوّنة للموجود أو لمعطى حسّي.

الماهية تقابل الوجود (أي ما هو مدرك ويُعاش مباشرة)، وتقابل العارض (تغيّراً مؤقتاً وسطحياً). إنها، في هذه الحالة، ما يدوم ويبقى على الرغم من التغيّرات العارضة. والفلسفة الحديثة تجعل الماهية هي الواقع النهائي، الشيء في ذاته، الذي يقابل المظهر (أو الظاهرة). ونحن لانعرف، في رأي بعض الفلاسفة ككانت، سوى انعكاس الأشياء وليس ماهيتها أبداً. ولكن «أصحاب المذهب الواقعي» يعتقدون أن بوسعنا، إذا درسنا الظاهرات، أن نقترب عن كَثَب من الماهيات، وبالتالي نعرفها معرفة جيّدة ما أمكن ذلك. (انظر في هذا المعجم: الوجودية، الظاهراتية).

R.M.

مالينوسكي (برونيسْلو كاسْبار) Malinowski (Bronislaw Kaspar)

عالم إتنولوجي وأنتروبولوجي انغليزي من أصل بولوني (كراكوفي، 1884 -نيو هافن، كونّيكتيكوت، 1942).

كان مالينوسكي يعلّم أن علينا، حتى نفهم المجتمعات ومؤسساتها، أن نرجعها إلى الحاجات الإنسانية التي تسهم في أن تشبعها بصورة مباشرة قليلاً أو كثيراً. وحاول مالينوسكي، منظّر الوظائفية (لكل ظاهرة اجتماعية، لكل عنصر مكوّن من عناصر منظومة ثقافية، وظيفة يشرحها دورها في هذه المنظومة)، أن ثمة تقارباً بين التحليل النفسي والأنتربولوجيا، ولكنه طرح مشكل كلية العقدة الأوديبية، نافياً وجودها في المجتمعات ذات النظام الأمومي (أي حيث النّسب والمفعولات المرتبطة به منظّمان في قرابة أصول الأم). فلا وجود لنزاع بين الأب والابن في جزر تروبريان. والواقع أن الأطفال لايعلمون شيئاً عن دور الأب في إنجابهم، والخال هو الذي يربيهم ويوجّههم. فهذا الخال، الذي يمثّل السلطان، هو الذي يعارض إذن أبناء الأخت، في حين أن الأب يظلّ صديقاً عطوفاً. وقضية مالينوسكي كان عالم الأنتروبولوجيا الأمريكي من أصل هنغاري، ذو التكوين التحليلي النفسي، جوزا روهايم (بودابست، 1891-نيويورك 1953)، قد طعن في صحتها، هذا العالم الذي عكف، وهو يستقصي أيضاً على أرض الواقع، في ميلانيزية، وأوسترالية وجزيرة نورمانْبي المجاورة لجزر تروبريان، على أن يبرهن على وحدة الحياة النفسية الإنسانية والموقع الرئيس الكلي لعقدة أوديب. وأعمال

مالينوسكي، مهما تكن نتائج هذه المجادلة، منشأ هذا التيّار القوي من الأنتروبولوجيا الأمريكية التي تزعم أنها تُدخل الإنساني في الاجتماعي إدخالاً جديداً مباشراً.

وبوسعنا أن نذكر من مؤلفاته الرئيسة: **زوارق المحيط الهادي الغربي الشراعية** (1922، مترجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، غاليمار، 1963)؛ **الجريمة والعرف في المجتمعات المتوحشة** (1927)؛ **الجنسية والقمع في المجتمعات البدائية** (1927، مترجم بالعنوان نفسه إلى الفرنسية، باريس، بيّو، 1932)؛ **الحياة الجنسية لدى المتوحّشين في الشمال الغربي لماليزية** (1929، مترجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، بيّو، 1930)؛ **الحدائق المرجانية وسحرها** (1935، مترجم إلى الفرنسية بعنوان: **حدائق من المرجان**، باريس، ماسْبيرو، 1974)؛ **نظرية علمية للثقافة ومحاولات أخرى** (1944، مطبوع بعد وفاة المؤلف، مترجم إلى الفرنسية بعنوان: **نظرية علمية للثقافة**، ماسبيرو، 1968).

N.S.

مبحث الضحايا

F: Victimologie

En: Victimology

D: Opferwissenchaft

مبحث الضحايا فرع من علم الجريمة يدرس دور الضحايا وسيكولوجيتهم قبل الفعل الإجرامي وفي أثنائه وبعده.

والواقع أن علم الجريمة مدّ بحوثه، بعد أن اقتصرت زمناً طويلاً جداً على دراسة الجريمة، على شخصية المجرم، ثم منشأ الجريمة وتوصّل إلى أنه تصوّر الجريمة فعلاً إجمالياً، دورُ الضحية فيه ليس أقل أهمية من دور المجرم.

ومفاهيم مبحث الضحايا موجودة مشتّتة في مؤلفات عدّة رجال من رجال القانون في الماضي (لاسيّما أنسِلْم فون فيورباخ، في بداية القرن التاسع عشر) وفي مؤلفات عدة كتّاب: دانييل دوفو في كتابه (مولْ فلانْدرز "Moll Flanders"، 1722)، توماس دو كوانْسه (في كتابه **الاغتيال المعتبر فنّاً من الفنون الجميلة**، 1827) وبخاصة فرانْز ورْفيل في روايته الرائعة **ليس القاتل هو الجاني، إنّه الضحيّة** (1920). ولكن المؤسّس الحقيقي لعلم الضحايا هو هانْز فون هنْتينغ، في مجموعة من المقالات المنشورة بدءاً من عام 1934 ووصلت ذروتها في كتابه **المجرم والضحية** (1948). وكان هانْز قد عرض في هذا المؤلّف الذي أصبح كلاسيكياً ثلاثة مفاهيم أساسية: «المجرم-الضحية»، «الضحية الكامنة»، «العلاقة النوعية مجرم-ضحية». أما فيما يخص مصطلح «مبحث الضحايا»، فيبدو أن الطبيب النفسي الجرماني الأمريكي فريديريك وزْثام كان قد أدخله عام 1949 في كتابه **مظهر**

العنف. واتّسع مجال مبحث الضحايا باستمرار، منذ الخمسينات، بحيث أصبحت الصعوبة في أن يكون المرء مطّلعاً على كل الأعمال صعوبة متنامية. ونقصر هذا العرض على أربعة أمور أساسية:

1) **المفعولات التي تحدثها الجريمة على الضحيّة** كثيرة، ولكنها لاتزال غير معروفة بصورة كافية. فالذيول المتباعدة للجرائم المرتكبة ضد الأطفال (الاغتصاب ومحاولة الاغتصاب، إلخ) كونت موضوع عدّة بحوث؛ وكان الرأي قد استقرّ على أن معظم هؤلاء الأطفال يتوصّلون إلى تجاوز الصدمة التي عانوها وإلى أن يصبحوا راشدين أسوياء، باستثناء ظروف خاصة غير مناسبة (رضّات جسمية، مرض زهري، إيحاء المحيط). أما لدى الأطفال ضحايا أب يمارس غشيان المحارم، فالإنذار يبدو أكثر تحفّظاً فيما يخص تطوّراً نحو عصاب.

ونعلم حالات أفضى فيها انتهاك حرمة المسكن بالكسر، الليلي على وجه الخصوص، إلى حالة من الحصر المديد، وضرب من «رهاب الجريمة» الذي يمكنه أن يستطيل زمناً طويلاً جداً.

وهناك تطور آخر ممكن، ما يزال غير مدروس على نحو كافٍ، هو التطور الذي يقود ضحايا الجرائم أو الظلم، الخطيرة قليلاً أو كثيراً، إلى أن يدلفوا في درب الجريمة هم أنفسهم.

2) كانت **شخصية الضحايا** موضوع بحوث عديدة. وتكمن النتيجة الأكثر اتّصافاً بأنها مؤكّدة، التي أفضت إليها هذه البحوث، في أن المصادفة تؤدّي دوراً أضعف كثيراً مما تبدو أنها تؤديه للوهلة الأولى. فإذا استثنينا الحالات التي يطلق الرصاص فيها رجل عصابات أو إرهابي بين الجمهور، فإننا نتأكّد أن الخصائص الشخصية للضحايا تؤدّي دوراً كبيراً في اختيارهم. ويعلم رجال الشرطة منذ زمن طويل أن بعض الأشخاص يمارسون جاذبية خاصّة على المجرم وأن ثمة «ضحايا محترفين» كما يوجد مجرمون محترفون. ولكن هنتينغ هو الأول الذي صاغ وبسط مفهوم «الضحية بالقوّة». وينبغي، من وجهة النظر هذه، أن نميّز جماعتين لهذه الحالة: في الجماعة الأولى توجد الاستعدادات المسبقة الخاصّة. فالعمر، والمهنة،

والأمراض أو الحالات السيكولوجية المرضية، الوضع الاجتماعي، الأوضاع الوجودية، تنطوي كلّها على أوضاع تولّد صفة الضحية، أوضاع عديدة ومتنوّعة إلى حدّ لايمكننا التفكير في أن نعدّدها هنا. ولنكتف بالقول: قد يحدث تجميع لعوامل من هذا النوع. ونقول، لنضرب مثلاً على ذلك، إن العمر المتقدّم، والاكتئاب، والضعف الجسمي، والغنى، والانعزال الطبيعي، والانعزال الاجتماعي، تكوّن كلّها عوامل تولّد صفة الضحية. فلنتخيّل، على سبيل المثال، ثنائياً من كهلين، بخيلين، قبل مرحلة الشيخوخة، مكتئبين، يسكنان منزلاً منعزلاً حيث يستقبلون زوّاراً بصورة نادرة: إن خطر التوليد لصفة الضحية سيكون بالغاً ذروته. والكحولية هي أيضاً عنصر من هذه العناصر التي تعزّز العوامل الأخرى المولّد لصفة الضحية.

وينتمي إلى جماعة الاستعدادات المسبقة العامة كلّ الأفراد الذين يمكننا أن نسمّيهم «الضحايا بالولادة». وباستثناء «المازوخيين الحقيقيين»، النادرين جداً، نصادف في هذه الجماعة عدداً كبيراً من العصابيين الذين يعانون ضرباً من عقدة الإثمية التي تجعلهم يبحثون عن القصاص، إما أن يُنزله هم أنفسهم بأنفسهم (القصاص الذاتي)، وإما أن يُنزله بهم شخص آخر. وينتمي إلى هذه الجماعة أيضاً المكتئبون المزمنون وكذلك أفراد يعانون ضعفاً خاصاً في إرادة الحياة يُسمّى «النكَد». وفي جماعة ثالثة ينضوي الأفراد الذي يتصفون بـ«تناذر أبيْل»: والمقصود أفراد سليمو النيّة يشملهم القدر برعايته، أفراد يعانون عاصفة مبهمة من الإثمية الوجودية، إذ يقارنون وضعهم بوضع الآخرين؛ إنهم جذّابون للغيرة ويصبحون، إذا كانت لديهم القدرة على توطيد الذات والدفاع الذاتي القاصرين، ضحايا معيّنة كل التعيين.

3) إن هنتينغ أيضاً هو الذي أوّل من حلّل بالتفصيل مفهوم العلاقة النوعية مجرم -ضحيّة. ونلاحظ في الواقع أن المجرم والضحية مرتبطان غالباً، فيما بينهما، بصلة مفارقة، في حين أننا لم نكن نشتبه بعلاقة شخصية، كما في حالات القتل بهدف السرقة على سبيل المثال.

وبحث بعض الباحثين في تحليل طبيعة الصلة التي كانت تربط بين المجرم والضحية. والعلاقة تكون في بعض الأحيان «علاقة محض عصابية»، مع مزيج غير قابل للانفصال من الحب والكراهية (كما في كثير من الجرائم الانفعالية). ونجد في بعض الأحيان بالحري «علاقة سيكولوجية بيولوجية»، علاقة توحّد فردين من نموذجين مختلفين جذرياً ولكنهما متكاملان (مثال ذلك رجل فظّ، ذو غريزة حيوية وحيوانية نامية جداً، وامرأة سلبية، ضعيفة وعاجزة عن الصراع). وهنا نموذج ثالث من العلاقة، العلاقة «الوراثية، البيولوجية»، أشار إليها زونْدي، التي تكمن في جاذبية متبادلة بين فردين وراثتُهما متشابهة جداً. وهذه الضروب الثلاثة من العلاقة لا يستبعد أحدها الآخر ويمكنها أن تتزامن.

وبحث بعض المؤلفين في وضع **نمذجة للضحايا**. فكل الدرجات موجودة في الواقع، من الضحية البريئة كلياً، التي لم تؤد دوراً في إنتاج الجريمة، حتى الضحية المحرّضة، التي يمكن أن يكمن إسهامها في الجريمة في «طيش آثم»، في ضرب من عدم التبصّر الخطير أو حتى في تحريض مقصود.

واتّخذت بعض البحوث موضوعاً له هو العلاقة النوعية مجرم-ضحية في الفئات المختلفة من الجرائم والجنح. ولنذكر على سبيل المثال أعمال عزّة عبد الفتّاح التي تناولت القتل بهدف السرقة وأعمال جورغ شوه-كولْمان التي تناولت الغضب والابتزاز (أعمالاً ينجم عنها أن نمذجة الضحايا مختلفة جداً في هذين الضربين من الجنح، على الرغم من أنهما غير متمايزن في بعض التشريعات).

4) **تطبيقات مبحث الضحايا** بدت منذ الآن من التطبيقات الأكثر جدوى وستصبح أيضاً مجدية أكثر بقدر ما تتقدّم البحوث الأساسية.

وتستخدم بعض دوائر الشرطة، في **علم التحقيق الجنائي**، ومنها شرطة زوريخ على سبيل المثال، استخداماً منتظماً مفهوم العلاقة النوعية مجرم-ضحية. والواقع أن هذه العلاقة تكون على الغالب وثيقة جداً بحيث يمكننا أن نستنتج من شخصية الضحية شخصية المجرم ونوجّه البحث بالتالي.

ولم يعمّق بعدُ علم النفس القضائي أيضاً موضوعاً يستحقّ أن يعمّق: نمذجة الضحايا كما يسلكون خلال السيرورة القضائية. وبوسعنا، في الواقع، أن نميّز عدة ضروب من الضحايا: الضحية الخجول (في القضايا التي تكشف حمقها، وعدم نزاهتها)؛ الضحية الراضية (في كثير من قضايا الاغتصاب)؛ الضحية المتعسّفة (التي تريد أن تستمدّ أقصى نفع من القضية)؛ الضحية المتواضعة، الضحية الساخرة، الضحية التابعة للمتّهم، الضحية المنفّرة، الخ، دون أن نتكلّم على الضحايا الزائفة.

أما القرارات القضائية، فينبغي أن تأخذ كثيراً بالحسبان معطيات مبحث الضحايا. ذلك أن فحصاً موضوعياً غير متحيّز لذهنية الضحية ودورها المحتمل يمكنه أن يقود إلى تقاسم المسؤوليات تقاسماً أكثر عدلاً، لاسيّما عند وجود التحريض، ولو كان لاشعورياً. وينبغي غالباً أن يسترعي الانتباه قدرُ الضحية الذي يثير الشفقة، ضحية مدمّرة من النواحي الجسمية، والمعنوية، والاقتصادية، ذليلة بفعل الدعوى، عرضة لما يشبه الشتيمة من محامي الدفاع، ثم منبوذة في النسيان.

إن تعويض الضحايا نتيجة من النتائج المنطقية للمفاهيم التي وضعها مبحث الضحايا. وإذا كان المؤلفون قد حبّروا كثيراً من المقالات والمؤلفات في هذا الموضوع، فأقلّ ما يمكننا، مع الأسف، أن نقوله عن الإنجازات العملية إنها لم تتقدّم حتى الآن سوى تقدّم بطيء.

أما المساعدة السيكولوجية للضحايا، فإنها تطبيق آخر من تطبيقات مبحث الضحايا، ضعيف التقدّم. وتبيّن التجربة أن ضحايا الأفعال الإجرامية أو الجنح الخطيرة يظلّون على الغالب مصابين بالصدمة خلال مدة طويلة ويتطوّرون غالباً نحو عصاب. والضحية متحسّسة في بعض الأحيان إلى درجة يكون لديها استجابة غير طبيعية خلال تعرّض لأن تكون ضحية لاحقة، أو تتطوّر بدورها نحو الجنوح. ودافع مندلسون مصيباً عن ضرورة وجود عيادات خاصة تتلقّى الضحايا فيه علاجاً

نفسياً ملائماً، وبخاصة عندما تكون «ضحايا جرائم متكرّرة» أو ضحايا جنح خطيرة.

وفيما يخص ّ**الوقاية من الجريمة**، ينبغي لتعاليم مبحث الضحايا أن تؤدّي فيها دوراً كبيراً. وينبغي لكل فرد أن يعلم على نحو واضح إلى أي خطر هو معرّض، بسبب مهنته، وطبقته الاجتماعية، وجبلّته. وينبغي أن نعلم مع ذلك أن تحذيرات مبحث الضحايا أورجال الشرطة لا تكفي على الإطلاق لـ«تربية الجمهور»، ذلك أن الشر ّأكثر عمقاً: إنه خفي ّفي التاريخ الفردي، والعقد والجبلّة السيكولوجية والبيولوجية، لكل ّمنا. (انظر في هذا المعجم: **القصاص الذاتي، الإثمية، المازوخية، زوندي**).

H.F.E.

مبحث العلامات لدى الحيوانات **F: Zoosémiotique**

En: Zoosemiotics

D: Zoosemiotik

فرع معرفة مخصّص لدراسة العلامات والسلوكات لدى الحيوانات الاجتماعية، ذات القيمة التواصلية.

لأعضاء أسرة بيولوجية واحدة مَسْرد مشترك من العلامات، يمكنها بفضله أن ينقل بعضها لبعض بعض الرسائل (إنذار بالخطر، دعوة للغذاء، نداء جنسي، نداء الصغار، دفاع عن الإقليم، وكل ما له، على نحو عام، صلة بحياة العلاقة). وتكون هذه العلامات ذات طبائع شتّى: كيميائية، سمعية، بصرية، حسّية حركية... ويستخدم تبادل الإعلام، على الأغلب، عدة صيغ حسّية معاً (شمّ، رؤية، إلخ). وأتاحت التقانة الحديثة دراسة السلوك الصوتي، على وجه الخصوص، لدى الحيوانات، أي المظهر السيكولوجي الفيزيولوجي للتواصل السمعي بين أفراد متّحد واحد. وعلى هذا النحو إنما برهن علماء سيكولوجيا الحيوان أن لبعض الثدييات، كالثعلب، «قاموس صوتي» يحتوي أربعين علامة على الأقلّ. (انظر في هذا المعجم: رقص النحل، لغة الحيوانات).

N.S.

مبحث الغدد الصمّ

F: Endocrinologie

En: Endocrinology

D: Endikronologie

مصطلح ابتكره، عام 1909، نيكولا بنْد (1880- 1970) للدلالة على دراسة الغدد ذات الإفراز الداخلي.

الغدد ذات الإفراز الداخلي، التي تسمّى الغدد الصمّ أيضاً، لا تصبّ إفرازاتها مباشرة في جريان الدم. والموادّ الكيميائية المحرّرة على هذا النحو في الدم، التي ستؤثّر عن بعد على الأنسجة والأعضاء «الدريئات»، كان بيليس وإرنْست هنري ستارلِنغ (1927- 1966) يسمّيانها هرْمونات عام 1905.

وعرف مبحث الغدد الصمّ نمواً سريعاً وأثار كشوفاً عديدة. إن كلود برْنار (1818- 1878) هو الذي أدخل، أول من أدخل، مفهوم الإفراز الداخلي، بمناسبة أعماله التي تناولت وظيفة الكبد (الغليكوجينية (1855). وتلاه شارل براوْن -سيكار (1818- 1894)، الذي كان خليفته في الكولّيج دو فرانْس، الذي روى لرابطة البيولوجيا (1889) ملاحظة ذاتية تناولت المفعولات الدينامية لمستخلصات من خصيات حيوانات كان قد حقن بها نفسه. وكان روفرْدان (1882) وكوشر (1883)، بعد غرافز بازيدو، قد أوضحا، في الفترة نفسها على وجه التقريب، وظيفة الإفراز الداخلي للغدّة الدرقية، في حين أن بيير ماري (1853- 1940) كان قد برهن على دور النخامى، بفضل دراسته ضخامة الوجه والأطراف (1886)؛ وهذا التناذر، الذي يتميّز بتغيّرات مورفولوجية في الوجه والأطراف، يوجد بانتظام

لدى أفراد مصابين بورم في الفص ّ الأمامي من النخامى. وكان الدرب مفتوحاً لبحوث في الغدد الصم كثيرة. وكان جوكيشي تاكاماين قد حصل عام 1901 على الإيبينيفرين، مادة رافعة الضغط عزلها ج. حـ. أبيل (1857- 1938) من المواد التي يفرزها لبّ الكُظْر، على شكل يمكنه أن يتبلّر، وسمّاها «أدرينالين». وكان ت. ب. ألدريخ قد أعطى صيغتها في السنة نفسها. وكان كنْدال قد عزل التيروكْسين عام 1914، إلخ.

وكان أكثر من ثلاثين هرموناً قد تحدّد، حالياً، وبعضها، الذي يتقن العلماء تركيبه من الآن فصاعداً، يُستخدم في العلاج. ونميّز لدى الإنسان خمس غدد صمّ هي: الغدتان الكظْريتان، الدرقية، المجاورات للدرقية، الغدد التناسلية (المبيضان لدى المرأة والخصيتان لدى الرجل)، والنخامى. ويُدخل بعض المؤلفين في هذه الفئة جُزَيْرات لانْجر -هانْز في البنكرياس، وبعض خلايا الكبد، والنُوى العصبية الواقعة في مادة الدماغ، والمشيمة لدى المرأة الحامل، والجلد (إنتاج فيتامين د بالتركيب الضوئي).

أمراض الغدد الصمّ عديدة جداً؛ ويمكنها أن تكون مرتبطة إما بضرب من الإفراط، وإما بضرب من القصور في الإفراز. مثال ذلك أن مرض «بازيدو» ناجم عن إفراط العمل الوظائفي للغدة الدرقية، والوَزَمة المخاطية عن عملها الوظائفي القاصر. وتكوّن كل الغدد الصمّ جملة تشارك فيها الجملة العصبية المركزية ويشارك العالم المحيط بهذه الواسطة؛ فكل خَلَل لجزء من هذه الجملة يتردّد صداه في المجموع، ونفهم في هذه الشروط أن مرضاً كمرض بازيدو يمكن أن تثيره صدمةٌ انفعالية. (انظر في هذا المعجم: التكيّف، الغدّة التناسلية، الهرمون، تحت المهاد، الكرْب).

M.S.

مبحث قتل الإنسان

F: Homicidologie

En: Homicidology

D: Homizidologie

علم تدمير الإنسان بالإنسان.

أسباب تأسيس مبحث لقتل الإنسان في فرع معرفة مستقلّ عديدة. أولاً، لايمكنه أن يُعتبر جزءاً من علم الجريمة، لأن هذا العلم لايفحص إلا ضروب القتل الإجرامي. وهو، من جهة أخرى، لايندرج في الطب النفسي الطبّي الشرعي، الذي يدرس القَتَلَة الذهانيين، والسيكوباتيين، والعصابيين، والمصابين بالتخلّف العقلي. ولكن مبحث قتل الإنسان ذو صلات وثيقة بهذين العلمين اللذين يُعنيان بكل الضروب من الجرائم والجنح. ويتجاوز مبحث قتل الإنسان، إذ يركّز حصراً على استئصال الحياة الإنسانية بالإنسان، آفاق هذين العلمين. فهو لايقتصر على أنواع القتل الإجرامي، ولا على القتلة المرضى سيكولوجياً، ولكنه يشمل أيضاً ألوان القتل الجماعي الذي يحدث في زمن الحرب، بمناسبة الثورات، والانقلابات، والتمرّدات، والفتن، إلخ، وهذا هو السبب في أنه يجمع هذه الموادّ من التاريخ وعلم الاجتماع. أضف إلى ذلك أنه يستخدم إسهامات البيولوجيا وعلم النفس ومصادر أخرى موجودة في الميثولوجيا والدين، في الفولكلور والفنون، في الأدب والفلسفة. ويطبّق مبحث قتل الإنسان طرائق هذه العلوم كلّها، ولكنه يحوز دربه الخاصّ في الاستقصاء: علم الأوبئة المقارن، وهو حقل بحث لاينفد.

N.Sc.

مبدأ الاستقرار

F: Principe de constance

En: Principle of constance

D: Konstansprinzip

نزوع العضوية إلى تقليص كل إثارة إلى مستوى منخفض بقدر مايمكن.

الجهاز النفسي، في نظرية التحليل النفسي، يتجنّب تراكم الإثارة، إذ يفرّغ الطاقة الراهنة ويدافع عن نفسه ضدّ كل توتّر جديد، من منشأ داخلي أو خارجي. ومبدأ الاستقرار، الشبيه بـ«مبدأ الثبات» الذي أعلنه غوستاف تيودور فخنر (1801- 1887)، يمكننا أن نفهمه بمعنى ضرب من الضبط الذاتي: إذا ازداد التوتّر، فإن العضوية تبذل جهدها لإنقاصه بإشباع الحاجة التي تثيره، على نحو مناسب (آكلُ لأنني جائع) أو على نحو تقريبي (أنام وأحلم أنني أتناول وجبة شهية لأنه ليس لديّ ما يؤكل). (انظر في هذا المعجم: الاتزان الحيوي).

N.S.

مبدأ خُرج إيزوب F: Principe de la besace d'Ésope

En: Principle of Aesop's double sack

D: Asopishen quersacks

أسلوب في التشخيص والعلاج النفسي أدخله نيكولاس دراكولِيدس (1949)، يقوم على آلية سيكولوجية يلَطف الإنسان بها عيوبه الخاصة ومزايا الآخرين ويخفيها عن نفسه، مغالياً، في الوقت نفسه، في مزاياه وعيوب الآخرين.

تسمية هذا المبدأ تحيل إلى إيزوب، مؤلف الحكايات الخرافية الإغريقي، من القرن السادس قبل الميلاد. إنه يعلّمنا أن كل إنسان يحمل على كتفه خرجاً: في جيبه المتدلّي أمامه، يضع مزاياه الخاصة وعيوب الآخرين؛ وفي الجيب المتدلّي على ظهره، يفعل العكس. وهذه السيرورة البسيطة يمكنها أن تتعقّد على أنحاء مختلفة: يمكننا أن نخفي عن أنفسنا عيوب الأشخاص الأعزاء أو المرهوبين؛ ويمكننا أن نحوّل مزايا الآخرين إلى عيوب وننقلها إلى الجيب الأمامي من الخرج؛ ويمكننا، بفعل الخجل أو المازوخية، أن نخفي عن أنفسنا مزايانا. ويخضع العصابي إلى مبدأ خرج إيزوب كلما أسقط على الغير سبب ضيقه.

وبوسعنا أن نأخذ بالحسبان، على نحو رئيس، اتّجاهين في التطبيق العلمي لهذا المبدأ: 1) الانزياح المحرّر. فقد يحدث أن ينفي مريض بعض الجوانب من حياته الصميمية، يعتبرها جوانب موضع إدانة؛ ومن المفيد عندئذ أن يُطلب إليه أن يروي ما يقوله عدوّه اللدود عنه؛ وسيُساق عندئذ إلى أن يوضّح عيوبه الخاصّة

ليؤكّد سمة النمّام لعدوّه. وبوسعنا، لنرفع المقاومات التي تمنعه من أن يتكلّم على أشخاص أعزاء أو مرهوبين، أن نطلب إليه ما يقوله أعداؤهم الألدّاء عنهم؛ 2) المثال المقنع. يمكننا أيضاً، لنقود شخصاً إلى أن يغيّر سلوكه الخاصّ، أن نطبّق مبدأ خرج إيزوب: نلفت انتباهه إلى الجوانب السلبية من سلوك الغير، بدلاً من الإلحاح على الجوانب السلبية من سلوكه الخاص. مثال ذلك أن سمة التملك لدى الأم تكون على الغالب مصدر عصاب الابن؛ فمن المتعذّر أن نشرح ذلك له مباشرة، ولكنه سيتصورّ على نحوٍ جيّد جداً ما في سلوك أم أخرى من سمة التملّك، وذلك يمكنه أن يقوده إلى أن يغيّر سلوكه هو.

N.D.

مبدأ اللذّة

F: Principe de plaisir

En: Pleasure principle

D: Lustprinzip

مفهوم أساسي في النظرية الفرويدية، يكون للعمل الوظائفي الذهني بحسبها هدف مفاده البحث عن اللذة وتجنّب الألم.

كل توتّر يُفقد العضوية توازنها مؤلم في رأي سيغموند فرويد (1856- 1939). وتبحث الدوافع عن الإشباع بأقصر الدروب، ولكنها تسلك ممرات التفافية تقودها إلى الإشباع المنشود، عندما تكون هذه الدروب مسدودة، إما جرّاء تعذّر واقعي لبلوغ الموضوع المناسب (موضوع غيرموجود، بعيد، محظور. . .)، وإما جرّاء كفّ خاص. فالحلم وأحلام اليقظة هما من هذه الممرات التي يمكننا بفضلها إشباع الرغبات المكبوتة.

والمخيّلة والفاعلية شبه الحلمية هما على الغالب، بالنسبة لبعض الأفراد الذي ينصرفون عن الواقع لأنه يبدو لهم مؤلماً، الوسيلتان المفضّلتان لتقليص التوتر وتأمين اللذة. (انظر في هذا المعجم: مبدأ الاستقرار).

N.S.

مبدأ الواقع

F: Principe de réalité

En: Principe of reality

D: Realitatsprinzip

مبدأ الواقع، في مصطلحات فرويد، مبدأ ينظّم العمل الوظائفي النفسي.

تميل العضوية، التي يحكمها مبدأ اللذة، إلى أن تشبع حاجاتها، سالكةً الدروب الأقصر. ولكن موانع عديدة يمكنها أن تنبعث على هذه الدروب، موانع تسبّب تغيّرات في الاتجاه والبحث عن تصرّفات جديدة أفضل تكيّفاً مع الواقع. ومن هذه الضرورة، يولد الانتباه والذاكرة، الذكاء والحكم، أعني تولد أدوات نفسية سيكون الفرد بفضلها قادراً على أن يتوافق مع العالم الخارجي ويبحث عن الدروب الالتفافية التي تمنح السبيل لبلوغ اللذّة. وتحت التأثير المتضافر للتجربة والتربية، يتعلّم الموجود الإنساني أن يؤجّل إشباعه، ويتخلّى عن لذة مباشرة ليتجنّب ألماً أو ليحصل على إشباع أعلى. فالواقعي يكيّف الفرد تكييفاً تدريجياً، هذا الفرد الذي سينتهي إلى تغليب مبدأ الواقع على مبدأ اللذة. (انظر في هذا المعجم: مبدأ اللذة).

N.S.

المبصار

F: Tachistoscope

En: Tachistoscope

D: Tachistoscope

جهاز مستخدم في علم النفس التجريبي وعلم النفس المرضي، يتيح أن يعرض مادة نصرية معيّنة في زمن قصير جداً.

توجد نماذج عديدة من المبصار. أبسطها وأقدمها المبصار ذو المسقط، المؤلف من شاشة متحركة تحمل نافذة. وعندما تمرّ هذه النافذة أمام شكل، فإنها تعرضه لحظة. ومدّة العرض تابعة لسرعة انتقال الشاشة، التي توجّهها في سقوطها زلاّقتان. وتُستخدم حالياً أجهزة متقنة جداً، كالمبصار ذي الإسقاط الآلي، الذي يتضمّن ساداً، ومسقطاً، وحامل مناظر، ومغيّر مناظر ومبرمج آلي. والفواصل بين المحاولات (من 5 إلى 15 ثانية) ومدّة العرض (من 50/1 إلى ثانيتين) يمكنهما أن يُبرمجا وفق مشيئة المستخدم. وتختلف المادة وفق البحث الذي نباشره. إنها تتألف على الغالب من حروف، أو كلمات، أو أشكال هندسية. ويمكننا، بفضل استعمال المبصار، قياس القدرة على الفهم (عدد النقاط، الحروف المحفوظة بعد عرض قصير)، تقييم كثافة الحضور لشكل (دائرة غير مكتملة تبين كاملة) أو أن نكتشف أيضاً لدى بعض الأفراد وجود عمه الإدراك البصري (تعذّر تسمية الأشكال الهندسية المعروضة)، إلخ. (انظر في هذا المعجم: عمه الإدراك، الشكل، الإدراك).

N.S.

F: Ovaire **المبيض**

En: Ovary

D: Ovarium, Eirstock

عضو يتكوّن فيه المشيج الأنثوي الحيواني، أو خلية البويضة.

المبيضان، أو الغدّتان التناسليتان الأنثويتان، عضوان إفرازهما مختلط، أي لهما معاً وظيفة الغدد الصمّ ووظيفة خارجية الإفراز: إنهما ينتجان الأمشاج، والبيضات، ويفرزان هرمونات. وللمبيضين، الواقعين على نحو متناظر على وجه التقريب، واحد على يمين التجويف الحوضي والثاني على يساره، المستندين إلى الجدارين الجانبيين من الحوض الصغير، تشكّلٌ يختلف خلال الحياة. فليس ثمة، عند الولادة، سوى صفيحة مسطّحة تصبح بيضوية نحو السنة الثانية. وسطحهما، حتى البلوغ، ناعم ومنتظم. وفي أثناء مرحلة الفاعلية، يكون المبيض بيضوياً، «لوزي» الشكل، أبيض وردياً، راسخاً، وسطحه غير منتظم، بسبب ندبات الجريبات المحطّمة ونتوء جُريبات دو غراف (حويصلات قطرها سنْتيمتر واحد تقريباً تحتوي كل منها بويضة ناضجة). وينقص حجم الغدّة بعد الإياس، ويصبح سطحها ناعماً من جديد ومنتظماً. وفاعلية المبيض دورية. ويحدث كل ثمانية وعشرين يوماً طرد بييضة بفعل تفجّر جريب من جريبات دو غراف بلغ النضج: هذه هي الإباضة. وتصبح الفاعلية الدورية للمبيض ظاهرة بفعل ظاهرة أخرى: الحيض، الذي لايُرى إلا لدى المرأة وإناث بعض الحيوانات الرئيسة. إنه نزيف دم لا يتخثّر يحدث على صورة منتظمة تقريباً كل ثمانية وعشرين يوماً، من البلوغ حتى

الإياس. ويحدث هذا النزيف بعد الإباضة بأسبوعين، عند سقوط الإفرازات الهرمونية المبيضية. وترافقه على الغالب اضطرابات عصبية نباتية، وأوجاع، وأرق، ونزَق وانفعالية مغالية.

ويطرأ على جُريب دو غراف نضج كامل، منذ البلوغ وبصورة دورية. وتفرز الخزانة الداخلية للجريب، في أثناء مرحلة النضج الجريبي، هرمونات جريبية (هرمونات ستيروئيدية جنسية أو أسْتروجين: إوسْتراديول، إوسْترون، إوسْتريول)، تحرّض الإوسْتروس، أو الاستقبال الجنسي لدى الثدييات الإناث. ويتزامن الوِداق مع اللحظة التي يبلغ الجريب خلالها النضج. ويحدث تمزّق الجريب وتحرير الخلية البيضية تلقائياً لدى غالبية الثدييات، ولكنهما لايحدثان لدى بعضها، ومنها الهرّة والأرنبة، إلا بعد التزاوج. وتطرأ «الإباضة المبيضية» لدى المرأة نحو أربعة عشر يوماً قبل الحيض التالي.

ونسبة الأسْتروجين عدم في بداية الدور (الطور الجريبي) وتبلغ ذروتها في فترة الإباضة؛ وتتناقص ثم تزداد مجدّداً في الجزء الثاني من الدورة (الطور الأصفري)، قبل أن تهبط مجدّداً على نحو مفاجئ إلى أخفض مستوى لها قبل عودة الحيض بثمانية وأربعين ساعة.

ويتكوّن في المبيض، بعد الإباضة، خلال الطور الأصفري، جسم أصفر أو جسم سابق للحيض يفرز البروجسْتيرون. ويزداد هذا الإفراز ازدياداً سريعاً، ثم يستقرّ في الهضبة خلال اثني عشر يوماً إلى أربعة عشر ويختفي قبل الحيض بثمانية وأربعين ساعة. ويؤثّر البروجسْتيرون على المركز تحت المهادي الذي يراقب الحرارة الجسمية؛ ويشهد المرء، بعد الإباضة، ازدياد الحرارة درجة واحدة ستيغراد خلال أربعة عشرة يوماً، ما دام الجسم الأصفر موجوداً. وعندما يختفي إفراز البروجسْتيرون، تعود الحرارة إلى مستواها الطبيعي قبل الحيض بثمانية وأربعين ساعة تقريباً. ويطرأ على الجسم الأصفر أوبْة بعد عشرة أيام إلى اثني عشر، حال غياب الإخصاب، ويعطي الجسم الأبيض الذي لايفرز البروجسْتيرون.

وللبروجستيرون أيضاً تأثير على الغشاء المخاطي للرحم، والفرج والغدة الضرعية. إنه، في الرحم، يحضّر بطانة الرحم لتعشيش البييضة، الذي يعدّله الأستروجين الآن. فإذا ألقح الخلية البييضية منيٌّ، فإن الحمل سيحدث، وإفراز البروجستيرون، الذي يؤمّنه الجسم الأصفر، ستؤمّنه المشيمة. والبروجستيرون، على مستوى الغدّة الضرعية ينبّه الفصيص السنْخي ويثبّط درّ اللبن. ويقال إن البروجستيرون هو «هرمون الأم» والفولوكيلين «هرمون المرأة». والفولوكيلين هو الذي يسبّب، في الواقع، تأنيث البنيّة في البلوغ. فالأعضاء التناسلية تنمو، ويتموضع الدهن في النصف الأسفل من الجسم، ويتعرّض الكتفان (زيادة القطر ما بين المدورين). وتؤثّر الإستروجينات على النموّ، إذ تبطئه، وذلك ما يشرح أن تأخّر ارتفاع نسبتها في الدم يسبّب امتداد مرحلة النمو قبل البلوغ، وذلك أمر يبين في طول الأطراف التي تصبح أطول نسبياً.

والإفرازات المبيضية تابعة معاً للنخامى وتحت المهاد والجملة العصبية المركزية. ودور النخامى الأمامية أساسي؛ فعندما تدمَّر، تزول كل فاعلية مبيضية، ويتوقّف مجموع الدورة المبيضية، في حين أن المبيضين يضمران. وذلك ما نلاحظه، عيادياً، في التناذر الذي وصفه عالم الأمراض الانغليزي هارولْد ليمينغ شيشان (المولود عام 1900). وهذا المرض ناجم عن نخْر النخامى الأمامية بعد نزْف كبير خلال الولادة. وتفرز النخامى الأمامية موجّه الغدة التناسلية أو منبّه الغدة التناسلية: الهرمون الجريبي المنبّه أو FSH، المسؤول عن نموّ الجريب؛ الهرمون الملوتن أو LH، الذي يسبّب الإباضة وتكوّن الجسم الأصفر؛ وأخيراً، هرمون البرولاكتين (MH أو LTH)، الذي يؤدّي دوراً أولياً في إطلاق إفراز الحليب والمحافظة عليه. وتؤثّر الهرمونات المبيضية في النخامى الأمامية بالمفعول الرجعي. والواقع أننا إذا رفعنا المبيضين، فإن إنتاج موجّهات الغدد التناسلية أو منبّهاتها النخامية يزداد، ولكن هذا الإفراط في الفاعلية يمكننا كبحه بإعطاء هرمونات مبيضية.

والفاعلية النخامية يراقبها عاملان محرّران من أصل تحت مهادي: الـ FRF (مختصر FSH-RF العامل المطلق لهرمون تنبيه الجريب والـ LRF (مختصر LH-RF العامل المطلق لهرمون اللوتنة)، اللذين يطلقان إفراز FSH و LH. ونسبتا FSH و LH تمرّان في ذروة بين الحيضين إذ تكون نسبة LH أكبر بقليل من نسبة FSH. ونسبة FSH، خلال الطور الجريبي، أكبر من نسبتها خلال الطور اللوتيني، على عكس ما يحدث بالنسبة للـ LH الذي تكون نسبته أكبر في الجزء الأول من الدورة. وإفراز LTH ينظّمه الـ PIF (العامل المثبّط للبرولاكتين)، من أصل تحت مهادي أيضاً، له تأثير مثبّط في إفراز البرولاكتين.

وتؤدّي الجملة العصبية أيضاً دوراً، بواسطة التكوين الشبكي وجذع الدماغ. ويرتبط به بعض الضروب من انقطاع الطمث ذات المنشأ نفسي.

ونلاحظ غالباً، خلال الإياس، تغيّرات في المزاج والطبع والجنسية: فالمرأة تصبح قابلة للنزق، قلقة، ذات إفراط في الانفعالية. ويمكنها أن تصاب بضعف الشهوة للجماع أو، على العكس، بزيادة في الشهيّة الجنسية. وتصبح في بعض الحالات سلطوية، عدوانية، غريبة، مغالية. والحالات الاكتئابية متواترة. وتكون الاضطرابات خطيرة في بعض الأحيان: اتجاهات انفعالية، على شكل غيرة بصورة خاصّة، حالات هوسية اكتئابية، هبّات هاذية أو هذيانات دائمة قليلاً أو كثيراً لدى بعض النساء اللواتي لديهن استعداد مسبق. (انظر في هذا المعجم: مبحث الغدد الصمّ، تحت المهاد).

M.S.

المتّحد

F: Communauté

En: Community

D: Gemeinshaft

جماعة إنسانية لها مصالح، ومطامح، وعواطف، مشتركة.

المتّحد جماعة أولية يكون كل فرد فيها معروف، والعلاقات مباشرة، والتواصلات تحدث «وجهاً لوجه». ويشعر كل فرد فيها أنه متضامن مع الآخرين لديه شعور أنه يكوّن معهم وحدة اجتماعية عضوية، ضرباً من «النحن» الأخوي. وتتفاقم شدّة هذا العاطفة، التي تقود عمل كل عضو، عندما يكون المتحد مهدّداً أو خاضعاً فقط لضروب من عدوان الوسط الخارجي؛ وإذا كان المتحد يكوّن عاملاً قوياً للتماسك، فإنه يمكنه أن يكون عائقاً عندما يقتضي الأمر حلّ النزاعات الداخلية. ويكوّن المتحد، في رأي جورج غورفيتش (1894- 1965)، ذلك «الشكل الأكثر توازناً من النحن»، في منتصف الطريق بين **الجمهور العام** (مثال ذلك أولئك الذين يقولون: نحن، الفرنسيين. . .» أو «نحن، العمّال. . .»)، الذي تكون فيه الصلات متراخية إلى حدّ كاف، وبين **الشعور المشترك**، حيث تكون الجاذبية بين الشخصية قوية جداً. ويرى الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني فرْديناند تونّيس (1855- 1936) في المتّحد شكلاً طبيعياً من أشكال الحياة الاجتماعية قائماً على الوجدانية، شكلاً يقابل المجتمع المبني بصورة مصطنعة، القائم على العقل، والتجريد، والعلاقات التعاقدية والميكانيكية، حيث يظلّ الإنسان غريباً عن الآخر وحيث يسود مبدأ «كل فرد لنفسه».

ويطمح كثير من الناس، الذين خيّبت الحياة الممكننة والمعقلنة آمالهم، أن يجدوا الحرارة الوجدانية مجدّداً، حرارة متحد. وكوّن بعضهم مجدّداً هذه العلاقات المتّحدية، إذ أنشأوا متحدآت عمل (يوجد منها في فرنسة نحو خمسين متحداً)، قامت على نمط متّحد بوامونْدو، الذي أسسّه، عام 1941، مارسْيل باربْو في فالانْس ودروم. وإذ يتجمّع هؤلاء الأشخاص حول فاعلية إنتاجية أساسية، كصناعة صندوقات الساعات، فإنهم يجعلون وسائل الإنتاج جميعها مشتركة، وللإدارة والادّخار حياة شبه مشتركة، ويبذلون جهوداً ليجعلوا من متحدهم أداة ازدهار مادي، فكري وأخلاقي لأعضائه. وثمة أشكال أخرى من الحياة المتحدية أحدثت، والمرء يمكنه أن يرى في «جماعات اللقاء»، والتدريبات، والندوات، و«الورشات»، التي تتكاثر في أوروبة والولايات المتحدة، محاولة في أن يتكوّن تكوّناً جديداً مصطنعاً، ولو لزمن قصير جداً، ذلك المتّحد المثالي الذي يحتفظ بالحنين إليه الإنسان المنعزل، إنسان الجمهور المديني. (انظر في هذا المعجم: الجماعة).

N.S.

المتغيّر

F: Variable

En: Variable

D: Variable

سمة يمكننا تحديدها، وتقييمها عددياً على الغالب، لكلّ وحدة من وحدات مجموع يخضع للملاحظة أو التجريب.

تُسمّى الوحدات أيضاً «عناصر»، «أفراداً»، أو «موضوعات»، ويسمّى المجموع «فئة سكانية» أو «مجال إحصائي». والمتغيّر كيان يتغيّر (صيغة أو قيمة عددية) من عنصر إلى آخر دون أن تتغيّر طبيعته. فبوسعنا إذن أن نعتبر المتغيّر ضرباً من تطبيق عناصر المجموع المدروس على مروحة من الصفات (أفراد يتميّزون بلون شعورهم)، أو على تعاقب من القيم العددية (مثال ذلك أطفال يتميّزون بحاصل ذكائهم). ويمثل متغيّر من المتغيّرات، بصورة مشخّصة، في جدول ملاحظات أو بيان المعطيات الفردية، إذ أن هذا الجدول يوضّح الصلة الموجودة بين كل عنصر والقيمة التي تميّزه.

المجموع ٧، ذو القيم ٧ التي يتخذها المتغيّر، يُسمّى السلسلة الإحصائية؛ ويمكننا أن نمثّل تموّجات المتغير على خطّ بياني مسلسل، إذ نحمل العناصر الملاحظة على محور السينات، والقيم المبيّنة لكل عنصر من هذه العناصر على محور العينات. ومن الممكن في بعض الأحيان أن نرتّب الملاحظات في ترتيب معيّن: سلسلة من الملاحظات المجموعة بصورة منتظمة خلال الزمن نسمّيها «المجموعة الزمنية» أو «المسلسلة»، ويبيّن الخطّ البياني على الغالب نزعة عامّة تتنضّد عليها

حركة دورية تُسمّى «حلقية»؛ أو مجموعة عناصرُها مرتّبة وفق قيم المتغيّر المتزايدة أو المتناقصة تتيح المجال لخطّ بياني مسلسل متزايد أو متناقص يسمى الخط البياني الترتيبي (مثال ذلك: قانون زيف).

ونميّز على وجه العموم، من وجهة نظر علم المقاييس، أي من وجهة نظر القياس، أربع فئات، الفئات الثلاث الأخيرة تسمّى «المتغيّرات العددية»:

1- أولها المتغيّر الكيفي أو الاسمي، ذو العلاقة بسمة يمكنها أن تتّخذ صيغاً مختلفة تُسمّى على وجه العموم «خاصّيات» (مثال ذلك: ذهاني وعصابي؛ إيجابي، سلبي، حيادي؛ إجابات «نعم»، «لا»، «دون رأي»)؛ ونسمّي، توسّعاً، «قيم» متغيّر كيفي صيغ هذا المتغيّر؛

2- المتغيّر الترتيبي، الذي يمكنه أن يتراتب وفق معيار دقيق (مثال ذلك المراتب التي يحصل عليها متنافسون مختلفون، بحسب اختبارات مدرسية، رياضية، سلوكية)؛

3- المتغيّر العددي أو الحسابي، الذي يسمّى أيضاً متغيّراً كمياً، المتميّز بالإضافة، يُصادف على نحو نادر جداً في علم النفس (مثال ذلك قياس الإحساس).

ونميّز، من وجهة النظر السيبرنيطيقية، أي بناء النماذج، ما يلي من المتغيّرات:

1- متغيّرات المدْخَل أو المدخلات، ذات العلاقة بالتأثيرات (أعمال أو معلومات) التي تعانيها المنظومة من جانب بيئتها؛

2- متغيّرات الحالة أو المتغيّرات الوسيطة، الخاصّة بالمنظومة وتشرط تحوّل (أو «تحويل») المدخلات إلى مخرجات: وبين هذه المتغيرات، يؤدّي متغيّر المفعول الرجعي أو التغذية الراجعة، في المنظومات الخاصة المسمّاة «منتظمة»، أو «مستقرّة» أو ذات «اتّزان حيوي»، دور المنظم الذاتي. واستُخدمت هذه التمييزات نقطة انطلاق طرائقية للبحوث في السلوك (تولْمان)، الإشراط، التعزيز والتعلّم (سكينر)، الدافعية (لوفن، هول)، إلخ.

ومن وجهة النظر التجريبية . نميّز ثلاث نماذج من المتغيّرات :

1- متـغيّرات مستقلّة ، من الأفضل تسميتها «متغيّراً مراقَباً» أو «موضع توجيه»، يراقبه المجرّب أو الملاحظ أو يوجّهانه حسب مشيئتهما (مثال ذلك مدة الصيام المسبقة لفأر موضوع في متاهة ؛ مستوى صعوبة العمل المفروض على الفرد ؛ تركيب جماعة خاضعة للملاحظة ، إلخ) ؛

2 - متغيّر تابع مدروس في علاقته بالمتغيّر أو المتغيّرات المستقلّة (مثال ذلك زمن الارتكاس ؛ مجال التعلّم الارتباطي لقائمة من الأسماء ؛ درجة التفاعل داخل جماعة ، إلخ) ؛

3- متغيّر غير مراقَب ، يتدخّل في الظاهرة المدروسة دون أن يكون بالوسع عزله تجريبياً (مثال ذلك : في كل اختبار قابلية ، يتدخّل العامل النوعي بعد العامل العام G لسبيرمان) .

ومن وجهة نظر العلاقات المتبادلة بين المتغيّرات التي تتدخل معاً في كَنَف ظاهرة محدّدة ، نميّز ، وفق درجة ارتباطها ، ما يلي من المتغيّرات :

1- المتغيّرات المرتبطة وظيفياً ، بحيث أن كل قيمة لمتغيّر منها تكون مقترنة بقيمة معيّنة للمتغيّر الآخر ؛ فثمة ، في هذه الحال ، تقيّدية (ليست مطلقة أبداً في علم النفس) تتيح إعلان قانون (مثال ذلك قانون استظهار مجموعة مفردات ، تبعاً لعدد التكرارات المسبقة) ؛

2- المتغيّرات التابعة من الناحية الإحصائية (أو مترابطة)، يوجد بينها ارتباط إحصائي ، يُسمّى في بعض الأحيان «ارتباطاً احتمالياً» أو «تبعية تخمينية (مثال ذلك التبعية المتبادلة للقابليات العقلية في مادة الأدب وفي المواد العلمية ، منطقة الصعوبة الوسطى على الأقل) ؛

3- المتغيّرات المستقلّة من الناحية الإحصائية (أو المتعامدة) التي لاتُبدي أية صلة بينها (مثال ذلك حاصل الذكاء والقامة) .

ومن وجهة النظر الخاصة بـ**مبحث الأسباب**، أي البحث في الأسباب، نقابل على الغالب بين متغيّرات ظاهرة ومتغيّرات كامنة. الأولى هي المعطيات المباشرة للملاحظة، التي تمثل، على وجه العموم، بشكل مجموع معقّد من المتغيّرات يحدّد وضعاً تجريبياً (مثال ذلك: مجموعة روائز)؛ ويشكّل هذا المجموع «مجال المتغيّرات **الظاهرة** أو **البيّنة**». ويتيح التحليل الإحصائي، بحسابات مناسبة، أن تُحدّد، انطلاقاً من متغيّرات ظاهرة، عوامل خفيّة أو متغيّرات كامنة تشرح، عند الاقتضاء، تعقيد المتغيّرات الظاهرة شرحاً بسيطاً نسبياً؛ ومجموع العوامل يكوّن «مجال المتغيّرات **الكامنة**». وهذا التمييز يلتقي التعارض الكلاسيكي، في إطار نظرية شارحة، بين المتغيّرات المشروحة والمتغيّرات الشارحة. (انظر في هذا المعجم: **التعبير بالأبعاد، التشتّت، التوزيع، التحليل العاملي، القياس، الرسم البياني للقطبية، النزعة المركزية**).

J.M.M.

المتكلّم

F: Locuteur

En: Speacher

D: Sprecher

شخص يتكلّم.

أدخل جـ. داموريت وإ. بيشون، في مؤلفهما الواسع من **الكلمات إلى الفكر، محاولة في نحو اللغة الفرنسية** (1927- 1953)، عدداً كبيراً من الألفاظ الجديدة، تمثل بينها كلمة متكلّم. وأصبحت هذه الكلمة شائعة، ولا سيّما منذ عهد ليونار لومفيلد (1887- 1949). والمتكلّم يقابله السامع، الذي يمكنه، بدوره، أن يصبح متكلّماً، في دارة التواصل.

ب متكلّم ⟷ جـ السامع

وكان تلاميذ فرديناند دو سوسّور (1857- 1913)، الذي وضع هذا المخطّط البسيط جداً، قد كرّروه في **محاضرات في الألسنية العامّة** (1916).

ويلحّ بلومفيلد، في نظريته السلوكية أو نظرية السلوك، إلحاحاً أقوى على المنبّه الفيزيولوجي الذي يولّد فعل كلام لدى الفرد الأول. وهذه الإصدارات الصوتية يمكنها، بدورها، أو لايمكنها، أن تسبّب استجابة في الطرف الآخر من الدارة، لدى السامع. وأدخل رومان جاكوبسون (1896- 1982)، من جهته، عنصرين: **الرسالة**، عنصر التجربة الذي ينبغي أن يُنقل، **ومجموعة الرموز** (شيفرة)، التي تقدّم عناصر الرسالة، أي اللسان الطبيعي المشترك بين الفردين اللذين يتواصلان فيما بينهما. وأدخل بعضهم أيضاً، مع نموّ نظرية الإعلام،

مصطلحي المرسل والمستقبل، مع الإجراءات الخاصّة بالترميز وفكّ رموز الرسالة. وما ينبغي له أن يسترعي انتباهنا من كلّ ذلك إنما هو المفهوم الأساسي، مفهوم اختيار المتكلّم. و«يختار المتكلّم، في كل نقطة عن السلسلة المحكيّة، ذلك العنصر الذي سيُستخدم لتكوين قول. فإذا كان هذا الاختيار غير مناسب، فإن الرسالة لن تكون مفهومة، ولن يحدث التواصل». (انظر في هذا المعجم: التركيب النحوي).

N.M.

المتلازمة العُداسية **F: Phacomatose, Phakomatose**

En: Phacomatosis

D: Phakomatose

داء جبلّي، وراثي على الغالب، يتميّز بشذوذات تطرأ في نموّ الأعضاء الناشئة من الوريقة الخارجية، أي الجلد، والجملة العصبية والعين (لاسيّما الشبكية)، وفي نموّ الأوعية الدموية التي ترويها. ولهذا السبب يُستخدم أيضاً مصطلح «neuro-ectodormose» (جـ. روجر).

مصطلح «Phacomatose» مشتقّ من كلمة Phacome التي تدلّ على بقع ظاهرة على الشبكية بصورة خاصّة. وكان فان درْهوف (1933) قد اقترح هذا المصطلح بوصفه مصطلحاً نوعياً ليجمع عدداً من الأمراض التي تشترك في وجود أورام وعائية (أورام يكوّنها تجمّع الأوعية الدموية أو اللمفاوية)، وتشوّهات ورمية متموضعة وشذوذات جبلّية أخرى. ولم يكن الأمر في البدء سوى التصلّب ذي الحدبات، داء الأورام الليفية العصبية، داء الأورام الوعائية الشبكية المخيخية، داء الأورام الوعائية الدماغية الثلاثية التوائم، التي هي الأكثر تواتراً ويمكنها أن تسبّب اضطرابات عقلية، لاسيّما ضروب القصور العقلي. ثم وجدت أمراض تقارب الثلاثين مرضاً مكاناً في هذا الإطار من تصنيف الأمراض.

1- **التصلّب ذو الحدبات** وصفه، عام 1880، ديزيره ماغلوار بورنيفيل (1840- 1904). إنه مرض نادر -حالة من مئة ألف طفل- يعيب البنات والبنين دون تمييز. ويمكنه أن يكون أسرياً أو يظهر بغتة في السلالة. ويتميّز بترابط آفات

جلدية عديدة (بقع ملونّة: لون القهوة بالحليب على كل الجسم، جلد حبيبي في المنطقة القطنية، عقيدات ضاربة للحمرة، على «شكل أجنحة فراشة»، حول الأنف،ناميات صغيرات حول أثلام الأظافر)، أورام مسطّحة ضاربة إلى الصفرة في الشبكية، أزمات صرَعية (في 80 بالمئة من الحالات)، تكلّس داخل الجمجمة، اضطرابات نفسية، لاسيما اختلالات الطبع وتخلّف عقلي ذي أهمية مختلفة، ولكنه عميق وتطوري على الأغلب؛

2- **داء الأورام الليفية العصبية**، الذي وصفه، عام 1882، فريدريك دانيل فون ريكلانْغوسن (1833- 1910)، يصيب طفلاً من ثلاثة آلاف. إنه مرض وراثي في نحو 50 بالمئة من الحالات وينتقل على نمط غالب. ويتميّز بمظاهر جلدية (بقع بلون القهوة بالحليب، أورام ذات حجم مختلف مذنّبة أو مسطّحة)، اضطرابات عصبية (شلل الأعصاب السطحية، أورام دماغية)، آفات شبكية (بقع) نادرة جداً، اختلالات نفسية (اضطرابات في الطبع، وتخلّف عقلي في 10 إلى 30 بالمئة من الحالات)؛

3- **داء الأورام الوعائية الشبكية المخيخية**. كان طبيب العيون الألماني أوجين فون هيبل (1867- 1939) وعالم البوثولوجيا السويدي أفريد ويلهلم لاندو (1892-1958) قد وصفا هذا الداء. إنه يصيب طفلاً من ثلاثة عشر ألف طفل تقريباً، ولكنه يبين على وجه الخصوص في سن الرشد. وتتمركز هذه الأورام بصورة خاصة على مستوى الشبكية والمخيخ، إذ تسبّب اضطرابات متميّزة في التنسيق والسير. ويجعل في بعض الأحيان نكوص عقلي شديد قليلاً أو كثيراً اللوحة متفاقمة؛

4- **داء الأورام الوعائية المخية -الثلاثية التوائم**. وصف الطبيبان الانغليزيان وليَم آلن ستورج (1850- 1919) وفريديريك باركس ويبر (1863- 1962) وعالم الأعصاب الدانيماركي كونْد هـ. كراب (1885- 1961) هذا الداء الذي يصيب طفلاً من عشرة آلاف. إنه داء وراثي بصورة استثنائية. ويجمع هذا الداء ورماً وعائياً في

الوجه، محدوداً على الأغلب في نصف من الوجه على منطقة الفرع العلوي من عصب مثلّث التوائم، وورماً وعائياً في السحايا من الجهة نفسها، وأزمات صَرَع، وفالجاً في بعض الأحيان، ويجمع دائماً على وجه التقريب قصوراً عقلياً شديداً قليلاً أو كثيراً واضطرابات في الطبع. ولا تقبل المتلازمة العُداسية أي علاج سوى علاج الأعراض. (انظر في هذا المعجم: **التخلّف العقلي، الصَرَع**).

J.MA.

المثاقفة

F: Acculturation

En: Acculturation

.D: Akkulturation

مجموعة من الظاهرات التي يسبّبها تنافذ الثقافات.

المثاقفة هي السيرورة التي يحدث بواسطتها تناضح السمات الثقافية الخاصة بجماعتين اثنتين مدفوعتين إلى أن تعيشا معاً على نحو مستمرّ ودائم. وهذه الظاهرة، ظاهرة الانتشار الثقافي، تتمّ بفضل التفاعلات الدائمة التي تحدث في كل قطاعات الحياة الاجتماعية: الألسنية، الاقتصادية، التقنية، الأخلاقية... إنها، في بادئ الأمر، اقتباسات مادية (أدوات، سلاح، ثياب)، ثم اجتماعية، (شكل الملكية)، وأخيراً روحية، يسوّغها الفضول، والاستياء أو الرغبة في الحظوة. ويجري الانتقال من السمات الثقافية لجماعة إلى جماعة أخرى على نحو انتقائي. فبعضها يكون موضع محاكاة وتعلّم وتمثّل، وأخرى تُنبذ. فالمثاقفة، التي تسبّب معاً خسارة (ميل إلى التحرّر من الثقافة التقليدية)، واكتساباً (تجاوز الثقافة التقليدية) وإعادة تنظيم العناصر الاجتماعية الموجودة مسبقاً، تفضي إلى توليف حيّ وأصيل يقابل إبداعاً ثقافياً حقيقياً. إن الأغاني الدينية للأفريقيين السود في أمريكا وموسيقى الجاز، على سبيل المثال، اللتين تأتياننا من الولايات المتحدة الأمريكية، هما نتيجتان ثقافيتان من التقارب الدائم بين عبيد أفريقية السود القدماء وبين البيض في الجنوب.

ولكن مثل هذا الإبداع لا يحدث دون نزاعات أخلاقية وألم. فمحاكاة الجماعة الاجتماعية الأقوى موجود على الغالب مع تعلّق الفرد بقيم جماعته التي ينتمي إليها، والرغبة في التغيير ترافقها الرغبة في الاحتفاظ بالأعراف والتقاليد. وعبّر مولود فرعون الكاتب الجزائري (تيزي هيبل، القبيلة الكبرى، 1913- البيّار، 1962)، في مؤلفاته، عن تمزّق مواطنيه الذين يواجهون حضارتين. فتغريب الشعوب السائرة في درب النمو أحدث على الغالب مفعولات مؤذية، كتفكّك تنظيم البنية الأسرية، والتخلّي عن الإرضاع من الثدي. ووضع التقاليد أو الطقوس العريقة في القدم، كلبس الحجاب أو الختان، موضع التساؤل، يهيّج الأهواء ويسعّر نزاعات الأجيال. وفي هذا المناخ من عدم الاستقرار الاجتماعي، والتوتّر، والحصر والإثمية، تظهر الاضطرابات النفسية بسهولة. ولاحظ س. عمّار ثم هـ. ليدجري (1970) في تونس أن عدد المصابين بانفصام الشخصية يزداد بمقدار ما تكتسب الحضارة الغربية فضاءات ثقافية جديدة. فصدام ثقافتين يمكنه أن يسبّب زوال إحداهما (ثقافة الأزتيك(*)) بل زوال شعوب برمّتها. ومثال ذلك أن جماعات السكان الأصليين لميلانيزيا وبولينيزيا، في أوقيانوسية، اختفت في زمن قصير جداً بعد وصول البيض. فاستسلم السكان الأصليون إلى الذبول والانطفاء إذ فقدوا الميل إلى الحياة مع ثقافتهم. ذلك أن لكل منظومة اقتصادها الخاص بها وتوازناً لا يمكننا أن نحطّمه دون خطر. إن التغيّر المدخل، أياً كان، يتردّد صداه في المجموع؛ ويُرغم التبديل الأوهى على أن تُحدث تعديلات إجمالية مفعولاتها غير متوقّعة. ولهذا السبب بدا الدانيماركيون ذوي بصيرة على وجه الخصوص عندما اكتشفوا، على شاطئ غرونلاند، سكاناً من الأسكيمو، الأماساليميوث (1884)، الّذين كانوا لا يزالون، وفق تسلسلنا الزمني، في عصر ما قبل التاريخ. وحرص الدانيماركيون على ألا يثيروا قطيعة عنيفة في نظامهم، المتوازن منذ آلاف السنين، ولم يوصلوا لهم منتجاتهم إلا بجرعة صغيرة جداً، إذ أنجزوا على هذا النحو مثاقفة مراقبة، إن لم تكن موجّهة بصورة عقلانية، تتميّز من المثاقفة الحرة أو العفوية.

(*) الأزتيك شعب المكسيك القديم «م».

وكان الإتنولوجيون وحدهم يستخدمون، في البدء، مصطلح المثاقفة ولكنه يُستخدم حالياً للدلالة على كل تكيّف ثقافي ينشأ من تغيّر في الوسط الجغرافي والمهني أو الاجتماعي. بل إنه يحدّد في بعض الأحيان ظاهرة التعلّم بالمحاكاة كغسل البطاطا في ماء البحر، غسل تمكّن بعضهم أن يلاحظه لدى بعض الثدييات الرئيسة. ومن المناسب مع ذلك أن نتكلّم في هذه الحالة على «ثقافة تحتية» أو «ثقافة تمهيدية» بدلاً من مثاقفة (انظر في هذا المعجم: **الأنوميا**، **الأنتروبولوجيا**، **الطب النفسي الإتني**).

N.S.

مثال الأنا

F: Idéal du moi

En: Ego ideal

D: Ich-ideal

نمط شخصي يبتكره الفرد لنفسه ويسعى إلى أن يمتثل له.

تُستخدم، منذ الطفولة الأولى، سيرورة بطيئة من التنشئة الاجتماعية تسهم إسهاماً قوياً في تشييد الشخصية. ويبني الطفل أناه بفعل حركة التماهيات (التوحّدات) بأشخاص محيطه الذين يُعجب بهم ويحبّهم: فالطفل الصغير يريد أن يقلّد أباه، والبنت أمها أو أختها الكبرى. وتقدّم الأنماط الأكثر تنوّعاً عناصر لإعداد مثال الأنا الذي سيجري توليفاً لكل التطلّعات الشعورية لدى الفرد وسيجنّد طاقاته. وعندما يبلغ الشخص ذلك الهدف الذي يناضل من أجله، أو عندما يبدو له أنه قريب من بلوغه، يولد لديه انطباع بالرضى وعاطفة الكبْر. (انظر في هذا المعجم: التماهي (التوحّد)، الأنا، الشخصية، الأنا العليا).

N.S.

المثبّط للخميرة الوحيدة	F: I.M.A.O.
الأمين المؤكسدة	En: M.A.O.I.
	D: M.A.O.H

في عام 1952 إنما اكتشف زيلر أول مثبّط لوحيدة الأمين المؤكسدة (M.A.O). ومنذ ذلك التأريخ، كانت منتجات عديدة ذات المفعول نفسه قد رُكّبت. والمقصود مواد كيميائية مفعولها يتعارض مع الخميرة الوحيدة الأمين المؤكسدة التي هي نظام أنزيمي موجود في الخلايا لأغلب الأنسجة الحيوانية، ولاسيّما الكبد، والكليتان والجهاز العصبي. ولهذه الخميرة، أو الأنزيم، دور فيزيولوجي هام، وعلى نحو أساسي بفعل وقف التنشيط لكثير من الوحيدات الأمين في العضوية، كالأدرينالين، والنورادْينالين، والدوبامين، والسيروتونين، وهي وسيطات كيميائية.

وتوصّل العلم إلى زيادة مفعول هذه الوحيدات الأمين المذكورة بتثبيط الخميرة الوحيدة الأمين المؤكسدة، بواسطة بعض العقاقير من المغيّرات النفسية، التي تنتمي بصورة خاصة لزمرة الهيدرازين؛ ولأن مثبّطات الخميرة الوحيدة الأمين المؤكسدة تمنع تدمير الكاتيكولامينات، فهي تتيح تخزينها، إذ تزيد النقل على هذا النحو في الوصلات العصبية، الذي يحدث بصورة أكثر «حيوية»؛ ونلاحظ عندئذ زيادة في التيقّظ، والتوتّر الشرياني، والإيقاع القلبي، وظهور أوجاع رأس أيضاً.
ومثبّطات الخميرة الوحيدة الأمين المؤكسدة يمكنها أن تُستخدم في التقنية العلاجية لمكافحة الذبحة الصدرية الخطيرة، ولكن استعمالها يتطلّب عدداً معيّناً من

الاحتياطات، كالامتناع عن تناول الكحول وكل المنبّهات التي تحرّض الجملة العصبية.

ومفعول المثبطات للخميرة الوحيدة الأمين المؤكسدة يمكنه، بعد توقّف تناولها، أن يدوم بعض الزمن (أسبوعاً على الأكثر)، ذلك أن هذه المنتجات الصيدلانية توقف الوحيدة الأمين المؤكسدة على نحو لارجعة فيه؛ وينجم عن ذلك أن من الضروري انتظار تجدّد الخمائر (الأنزيمات) حتى تكون فاعلية طبيعية ممكنة من جديد. (انظر في هذا المعجم: **الكاتيكولامين، الوسيط الكيميائي**).

M.S.

F: Psychodysleptique

مثير الذهان

En: Hallucinogen, Psychomimetic

D: Psychodysleptika

مادة كيميائية نباتية أو تركيبية قادرة على أن تُحدث الاضطراب في الفاعلية العقلية لدى فرد من الأفراد.

مثيرات الذهان يمكنها أن تسبّب مفعولات عابرة تثير المرض، شبيهة بالحالات الذهانية، كالهلوسات أو المظاهر الهاذية. إنها تُضعف التوتر السيكولوجي لدى الفرد وقدراته على التأليف والتكيّف مع الواقع. وهي مثيرات الذهول أو المخدّرات (الهيروين، الأفيون، الكوكائين، الحشيشة، المورفين. . .) التي يمكنها أن تسبّب تبعية نفسية وجسمية، ومثيرات الهلوسة أو مثيرات أحلام اليقظة (ليزرغاميد أو L.S.D.25، البسيلوسيبين، المسكالين. . .) والمواد المسكرة كالكحول، والأثير أو المذيبات العضوية. (انظر في هذا المعجم: المغيّر النفسي).

M.S.

المجاز

F: Trope

En: Trope

D: Trope

صيغة للكلمات توسّع دلالة لفظ أو تغيّرها.

في القصص الرمزي، الذي يُدخل الاستعارة والكناية في هذه الفئة، تفقد الكلمات معناها الذي يقبله متّحد ألسني معيّن، في عصر معيّن، لتتّخذ معنى آخر، تبعاً للسياق. ويفرض المجاز على الفكر طريقاً التفافية، إلا عندما يستقرّ إجماع بصدده. مثال ذلك أن لفظ «عيني» يُستخدم في اللغة الشعبية لبلدان المغرب ليقال «عزيزي»، لأن العين نعمة ثمينة يحرص عليها الفرد على وجه الخصوص. فالمجاز هو إذن كلمة أو تعبير يتسخدمان بمعنى مجازياً: وتكوّن ضروب المجاز، منذ أيام أرسطو وأفلاطون، موضوع البلاغة الغربية، التي أبرز دراستها سيسيرون، سان أوغستان وسيزار شسنو دو مارسه (مارسيلية، 1676-باريس، 1756)، وهو مؤلف كتاب رائع عنوانه **المطوّل في ضروب المجاز** (1730). وبعد مرحلة من فقدان الاهتمام بالبلاغة، رفعت الألسنية وصناعة الشعر المعاصرة قيمة هذه البلاغة وجدّدتها. (انظر في هذا المعجم: **الألسنية، الاستعارة، الكناية**).

P.C.

المجازفة

F: Prise de risque

En: Risk-taking

D: Risikoverhalten

يتلقّى هذا المصطلح، في الأدب السيكولوجي والاقتصادي، تفسيرات مختلفة جداً تتضمّن، كل منها، «مقاييس» لا نعلم إن كان ثمة ارتباطات بينها. مثال ذلك، سنلاحظ إن كان الفرد، غير الواثق من جوابه، يفضّل التخمين على ألا يقول شيئاً؛ أو إن كان يضحّي بالدقّة في سبيل السرعة، في الحالات التي يُحتمل أن يعمل أحدهما على حساب الآخر. وبوسعنا أيضاً أن ندوّن عدد البنود، أي العناصر التي يُدرجها فرد في صنف، عندما لم يذكر المجرّب حدوداً؛ أو ندوّن «حدود الفئة»، عندما تكون المجازفة خاصة بالمقادير القصوى والدنيا التي يعزوها الفرد إلى شيء من الأشياء (مثال ذلك طول الحيتان). وكلّ هذه التقديرات تحدث بواسطة روائز «ورقة -قلم رصاص»، لا تقتضي موادّ خاصة.

ويمكننا أيضاً أن نقيّم المجازفة في أوضاع واقعية تنطوي على خطر، كقيادة سيارة في مكان ضيّق أو تحت تأثير الكحول، أو القفز من فوق حاجز. والأبسط أن نطلب، في هذا النموذج من الوضع، إلى الفرد في كم محاولة يعتقد أنه ينجح. وهناك قياس ممكن هو المستوى الأقصى للمجازفة. إنه تقدير الفرد تواتر نجاحاته، في الدرجة العليا من الصعوبة التي يشعر أنه قادر على أن يضطلع بها. وثمة قياس ثالث هو قياس «المجازفة المفضّلة»، أي درجة الارتياب في النجاح أو الإخفاق، التي يفضّلها الفرد. ويمكننا، أخيراً، أن نحسب عامل الأمن، الذي سيعطيه الفارق

بين المستوى الأقصى للصعوبة التي اضطلع بها الفرد واقعياً والمستوى الأقصى للصعوبة التي يعتبر الفرد أن بمقدوره دائماً أن يواجهها مع حظوظ في النجاح. وبوسعنا أيضاً، على النحو نفسه، أن نحسب عوامل المصادفة واليقين.

وتمييز المجازفة من المصادفة ذو أهمية كبرى. فمفهوم المجازفة ذو علاقة بما يعتقد الفرد أو يقدّر ما سيحدث بالفعل: مثال ذلك، كم مرة، من عشر محاولات، يعتقد أنه يعبر طريقاً ذات حركة مرور كثيفة دون أن يُدهس؟ أما المصادفة، فهي التواتر الواقعي لعدد مرات العبور دون حادث. وتكمن مسألة، ليست محلولة، في أن نعرف إن كانت المجازفة عامل ثابت بالنسبة لفرد معيّن. وبعبارة أخرى، إذا كان يلتزم بالمستوى نفسه من الارتياب مهما كان الوضع أو العمل الذي يباشره، أو إذا كان الارتياب نوعياً، إذ أن الفرد يمكنه أن يكون حذراً جداً في بعض الحالات جريئاً في حالات أخرى، تبعاً لما هو موضع الرهان. ويبدو الفَرَض الثاني أقرب إلى الواقع من الفرض الأول.

J.C.(ترجمة D.J.V. إلى الفرنسية)

المجال الحيوي

F: Domaine vital

En: Home range

D: Lebensfeld

منطقة من المكان يتحرّك فيها فرد أو جماعة تنتمي إلى نوع حيواني معيّن.

مثال ذلك عُصبة من غوريلا الجبال تُجري، يوماً بعد يوم، انتقالات غير منتظمة داخل المجال الحيوي المتميّز من مجال عصبة مجاورة. وينبغي لهذا المفهوم أن يكون متميّزا بعناية من مفهومي الأقليم والمكان البيولوجي فالأول يتضمّنه المجال الحيوي ولكن لدى بعض الحيوانات فقط، والثاني يتضمّن المجال الحيوي.

J.ME.

التجانس الكتابي

F: Homographe

En: Homograph

D: Homograph

جناسات لفظية تتطابق كتابتها.

وحدتان ألسنيتان تسمّيان مجانسين كتابيين عندما تحيل كل منهما إلى شكل كتابي واحد. وهاتان الوحدتان يمكنهما أن يكون لهما، أو لا يكون، شكل صوتي واحد، كما في اللغة الفرنسية: son (صوت البوق) وson (النخالة) مجانسان كتابيان شأنهما شأن Couvent (دير) وCouvent (ils) (أي يحضنون للعاقل وتحضن لغير العاقل) ولكنهما لا تحيلان إلى لفظ واحد. ويمكننا أن نتكلّم أيضاً على مجانسات كتابية عندما تكون وحدة ألسنية ذات علاقة بمعان متمايزة (اشتراك لفظي). وتلك هي الحالة على سبيل المثال في كلمة «عين» العربية التي تعني «النبْع»، أو «عضو البصر» أو «الجاسوس مجازاً»(*).

R.V.

(*) المثال المذكور بديل المثال المذكور في الأصل من اللغة الفرنسية «م».

المجتمع

F: Société

En: Society

D: Gesellschaft

تجمّع ثابت ومنظّم من الأشخاص أو الحيوانات من نوع واحد، تقوم بينهم علاقات متبادلة.

المجتمع، الذي يسبق وجوده وجود الأفراد ويبقى حيّاً بعدهم، يجمّع الطاقات ليحقّق، في أفضل الشروط، ذلك المشروع الضمني لكل فرد، مشروعاً يكمن في أن يعيش فيه بأمان ويجد فيه إشباع حاجاته الأساسية. فهو ينطوي إذن على تنسيق الجهود الفردية، على قواعد وقوانين تنظّم العلاقات بين الأشخاص إذ تعزو إليهم وظائف، وأدواراً، وأوضاعاً. ومفهوم **التبادل** (خدمات، وخيرات، وإعلام، إلخ) إحدى خصائص المجتمع الأساسية. ولا تجري التبادلات داخل المجتمع فحسب، ولكنها تجري أيضاً خارجه، مع بيئته، يؤكد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (1902- 1979)، ذلك أن «كل مجتمع، يكتب بارسونز قائلاً، تابع، ليدوم بوصفه منظومة، للمصادر التي يتلقّاها بفضل التبادلات مع المنظومات التي تحيط به».

وتتجلّى الحياة الاجتماعية، لدى الحشرات المنظّمة في «أصناف»، بتمايز فيزيولوجي، مورفولوجي وسيكولوجي. وتولّد الحياة الاجتماعية، لدى الإنسان، أشكالاً حقوقية، ومؤسّسات، والثقافة برمتها على وجه أعمّ. فالنظام الاجتماعي الإنساني لا يمكنه إذن أن يوصف ويُفهم إلا انطلاقاً من هذه الثقافة، ونحن، حينما

ندرس البنيات المتعدّدة التي تتدرّج في كلّ المستويات (المستوى الاقتصادي، السياسي، الإيديولوجي. . .)، ونحلّل الطقوس والأساطير، والأعراف والفن، لدى قبيلة أو شعب، إنما يمكننا أن نأمل في أن نعرف، جزئياً على الأقلّ، ذلك المجتمع الذي تكوّنه هذه القبيلة أو الشعب. (انظر في هذا المعجم: المتحد، الجماعة، الدور).

N.S.

مجلس الصف

F: Conseil de classe

En: Class Council

D: Klassenkonferenz

هيئة تبادل لوجهات النظر وتقرير، مكلّفة بفحص المسائل البيداغوجية ذات العلاقة بالحياة في الصفّ والوضع المدرسي لكل تلميذ.

مجالس الصفوف، التي أضفي عليها الصفة المؤسسية، في المنشآت المدرسية العامة من مستوى الدرجة الثانية من التعليم، مرسومٌ أصدره رئيس الجمهورية بتأريخ 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1968، تحتلّ مكاناً تتعاظم أهميته في المدارس الفرنسية. ويجمع مجلس الصف، الموضوع برئاسة رئيس المنشأة المدرسية أو ممثله، أساتذة صفّ واحد، وطبيب الصحة المدرسية، والمساعف الاجتماعي، وعالم النفس التربوي أو مستشار التوجيه، الذين قد يُضاف إليهم أبوان من آباء تلاميذ الصف، يُختاران من قائمة تقدّمها رابطة الآباء، ومفوّضان ينتخبهما التلاميذ (لايُمثَّل الآباء أبداً في ما بعد الصفوف النهائية، أي الصفوف النهائية من التعليم الثانوي قبل البكالوريا). وتنعقد اجتماعات مجالس الصفوف تسع مرات سنوياً بالنسبة لصفوف الدرجة الأولى من التعليم الثانوي وأربع مرات لصفوف الدرجة الثانية والتعليم التقني. ويكمن هدفها في الاطّلاع بصورة خاصّة على المستوى البيداغوجي للصف والجوّ العام فيه، وعلى الوسائل المستخدمة لجعل الانضباط يسود، وعلى استخدام الزمن (هل توزيع المواد في الأسبوع منطقي؟ أيوجد بعض الشذوذات التي يمكن لمجلس الصف أن يعالجها؟)، على الشكل الذي يتّخذه العمل

في الصف هل تُستخدم طرائق تعليم خاصة؟)، على العمل في المنزل، على إحلال أساتذة محلّ الغائبين، إلخ. ولكن إحدى المهمّات الكبرى لمجس الصف تكمن في مساعدة التلاميذ، في البحث عن أسباب الضعف لدى بعضهم ووسائل معالجتها. وعدم كفاية الزمن، في معظم الحالات، لايساعد مع الأسف على فحص الصعوبات الخاصة بكل فرد كما ينبغي أن يكون الفحص، أي ألا يقتصر الأمر عل اطّلاع على معلومات تحتويها إضبارته، بل أن يُنظر في علاقاته في كنَف الصف والمدرسة، مع معلميه والقريبين منه، إذ تُبذل محاولة لفهم شخصية التلميذ بوضعها مجدّداً في سياقها النفسي الوجداني والاجتماعي الاقتصادي. ولكن لمجالس الصف، على الرغم من ضروب قصورها، فائدة مؤكّدة، ولو لم يكن إلا لأنها تقنع الأساتذة بالحوار فيما بينهم ومع ممثّلي التلاميذ وآبائهم. ومهما يكن من أمر، فإن مجالس الصف تكوّن مرحلة ذات أهمية على درب الحوار وتبادل وجهات النظر وربما تهيّء الدرب لإحداث هيئة للبحث السيكولوجي البيداغوجي الذي سيتخلص الوسائل لتحقيق مشروع تربوي مشترك.

F.MA.

المحاكاة

F: Imitation

En: Imitation

D: Imitation, Nachahmung

عمل ينزع إلى تكرار تصرّف فردٍ آخر مأخوذ بوصفه نمطاً.

المحاكاة سيرورة تعلّم بوسعنا أن نلاحظها لدى الحيوانات. فالعصافير الصغيرة تتعلّم غناءها من والديها، إذ تقلّدهما؛ وإذا كانت معزولة عنهما، فإنها تنمّي تنغيمات أخرى. ولا تحوز الشمْبانزي الصغيرة معرفة فطرية بالثمار السامّة؛ إنها باتصالها بأمهاتها إنما تكتسب هذه المعرفة بالمحاكاة، ذلك أنها عندما تكون مفصولة عنها قبل الفطام تتعرّض للتسمّم. وفاعلية المحاكاة لدى الحيوانات يمكنها أن تكون ذات إعداد كبير. مثال ذلك أن العالم الياباني في الحيوانات الرئيسة، م. كاوي (1965)، استطاع أن يلاحظ في كَنَف جماعة من قرود المكاك (maca fuscata) أنثى كانت تغسل البطاطا الحلوة في جدول صغير لترفع عنها الرمل. وحاكاها على وجه السرعة الكبيرة تلك القرود الصغيرة جداً، وتعمّم هذا الأسلوب الجديد على القطيع كله خلال تسع سنوات، باستثناء القرود الأكبر عمراً. ومن عهد غابريل تارد (1843- 1904) وجيمس مارك بالدوين (1861- 1934) حتى جان بياجه (1896- 1980)، كتب علماء نفس وعلماء اجتماع، عديدون، عن المحاكاة. ويميّز بعضهم، كبالدوين، عدّة أشكال من المحاكاة: الشعورية والإرادية (دروس الرقص)؛ الشعورية اللاإرادية (التثاؤب الذي يحرّضه الغير)؛ اللاشعورية؛ الذاتية بفعل الذات («الارتكاس الدائري»)،

إلخ. ويعتبر بعضهم الآخر، مثل هـ. جـ. بارنيت (1953)، أن المحاكاة لايمكنها أن تكون إلا شعورية، مع اختيار الطراز والرغبة في الامتثال إليه. وفي رأي ألفريد شوتز (1960)، تستند المحاكاة إلى دافعين: يلجأ إلى المحاكاة بسبب بعض الاستعدادات الجسمية المسبقة والتجارب الماضية، وبغية هدف معيّن. ويأخذ بالحسبان ن. إ. ميلر وجـ. دولار (1941)، من جهتهما، ثلاثة ضروب من الآليات في المحاكاة: النسخة الإرادية التي يراقب فيها الفرد تصرّفه ليجعلها مطابقاً لتصرف النمط؛ سلوك التبعية، حيث يبذل الفرد جهداً ليحاكي النمط بغية الحصول على المكافأة نفسها؛ المحاكاة التي يتعلّم فيها الفرد A أن يستجيب على النحو نفسه لعلامات كالفرد B. فالمحاكاة وسيلة للسيادة على شيء (تقنية، لغة)؛ وهي العامل الأساسي أيضاً في الاندماج الاجتماعي. ونحن نكتشف المحاكاة في التربية، والعرف، والدرْجة، وفي كل مكان على حدّ سواء. ويحاكي الرضيع نفسه ويجد لذّة في هذا التمرين («الارتكاس الدائري») ويحاكي، عندما يكون كبيراً، تصرّفات الغير، وينتهي بفضلها إلى اكتشاف تصرّفاته الخاصّة، وذلك أمر يكوّن نواة الذات. ويكون قادراً في مرحلة الشهر الثاني عشر إلى الثامن عشر تقريباً على أن يقلّد أنماطاً جديدة (أن «يودّع» باليد شخصاً أو يُرسل قبلات، على سبيل المثال)؛ ولم يعد، عندما يبلغ من عمره السنتين، يحتاج إلى حضور نمط ليعيد إنتاج فعل، ذلك أن الذكرى تكفيه. وهذه المرحلة هي الأولى في تكوّن التفكير الرمزي. فنحن نقول إذن مع جـ. بياجه وباربر إنهيلدَر (1963، ص. 70) إن «المحاكاة تبدو أنها تكوّن أداة الانتقال التي تقود من الحسّي -الحركي إلى الرمزي، ومصدر الصورة نفسه، التي تكون على هذا النحو محاكاة مؤجّله ومستدخَلة». فالمحاكاة تحدث على وجه العموم من الطفل إلى الراشد ومن الأدنى إلى الأعلى (تارد). وتحدث أيضاً من جماعة إلى جماعة، في كنَف مجتمع واحد، ومن ثقافة إلى ثقافة. ومثال ذلك أن إدخال الامبراطور موتسو-هيتو، المسمّى أيضاً ميجي تينّو (1852- 1912)، مدرسة أوروبة هو الذي أتاح لليابان أن تصبح قوة كبيرة حديثة. ونقول، على نحو أعمّ،

إن المجتمعات المستعمرة القديمة تتحول بمحاكاة الأنماط الغربية، لأنها تأمل في أن تكون قادرة على أن تنجز على هذا النحو أهدافها الخاصة.

والمحاكاة موجودة في علم الأمراض العقلية على شكل عصاب أو ذهان انفعالي عابر. ففي القبائل السيبيرية، ثمة «هستيريا قطبية شمالية» تتميّز بضرب من القابلية القصوى للإيحاء، تظهر بالحاجة القاهرة إلى تكرار الكلام وإعادة إنتاج الحركات التي يقوم بها الجيران. ومعروف في آسية الجنوبية الشرقية (تايلاند، ماليزية، جاوا، سومطرة، الفيليبين) ما يسمّى Latan، الذي يبين في الإنجاز اللاإرادي لبعض الأفعال التي يحرّضها سلوك الغير؛ مثال ذلك، يترك ربّ البيت، خلال اجتماع على المائدة، صحناً ينزلق على الطاولة؛ فيفلت الخادم كوْمة الصحون التي كان يحملها. ويقول هنري ف. إلنبِرْجر، الذي درس جيّداً هذه الأعصبة، أعصبة المحاكاة، أن المسألة بصورة أساسية مسألة اضطراب يصيب الناس من الطبقات الفقيرة، والنساء اللواتي يستعبدهن الرجل، والأشخاص الضعفاء، المتقدّمين في العمر، الذين يكونون عرضة إلى المعاكسات وألوان الاضطهاد. هذه الأمراض، كتب يقول، «تمثّل مفعولاً أقصى من العدوان الجماعي ضدّ بعض الأفراد». (انظر في هذا المعجم: **الامتثالية، التماهي (التوحّد)، الاجتياف، الدور، التنشئة الاجتماعية، تارْد**).

N.S.

المحتوى الكامن

F: Contenu latent

En: Latent content

D: Latenter inhalt

أفكار شخص، كما تبدو بعد تحليل حلم، نكتة، زلّة لسان أو قلم، أو كل نتاج آخر من نتاجات اللاشعور.

أفكار الحلم الكامنة هي الأفكار المحجوبة خلف صور الحلم. ذلكم مثال بسيط: ترى بنيّة، في الحلم، الله الطيّب يعتمر قلنسوة من الورق محدّبة. فهذه الطفلة كانت قد اعتادت أن تنظر في أطباق أخوتها، لترى إن كانوا قد نالوا حصة من الطعام أفضل منها. وكان والداها قد فرضا عليها أن تعتمر قلنسوة من هذا النوع عقوبة لها. وتماهت في حلمها بـ«الله الطيّب الذي يعلم كل شيء ويرى كل شيء»؛ فأبواها لم يكن إذن بوسعهما أن يمنعاها من أن تعلم.

وقصة الحلم، أو **المحتوى الظاهر**، محصّلة عمل كامل من الإرصان تكون خلاله الأفكار والرغبات اللاشعورية موضع مراقبة وتكثيف وانزياح، وموضع ترميز وتحويل إلى صور. فكلما كانت الرغبات مرفوضة، كانت الأحلام غامضة، وتفسير التحليل النفسي هو وحده الذي يتيح كشف معناها الخفيّ. (انظر في هذا المعجم: الحلم).

N.S.

المحدّد، التحديدي **F: Déterminant, Déterminatif**
En: Determiner
D: Determinator (Det.), Bestimmungswort

ما يوضّح ويكمل معنى فكرة.

المحدِّد، على المستوى العام، هو الوحدة -أو مجموعة الوحدات- التي تحدّد، من ناحية تركيب الجملة، وحدة أخرى (المحدَّد). وهكذا فإن المحدّدات في الجملة: **أخذت أمس المفتاح القديم للقبو الذي كان على الطاولة**، «أمس»، «القديم»، «القبو»، «الذي كان على الطاولة» هي محدّدات «المفتاح» الذي تحدّده كل هذه الوحدات أو مجموعة الوحدات (المسمّاة: **تركيبات نحوية**). وليس للمحدّدات علاقة مباشرة بالعبارة؛ إنها بواسطة المحدَّد إنما تدلي بمساهمتها في معنى الجملة. وثمة، بين الوحدات التي يمكنها أن تحدّد وحدات أخرى، وحدات يمكنها أن تكون لها وظائف متعددة وبعضها متخصّص في هذا الدور، دور التحديد: فوضعها الألسني وضع **توابع** لوحدات أخرى؛ وهذا هو السبب الذي من أجله يستخدم كثير من الألسنيين مصطلح محدِّد للدلالة حصراً على وحدات من هذا النوع. وهكذا نتكلّم على **محدّدات معجمية** بالنسبة للصفات، وعلى **محددات نحوية**، أو أنماط بالنسبة لوحدات الجرْد المغلق الذي يحدّد الفعل والاسم في الأغلب: «الحاضر»، «المستقبل»، «الشرط»، «اسم الموصول»، «المفرد»، «الملك»، إلخ. والمحدّد (المرموز إليه بـ م، (d أو Dét))، في النحو التوليدي، يُعتبر مكوناً إلزامياً من التركيب النحوي الاسمي (Syntagme): المحدّدات تُكتب مجدّداً، وفق قواعد التوافيق الموضّحة، بواسطة الوحدات نفسها التي سميناها الأنماط الاسمية فيما سبق.

C.MA.

محرّر الكولين **F: Cholénergique ou cholinergique**

En: Cholinergic

D: Cholinergisch

مصطلح اقترحه عام 1933 عالم الفيزيولوجيا الانغليزي سير هنري هالّه دال (لندن، 1875- 1968) ليصف الألياف العصبية التي تطلق الأسيتيل كولين على مستوى عقدها الوصلية في ظلّ مفعول ضربٍ من الإثارة.

الأعصاب المحركة للعضلات المخطّطة، والألياف قبل العقد العصبية من الجملة الودّية، التي تخرج من النخاع الشوكي وتذهب إلى العقد العصبية، والألياف نظير الودّية، هي من طبيعة تحرّر الكولين. وسُمّي فيما بعد «محرّر الكولين»، على الرغم من دالْ الذي كان يرى أن هذا الاستعمال تعسّفي، كل وصلة عصبية، وكل درب عصبي، يؤمِّن فيه نقل السيّالة بالأسيتيلكولين. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **الأسيتيلكولين، الوسيط الكيميائي، الوصلة العصبية**).

M.S.

المخدّر

F: Drogue

En: Drug

D: Droge

نتاج طبيعي (من أصل نباتي، حيواني، معدني) أو تركيبي قادر على أن يغيّر سلوك من يستهلكه ويولّد تبعيّة (إدماناً).

المخدّرات يمكنها أن تُصنّف، في رأي ل. لوفن*(1928)، في خمس زمر:

1- **مثيرات الذهول أو «المخدرات القاسية» (Euphorica)** التي تضمّ الكوكا أو قلويّها الكوكائين؛ منتجات صيدلانية تركيبية مشتقّة من الكوكا، كالبيتيدين («الدولوسال») والدكْسترومورراميد («بالفيوم») التي تتصف بأنها مسكّنات ألم رئيسة تقليد المورفينات؛ الأفيونيات («الأفيون، المورفين، الهيروئين، الكوديئين). وهذه المواد، المسكّنة للألم والمثيرة للذهول، خطرة لأنها تسبّب على وجه السرعة الكبيرة حالة من التبعية النفسية (رغبة لاتُقهر في ابتلاع المخدّر دورياً أو باستمرار لاستخلاص لذة منه أو تبديد إحساس بالضيق) والجسمية (إلغاء المنتج يسبّب اضطرابات جسمية شديدة)؛

2- **المسكرات (inebrianta)**: الأثير، الكلوروفورم، البنزين، العطر، الأسيتون، وأسيتات الأنيل (خلاّت موجودة في الصموغ على أنماط مصغّرة). فالصغار على وجه الخصوص يتنفّسون أبخر هذه المنتجات، مع احتمال حدوث آفات في الكبد، والكليتين، والدماغ. ويمثل الكحول أيضاً في زمرة المسكرات، بيعه، على شكل خمر، وبيرة ومشروبات روحية، غير منظّم؛

3- مثيرات الهلوسة (Phantastica) التي تضمّ البيتول (الصبّار المكسيكي) وقلويّة المسْكالين، والكات (مشروب أصله من ألْيوبية)، والأمينات قاتل الذباب، المستهلك على وجه الخصوص في الشمال الشرقي من سيبيرية، والبيلوسيب (فطر مكسيكي) وقلويّة البسيلوسيبين، والقنّب الهندي أو القنّب. وهذا القنّب يمكنه أن يُستهلك على شكل كيف (حشيشة الكيف)، وهي إعداد الأوراق والسَنَمات المزهرة مختلطة بالتبغ أو الحشيش (راتنج مستخلص من أزهار أنثوية، يدخّنها المستهلكون أو يبتلعونها مخلوطة بالمربيات أو الحلويات). إن 70 إلى 85 بالمئة من المدمنين الفرنسيين على المخدّرات السامة هم مستهلكو القنّب الهندي. وليس هذا العشب خطراً ذلك أنه لايسبّب تبعية جسمية. ولكنه يسبّب تبعية نفسية ويشقّ الدرب لمخدّرات «قاسية» مثل L.S.D.25 أو الهيروين؛

4- المنبّهات أو المنشّطات النفسية (Excitantia). نجد، في هذه الزمرة، منتجات كالقهوة، والشاي، والتبغ، ولكننا نجد أيضاً الأمفيتامينات («ماكْسيتون»، «أورْتيدرين»، «كوريدران») الماثلة في اللوحة B (مثيرات الذهول) ولا تعطى إلا بوصفة طبيّة محرّرة على دفتر ذي أرومة. وهذه المخدّرات التركيبية، المستخدمة بجرعات قوية، تُحدث حالة من فرط الإثارة النفسية (فقدان النوم والشهيّة، هلْوسات سمعية، إلخ) والعدوانية التي يمكنها أن تمضي إلى القتل أو الانتحار؛

5- محرّضات النوم (hypnotica): هيدرات الكلورال، أملاح البروم للكاو-كاو في جزر فيجي وغينية الجديدة، مهدّئات («إكوانيل»، «دوغماتيل»، «فاليوم»...)، والمنوّمات البارْبيتورية («الغارْدينال»، «إمّينوكتال»...) الموجودة على الأغلب في صيدلية الأسرة، حيث تمثّل خطراً واقعياً. فالأطفال يمكنهم، في الواقع، أن يبتلعوا بعض الحبوب منها عَرَضاً، ولكنهم يعتادون على رؤية آبائهم يستهلكون منها وينتهون إلى الاعتقاد بوجود دواء يمكنه أن يلغي أوهى ألم أو صعوبة في الحياة اليومية.

والوصفات الطبيّة السيئة الاستعمال هي أيضاً أصل إدمانات على المخدّرات السامّة. ويعود الانجذاب إلى المخدّرات إلى آلاف السنين. وتمثيل الجذر الذي

يغوص في الأرض عمودياً على الألواح الصلصالية، في أسية الوسطى، يعاصر ظهور الكتابة المسمارية (جـ. -ل. برو، 1968). وبحث الناس في كل زمـان عن قدرة المخدّر السحرية لإيجاد الهناء مجدّداً ونسيان الجوع والعذاب. وانتشر استخدام المخدّر في أوروبة نحو نهاية القرن الثامن عشر. وبحث الموسيقيون والشعراء فيه عن محرّض لإبداعيتهم. وتكاثرت مَحْشَشات الأفيون، السريّة غالباً. ولم يعد الانجذاب إلى المخدر، في الولايات المتحدة كما في أوروبة، واقع بعض الأوساط الاجتماعية، ولكنه يصيب الراقات الاجتماعية كلها ويمسّ المراهقين على وجه الخصوص، وذلك أمر قاد السلطات إلى اتّخاذ إجراءات حماية وتنظيم قمع التهريب للمنتجات السمّية. (انظر في هذا المعجم: **تخيّلات النعاس، المغيّر النفسي، الإدمان على المخدّرات السامة**).

N.S.

المدلـول

F: Signifié

En: Signified

D: Inhalt

محتوى دلالي لعلامة ألسنية.

المدلول، في نظرية سوسّور للعلامة، هو الوجه من العلامة الألسنية الذي يقابل ما نسمّيه «المعنى» على نحو شائع، والوجه الآخر، «الشكل»، هو **الدالّ**. وهكذا فإن في العلامة الألسنية يد، يكون المدلول أو، إذا شئنا، المفهوم «يد»، مرتبطاً بتعاقب صوتي، أو دالّ. فالمدلول ضرب من التجريد: إن المعنى، في السياقات التي يُستخدم فيها الدالّ «يد»، لن يكون هو ذاته أبداً. ويجمع المدلول كل ما هو مشترك بين هذه الاستعمالات المختلفة. وكما أن الدال ناجم عن تقطيع في المادّة الصوتية، كذلك المدلول يمثّل تقطيعاً في المادة الدلالية. ويدرس **علم الدلالة** توزيع المدلولات، وتبنينها، وتطوّرها. ويرتبط المدلول بالدال بصلة اعتباطية، متغيّرة وفق الألسن؛ ولكن إقامة صلات بين هذا المدلول وهذا **المحال إليه**– ونقصد بالمحال إليه **الشيء**، المشخّص عندما يوجد، الذي يحيل إليه المدلول: نهاية الذراع، التي هي اليد –يميّز الألسن أيضاً بعضها من بعض. والمدلول يمكنه أن يتطوّر خلال العصور، وذلك يسبّب أوضاعاً من **الاشتراك اللفظي** (تعدّد المعاني للفظ واحد)، من التخثّرات اللغوية أيضاً، حيث المدلول يمكنه أن يتغيّر ويمرّ في كل الضروب من الدرجات حتى زواله الكامل: مدلول «منقار bec»، على سبيل المثال، يمكنه أيضاً أن يكون معروفاً في العبارة التالية: «أنفه معقوف كمنقار النسر»، ولكن من يمكنه أن يزعم أنه لم يختف في قولنا: مضرم الغاز «bec de gaz»؟ (انظر في هذا المعجم: **الاشتراك اللفظي، تقطيع الواقع، الدالّ**).

C.MA.

المحمـول

F: Prédicat

En: Predicate, Comment

D: Prädikat

مصطلح ألسني مقتبس من منطق أرسطو، يدلّ في تركيب الجمل على العنصر الأساسي من الجملة. مثال ذلك الجملة: «لا أنسى أنا ابتسامتك أبداً»، أنا هي الفاعل، «لاأنسى ابتسامتك أبداً» محمول الجملة، حيث تكون «ابتسامتك» هي «الموضوع» (المفعول به في اللغة العربية).

كان الصفة المميّزة، في النحو الكلاسيكي المرتبط بالتوازي المنطقي، أو الفعل في الجملة، اللذان يأتيان بعد الفاعل، يُسمّيان المحمول: كان التنظيم التركيبي للجملة يعتبر في الواقع أنه يتطابق مع تنظيم القضية المنطقية، المؤلفة من فاعل (ما تتكلّم عليه) ومحمول (مايُقال، ما يُسند إلى الفاعل) على طراز:

سقراط	(هو)	فان:	
موضوع(مسند إليه)	رابطة	محمول	(مُسْنَد)

وكان ممكناً لكل جملة أن ترتدّ إلى هذا النموذج المنطقي. فالجملة الفرنسية: l'homme court، ينبغي تحليلها كما الجملة التالية l'homme est courant (الجملة الأولى: «الإنسان يركض»؛ والثانية: «الإنسان هو راكض»). وهذه القسمة الثنائية بين الموضوع والمحمول كانت قد استُؤنفت بأنحاء مختلفة وتحت بطاقات متغيّرة: وينصبّ الكلام على محمول سيكولوجي، على خَبَر، أو على حديث القول؛ ولفت بعضهم النظر إلى أن المحمول الحقيقي (أو الحديث، أو الخبر، أو المسند)،

بمعنى الإعلام الرئيس الذي تحمله الجملة إلى موضوع القول، لم يكن يتطابق بالضرورة مع الفعل أو المسند النحوي. وهكذا فإن المحمول في جملة «mon oncle a six filles» (لعمّي ست بنات) يمكنه أن يكون mon، oncle، six، filles، أو six filles، وفق كون الجملة تجيب عن السؤال: «عمُّ مَن؟» أو «أي قريب من أقاربك؟» (له ست بنات)؟ أو «أله بنات أم بنون؟» «أله أطفال؟»، إلخ. ومهما تكن هذه الملاحظات على مستوى المكوّنات المنطقية أو السيكولوجية للرسائل، فإن أياً منها ليس تحليلاً لتركيب الجملة، أي أنها لاتقدّم معايير تتيح الإحاطة بتنظيم الجملة من وجهة النظر لأساليب تركيب الوحدات الموجودة في قاعدة الجملة. واستطاعت الألسنية، من وجهة النظر هذه، أن تقدّم معايير دقيقة: ثمة، في تنظيم المونيمات (أو المورفيمات) في الجمل، ضرب من التراتب: الألفاظ تدلّ، بأساليب ألسنية (موقع خاص، مؤشرات الوظائف المتخصّصة)، على علاقتها بوحدة أخرى؛ فاللفظ الذي لايدلّ، في نهاية هذه الترابطات، على علاقته بأي لفظ آخر، بل الذي ترتبط به كل الألفاظ الأخرى، مباشرة أو بواسطة عناصر أخرى، هو **المحمول**. وبوسعنا أن نوضّح محمول جملة بالمقابل الصوري لهذا التراتب من التبعيات: كل لفظ في الجملة يمكنه أن يُحذف دون أن ننتهي إلى ألايكون لدينا جملة من النموذج نفسه، باستثناء المحمول، وباستثناء عنصر آخر، عند الاقتضاء، يجعله حالياً، وذلك دور يضطلع به **فاعل**. ففي الجملة العربية المقابلة تماماً للجملة الفرنسية: «كل أطفال المدرسة مرّوا في الشارع أمس»، كل الألفاظ يمكنها أن تحذف ما عدا: «الأطفال مرّوا». وينبغي مع ذلك أن نحذر من الاعتقاد أن وجود فاعل نحوي ضرورة كلية: فكثير من الألسن تجهله (**العامل** محدّد من المحدّدات عندما يكون حاضراً في الجملة)، والألسن ذات الفاعل تنطوي هي ذاتها على جمل كثيرة لا يُستخدم فيها الفاعل. مثال ذلك في الجملة الفرنسية: «il neige» أو الجملة التالية: «Les enfants, au lit, avant que je ne me fâche!» (إلى السرير، أيها الأطفال قبل أن أغضب!). ففي الجملة الفرنسية الأخيرة، المحمول النحوي هو «au lit» (إلى السرير)، وكل ما يتبقّى من الجملة تابع له ويمكنه أنّ يُحذف، دون

بنية الباقي من الجملة. ونلاحظ أيضاً أن المحمول النحوي لا يكون بالضرورة فعلاً. فصنف الأفعال يتحدّد بالتأكيد أنه الصنف المتخصّص في وظيفة المحمول؛ ولكن بمتناول الألسن أساليب كثيرة تتيح صناعة محمول، مركز نحوي، بدءاً من وحدات من أي صنف. وذلك يسمح أن ننهل من سجّل من المدلولات المتنوّعة أكثر من السجل الذي يمكن أن يقدّمه صنف الأفعال وحده، لنملأ «خانة» المحمول الضرورية، ونتجنّب إطالة قول أو جعله ثقيلاً دون فائدة (وتلك ستكون الحالة مع الضرورة النحوية لوجود فعل يكون نافلاً مع ذلك من وجهة النظر الدلالية). وهكذا تتيح محقّقات متخصّصة مثل «y a»، «C'est»، «voilà»، إلخ، اختيار محمول «ظرفي» وتعفي من الفاعل: فنقول بالفرنسية «y a des sardines» (Pour midi) بدلاً من: «...Nous avons des sardines»؛ «C'était oui»، «C'est pour demain»، وتلك جمل يكون فيها المحمول تركيباً نحوياً اسمياً تارة، وتارة «كلمة -جملة»، وطوراً «تركيباً نحوياً من أحرف جرّ». وهذه المحقّقات، وكذلك الروابط من نوع «est» (فعل الكون) التي ليس لها قيمة من الناحية الدلالية (لبنيات مع فاعل)، تتيح أيضاً أن تسهم، بالنسبة للجملة، في أنماط (الزمن والصيغة) ينقلها الفعل عادةً.

وتنطوي ألسنة عديدة جداً (العربي على وجه الخصوص) من جهة أخرى على جمل اسمية دون رابطة (وتدلّ على علاقات بالزمن، عندما يكون ذلك ضرورياً، بوسائل أخرى). ويمكننا الاعتقاد أن الالتباسات المستمرّة جداً بين محمول بالمعنى المنطقي ومحمول بالمعنى النحوي كان واقع قد يسّرها، واقع مفاده أن المحمول النحوي يتطابق على الغالب (ذلك أمر يسهل فهمه من وجهة نظر الاقتصاد في التواصل، بالنظر إلى سمته المركزية والإلزامية) مع المحمول المنطقي أو السيكولوجي.

ولا يطرح النحو التحويلي -التوليدي على نفسه أبداً مشكل المحمول، الذي يجعله متماهياً بالفعل على وجه العموم، الذي يُعرف بصنفه وأنماطه، أو بالزمرة

التي تُدخلها الرابطة «être» ؛ وذلك يرتبط بسمة الأمثلة التي يعالجها، المحدودة في الأساس بالجمل الأصولية للألسنة الهندية -الأوروبية، الانغليزي والفرنسي على وجه الخصوص، الجمل التي تتألف من تركيب نحوي اسمي فاعل (SN)، يليه تركيب نحو محمول فعلي (SV): P → SN+ SV (الجملة). (انظر في هذا المعجم: المونيم، التركيب النحوي).

C.MA.

المخطّط الجسمي

F: Schéma corporel

En: Body scheme

D: Korperschema

فكرة موجودة لدينا لجسمنا يمكننا بفضلها أن نتصوّر أنفسنا، كل لحظة وفي كل الظروف، في مختلف اتجاهاتنا، في الراحة والعمل.

إنه نموذج دائم، تحت شعوري، لمسي، بصري، ذي علاقة بوِضْعة الجسم، على نحو أساسي، نستخدمه مرجعاً دائماً في علاقتنا بالمكان، والزمان، والعالم الذي يحيط بنا. وهو نظام مراقبة وتقييم، يُسند إليه كل إحساس جديد ويقدّم لنا المعلومات التي لا غنى عنها لفاعليتنا. إنه، إذ يأخذ بالحسبان كل رسائل حواسّنا، تلك التي تأتي من الخارج (إحساسات لمسية، بصرية، سمعية، شمّية، ذوقية) والتي تصدر عن الأحشاء (القلب، الأوعية، الأمعاء...) على حدّ سواء، يدمجها في جملة دينامية، يُعاد إحكامها بصورة مستمرّة. فمعرفتنا بجسمنا (الإدراك الجسمي) تتكوّن بالتدريج، منذ الولادة، انطلاقاً من تجارب حسّية تنصهر فيها الحاجات والإحساسات، الرغبات والامتثالات، اللذة والألم، الذكريات والانطباعات الراهنة، الماضي والحاضر، الزمان والمكان. وبفضل هذه المعرفة، نميّز أنفسنا عن الغير ونحتفظ بحسّنا في هويتنا.

وعندما يتألف المخطّط الجسمي، فإنه يظلّ المرجع الدائم وغير المندرس حتى نهاية الحياة، مهما كانت التشوّهات التي يمكنها أن تصيب الجسم. وهكذا يستمر بعض الأباتر أن يتصوروا أنفسهم سليمين، بل يعانون في بعض الأحيان آلاماً على

مستوى العضو المفقود. والألم الماثل يخصّ «الجسم المألوف» أكثر مما يخصّ الجسم الحالي؛ فكل شيء يحدث كما لو أن موجوداً غير شخصي، فكرة الذات غير القابلة للتدمير، كان مستمرّاً في وجوده خلف الواقع الحيّ.

وساد الاعتقاد، خلال زمن طويل، أن الآليات العصبية الفيزيولوجية التي تتيح تكوين المخطّط الجسمي، كانت واقعة في الحيّز 5 و7 من المنطقة الجدارية العليا. والواقع أن آفات هذه المنطقة الدماغية تسبّب تفكّك الإدراك الجسمي، تفككاً يظهر باضطرابات شتّى: وهم التحوّل الجسمي أو انتقال عضو، على سبيل المثال. وبان مع ذلك أن استئصالاً، ولو كبيراً، للمنطقة الجدارية لايسبّب تغييراً في المخطط الجسمي إلا نادراً. فثمة ميل إذن إلى الاعتقاد أن هذه المنطقة ليس سوى مرحلة من الدارة العصبية وأن تكامل المخطّط الجسمي يمكنه أن يحدث في أجزاء أخرى من الدماغ الأعلى. وفي رأي بعض المؤلفين أن المقصود هو المنطقة الصدغية. (انظر في هذا المعجم: **عمه الإدراك الجسمي، فقدان الشخصية، العضو الشبح، تناذر جرْستْمان، مرحلة المرآة**).

N.S.

مخطّط دالتون

F: Plan Dalton
En: Dalton Plan
D: Dalton Plan

تقنية بيداغوجية قامت بتجريبها للمرة الأولى عام 1920، في دالتون (ماساشوست، الولايات المتحدة)، الآنسة هيلين بارْكورست.

في صفّ وحيد، ووسط ريفي، إنماأعدّت هذه المعلّمة، تغذّيها أفكار جون ديوي (1859- 1952) وماريا منْتيسّوري (1870- 1952)، طريقتها المخصّصة، قبل كل شيء، لتفريد التعليم. ينبغي للعلاقة، بين المعلم والتلميذ، أن تكون علاقة ثقة. وفي حين يلتزم التلميذ بعقد مفادها أن ينجز برنامجاً معيّناً، يترك المعلم له كل حريّة في تنظيم عمله اليومي ويضع نفسه تحت تصرّفه ليقدّم له العون الضروري لتقدّمه عندما تصبح الحاجة محسوسة. ولايلقي المعلم دروساً صفّية بل يقتصر على شرح ما هو غامض أو صعب، وعلى إرشاد التلاميذ أو توجيههم. والكتب الدراسية ملغاة. ويوجد، بدلاً منها، بطاقات تحتوي توجيهات عمل، ومراجع، وتمرينات يراقبها المعلم فردياً. وتحت تصرّف التلاميذ مخابر حقيقية للفيزياء، والعلوم الطبيعية، والجغرافية، والرياضيات، إلخ، يعكفون فيها على تجارب عديدة. والأعمال يمكنها أن تتمّ فردياً أو في جماعة، ذلك أن العلامات والترتيب غير موجودين. ويختلف الزمن الذي ينقضي في كل مخبر، من جهة أخرى، باختلاف اهتمامات الطفل المؤقتة، ولكن جزءاً معيّناً من البرنامج ينبغي أن يكون قد أُنجز في نهاية كل شهر. ولا تشجّع طريقة هيلين باركورست تأسيس عواطف ثقة وودّ بين الراشد والطفل فحسب، ولكنها تشجّع على وجه الخصوص نمو حسّ المسؤوليات، والاستقلال الذاتي، والتعاون. (انظر في هذا المعجم: المدرسة الفعّالة).

N.S.

المدرسة

: École

n: School

D: Schule

الاشتقاق: من اللاتيني Schola، اللفظة المقتبسة من الإغريقي Skhole أي «Loisir»: وقت فراغ. فالمدرسة كانت فيما مضى وقفاً على أبناء الأسر الميسورة التي كان لديها وقت الفراغ لتثقّف نفسها.

المدرسة منشأة توزّع التعليم الجماعي.

الدخول إلى المدرسة الإبتدائية، بالنسبة للطفل، حَدَث ذو أهمية دائماً ومأساوي في بعض الأحيان. فعليه، من الآن فصاعداً، أن يندمج في وسط مختلف عن الوسط الذي كان قد تعوّده، ويمتثل لانضباط أكثر صرامة، ويقدّم عملاً فكرياً -عملاً حقيقياً- ليستجيب لتوقّعات أبويه ومعلميه. وينبغي له أيضاً أن يتعلّم أدواراً (أدوار التلميذ والرفيق) ويتجنّب أن يسلك في المدرسة كما يفعل في البيت. كانت فاعليته حينئذ هي اللعب، يبدأه ويتركه على مزاجه. إن له، من الآن فصاعداً، مهمّة ينبغي له إنجازها، بشكل مكتمل يتطلّب منه اجتهاداً، استقراراً، ذاكرة وانتباهاً. وينبغي له، على الغالب، أن ينجز عمله متعاوناً مع أطفال آخرين من عمره؛ فيتعلّم على هذا النحو أن يتجاوز نزعة على الذات لديه ويقيم مع الآخرين تبادلات متناغمة. وتقدّم المدرسة إلى الطفل، على نحو يوازي اكتساب أدوات الثقافة ووسائل التفكير المنطقية، مناسبة ليندمج في المجتمع ويصبح أكثر استقلالاً بالنسبة إلى أسرته. إنها المحلّ الذي يمكنه أن يتثقّف فيه ويكمل تربيته،

ذلك أنه يوسّع حقل اهتماماته وتقدّم له ما لايمكن أن يقدّمه محيطه له، وذلك أمر حسّاس على نحو خاصّ في الأوساط المعسورة. ولكن المدرسة لم تؤد دائماً على النحو الأكمل هذا الدور، دور الانفتاح وتفتّح الفكر: «كانت المدرسة في ظلّ الأنظمة اليسارية كما اليمينية، يقول جان بياجه، بناء المحافظين، من وجهة النظر البيداغوجية، الذين كانوا يفكّرون بقالب المعارف التقليدية الذي لم يكن ثمة بدّ من أن تُصاغ الأجيال الصاعدة فيه أكثر مما يفكرون بكثير أن يكوّنوا عقولاً وأفكاراً مخترعة ونقدية». وحاجات المجتمع الراهنة جعلت هذه القوالب متصدّعة. وبلغ مقدار المعارف مبلغاً بحيث أن المدرسة لم يعد يمكنها أن تكتفي بتوزيع معرفة؛ إن عليها أن تعلّم التلاميذ أن يختاروا، ويصنّفوا، ويستخدموا المعلومات الكثيرة، والمتناقضة أحياناً، التي تنقضّ عليهم من كل جانب، وأن يحرصوا على أن يكتسبوا ضرباً من المرونة في التفكير، التي يصعب لولاها، بل يتعذّر التكيّف مع التغيّر.

ولكن هدف المدرسة الوحيد لا يكمن في أن تنقل العلم أو الثقافة؛ إنها تنشد جعل الطفل، ثم الراشد الشاب، يشارك في حياة الجماعة الاجتماعية، والمحافظة على التقاليد، وجعل نموذج معيّن من المجتمع يدوم. فكل تعليم يرتكز على منظومة من القيم هي، في حالة المدرسة العامة، قيم المجتمع: المدرسة انعكاس المجتمع بوصفها مؤسّسة. إنها لا تُعنى في فرنسة، منذ زمن قصير، بالعمل المدرسي بالمعنى الصحيح للكلمة، ولكنها تُعنى أيضاً بأوقات الفراغ لدى الأطفال. فالفنون التشكيلية، والموسيقى، والتصوير الضوئي، إلخ، فاعليات تُمارس في «ورشات الأربعاء» في كثير من المؤسسات. وتصبح المدرسة على هذا النحو محلّ تعبير وإبداعية يتيح للصغار أن يتفتّحوا تفتحاً كاملاً. وإذ توسّعت بعض البلدان في هذه التجربة، كبريطانية والولايات المتحدة، فقد جعلت المدرسة مكاناً مفتوحاً للجميع (أطفال وراشدين)، طوال السنة. فالملاعب، والمكتبات، والمخابر، مندرجة في التجهيزات الثقافية للحاضرة. والمدرسة يمكنها على هذا النحو أن تؤدّي

بالفعل وبصورة كلية دورها، دورها الذي لايقتصر على تنشئة الجيل الجديد اجتماعياً، كماكان يقول دوكهايم، بل أن يؤنسن هذا الجيل، إذ يدمجه في تاريخ الإنسانية» (جان لاكروا). (انظر في هذا المعجم: المدرسة الفعّالة، الإبداعية، النموّ، الديداكتوجينيا، الديداسكالوجينيا، المرونة).

N.S.

المدرسة الفعّالة

F: Active (École)
En: Active school
D: Active schule

حركة بيداغوجية قائمة على معرفة النموّ لدى الطفل واهتماماته وحاجاته.

تشجّع المدرسة التقليدية طرائق التلقّي، والتعليم الدوغمائي، وحفظ معرفة مستمدّة من الكتب، والسلبية، و«الصمت والجمود» (جان بياجه).

والمدرسة الفعّالة، على العكس، تربية المشاركة، والإبداعية، والحسّ النقدي. إنها تقود التلاميذ إلى ممارسة حواس الملاحظة وإدخال قوانين التجريب. ومبدأها -يتعلّم الفرد على نحو أفضل إذا شعر بأنه معنيّ ومشارك في العمل الذي يعنيه- ليس ديماغوجياً، بل علمي. والواقع أن دراسات مختلفة ذكرها أ. سميونوف (1966، ص50- 59) بيّنت، على سبيل المثال، أن الأفراد كانوا يحفظون المعطيات العددية للمسائل التي يبتكرونها أو الجمل التي كانوا يقترحونها لاستخلاص قاعدة من قواعد إملاء، حفظاً أفضل. ولاحظ جان بياجه، من جهته، أن الأطفال كانوا يتذكّرون مجموعات مكعبات كانوا قد نفّذوها أفضل بكثير مما كانوا يتذكرون المجموعات التي كانوا قد نظروا إليها فقط أو كان راشد قد بناها أمامهم. وذلك يبيّن، مرة إضافية أخرى، يستنتج المؤلف، «أننا، إذ نجري تجارب أمام الطفل بدلاً من جعله يجريها هو ذاته، نفقد كل القيمة الإعلامية والتكوينية التي يمثّلها العمل الخاص بوصفه كذلك». (جان بياجه، 1965، ص. 18).

وتقتضي المدرسة الفعّالة تجهيزاً كبيراً يحققه التلاميذ أنفسهم على الغالب. وتنتظم، بوصفها على اتصال مباشر بالحياة والواقع اليومي، حول مراكز اهتمام مستمدّة من الوسط نفسه، وسط الطفل. والمدرسة الفعّالة تشجّع التنشئة الاجتماعية

بالعمل في جماعة، ولكنها تتيح التقدّم الفردي أيضاً بفضل الدراسة بالبطاقات. ودور المعلم دور الحفّاز، دور مربٍ ييسّر بملاحظاته ونصائحه مكتسبات الطفل. فسلطانه يغيّر طبيعته، ذلك أن الرقابة والقسر تختفي في جماعات العمل، وبخاصة عندما يتدرّب التلاميذ منذ العمر الغضّ على الانضباط الذاتي والتقييم الذاتي.

وبما أن العمل واللعب والاهتمام هي المحرّكات الأساسية للمدرسة الفعّالة، فإن بعضهم يمكنه أن يخشى أن يضرّ ذلك بالفاعلية الفكرية أو بالممارسة الإرادية. ولكن العكس هو الذي يحدث، ذلك أن إدخال هذه المبادئ في التعليم يقدّم للتلاميذ الدافعية والرغبة في التعلّم اللتين تنقصهم: إنهم يكونون قادرين، بوصفهم معنيين من الآن فصاعداً بالمهمّات المقترحة، على تجنيد طاقتهم كلها لإنجازها. ولدينا الآن فكرة واضحة عن رياض الأطفال ومدارس الأمومة، حيث تُستخدم العناصر الصوتية والملوّنة لماريا منتسّوري (1870- 1952) وعن بعض المؤسسات التي تُستخدم فيها الألعاب التربوية لأوفيد ديكرولي (1871- 1932) والعمل الحر في زمر لروجر كوزينه (1881- 1973) أو تقنيات سيليستان فرينه (1896- 1966). وتتفوّق هذه الأساليب جميعها على طرائق «التلقّي» التقليدية في أنها تتيح للتلميذ أن يحتاز المعرفة احتيازاً فاعلاً وأن تتكامل شخصيته تكاملاً متناغماً.

والطرائق الفعّالة عسيرة التطبيق مع ذلك في الصفوف المكتظّة، حيث ينبغي للمعلمين أن يحترموا برامج مدرسية مرهقة. وتتطلّب، إضافة إلى ذلك، من المعلمين تكويناً معمّقاً في سيكولوجية الطفل وعملاً متمايزاً وأكثر انتباهاً. فينبغي إذن، ليكون بمقدور الأطفال جميعهم أن يفيدوا من هذه الطرائق، أن تحدث تحسينات عديدة في نظامنا التربوي وتُباشَر إعادة صياغة للبرامج. وبهذه الشروط، لن تكون المعارف المكتسبة في المدرسة منظومة من الكلمات الجوفاء، مخزونة في الذاكرة، ينكبّ عليها فكر تكراري وإجمالي، بل تكون معرفة أصيلة، يتمثّلها التلميذ تمثلاً كاملاً، وستترك له عفويته وإبداعيته، أعني إمكاناً مفادها أن يتخيّل عالم الغد. (انظر في هذا المعجم: **التربية، المرونة، الفكر المخطّطي**).

N.S.

المدينة

F: Ville

En: Town

D: Stadt

تمركز كبير من البيوت، لمجموعها تشكّل وأصالة خاصّان، يكوّن الوسط الجغرافي والمادي الاجتماعي المألوف لسكانه (المستخدمين في فاعليات غير زراعية).

يبدو مثيراً للاهتمام، أمام تمدين كوكبنا، أن نحاول مقاربة سيكولوجية للإنسان الذي يعيش وسيعيش في المدن. والمسألة التي سنطرحها على أنفسنا تكمن في معرفة مفادها إن كان يوجد حقاً «ثقافة مدينية» أو إن كانت المدينة أيضاً، بعبارة أخرى، يمكنها أن تكون منشأ أشكال نوعية من السلوك الإنساني. ويؤكد عالم اجتماع ماركسي كمانويل كاستْلز (1972) أن المدينة لا تكوّن كياناً مستقلاً ينبغي أن نعمّق تحليل سيرورته الاجتماعية إلى أعلى وأبعد ما يمكننا: إننا أمام حركة إنتاج وإعادة إنتاج قِوى اجتماعية تخصّص المناطق لهذا العمل أو ذاك؛ تخصّصها إذن لنظام من التوزيع وتقسيم المكان الذي يعيد تنظيم مشهد أمة على هذا النحو أو ذاك. فليست المدينة، في هذه الحالة، سوى عنصر في سيرورة اجتماعية اقتصادية. ويترتّب على ذلك أن مشكلات المدينة ليست سوى التعبير عن خصومات الطبقات، التي تنتج ثقافتنا من الناحية التاريخية، وتنتج على وجه الخصوص، أسلوبنا في الإحساس، وعيش الزمن، ووضعنا في علاقة مع الآخرين. فليس ثمة إذن سلوك مديني يميّز الحياة الاجتماعية، بل يوجد بالحريّ منظومات قيم وأنماط

حياة ذات علاقة مع نمط الإنتاج الرأسمالي أو مع انتمائنا إلى طبقة اجتماعية معيّنة. وهكذا فإن لسكان الأوساط السكنية في الضواحي الأمريكية سلوك يمكننا تحديده إلى حدّ كاف. ومن المعلوم أن حياتهم متمركزة على المنزل، إذ تظلّ المرأة في داخله والرجل يهتمّ، خارج ساعات العمل، بحديقته أو ببعض المهمّات المنزلية. ومشاركتهم في الجمعيات ضعيفة؛ وليس لديهم ميل إلى العلاقات الاجتماعية غير الرسمية. فهل ينبغي لنا، وذلك أمر مسلّم ومعترف به، أن نرى في هذه المظاهر من السلوك نتيجة، جغرافية إذا جاز لنا القول، من نتائج الحياة في الضاحية أو أليست هذه المظاهر، بالحري، هي التعبير عن قيم مشتركة للطبقات الأمريكية المتوسطة؟ يبيّن ريمون لدْرو (1968) في المجموعات الكبرى لتولوز مناخاً طيّباً إلى حدّ كاف ولا يوجد على الإطلاق مثل هذا الانطواء على المنزل. ونحن نوافق بطيب خاطر أن من العسير أن نحدّد نصيبَ ما يرجع إلى الحضارة المدينية؛ وما يرجع إلى الحضارة الصناعية، وإلى نمط المجتمع الذي تُبدي فيه الحاضرات فاعليتها الكبيرة. ولكننا سنستمرّ مع ذلك في الاعتقاد أن المدينة هي المرآة الأكثر ألقاً لحضارة صناعية، وأنها أسهمت بهذه الصفة في إنتاج إنسان استجاباته، وذكاؤه، وحساسيته، ومنظومته القيمية، جديدات بصورة جذرية. أضف إلى ذلك أن شكل المدينة الإيكولوجي مسؤول عن هذا النموذج من الإنسانية في الجزء الأكبر منه. ونحن، لنفعل ذلك، سنوضّح التقابل مديني/ريفي الذي يشمل التقابل مجتمع حديث/ مجتمع تقليدي.

فعالم الاجتماع الأمريكي ل. وِيرث حدّد جيداً تلك الصلات التي توحّد الأشكال الجديدة من الناحية الاجتماعية وتنظيم المكان المديني. وتؤدّي الكثافة، والحجم، وتنوّع الوسط المديني، كل منها على طريقتها، دوراً معيّناً. فالكثافة تجعل الاتصالات الاجتماعية، على نحو مفارق، أكثر سطحية، إذ أن كلاً منا لا يمكنه ولا يريد أن يلتزم إلا جزئياً بالعلاقات التي أصبحت عديدة جداً. ويشجّع الحجم أيضاً تراخي العلاقات المتّحدية. ونقول أخيراً إن الإنسان المشغول بأعمال متعدّدة وتتنازعه قيم متناقضة، يمكنه أن يُغني شخصيته، ولكننا نفهم أن هذا الاعوجاج ينفذ غالباً إلى الأنوميا (الاضطراب، فقدان التنظيم)، والجنون، بل الانتحار.

وكان بعض الفلاسفة الألمان، كجورج سيميل (1858- 1918) وأوسوالد شبنغلر (1880- 1936)، قد قادوا، قبل علماء الاجتماع الأمريكان بزمن طويل، تفكّرهم في الاتّجاه نفسه. فبيّنوا أن سلوك إنسان المدن سلوك لايوجد فيه شيء من العرضي، وأن له معنى وضرورة يمكننا فكّ رموزهما: إذا قلّص الإنسان التزامه، فذلك لأن عليه أن يواجه إفراطاً في التنبيهات وأن ينقذ على هذا النحو وحدة شخصيته وكمالها.

ويتعوّد الفرد، في مكان ينظّمه الإنسان، أن يبادر مبادرات كثيرة؛ إنه لايتردّد في أن يقسر مجرى الأمور، في حين أن فلاّح الثقافات التقليدية كان يعرف زمن الصبر الطويل، والرضى بنظام للعالم يكاد لا يكون بوسعه أن يغيّره. ويتبنّى الإنسان، في حاضرة وظيفية، مليئة بالعلامات المجرّدة، حيث الأشياء والبنايات موجودة بمقتضى خدمات تؤدّيها، مسعىً أكثر منهجية، ويفكّر تبعاً للنجوع، ويفلت (مبدئياً) من شياطين اللامعقول.

والأساسي في تحليلات مشابهة يكمن في أن نأخذ بالحسبان ذلك الجانب الأكثر مادّية من المدينة، والأكثر إقليمية، والأكثر فيزيائية: التجمّع الدائم الكثيف لأفراد متجانسين من الناحية الاجتماعية.

ومن المباح لنا، إذا تجاوزنا هذه الارتباطات الإيجابية وغير القابلة للنقاش، أن نطرح على أنفسنا مسألة الانسجام بين الإنسان والمدينة. أيكون الاعتقاد أن المدينة تصرّفت بوصفها الطبيعة الطابعة (أي سبب المظاهر كلها) أمراً غير محتمل وأن «أناس المدينة» «تقتضيهم» المدينة، وفق ضرب من العلاقة المعيّنة التي كان مفروضاً أن تقوم بين اتجاهاتهم، وحركاتهم، ولغتهم، من جهة، وجدرانها، وأرصفتها، وشوارعها، من جهة أخرى؟ إنها نشوء، إنتاج حقيقي، وليست أبداً حركة عادية من الإشراطات، ذلكم، على الأقلّ، ما حاولنا أن نبيّنه في مقالنا عن المدينة الذي أضفينا عليه مسحة الشعر. فغافروش، ولد الشوارع المتمرّد، الذي تحمله أرض الشارع، لايجد هذه الأرض مفرطة القسوة على إرادته. والشارع

يشترك معه في الطبيعة؛ إنه يعرف حيله وتواطؤاته؛ ويحسّ، على هذا الشارع، بالنشوة والأمن. ويقبل بطيب خاطر أن يموت فيه وأن يعود إليه، دون أن يحلم بريفٍ رخو، مهجور، كان القدر قد رفض أن يكون من نصيبه.

ومدينة غافْروش هي المدينة التقليدية التي لم تكن بعدُ قد ناءت تحت ضربات السير المتضخّم للسيارات ولم تكن منظّمة لأهداف المصلحة، أهدافها وحدها؛ مدينة كانت تتنفّس، تستيقظ كل صباح وترتاح كل ليل؛ مدينة كانت تنجز معناها الأصيل: كونها مكان اللقاءات، كان الناس والأماكن يتبادلون فيها وجودهم ويتحوّل بعضهم بفعل بعضهم الآخر. وحتى الحجارة، يمكننا القول، كانت قد اكتسبت فيها «طبيعة» لم تكن تملكها في الأصل. فعناصر المدينة، المفعمة بالماضي وأرواح أولئك الذي كانوا يجتازونها، أُضفيت عليها الصفة الإنسانية في حين أن الإنسان، من جهته، تحوّل (نظرته أصبحت تقيّم الحجوم، والأشكالَ الدقيقة). فعندما يختفي هذا الوفاق بين الإنسان والحاضرة، تصبح المدينة غير صالحة للسُكنى، والناس في أيامنا هذه يتطلّعون، مع كثير أو قليل من الوعي، إلى هذه اللحظة التي ستكون المدينة قد أُعيدت إليهم خلالها. ذلك أن المدينة، كما بيّن لويس مامْفورد، هي، بأصولها وخطّها المهني، محلّ اللقاء، والكلام، وأوقات الفراغ على وجه التقريب، بالمعنى النبيل للمصطلح.

إننا سلكنا حتى الآن ذلك الدرب الذي يمضي من المدينة إلى الإنسان الذي يسكنها. ولكن المدينة تُدرك على الدوام أيضاً من منظور خاص، وعالم النفس سيعينه أن يتساءل كيف يدرك شعور هذه الكلية، المتّصفة قليلاً بأنها خرافية، التي تكوّنها مدينة. فكيف نتوصّل إلى أن نخصّ أنفسنا بها؟ وفي أعقاب أي تلمّسات فردية أو أي حركات جماعية؟ مثال ذلك أن للمظاهرة السياسية، للأيام الثورية، نتيجة مفادها على وجه الخصوص أن تغيّر وجه حاضرة، أن تجعلها أكثر غلياناً، أكثر دفئاً، وأكثر قرباً، فمن أين تأتينا هذه الألفة مع بعض، الجدران مع بعض الأرصفة؟ في أي فترة زمنية «نهيم» على وجوهنا في المدينة؟ وبأي علامات يمكننا

أن نتعرّف على تفاهمنا معها؟ أي نموذج من الصورة لمدينة موجود لدينا؟ صورة مصنوعة في بعض الأحيان من بعض الكليشيهات، من بعض الأماكن المرتفعة، من بعض عقد المواصلات، ذات الامتياز، صورة مبهمة أيضاً في بعض الأحيان، صورة كأنها منقوشة في عضويتنا، شبيهة عندئذ إلى حدّ كاف بالصورة الموجودة لدينا لجسمنا الخاصّ. والمقصود مقاربة أكثر إرهافاً وأكثر وجودية من المقاربة التي عوّدتنا عليها سيكولوجيا السلوك. واللجوء إلى تجربة بعض الروائيين وبعض الشعراء يمكنها أن تكون منيرة على نحو فريد.

ويبرهن لنا هذا الاتجاه الأخير مجدّداً على أن المدينة لا تجذب فقط اهتمام الجغرافي، الاقتصادي، العالم المديني أو عالم الاجتماع، ولكنها تجذب عالم النفس أيضاً، ذلك أن أية مدينة ستكون في نهاية المطاف، إن لم يكن ثمة شخص يدركها، كياناً اقتصادياً، مجموعة من الحجوم والأشكال. ولكن ما نسمّيه المدينة لن يكون بالتأكيد هذه الكلّية المتحركة، الملتهمة في بعض الأحيان، والساحقة أحياناً أخرى.

P.S.

مذهب الظاهرات المصاحبة

F: Épiphénoménisme

En: Epiphenomenalism

D: Epiphänomenalismus

تصوّر سيكولوجي للوعي يكون هذا الوعي بحسبه ظاهرة مصاحبة لسيرورات الجسم الإنساني الفيزيولوجية والعصبية.

كما أن العمل لدى الموجود الوحيد الخليّة نتيجة سلسلة من الآليات التلقائية تحدّدها إثارة، كذلك التصرّفات لدى الإنسان، ولو أنها الأكثر إعداداً، يمكنها أن ترتدّ إلى مجموعة من الآليات العصبية والفيزيولوجية على نحو محض. ولن تكون حوادث الوعي، وفق هذه النظرية، سوى راسب ضرب من الطاقة غير المستخدمة ومجرّد مظهر من الفاعلية الدماغية. الوعي، لهذا السبب، ليس له أي انعكاس على السلوك إطلاقاً، إن لم يكن محض وهم ذاتي. ومن مناصري هذا التصوّر، نذكر ولْيم كنْغدون كليفورْد (إلكسيتدْ، 1845- مادير، 1879)، توماس هنْري هوكْسله (إيتالان، 1825- إيسْت- بورن، 1895)، شادوُرْت هولووي هودْسون (1832-1912)، فيلكس لو دانْتي (بولغاسْتل- دولا، 1869- باريس 1917)، هنري مودْسله (جيغليسويك، يوركشاير، 1835- لندن، 1918).

R.M.

المذهب الغائي

F: Finalisme

En: Finalisme

D: Finalismus

تصوّر يعزو دوراً حاسماً للغائية في شرح ظاهرة أو تصرّف.

الغائية تعارض الآلية، مذهباً تكفي، بحسبه الشروط المحدّدة بالفعل لسيرورة من السيرورات، لأن تشرحها، دون أن يكون من الضروري أن نرجع إلى «الغاية» التي تحقّق هذه السيرورة. والنظرية الهورمية(*) لوليم ماك دوغال (1871-1938) والسلوكية الجديدة لإدْوار ك. تولمان (1886-1959) مثالان على تصوّرين غائيين لعلم النفس. ويرى تولمان على وجه الخصوص في متابعة هدف (purpose بالانغليزية) شرح مجموعات من التصرّفات التي يمكننا ملاحظتها. وتتيح لنا الغائية أن نُدخل مجدّداً في علم النفس سببية الحاجات، والرغبات، والقصد، والإرادة. فللسلوك عندئذٍ خاصيّة أن يتأثّر في سيره بالنتيجة التي ينشدها (أو يبحث عنها) الفرد الملاحظ.

R.M.

(*) النظرية الهورمية: نظرية وليم ماك دوغال التي ترى أن كل سلوك يتوجّه نحو هدف بفعل قوة، بفعل هورمه (Hormé كلمة إغريقية) موجودة في قاعدة كل الموجودات الحيّة، مكافىء الهورمه لدى شوبنهور إرادة القوة، ولدى برغسون الدفعة الحيوية، ولدى يونغ الليبيدو (المرجع: معجم علم النفس، هنري بيرون) «م».

F: Adolescence المراهقة

En: Adolescence

D: Adoleszenz

مرحلة من الحياة تقع بين الطفولة التي تكملها هذه المراهقة وبين سنّ الرشد.

هذه المرحلة، التي يُقال عنها إنها «مطلع الفتوّة»، تسمها تحولات جسمية وسيكولوجية: «إن موجة قاعٍ وجودية تقلب الحياة حاملة معها تجارب «المرة الأولى» التي يتردّد صداها عميقاً في الوجود الصميمي وشدّتها العنيفة أزمة وصدمة معاً»، يقول ي، ريسْبال. ويحدث هذا الانتقال بين عالم الطفولة وعالم الراشدين، في حضارتنا، خلال سنين طويلة. وحدوده، الواقعة على وجه التقريب بين سن 12 إلى 13 وسن 18 إلى 20، يمكنها أن تكون صعبة التوضيح بدقة، ذلك أن سن المراهقة ومدتها تختلفان وفق الأعراف، والجنس، والشروط الجغرافية، وبخاصة الأوساط الإجتماعية الاقتصادية والثقافية. مثال ذلك أنها أطول بالنسبة لأطفال الأسر الميسورة، الذين يتابعون دراساتهم، منها بالنسبة إلى أولئك الذين يرغمون على العمل مبكراً. وكان جـ. ستانلي هال (1904)، من جهته، يعتبر أنها كانت تدوم حتى السنة الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من عمر الإنسان. والسبب أن المراهقة هي هذا الفاصل الزمني «الذي يقود من الاستعداد السيكولوجي البيولوجي إلى نضج القدرات الاجتماعي» (ب. زازو، 1961).

ولا وجود للمراهقة في المجتمعات البدائية التي وصفها الإتنولوجيون كمرغريت ميد. فالفتيان البالغون يخضعون لطقوس المسارّة التي تجعلهم ينتقلون مباشرة إلى عالم الراشدين، حيث يتمتعون بالحقوق التي يتمتع بها الأكبر منهم. وأنماط هذه الطقوس معروفة مسبقاً، مع أن الاندماج بالراشد يحدث دون مشكل أو نزاع. وليس ثمة، في البلدان السائرة في درب النمو، سوى حالتين أيضاً: فالأطفال لايصبحون، حين يكبرون، مراهقين بل راشدين شباباً.

والمراهقة، في حضاراتنا، واقع أكثر اتّساعاً وتموّجاً بكثير من التحوّلات في الشكل والبنية وفي الفيزيولوجيا، الناجمة عن البلوغ. فالتفتّح الجسمي ينشّط مجدّداً ويكثّف الغريزة الجنسية والإحساسات الغلمية. وسيعبر المراهق مرحلة نرجسية سيشغله جسمه كثيراً، وسيسعى إلى تجميله وتزيينه (بحث عن الثياب ومستحضرات التجميل)، إلى لفت الانتباه إلى السمات المميّزة لرجولته أو لأنوثتها. ويبذل جهده، ليتوطّد بوصفه شخصاً، حتى يكون أصيلاً في تصرّفه، ولغته، وكتابته، وتوقيعه، وأفكاره. وسيلذّ له، من جرّاء الشكل الجديد لذكائه، الذي يبلغ مرحلة المنطق الصوري، أن يصوغ المذاهب والنظريات، ويضع المشكلات الفلسفية موضع التساؤل، كانقضاء الزمان، بل الأخلاق أيضاً، والفن، والدين، والتنظيم الاجتماعي، الخ. وهذه المرحلة هي أيضاً مرحلة الاكتشاف الأكثر صميمية، اكتشاف الموجودات الإنسانية، والذات، والآخرين، والتباعد الوجداني عن الوالدين، بالترابط. والمراهقة عصر الرفقة بامتياز، والصداقة، والأثراء. والرفقة هي هذه الصلة التي توحّد الأفراد الذين تعرّفوا على تشابهات بينهم؛ وهذه التشابهات تخلق تضامناً وتماسكاً تعزّزهما بعض الاحتفالات التلقينية الساخرة للتلاميذ الجدد. وتتميّز الصداقة بمعنى الصميمية والإخلاص. وينتظر المراهق على الغالب من الصداقة، بوصفه مثالياً ومشبوب العاطفة، أكثر مما يمكنها أن تعطيه، ولهذا السبب يعيش في بعض الأحيان خيبات أمل مأساوية تجعله مع ذلك يتقدّم على طريق معرفة الذات وفهم الغير. وعلى مستوى متوسط بين

الصداقة العسيرة والرفقة القاصرة، يوجد الأتراء الذين يقيم المراهق معهم علاقات يمكنها أن تكون دائمة أو عابرة داخل جماعة أو عُصبة.

ويمثّل المراهقون، جرّاء أريحيّة عواطفهم وشدّتها، جماعة اجتماعية غنيّة وديناميّة يحاول رجال الدولة غالباً غوايتها وتعبئتها ليجعلوا سياستهم هي الظافرة. وتلك كانت حال هتلر، على سبيل المثال، الذي منحهم مكاناً مفضلاً في الاشتراكية الوطنية، وماو تسي - تونغ الذي جعل منهم سنان الرمح في «الثورة الثقافية البروليتارية (1965-1968)». والرغبة في المطلق لدى المراهقين تقودهم بسهولة إلى التمرّد، الذي ليس على الغالب سوى التعبير عن نفاد صبرهم أمام مقاومة الراشدين للتغيّر الضروري، وثمرة سخطهم أمام التأجيل، والتبعية للماضي، وضروب عدم المساواة والظلم من كل نوع، التي لم يعد بالإمكان أن نجهلها مع وسائل التواصل الجماهيرية. ومطالبتهم بعدالة اجتماعية أكبر للسود في الولايات المتحدة الأمريكية، وافتتانهم بـ«شي غيفارا» (روزاريو، أرجنتين، 1928 - بوليفيا، 1967) الذي كان يعلن وجوب خلق إنسان جديد، متحرّر من كل أشكال الضياع، وإعجابهم بماو تسي- تونغ، هي النتائج المنطقية لإرادتهم، إرادة الانتماء إلى عالم الغد. ورؤيتهم هذا العالم قائمة على واقعين: أحدهما، موضوعي، مصدره فتوحات العلم التي ترينا عالماً متحولاً؛ والآخر، داخلي كلياً، يستجيب للإسقاط الأريحي لوجود اجتماعي يحمله كل مراهق في ذاته. وبوسعنا، من وجهة النظر هذه، أن نقول إن اتجاه المراهقين المحيّر في بعض الأحيان يشرحه اندفاع حيوي نحو التقدم الضروري أكثر مما تشرحه «أزمة أصالة شبابية» أو «تمرّد على الأب». فالمراهقة مرحلة تثير الحماسة وشاقّة. تثير الحماسة، لأنها هي الفترة الزمنية التي تتنامى فيها الطاقات، ويكتشف فيها المراهق نفسه أنه قوي، ويعتقد فيها أن بوسعه تغيير العالم. وهي شاقّة، لأن الرغبة في الاستقلال والحرية تتوافق بصعوبة مع التبعية المادية للأسرة. فالمراهقون يعيشون في مستويات من النضج مختلفة، ذلك أنهم لايزالون أيضاً، وإن كانوا راشدين من الناحية الجسمية، تابعين

جداً لمحيطهم وعطوبين من الناحية السيكولوجية. وهذا هو السبب الذي من أجله يحتاجون إلى أن يجدوا خارج أسرتهم بنية تربوية تتيح لهم أن يتفتّحوا. ويمكن للمرء أن يخشى، في حال غياب تنظيم من هذا النوع، أن يمضي عدد غير المتكيِّفين إلى ازدياد، وأن، وهذا أمر يبدو لنا أكثر خطورة، تنطفىء حماسة الغالبية العظمى منهم، ويضيع غناهم الوجداني وتقتصر، أخيراً، تطلّعاتهم على أن تُشبَع حاجاتهم الشخصية إشباعاً أنانياً. فالمراهقة، في مجتمعنا، تؤدّي وظيفة ذات أهمية، وظيفة تعريف الفتيان، بين ضروب الكمون المعروضة، على إمكانات كل منهم، إمكانات ستتيح للأفراد أن يختاروا درباً وأن يدلفوا في عالم الراشدين.

«انظر في هذا المعجم: **البلوغ، الصداقة**».

N.S.

المحلّل

F: Analyseur

En: Analyser

D: Analysator

منظومة عصبية سيكولوجية تتيح أن ندرك العالم ونحلّله، أي نفككه إلى عناصره، ونقارن هذه العناصر بعضها مع بعض وندرك العلاقات التي توحّدها.

كان إيفان بيتْروفيتْش بافْلوف (1849-1936) قد أدخل هذا المصطلح في عامي 1928-1929 ليدلّ على المستقبلات الحسية، ودروبها العصبية الصاعدة ومناطق القشرة الدماغية التي تنتهي إليها. فأجهزة الرؤية، والسمع، والشمّ، والذوق، واللمس، على سبيل المثال، هي محلّلات تسمّى «مستقبلات خارجية». وقد بيّنت البحوث التجريبية في الفاعلية العصبية العليا أن المحلّلات القشرية (ينبغي أن نفهم بهذه المصطلح كل جزء من القشرة الدماغية التي يُناط بها التمايز الرهيف لإحساس من الإحساسات) ذات قدرة على التمييز لافتة للنظر. ويمكننا، على سبيل المثال، أن نبرهن، فيما يخصّ السمع، على أن التمييز ممكن بين صوتين لم يكن الفاصل الزمني بينهما إلا 8/1 من النغمة فقط.

فكل إصابة تنال محلّلاً، سواء كان المستقبل الحسي، أو الدرب العصبي النابذ، أو منطقة الإسقاط الدماغية، تسبّب إلغاء الإحساس. وهكذا تسبّب العمى آفة العين، والأعصاب البصرية، أو المنطقة 17 من الفصّ القفوي التي تُلقى فيها الموردات البصرية. ولكن الفرد لا يعي أنه أعمى عندما يصيب التدمير مناطق الحسّ المعنيّة، في حين أنه يعي أنه أعمى عندما تُصاب العين واستطالاتها العصبية بآفة

(لأنه يعيش في الظلام)؛ ونتكلّم في هذه الحال على عمى القشرة الدماغية لا عن عمه الإدراك، ذلك أن عمه الإدراك يفترض المحافظة على الحساسيات الأولية، فالآفات المسؤولة عن عمه الإدراك البصري ذات علاقة في الواقع بالمنطقتين 18و 19، وهما منطقتان معرفيتان وليستا حسّيتين، تجاوران المنطقة17 . (انظر في هذا المعجم: عمه الإدراك، /عمه العاهة).

N.S.

المرحلة

F: Stade

En: Stage, Phase, Period

D: Stadium, Phase, Stufe

طور من أطوار التطوّر.

يمرّ الصغار، لدى الإنسان كما لدى كل الثدييات، بتعاقب منتظم من المراحل تتمايز خلالها القابليات الحسّية والحركية، وتتوطّد وتصبح أكثر إرهافاً؛ وتتوالف المكتسبات، ويتنامى الاستقلال الذاتي والاستقلال إزاء الأبوين، في حين أن العلاقات مع الأقران تتكثّف، وذلك أمر يسهّل اندماجهم الاجتماعي. وبوسعنا، وفق وجهة النظر التي ننظر بها، أن نميّز مراحل مختلفة في النموّ السيكولوجي والاجتماعي للإنسان. ويميّز روبير هافيغورْست، على سبيل المثال، ستاً منها: الطفولة الأولى (من صفر إلى ست سنوات)، حيث يتعلّم الطفل أن يسود جسمه ويتّصل مع الوسط؛ الطفولة الثانية (من ست سنوات إلى اثنتي عشرة)، حيث يكتسب المفاهيم والأساليب الضرورية للحياة اليومية؛ المراهقة (من اثنتي عشرة سنة إلى ثماني عشرة)، حيث يبدأ المراهق في التحرّر من الوصاية الأسرية والاضطلاع بأدواره الاجتماعية والجنسية؛ سنّ الرشد (من ثماني عشرة إلى ستين)؛ الشيخوخة. ويصف إيريك هومبورجر إيريكسون (المولود عام 1902) أطوار نموّ الأنا، وسيغموند فرويد أطوار الليبيدو (الطاقة الجنسية)، وبياجه أطوار الذكاء.

وبوسعنا، في رأي بياجه، أن نميّز خمسة أطوار رئيسة في النموّ العقلي للطفل؛ 1- الحسّية الحركية، من الولادة إلى السنتين، يكوّن الطفل خلالها المخطّط الأساسي للموضوع الدائم بدءاً من الإدراكات المجزأة و «أناه»، المتميّزة من صورة

الآخرين؛ المرحلة قبل الإجرائية (من سنتين إلى أربع سنوات)، التي يسودها بصورة أساسية فكر متمركز على الذات وتشبيهي (انظري، ماما! القمر يتبعني)؛ 3- مرحلة حدسية (من أربع إلى سبع- ثماني سنوات)، مرحلة إنجاز عقلي دون استدلال؛ فالطفل ينفّذ الأعمال العاجز عن أن يتصوّرها في فكره بوضوح، تنفيذاً صحيحاً، كنقل سائل وعاء إلى وعاء آخر ذي شكل مختلف (يعتقد أن الحجم يتغيّر مع الشكل)؛ 4- مرحلة تُسمّى الإجراءات المشخّصة (من ثمان إلى إحدى عشرة سنة - اثنتي عشرة)، حيث يظلّ الفكر، على الرغم من اكتساب مفاهيم الصنف، المجموعة، العدد، السببية، مرتبطاً بالمشخّص؛ 5- مرحلة المنطق الراشد، المسمّاة مرحلة الإجراءات الصورية أو إجراءات القضايا، التي تبدو نحو البلوغ، بين السنة الثانية عشرة والرابعة عشرة. فالفكر يعمل في المجرّد على قضايا وفروض.

ويصف المحلّلون النفسيون أيضاً خمس مراحل أساسية في النموّ الوجداني للطفل، ذات علاقة بالمناطق المثيرة للغلمة، المتتالية، التي تتثبّت عليها الطاقة الجنسية قبل الوصول إلى النضج: 1- المرحلة الفمية (السنة الأولى من الحياة، حيث تكون اللّذة الكبيرة هي لذة الفم)؛ 2- المرحلة السادية الشرجية (بين السنة الثانية والرابعة على وجه التقريب)، حيث ينتقل الاهتمام إلى وظائف البراز؛ 3- المرحلة القضيبية (بين السنة الرابعة والسادسة): تصبح الأجزاء التناسلية غالبة؛ والإشباع يحصل بالاستمناء؛ 4- مرحلة الكمون (من السنة السادسة إلى بداية البلوغ)، يحدث خلالها ضرب من إغفاءة الدافع الجنسي، الناجم، بصورة رئيسة، عن العمل المتضافر للمراجع الاجتماعية الثقافية (أسرة، مدرسة، دين)؛ 5- المرحلة التناسلية، التي تبدو مع البلوغ، حيث تتّخذ الجنسية شكلها الراشد.

وليست هذه المراحل صلبة؛ إنها تتداخل على وجه العموم ولا تظهر في أعمار دقيقة، ولكن تعاقبها منتظم. والفروق، الكبيرة في بعض الأحيان، التي تُلاحظ بين الأفراد، تُعزى إما إلى الوراثة، وإما إلى الوسط: المناخ، الشروط الاجتماعية الثقافية، الاقتصادية، إلخ. (انظر في هذا المعجم: نزعة الهجر، النموّ، النضج).

N.S.

المرحلة الفمية(*) F: Stade oral

En: Oral Stage, Oral Phase

D: Orale Stufe, Oral phase

طور أول، في رأي سيغموند فرويد، من نموّ الجنسية الطفلية (أول سنة من الحياة تقريباً)، حيث اللذة الأساسية يؤمّنها الرضاع، المقترن بدمْج حسّي (بصري، سمعي، جلدي) لصورة الأم.

يكوّن الفم والشفتان، في بداية الحياة، تلك المنطقة السائدة المثيرة للغلمة؛ فالمصّ وإشباع الجوع يؤمّنان الحدّ الأقصى من الهناء. ويميّز كارل أبراهام (1877-1925) طورين في المرحلة الفمية. الأول، الذي يسمّيه المرحلة الفمية المبكّرة، المصّ. وليس لدى الرضيع، في هذه الفترة الزمنية، سوى امتثال جزئي للجسم الإنساني (إنه يعرف الثدي المانح أو المنتظر، والوجه الذي ينحني على المهد أو يبتعد) ولا يزال محروماً من اكتساب مفهوم الشيء الدائم، أي من مجموع متعدّد الإحساسات يستمرّ موجوداً خارج الحقل الإدراكي. فإحلال مرضعة مخلصة محل الأم يمكنه إذن أن يحتمله الطفل دون ضرر كبير. والطور الثاني، الذي يسميه أبراهام المرحلة السادية الفمية أو المرحلة الافتراسية، تبدو مع نموّ الأسنان والرغبة في العضّ. ويدمج الطفل الصغير، في هذه الفترة الزمنية، إدماجاً تدريجياً في عالمه، عالم الامتثال، ذلك الشخص الذي يُعنى به عناية منتظمة (أمه على وجه العموم) وحضوره مصدر شبع وراحة بال. إنه ليس على سجيّته في حالة

غيابه، ويبدو أمام شخص مجهول خائفاً جداً (حصر الأشهر الثمانية من العمر، حصر وصفه رونه سبيتز).

ويجد الرضيع لذّة بديلة عندما تُمنع عنه لذة الرضاع، إذ يمصّ شيئاً بديلاً (الإصبع أو أية تعلة، على سبيل المثال)، أو يترجّح أيضاً بهدوء في سريره، وذلك أمر يتيح له أن يحلّ حالة التوتّر أو القلق التي يجد نفسه فيها. ويعتبر بعض المحلّلين النفسيين أن اللذائذ الفمية غير المشبعة (أو التي يكون زمن إشباعها مديداً جداً) في الطفولة الأولى تشرح عدداً من التصرّفات في سنّ الرشد، كالإدمان على الشراب، والتدخين، ووضع التبغ أو العلك، أو الجنسية الفمية أيضاً، حيث اللذة ترتبط ارتباطاً مباشراً بإثارة الفم والشفتين (قبلة، لَعَق القضيب، التبظير [لَعَق البظر]).

ويبيّن التثبيت على المرحلة الفمية، في رأي المحلّلين النفسيين، بشخصية تتميّز بنزعة التمركز على الذات، والسلبية، والتبعية، وبحاجة مغالية إلى الحب غير المشروط. والنكوص إلى المرحلة السادية الفمية يفتح الدرب إلى الذهان الهوسي الاكتئابي، والهوس، وتوهّم المرض، والاكتئابات، والأمراض النفسية الجسمية، الخ (انظر في هذا المعجم: **نزعة الهجر، الاكتئاب الاعتمادي، الارتباط [التعلّق]، ميلاني كلاين**).

N.S.

(*) آثرنا، في ترتيب مراحل التطوّر الوجداني لدى الإنسان، تسلسل المراحل الطبيعي على الترتيب الألفبائي «م».

المرحلة السادية الشرجية

F: Stade Sadique - anal

En: Anal - Sadistic stage

D: Sadistischanal

الطور الثاني من النموّ الجنسي للطفل، الوسط بين المرحلة الفمية والمرحلة التناسلية، يمتدّ على السنتين الثانية والثالثة من الحياة ويتميّز بضرب من تنظيم «الليبيدو» في ظلّ تفوّق المنطقة الشرجية.

إشباع الدافع الليبيدي مشروط، في هذه المرحلة، بالإفراغ المعوي. ويصبح الغشاء المخاطي الشرجي منطقة تثير الغُلْمة، ويهتمّ الطفل بمواد إفرازاته بتأثير حضّ الأبوين المتلهفين على أن يرياه وقد أصبح نظيفاً. وتمنحه السيادة على الصارّات قدرة جديدة: قدرة إرضاء الراشدين أو، على العكس، قدرة إظهار عدوانيته إزاءهم إما باحتباس غائطه، وإما أن يوسّخ نفسه. واكتساب النظافة أول هدية يقدّمها الطفل إلى أمه، ولكنه مستعدّ دائماً على أن يستردّها إذا شعر بالإحباط (بفعل ولادة أخ أو أخت، على سبيل المثال).

ويميّز كارل أبراهام (1877 - 1925) طورين في المرحلة السادية الشرجية. فاللذة ترتبط، في الطور الأول، بالإفراغ والتدمير؛ وهي ناجمة، في الثاني، عن الاحتباس والملك.

والتثبيت على المرحلة السادية الشرجية يظهر بسمات الطبع التالية: الحذلقة؛ النظافة وهاجس النظام؛ المثابرة، بل العناد، والتقتير أو البخل؛ وسيكون الميل إلى

بعض الفاعليات، كصنْع النماذج، كما الميل إلى جمع الأشياء الفنية أو تحف الزينة، والطوابع أو قطع النقود، وحمّالات المفاتيح أو علب الكبريت، مشتقة بصورة مباشرة من اهتمامات هذا العصر.

كذلك ستكون الأحاديث البذيئة والمزاح القذر وبعض السلوكات الجنسية (اللواط) مخلّفات هذه المرحلة السادية الشرجية. ونكوص النموّ إلى هذه الفترة الزمنية يمكنه أن يقود إلى الذهان الهذائي (البارانويا)، والسادية، والمازوخية أو إلى عصاب الحصر. (انظر في هذا المعجم الليبيدو، المرحلة).

N.S.

المرحلة القضيبية

F: Phallique (Stade)

En: Phallic Stage, Phallic phase

D:Phallische Stufe, Phallische phase

المرحلة القضيبية، في نظرية التحليل النفسي، مرحلة من النموّ النفسي الجنسي لدى الطفل تلي الطورين الفمي والشرجي وتقع بين ثلاث سنوات وخمس من عمر الطفل؛ وتتميّز هذه المرحلة، لدى الجنسين، بغلبة القضيب.

الأجزاء التناسلية، في هذه المرحلة، تصبح المنطقة الرئيسة المثيرة للغلمة وتجنّد انتباه الطفل. إنه، إذ يريد أن يجد من جديد التنبيهات المستساغة التي تثيرها العنايات الجسمية التي تمنحها الأم، يمسّ، بدوره، هذه الأجزاء المثيرة للغلمة في جسمه. وفي هذا العصر ذاته إنما تُشاد العلاقات المثلثية الخاصة بالطفل مع أبويه، المعروفة باسم **عقدة أوديب** (العاشقة من جهة والعدائية من جهة أخرى)، ويولد حصر الخصاء. (انظر في هذا المعجم: **عقدة أوديب**، **المرحلة**).

N.S.

مرحلة الكمون

F: Périod de latence

En: latence Périod

D: Latenzperiod, Latenzzeit, Aufschubsperiode

مرحلة الكمون تمتدّ على وجه التقريب، في نظرية التحليل النفسي، من السنة الخامسة أو السادسة إلى بداية البلوغ، ويبدو أن الدوافع الجنسية تكون خلالها ساكنة.

تقابل مرحلة الكمون انحسار عقد أوديب. فكل شيء يجري كما لو أن الطفل كان يؤجل، إذ تخلّى عن الحب المتعذّر، تمرين التناسل إلى زمن آخر ويقبل، ضمنياً، فكرة أن أشخاصاً آخرين يصبحون موضوع رغباته. وينسى الغيرة عندئذ، تحت تأثير الكبت، وينسى الحبّ والأهواء الأخرى التي كانت تثير اضطرابه بحدّة (وهلّ طفلي، يماثل الوهل الذي يمحو، لدى العصابيين، ذكرى الأحداث الطارئة في الزمن الأكثر بعداً). إنه، من الآن فصاعداً، يتماهى بمنافس مزعج، بدلاً من أن يريد استبعاده، ويحاكيه ويبحث عن أن ينمّي في نفسه مزايا الوالد من الجنس المقابل التي يُعجب بها. ويبني، لمكافحة ميوله الليبيدية، سدوداً تُسمّى القرف، الحياء، التطلّعات الأخلاقية والجمالية، يساعده في ذلك مربّوه الذين يحولّون قواه الجنسية نحو الاكتسابات الاجتماعية الثقافية. وليست مرحلة الكمون، الطبيعية في مجتمعنا، كليةً. فألعاب الأطفال الجنسية، في ماليزية، مباحة، لأنها مصدر لذّة وتظلّ مصابة بالعقم. وفي البرازيل لدى النامْبيكوراس، يروي كلود ليفي شتراوس (مولود عام 1908)، يمكف الأطفال دون خجل، شأنهم شأن الأكبر عمراً منهم،

على ألعاب الحب المشروعة، أمام أعين الراشدين المتسلّية. وليس الأطفال الذين لا يعرفون، في حضارتنا، تلطيف الدافع الجنسي بين السنة السادسة والثانية عشرة أو الرابعة عشرة، نادرين. وقد يحدث أيضاً أن ينطلق بعضهم في ألعاب جنسية، في استمناء، في حكايات ورسوم داعرة. والمقصود، على وجه العموم، أفراد مصابون باضطرابات، جراء ضروب من القصور العاطفي أو التربوي، شهدوا مشاهد جنسية أو كانوا، هم أنفسهم، ضحايا إغراء أو هتك عرض. (انظر في هذا المعجم: التنشئة الاجتماعية، المرحلة، التصعيد).

N.S.

F: Stade génital **المرحلة التناسلية**

En: Genital stagen, Genital phase

D: Genital Stufe, Genital phase

آخر مرحلة من مراحل النموّ الجنسي لدى الموجود الإنساني، تتميّز بأولوية الأعضاء الجنسية.

نميّز طورين في هذه المرحلة. الأول، المبكّر، يقع على وجه التقريب بين ثلاث سنوات وخمس؛ إنه يقابل الطور القضيبي، الذي يوطّد الطفل خلاله أنه ذو جنس، متخلّياً عن إشباعات المرحلتين السابقتين (الفمية والشرجية). إنه يطالب بامتلاك الأم، إذا كان الطفل صبياً، أو بامتلاك الأب، إذا كان بنتاً، ويقاوم الوالد من الجنس نفسه (عقدة أوديب). والطور الثاني أكثر تأخراً؛ إنه يستقرّ بعد مرحلة الكمون، في فترة البلوغ، ويقابل تنظيم الجنسية النهائي، في شكلها الراشد، الخاصّ بالإنسان. إنّه العصر الذي يبتعد خلاله المراهق بعض الابتعاد عن أبويه ليتوجّه نحو موضوعات الحب الأكثر تلاؤماً، حيث يهجر الممارسات الغلمية الذاتية ويسعى جاهداً للفوز باستقلاله الذاتي. وفي رأي بعض المؤلفين أن هذا الطور الثاني هو وحده الذي يستحقّ أن يسمى المرحلة التناسلية. إنهم يعتبرون أن التنظيم التناسلي الطفلي (المرحلة القضيبية) ليست، في الواقع، سوى تنظيم قبل تناسلي، شأنها شأن المرحلتين الفمية والشرجية، ذلك أن الدوافع الجزئية لا تتوحّد ولا تنتظم نهائياً إلا في فترة البلوغ. وسيكون النكوص إلى المرحلة القضيبية مسؤولاً عن اضطرابات نفسية جنسية (عنّة، برودة جنسية، تشنّج المهبل) ويمكنه أن يقود إلى الهستيريا أو الجنسية المثلية. (انظر في هذا المعجم: **عقدة أوديب، المرحلة القضيبية**).

N.S.

مرحلة المرآة

F: Stade du miroir

En: Miror stage

D: Spiegelstufe

فترة زمنية من نموّ الموجود الإنساني تقع، في رأي جاك لاكان، بين الشهرين السادس والثامن عشر، يشعر الطفل خلالها بوحدته الجسمية وهو يدرك صورته في المرآة.

الرضيع يحتاز الشعور بمختلف أجزاء جسمه قبل أن يكتشف كليته بزمن طويل. فبوسعه على نحو متخيّل، وبالتوحّد بأعضاء محيطه، أن يستشعر وحدانيته، ولكن الصورة المرآوية تجسّد هذا الشعور. والرضيع يجهل المرآة التي نضعه أمامها حتى نهاية الشهر الثالث أو الرابع. ويهتّم بها بعد الشهر السادس ويبدو أنه يلمح العلاقة بين انعكاس شخصه وشخصه. ويُظهر أمام صورته الخاصّة، يقول جاك لا كان، (1901-1981)، «تبديداً ابتهاجياً من الطاقة التي تشير الى الانتصارات إشارة موضوعية». والواقع أنه قد يكتشف وحدة وجوده بضرب من «الحدس الإشراقي». وهذا «الاكتشاف» هو من النسق الحدسي، ولكنه يبدأ حقاً، نحو السنة من عمره، في أن يفهم أن الصورة المرآوية انعكاس جسمه الخاصّ وليست مثلاً مستقلاً عنه. ولكن الأخر أساسي، ذلك أنه لايكوّن قاعدة الشعور بالذات فحسب، ولكنه يصبح أيضاً نموذج الأشياء كلها: العالم لم يعد مجزّءاً؛ ولم يعد يبدو فوضى غير منظّمة، ولكنه يبدو عالماً مرتّباً، يتألف من أشياء لكل منها شكل.

وتقدّم البحوث التي باشرها رونه زازّو (المولود عام 1910) منذ 1972 وتلاميذه في ارتكاسات الطفل (والحيوان) أمام المرآة توضيحات ذات أهمية لهذا التطوّر. ويلاحظ رونه زازو أول الأمر أن الطفل في عمر ستة أشهر «يستجيب لصورته المرآوية كما لو أنه كان يرى طفلاً آخر عبْر المرآة» (1979، ص. 240). ونحو الشهر السادس عشر إلى السابع عشر من العمر، يبدو الطفل حائراً، مدهوشاً، مشدوهاً أمام الصورة التي يتبيّنها في المرآة، ويتبنّى إزاءها تصرّف التجنّب، كما لو أن الأمر كان ذا علاقة بطفل آخر له سلوك غير مألوف، ويثير القلق لهذا السبب (تلاحظ الاستجابة نفسها لدى قرود المكاك ريزوس وكلاب الراعي الألمانية). وأخيراً، لن يبرهن الطفل على أنه يتعرّف نفسه في الصورة المرآوية إلا في نحو الشهر السادس والعشرين إلى الثلاثين، عندما يمسح البقعة التي تلطّخ وجهه ويدلّ، أو يدل، على نفسه باسمه. (انظر في هذا المعجم: النموّ، المخطّط الجسمي).

N.S.

المرض

F: Maladie

En: Disease, illness

D: Krankheit

انحراف في الصحة ناجم عن عجز العضوية عن أن تقاوم عدواناً خارجياً (ميكروبي، رضّي، سُمّي ....)، وتعيد التوازن المفقود، أو عن أن تحلّ نزاعاً سيكولوجياً.

حالة المرض، بالنسبة للإنسان السوي، وضع جديد يجد نفسه فيه يواجه الألم فجأة، والعجز والموت. إن عليه، من الآن فصاعداً، أن يحتاز الشعور بالعمل الوظائفي لأعضائه التي لم يكن يستشعر وجودها حينئذٍ وأن يُعنى بجسمه، الذي أراد أن يستمرّ في اعتقاده أنه منيع على المرض. فالمرض يذكّرنا بالواقع أو كما كان مين دوبيران (1766-1824) يلاحظ في يومياته الحميمية: «إذا كانت الصحة تلقينا إلى الخارج، فالمرض يعيدنا إلى ذواتنا». والموقف في مواجهة المرض تحدّده في وقت واحد خطورة هذا المرض، وشخصية المريض والجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها (مثال ذلك أن الفلاحين والأطر في المشروعات يستشعرون المرض أنه ضعف ويقاومونه مقاومة أشد). وقبول المرض يرافقه ضرب حقيقي من النكوص السيكولوجي؛ ويبدو المريض متمركزاً على ذاته، متشدّداً، بل نزوياً واستبدادياً كطفل، عازماً على أي حال أن يستمدّ من حالته مزايا سيكولوجية (لاسيما اهتمام المحيطين به). والمرض غير خاص بفرد منعزل إلا بصورة نادرة جداً. فالجماعة الأسرية على الغالب، بل الجماعة الاجتماعية كلها، هي المتأثرة به. والأمر هو على

هذا النحو لدى هنود الناجافو في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، الذين تعتبر أسرة منهم، أحدُ أعضائها مصاب بمرض، أنها مريضة في كلّيتها. والجوار، المتورّطون هم أيضاً في هذا الحدث، يشاركون في غناء واحتفالات أخرى في إبعاد الشرّ.

ومرض أحد أعضاء الأسرة يُفقدها توازن حياتها، ذلك أن الأمر لا يقتضي العناية به، والسهر على نظامه الغذائي، وتطبيق القواعد الصحية فحسب، ولكن على الأسرة أيضاً أن تتولّى المهمّات التي كانت ملقاة على عاتقه. فالعلاقات المألوفة يصيبها التعديل، والجو الأسري يتحوّل. وعلى من يقوم بمهمة الممرّض أيضاً أن يتجاوز ارتكاس الخجل أمام الكشف عن جسم المريض بمناسبة العناية به. ولن يكون ممكناً تجاوز الصعوبة إلا بإضفاء الصفة الطفلية على العلاقة، أي أن يقيم من يؤدي مهمة الممرّض مع المريض إقامة جديدة تلك العلاقة التي تقيمها الأم مع طفلها، الذي لايمكن أن يكون جسمه سراً ولا منفّراً. وعندما يكون الأب مريضاً، يكون بوسع الأم والأطفال أن يحاولوا اغتصاب دوره، دور السلطان، ويبذلوا قُصارى جهودهم لجعل الوضع مستمراً. ويُعتبر في حالات أخرى، على العكس، أنه لم يعد يؤدّي دوره الرجولي والحامي ويثير عدوانية مقنّعة تظهر في أفعال الحياة اليومية، بنسيان بعض الواجبات على سبيل المثال، كإعطائه أدويته أو تقديم وجبته. أما مرض الأم، فإنه أكثر إثارة للاضطراب أيضاً، ذلك أنه يزرع الفوضى في حياة المنزل؛ وإدخال شخص ثالث ليحلّ محلّها لا يرتّب الوضع دائماً. وعندما يكون الطفل مريضاً، ينضاف أحياناً إلى انشغال البال ضرب من عاطفة الإثمية، بل الإخفاق (إذا كان المرض مرضاً جبلياً على وجه الخصوص)، التي يمكنها أن تقود إلى تبنّي اتجاه مغالٍ في الحماية إزاءه وأن تكوّن الأم معه ثنائياً سينزع إلى أن ينفصل عن بقية الأسرة.

ويبتعد الأصدقاء غالباً عن المريض لأنه أقلّ فاعلية ولأن مرضه يجعلهم قلقين؛ وهو نفسه يسهم بموقفه إلى أن تنقطع العلاقات، بحيث أنه يسقط في

النسيان تدريجياً. وموقف المجتمع من المرض يختلف باختلاف الزمان والمكان. فالمرض، في الحضارات البدائية، كان حملاً ثقيلاً ينبغي التخلّص منه. ويُعتبر المرض، في بعض الديانات، قصاصاً إلهياً؛ وفي ديانات أخرى، اختباراً ينبغي تجاوزه، والوسيلة لتطهير النفس بالألم. ويبدو المريض قليلاً، في مجتمعاتنا التي تعبد الرجل القوي، السليم، الفاعل، ذا الرجولة، بمظهر الخائن. فالجماعات تقبل، كما يبيّن عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (1902-1979)، أن تعفي المريض من كل المسؤوليات وتعترف له بحقّ غير مشروط بالعون، ولكنها تُلزمه، بالمقابل، أن يتعاون لشفائه. وتعتبر في الواقع أن الصحة، وإن كانت هبة، ضرب من الغزو أيضاً. (انظر في هذا المعجم: أدلر، فائدة المرض الثانوية، الأمن).

N.S.

مفهوم المرض، المقبول في علم النفس وعلم الاجتماع على حدّ سواء (توجد مجتمعات «مريضة»)، كما يستخدمه المحلّل النفسي والإتنولوجي الأمريكي جورج دوفرو (مولود عام 1908)، مستقلّ عن معايير الطبّ النفسي أو المعايير النموذجية. إنه لايعبّر عن حكم قيمة ولكنه يشرح ضروب الخَلَل الوظائفي المتنامية، ووجود «حلْقة مفرغة». ويبدو الأمر على النحو نفسه عندما يكون كل ما نفعله لبلوغ هدف محدّد يبعدنا في الواقع عنه إبعاداً لا نهاية له. وكلما بحث الفرد أو المجتمع عن الإفلات من «الدارة المغلقة»، غاصا فيها؛ وتلك هي حالة العصابي، وتلك كانت حالة سبارطة أو ألمانية النازية.

F.M.J.

مرض باركنسون

F: Maladie de Parkinson

En: Parkinson's disease

D: Parkinsonsche Krankheit

داء الجملة العصبية المحركة فوق الهرمية، الذي وصفه الطبيب الانغليزي باركنسون وصفاً رائعاً باسم «الشلسل الارتعاشي».

إنه مرض العمر الناضج، الناجم من تطوّر بطيء ويظهر بمجموعة من الأعراض المترابطة وفق أنماط شتى : 1) التشنّجية و الصلابة؛ 2) ضعف الحركة، أي نقص الحركية الآلية في العضلات المخطّطة والحركية الإرادية بالتالي؛ 3)اهتزاز، متموضع أول الأمر في نهاية اليد، ثم يغزو كل الجسم؛ 4) أعراض نباتية وحشوية : فرط الإفراز اللعابي، والأنفي في بعض الأحيان، والدمْعي، والعرق الغزير، وفرط الإفرازات الدهنية، إلخ. ويبدو المرضى (ستون ألفاً على وجه التقريب في فرنسة عام 1966) أنهم يعانون بالفعل «شللاً ارتعاشياً»؛ إنهم يعرضون مظهر روبوتات يهزّها اهتزاز إيقاعي؛ بجسم ينزع إلى أن يتقوقع على ذاته، ووجه لامع ومتخثّر كأنه قناع، وفي وسطه الحركة القلقة لعينين يكون لها وقع كبير في النفس، وأسلوب في الانتقال المتسارع إلى الأمام بخطىً متسارعة كما لو أنهم يجرون وراء مركز ثقلهم.

وهذه الأعراض هي أول الأمر واقع «مرض أساسي» أو «ذاتي العلّة»، مرض باركنسون، وهو الشكل المعروف منذ القِدَم. وتبدو هذه الأعراض عادةً بدءاً من

الخمسين وتستفحل ببطء حتى العجز الذي يطرح المريض في الفراش. ولكننا نجدها في «التناذرات الباركنسونية التالية على التهابات الدماغ» (العديدة بعد إنْتانات فيروسية كالتهاب الدماغ السُباتي لفون إيكونومو) وفي التهابات الدماغ التي تسبّبها الإنتانات العديدة الأخرى أو التسمّمات (أوكسيد الكربون، منْغنيز، إلخ). ونحن إنما نتكلّم هنا على المرض الذاتي العلّة، الوحيد الذي يمكن أن تؤدي في نشوئه العوامل النفسية دوراً.

وكان مرض باركنسون، الذي درسه في فرنسة تروسّو ثم شاركو، يُعتبر خلال القرن التاسع عشر كله عصاباً كانت انفعالاته العنيفة وتوتّراته المختلفة تُعتبر، في الجزء الأكبر منها، هي المسؤولة. ولكن اكتشاف الهولانديين مانْشو (1904) وجيلْجرسْما (1908) آفات في الجملة فوق الهرمية جعل البحوث تدلف في درب مختلف كل الاختلاف. وكان المشكل الكبير يكمن منذئذ في تحديد دقيق لمركز الآفات المسؤولة عن هذه الأعراض: بان أكثر صعوبة بكثير أن الانتظار لم يكن ممكناً. فكلما تطوّرت البحوث كانت التنكسات تبدو متميّزة عبْر الجملة العصبية، تنكّسات لا تخلو من تغيّرات مدهشة، وتبدو كل الإبهامات التي تُحدثها مفعولات الشيخوخة. أما التجريبات، فإنها كانت قد أصبحت شائكة جداً بفعل صغر النُوى المعنيّة وارتباطاتها المتبادلة الكثيرة. وإذا كان فَرَض تيتياكوف (1919) لدور المادّة السوداء، التي تتدخّل تدخّلاً مباشراً في ضعف الحركة، ليس موضع منازعة بعد نصف قرن من البحوث والمناقشات المحمومة، فإننا ما نزال نجهل المنشأ الصحيح للصلابة والارتجاف.

ولكن هذا المشكل، مشكل تحديد الموضع، فقد أهميته (وفقد جزئياً ظلامه أيضاً) مع اكتشاف الاضطراب الحيوي الكيميائي الذي يسبّب الأعراض الباركُنْسونية. وبدا عام 1960 أنها مرتبطة بقصور ناقل عصبي: الدوبامين (3,4 ديهيدركسيفينيليثلامين). إن الدوبامين، الذي تنتجه المادة السوداء على وجه الخصوص، يؤمّن السير الجيّد للدارة التي تنطلق منه نحو النواة المذنّبة وقشرة النواة

العدسية. وإذ يُعطى الدوبامين بجرعات قوية على شكل L.dopa، فإنه ينتج مفعولات مذهلة أكثر كثيراً كلما أتقنا تخفيف مفعولاته الثانوية في بقية العضوية، بفضل مثبّط للديكاربْوكسيلاز. وعلى عكس ما كان افتراضه ممكناً وفق المعارف المكتسبة الخاصة بالحامل التشريحي للمرض، فإن هذا الحامل ليس فقط ضعف الحركة التي تتحسّن تحسناً محسوساً، ولكنه الصلابة أيضاً وحتى الارتجاف. وبمتناول الطب إذن، في آخر المطاف، علاج مناسب يتيح التخلّي عن مخاطر العمليات الجراحية (التي مورست منذ عام 1946، بسبب نقص العقاقير الناجعة).

فهل تزيل هذه الفتوحات التشريحية الفيزيولوجية الباثولوجية كل اهتمام بالجوانب السيكولوجية والأنتروبولوجية للمرض، غزوات كانت تبدو أول الأمر أنها قادرة على أن تشرح نشوءه؟ الجواب نعم، من وجهة نظر التشخيص والعلاج؛ والجواب لا، إذا شئنا أن نفهم ونحتاط عند الاقتضاء. ونقول أولاً، من المعروف أن الأعراض الباركنْسونية، في مظهرها، ليست تابعة فقط لخطورة الآفات العضوية، ولكنها تابعة أيضاً للحالة السيكولوجية، حالة الفرد، وذلك يتجلى في هذا المرض أكثر بكثير من الأمراض العصبية الأخرى. وهذه الأعراض يمكنها أن تخفّ وحتى تزول زوالاً مؤقتاً عندما يشعر المريض بحالة من الثقة أو يعلم أن أي شخص لا يراه؛ كذلك عندما يكون الوضع مثيراً للإزعاج بصورة استثنائية أو محفوفاً بالخطر، بحيث أنه ينسى كل احترام إنساني ويتحرك بحرية ليواجه الوضع. هذه الحالات من «الحركية المفارقة» توحي لنا أننا إزاء مرضٍ جسمي نفسي وتحضّنا على البحث فيما إذا لم يكن نشوء هذا المرض تابعاً، كمظهره، لعوامل سيكولوجية.

والواقع أن مرضى مرض باركنسون يُظهرون، في شخصيتهم، سمات نموذجية جداً، عكف باحثون عديدون على تحديدها، لا سيّما في هولاندة، منذ عام 1955. إنهم يعيشون، كما تدلّنا ظاهرات «الحركية المفارقة»، تحت العبء المتخيّل لنظرة الغير، أي تحت التهديد، تهديد رقابة يخشون أن يصادفوها في كل مكان، منذ أن يخرجوا من قوقعتهم. إنهم، خلف واجهة خادعة، موجودات

ضعيفة نفسياً، تنقصهم الثقة بأنفسهم، وذلك لأسباب ترتبط أول الأمر بقصور جبلّي في الجملة فوق الهرمية، الحسّاسة منذ الطفولة. إنهم، بدلاً من أن يوطّدوا أنفسهم ويستسلموا لكل استقلال، يكبتون بحذر تلقائيتهم، ويخضعون لرقابة تغلّب الجانب العقلي على الحياة الوجدانية، ويحتمون تحت قناع ملائم، ويصوغون سلوكهم وفق نموذج تحدّده الامتثالية الأخلاقية والاجتماعية. ومن هنا منشأ اتجاههم المتحفّظ، وتهذيبهم الكامل، ووجدانهم المهني، وإصرارهم، وحبّ تقديم الخدمة، ونزوعهم إلى صرف طاقة، تتجاوز الحدود، في المسؤوليات التي تُعهد إليهم. والمرء يمكنه أن يعتقد بكرم أخلاقي ذي أصالة: فالمسألة لا تتعدّى بالحري كونها حاجة قلقة إلى أن يشيد بنفسه، وأن يكون فوق كل لوم، وأن يكتسب، نقول باختصار، اعتبار الغير بأي ثمن. والواقع أنهم يكتسبونه، ذلك أنهم بلغوا مستوى عالياً في مهنهم، بفضل ثقة رؤسائهم. ولكنهم ليسوا أناساً يجازفون في المبادرات. فالعالم الخارجي خالٍ من الجاذبية في ناظريهم ومن قوة الوحي. ولا ينتظرون منه سوى مهمّات كثيرة المطالب ولقاءات لا حرارة فيها. إنهم يفعلون ما ينبغي أن يفعلوه، على نحو لا عيب فيه، من حيث الشكل، ولكن دون مشاركة حقيقية وديّة. وهم، باختلال الانسجام الداخلي كما بتكيّفهم المزعوم مع العالم الخارجي، لا يرتكزون على أساس بالنسبة لأنفسهم ولوسطهم على حدّ سواء.

وينجم عن ذلك أنهم يعيشون في الحَصَر. إنه حصر منتشر، دون موضوع محدّد، يجعلهم يتخيّلون أن الناس كلهم يضعونهم موضع التساؤل وأن كل لقاء مع الناس والأشياء يُخضعهم إلى اختبار. ويوحي الحصر لهم بضرب من انشغال البال هو انشغال بال بالأفضل، خوفاً من أن يكوّن الناس رأياً سيئاً بهم، ولكنه خشية أيضاً من أن يكونوا أدنى مستوى من المهمّة والظروف. ويجعل الحصر منهم «موسوسين- قلقين»، على غرار المصابين بالإرهاق النفسي الذين وصفهم بيير جانه.

ولا ريب في أن الدونية المذهلة التي تحكم عليهم بها مظاهر أعراضهم تفاقم الحصر. ولكن هذا الحصر سابق في وجوده على قيام الأعراض: إنه كان يميّز شخصيتهم منذ الطفولة. إنهم تلقّوا، على وجه العموم، تربية قاسية واستكمالية. وكان ممنوعاً عليهم أن يستسلموا لمظاهر حيويتهم ووجدانيتهم، أي أن يضحكوا، ويغنّوا، ويصرخوا، ويركضوا، ويرقصوا، حتى يكونوا «أطفالاً عقلاء»، وذوي تربية حسنة، وفق معايير حضارتنا على الأقلّ. فتعلّموا آداب السلوك بدلاً من الحياة. وبدلاً من حرارة المحبة، حرارة تجلب الأمن، فإن الذكرى التي يحتفظون بها من طفولتهم، ولا سيّما من جهة الأب، هي ذكرى القمع وامتثالية تصيب المرء بالشلل.

وهذا الجوّ هو الجوّ الذي نجده على وجه الضبط في أسرهم، عندما يكون لدينا الفضول لدفع الاستقصاء حتى هناك. ولكننا نكتشف فيها أيضاً أن الحالات الباركنْسونية لم تُعزل إلا نادراً: فالمرض لم يصب بعض الأصول فحسب، ولكن الملاحظ المنتبه بمكنه أن يميّز المرض في حالة الابتداء أو حالة الإجهاض لدى بعض الحواشي والفروع. ويفرض وجود هذه العائلات الباركنسونية (المدروسة في هولندة والسويد على وجه الخصوص) أول الأمر فكرة سمة وراثية للمرض الذاتي العلّة، ويفرض دون شك أيضاً فكرة الاستعداد المسبق، الذي يتيح استقرار الأعراض الباركنسونية عقب بعض الإنتانات. ثم يحضّ هذا الوجود، وجود العائلات الباركنسونية، على التفكير أن الوراثة تُحدث فقط استعداداً مسبقاً وأن السلوك العصابي، الذي يفرضه الآباء، يطوّر هذا الاستعداد حتى يجعله يفضي أحياناً، نحو سن الخمسين، إلى أعراض من النسق الجسمي تُظهر المرض. أبوسعنا أن نفترض، بهذا الصدد، أن الجملة الحركية فوق الهرمية تتنكّس، بسبب الاستعانة بها استعانة غير كافية؟ أم ينبغي لنا أن نعتقد بالحريّ، ولو أن الانفعالات العنيفة بدت على الغالب أنها تطلق الأعراض الباركنسونية، أن التوتّر وسمة الضعف التي يُحدثها الحصر الدائم يمكنهما، مع مرور الزمن، أن تُنتجا النتيجة نفسها، وعلى

وجه الخصوص عندما يتناميان خلال السنين الصعبة التي يعرفها الموجود الإنساني بعد سن الخمسين؟ المسألة تظلّ مفتوحة. ولكنها تبدو لنا بوضوح أن الوقائع تطرحها، ولاسيّما أن مرض باركنسون إنساني على وجه الحصر وأن الآفات الدماغية التي مورست على الحيوانات لم تسبّب الأعراض إلا بصورة جزئية وعابرة.

وفي هذا المنظور الجسمي النفسي أو، لنقول على نحو أفضل، الأنتروبولوجي (ذلك أنه يأخذ الإنسان بكليته كما يتكوّن تبعاً لوسطه)، لن يكون القصور في الدوبامين، في الجملة فوق الهرمية، معتبراً أنه السبب الضروري الكافي للأعراض، كما يتيح تصوّر ميكانيكي للطبّ أن يفعل ذلك: إن هذا القصور يشرح الاختلال في الشخصية، ليفاقمه أيضاً، اختلالاً ناجماً هو ذاته عن قصور من أصل وراثي يُضعف حيوية الفرد ويجعله سريع العطب لتأثيرات المحيط التي تسبّب العصاب. وتكون العوامل المختلفة في حالة من التفاعل وتوجد ضرباً من الحلقة المفرغة يغوص فيها «المرشحون للباركنسونية» قليلاً أو كثيراً، كما تبيّن التشكيلة الواسعة، والمتمايزة في الفروق، من الأشكال التي يتّخذها هذا «المرض». (انظر في هذا المعجم: **الدوبامين، الوراثة**).

J.J.P.,P.G.

مرض بيك

F: Maladie de Pick

En: Pick's disease, Morbus Pick

D: Picksche syndrome, Picksche Gehinatrophie

شكل من الخبل الشيخوخي المبكّر سببه ضمور قشري غالب في المناطق الجبهية والصدغية.

وصف عالم الأعصاب التشيكي، عامي 1892و 1898، أرنُولدبيك (1851-1924) وصف الخبل الذي سيسمّيه ولتر سبيلْميّر (1879-1935) «مرض بيم» عام 1920. وهذا المرض ناجم عن ضمور جبهي - صدغي ثنائي الجانب، متناظر، يصيب المادّة الرمادية والمادة البيضاء. ونلاحظ، في المجهر، ندرة العصبونات وزوال النخاعين عن الألياف العصبية، وتكاثراً في شبكة الدبق العصبي، ووجود خلايا منتفخة تحتوي جسيمات الألزهايمر، ولكنها لا تحتوي اللويحات الشيخوخية ولا التنكّس العصبي الليفي. ويصيب مرض بيك أفرداً في الخمسين إلى الستين من عمرهم. وبدايته، الدفينة، تسمها اضطرابات في السلوك، وانخفاض الفاعلية، وقابلية كبيرة للتعب، ومزاج متغيّر، يتّصف بالغبطة أحياناً والاكتئاب أحياناً أخرى. ويبدو الفرد أحياناً في حالة إثارة، لديه اندفاعات تقوده إلى إنجاز أفعال تفتقر إلى أداب السلوك، بل أفعال معادية للمجتمع، ولكنه غير فاقدٍ توجّهه وليس لديه قصور في الذكريات، والحبسة، وعمه الأداء الحركي، وعمه الإدراك، كما في خبَل الألزهايمر. وبعد سنتين إلى خمس سنوات من التطورّ، يدخل المرض طوره الهام، المتميّز بخمول، وسلبية كبيرة، ولامبالاة،

واضطربات كبيرة في الانتباه والذاكرة وفقدان توجّه زماني مكاني خفيف وقصور في الحكم. والفرد يمكنه أن يكون في حالة من الإثارة والغبطة؛ شرها في الأكل وآكل براز في بعض الأحيان. وتتقلّص مفرداته؛ وينسى كلمات، أو أنه يكرّر كلمات أخرى على نحو مقلوب؛ ويعاني أيضاً صعوبات في فهم الكلام، ولكنه لا يشعر أي شعور باضطراباته. ويردّد كالصدى، على الغالب، ما يقال أمامه أو يقلّد ما يفعله الغير. وينغلق تدريجياً في الخرس ويفقد إمكان تنفيذ حركات أو حركات تعبيرية أو إمكان فهم دلالتها لدى الغير (amomie أموميا). ولا يُلاحظ من جهة أخرى مظهر ذهاني ولا أزمة صرع، ولكن قد يبدو بعض العلاقات فوق الهرمية الطرفية. ولتأكيد التشخيص، لجأ بعضهم إلى فحوص متمّمة كتخطيط الدماغ الكهربائي، وروائز القياس السيكولوجي، والتصوير الطبقي. ويتطوّر مرض بيك، من خمس سنوات إلى عشر، نحو الدنَف، واللامبالاة، والعطالة والموت. (انظر في هذا المعجم: مرض الألزهايمر، الخَبَل).

M.S.

أمراض الحموض الأمينيـة **F: Aminoacidopathie**

En: Amino - acide screening

D: Aminosäure Krankheit

مرض يرتبط بوجود منتجات في العضوية بكميات غير طبيعية، ناشئة عن تحلّل غير كامل لبعض الحموض الأمينية المكوّنة البروتيئينات، بسبب غياب الأنزيم (الخميرة) أو عدم كفايته.

تتفاقم أمراض الحموض الأمينية في العضوية بالتدريج وتسبّب، على الأغلب، اضطرابات عصبية نفسية، تنتقل وراثياً على نمط متنحٍ بصورة عامة. وتتضمّن هذه الزمرة من الأمراض ثلاثة عشر مرضاً معروفاً، نادرة جداً في غالبيتها.

وأكثر هذه الأمراض تواتراً هو الضعف العقلي الناجم عن حمض البروفات الفنيل أو بيلة الفنيل سيتون، أو هو أيضاً مرض إيفار أسبجورن فولّنغ، اسم الفيزيولوجي النورويجي الذي أثبت، عام 1934، وجود علاقة سببية بين القصور العقلي والاضطراب الاستقلابي. وهذا المرض، الذي يصيب طفلاً واحداً من نحو عشرة آلاف طفل، نتيجة نقص في الخميرة الكبدية الخاصة بهدرجة الفنيل ألانين، وذلك أمر يجعل تحوّل الفنيل ألانين إلى تيروزين متعذّراً. ويتجلّى ذلك بزيادة في نسبة الفنيل ألانين في الدم ووجود حمض بيروفات الفنيل في البول. وللأطفال المصابين بهذا المرض في الأغلب (90بالمئة من الحالات) جلد فاتح اللون، وعيون

زرقاء- وشعر أشقر. وتبدو في الستة أشهر الثانية من عمر الرضيع اضطرابات في النمو النفسي الحركي، وينجم عن ذلك فيما بعد تخلّف عقلي سيتفاقم تدريجياً حتى البلوغ ليفضي، على وجه العموم، إلى الضعف العقلي العميق. ويمكن أن يضاف إلى هذا الضعف العقلي العميق اضطرابات في الطبع (اهتياج، غضب. . .) وفي التناسق الحركي.

والبحث عن حمض بيروفات الفنيل في البول لدى الرضّع يتمّ، منذ الشهر الأول من الحياة، بروائز فولّنغ. ويتيح اختبار الطبيب الأمريكي روبير غوثري (مولود عام 1916) أن يكشف تراكم الفنيل الانين في الدم منذ الأيام الأولى بعد الولادة. وهذا البحث أصبح إلزامياً في فرنسة لكل المولودين حديثاً. وفي رأي بيكل أن نظام حمية يقلّ فيه الفنيل ألانين (الحاصل بفضل الأغذية الصناعية)، يُطبّق قبل الأسبوع السادس من عمر الرضيع وتستمرّ متابعته حتى المراهقة، قد يتيح تجنّب الضعف العقلي. وتسوّغ هذه الملاحظة استخدام إجراء من الكشف السريع، ولو أن نجوع نظام الحمية كان موضع نقد من بعض الاختصاصيين. وكان هذا المبدأ نفسه في المعالجة بالحمية قد استُخدم في أمراض أخرى بسبب وجود الحموض الأمينية في العضوية، أمراض أكثر ندرة، ولكن النتائج يصعب تقييمها.

J.MA.

مرض تاي ـ سَكْس ، العته الكمْنوي الطفلي F: Maladie de Tay-Sachs, Idiotie amaurotque infantile

En: Tay-Sachs' disease, Amaurotic idiocy

D: Tay-Sachsche Krankheit, Amaurotische idiotie

مرض وصفه، عام 1881، الطبيب الانغليزي وارن تي (1843-1927)، ثم، عام 1887، عالم الأعصاب الأمريكي برْنار سكْس (1858-1944). ويحدث في العضوية، جراء اضطراب أيْض الشحوم، لا سيّما في الجملة العصبية، ضربٌ من تراكم الغَنغاليوزيد GM2 يسبّب تنكّس العصبونات.

نلاحظ، من وجهة النظر العيادية، بين الشهرين الرابع والسادس من الحياة، أن الرضيع، الذي كان يبدو طبيعياً، يغوص بالتدريج في ضرب من الذهول؛ وتنخفض رؤيته حتى الكُمْنة وفقدان البصر الكامل؛ ويتوقّف نموّه العقلي؛ وتبدو عليه اهتزازات عضلية (دَمَع عضلي)، وتشنّجات ونوبات تصلّب. ويبيّن فحص قعر العين وجود بقعة لامعة حمراء كرزية في الجزء المركزي من الشبكية، بقعة محاطة بهالة ضاربة إلى البياض، وهي العلامة الأكثر تميّزاً. إنه داء وراثي، ينتقل على نمط متنحّ؛ ويحدث التطوّر نحو الموت الذي يطرأ في السنتين التاليتين لظهور المرض. وساد الاعتقاد خلال زمن طويل أن هذا المرض لم يكن يصيب سوى الأسر اليهودية في أوروبة الشرقية. وفي رأي بعض المؤلفين، لن يكون مرض تاي ـ سكْس سوى الشكل الطفلي المبكّر للعتُه الكُمني الأسري الذي وصف أيضاً ر. م. نورمْان (و) ن. وود، ووصف أ. دو لَنْجر وماكْس بيلْشوفسكي، شكلاً طفلياً متأخراً منه

يبدأ بين السنة الأولى والخامسة، ووصف هنْريك فوغ ووالْتر سبيلميير شكلاً فتويّاً يظهر في العمر المدرسي، بل وصف هوغوكوفز شكلاً أكثر تأخراً أيضاً. ويظهر المرض، في كل الأحوال، بنكوص عقلي يتفاقم شدّة وانخفاضاً في الرؤية. (انظر في هذا المعجم: العمى، اضطراب الشحام).

N.S.

المرض الخلاّق

F: Maladie Créatrice
En: Creative disease
D: Schöpferische

لن نقارب هنا مشكل الإبداعية العام، ولكننا سنقارب على وجه الحصر مشكل نمطٍ من أنماطها الخاصّة، الظاهرة التي لاتزال مجهولة إلى حد بعيد، ظاهرة «المرض الخلاق».

ويبدو المرض الخلاق، على الغالب، كعصاب مبتذل موصوف بـ «النَهَك العصبي» أو بأي تشخيص آخر، وفق تصوّرات الطب النفسي الرائجة. إنها أعراض من الاكتئاب، والإنهاك، والنزَق، ترافقها اضطرابات النوم، وأوجاع الرأس، والآلام العصبية. ويتّخذ المرض في بعض الأحيان مظهر ذهان خطير قليلاً أو كثيراً، أو مظهر مرض نفسي جسمي أيضاً. ولكنه يتميّز مع ذلك، في كل الحالات، ببعض السمات الخاصّة:

1) البداية تلي مرحلة عمل فكري كثيف، وضروب طويلة من التفكّر والتأمل، أو ربما عمل أكثر تقنية، كالبحث عن الموادّ الفكرية أو جمعها. والتصورّ الشعبي، الذي مفاده أن إنساناً يمكنه أن يصبح مريضاً لفرط الدراسة أو الهموم، ذو علاقة جيّدة بما يكفي (علاقة صحيحة في الحالة الراهنة) بين العمل الفكري الكثيف وظهور الاضطرابات العصابية؛

2) يستحوذ على الفرد بصورة عامة، خلال المرض، شاغل غالب، يجعله في بعض الأحيان بادياً ولكنه يحجبه غالباً، شاغل خاصّ بشيء أو فكرة تهمّه أكثر من أي شيء آخر ولا تغرب عن باله غروباً كاملاً على الإطلاق؛

3) نهاية المرض لا يعيشها الفرد تحرّراً من فترة طويلة من الآلام فحسب، ولكنه يعيشها أيضاً بوصفها إشراقاً. ففكر الفرد تغزوه عندئذ فكرة جديدة تبدو له كالوحي أو مجموعة من ضروب الوحي. فالشفاء مفاجىء على الغالب، إلى حدّ يكون بوسع الفرد أن يحدّد تأريخه الدقيق. وعواطف الإثارة، والغبطة، والحماسات الشديدة، تلي الشفاء على وجه العموم، وقد يحدث أن يشعر الفرد أنه نال التعويض دفعة واحدة عن آلامه الماضية كلها؛

4) المرض الذي زال بالشفاء **يليه ضرب من التحوّل الدائم في الشخصية**. فلدى الفرد انطباع مفاده أنه يبلغ حياة جديدة. إنه يدخل عالماً جديداً، لايكاد ما بقي من حياته يكفي لسبْره. أو يبدو له أنه أنجز اكتشافاً فكرياً أو روحياً يبذل جهده الآن لإبرازه. فإذا كان الاكتشاف فكرة جديدة، فإنه سيميل إلى أن يرفعها الى مرتبة الحقيقة الكلية؛ وسيفعل ذلك باقتناع عميق، وسينجح في أن يجعل أشخاصاً آخرين يتبنّونها على الرغم من العوائق كلّها.

ذلكم هو المخطّط العام الذي ينبغي أن نسهم في تنقيحه تنقيحات عديدة.

ينبغي أول الأمر أن نميّز تمييزاً أساسياً بين ضربين من الأمراض الخلاقة: أمراض **المعلم** وأمراض **التلميذ**. فالإنسان الذي يجري التجربة التلقائية لمرض خلاق يسلك سبيلاً لم تطأها قدم إنسان قبله، أو نقول، على نحو أصحّ، إنه هو الذي شقّ درباً. وذلك ما يشرح العاطفة الرهيبة، عاطفة العزلة والهجر التي يكابدها. ولكنه ما أن يخرج من هذه الحالة حتى يكون بوسعه أن يحضّ إنساناً آخر على أن يسلك الدرب نفسه، درباً سيقوم الأول، بالنسبة للثاني فيه، مقام الهادي والداعم. فالمرض الخلاق، الوحيد والتلقائي في الأصل، يمكنه إذن أن يصبح النموذج الأصلي لمرض خلاق أُضفيت عليه صفة الأسلوب، إذا جاز القول، وعاشه مجدّداً أنصارٌ عديدون. ويمضي الأمر على النحو نفسه، بصورة خاصة، مع مرض الشامانيين الكشفي. فالشامان الأول الذي ابتكر، ربما من آلاف السنين، تقنية حتى يبلغ حالة الوجْد ويسبر عالم الأرواح، كان المعلم. وسلك الآلاف من الشامانيين بعده الدرب نفسه واجتازوا الاختبارات ذاتها بمساعدة معلم قديم خبير. ولكن من

المؤكد أن كثيراً من الناس عاشوا تجربة مرض خلاق دون أن يكابدوا الحاجة إلى أن يقنعوا آخرين بسلوك الدرب نفسه.

أضف إلى ذلك أن علينا أن نميّز خمس فئات من الأمراض الخلاقة: أمراض الشامانيين، أمراض الصوفيين العظام، والشعراء، والفلاسفة، وروّاد الطب النفسي الدينامي.

الأمراض الكشفية لدى الشامانين. يؤدي الشامانيون، لدى كثير من الشعوب البدائية، دور الوسيط بين عالم الناس وعالم الأرواح. إنه يعزّم، ويتنبّأ، ويسهر على سلام الشعب وازدهاره، ويشفي بعض الأمراض، دون أن نتكلم على العديد من الوظائف الثانوية. ووصف علماء الإنتولوجيا ذلك المرض التلقييني العجيب الذي يجتازه الشامان لدى بعض الفئات من سكان المناطق المختلفة (مثال ذلك في سيبيرية، ألاسكة).

ينسحب الفتى المراهق، في بعض القبائل السيبيرية، الذي يشعر أنه مدعو ليصبح شاماناً، من صحبة الناس، ويراعي فترات زمنية من الصوم، وينام على الأرض العارية أو الثلج، ويكابد ألف ألم ويتحدث بصوت عال مع الأرواح، بحيث أن مراقباً غربياً يعتبره بالتأكيد مصاباً بمرض عقلي. ويعتبر الشامان نفسه هذه المرحلة مرضاً يتزامن الشفاء منه مع بداية فاعليته العامة. وكان بعض المؤلفين قد استنتجوا أن المسألة هنا مسألة فصام مبتذل وعُرف يجعلان مهنة الشامان وقفاً على مرضى بالفصام سابقاً. والواقع أن هذا الذهان الفريد يبدأ في اللحظة الدقيقة التي يباشر خلالها الفتى في أن يطبع خطّه المهني، خطّ الشامان، وتلك فكرة لم تعد تبارحه من الآن فصاعداً. ويتابع المريض بإشراف شامان شيخ، خلال مرحلة هذا الذهان كلها، تلقيناً مهنياً سينتهي مع المرض في الوقت نفسه، وسيكون جزاؤه احتفالاً عاماً سيُعزى فيه منصب الشامان. فلا يمكننا إذن أن نقارن مرضاً من هذا النوع بفصام مبتذل: ففي هذا الأخير، لا توجد الفكرة الثابتة لهدف منشود، وغائية البدء والنهاية، والعلاقة بمعلم يوجّه الجهود. ولنضف أن الفصامي الذي شفي من

مرضه يجد نفسه على الغالب مصاباً بضعف ويشقّ عليه أن يجد توازنه السابق من جديد، على عكس الشامان تماماً، الذي يبلغ حياة عليا في نهاية مرضه.

آلام الصوفيين الداخلية. نلاحظ، عبْر الأدب الواسع الذي كان مخصّصاً للصوفيين من الديانات جميعها، أوصافاً شتّى للآلام الداخلية التي يمكنها أن تكون شبيهة بسيرورة المرض الخلاق.

فلْنقتصر على مثال واحد، مثال «ليل النفس المظلم»، الذي وصفه سان جان دو لا كروا. إن على رجل الدين الذي يدلف في هذا الدرب أن يجتاز الاختبارات العديدة جداً والعميقة جداً «بحيث أن العلم الإنساني لا يكفي لفهمها ولا التجربة لعرضها». وليست المسألة هنا مسألة إذلال إرادي، بل آلام روحية. إنها، في الطور الأول، مخاوف من الضياع أو الهجر، وتعذّر تثبيت فكره في تأمل؛ وهي، في الطور اللاحق، ذلك الشعور بأنه منبوذ من الله، وتعذّر وجود أي إشباع في أمور الله ولا في الخلائق. وسان جان دو لاكروا يذكر السمات التي تتيح التعرّف أن المسألة أقرب إلى أن تكون مسألة «ليل مظلم»، حقيقي من أن تكون مفعولات نقائص دينية أو مفعولات «سوداوية» (مع معناها الواسع إلى حدّ كاف في ذلك العصر). ولا تبحث النفس ولا تجد، في حالة الجذْب الصوفي الحقيقي، أي تعزية في الأمور الحسيّة، ولا تستسلم إلى أن تنصرف عن انشغالها الدائم بالله، حتى عندما تشعر أنه مهجورة أو منبوذة. فنتعرّف هنا إذن هذا البحث السائد الدائم، إحدى السمات الأساسية في المرض الخلاق. والسمات الأخرى الأساسية موجودة فيه أيضاً: فالبداية ترتبط بنقطة من الانطلاق النوعي، هي الالتزام ببحث روحي هدفه المأمول تحوّل النفس في الاتحاد الصوفي. ولنشر أيضاً إلى أن الصوفي يضع نفسه تحت إدارة دليل روحي وأن الإلماعات تُوجّه إلى الآلام غير المجدية التي يسبّبها عدم الخبرة لدى بعض الموجّهين أو أخطاؤهم. وفي كل ذلك تبين الفروق الأساسية بين «الليل المظلم» وتطوّر مرض عقلي كالاكتئاب أو الفصام.

الجذْب الأدبي. تكلّم بعضهم كثيراً على الوحي الشعري وتكلموا قليلاً جداً على عكسه، جذْب الشاعر الذي لايفلح في أن يبدع شيئاً على الرغم من جهوده

اليائسة. وأحد الكتّاب النادرين الذي وجّهوا اهتماهم إلى هذا الموضوع هو إدْمون جالو، الذي ذكر عدّة أمثلة مستمدّة من الأدب (أحدها مقطع رائع كتبه هوفمانْستال) ومن تجربته الشخصية. وتطرأ أزمات الجدب، يقول، دون إنذار ولاتبدو أن لها علاقة بالصحة أو المرض، ولا بأحداث الحياة الانفعالية. و«المقصود على وجه الاحتمال، حيوية خاصّة. قوة لانعرفها إلا قليلاً وتظلّ تتطلّب الكشف...». ومهما يكن من أمر، لايرتاب إدمون جالو في أن هذا الجدب يكون خصباً، دائماً على وجه التقريب. إنه قد يكوّن مرحلة وسطى تفضي، بالنسبة للكاتب، إلى تقدّم مواهبه أو إلى تعميقها. فالمسألة مسألة سيرورة داخلية تتمزّق بواسطتها «هذه الحواجز الجليدية التي تفصل الأنا العميقة عن الأنا السطحية وتمنعهما من أن يلتقيا».

الأمراض الخلاّقة لدى الفلاسفة. معلوماتنا عن السيرورات المبدعة لدى المفكرين والفلاسفة قاصرة جداً. فالمثال الأكثر أصالة ودقة، الذي نعرفه، على مرض خلاق لدى فيلسوف هو مثال غوستاف تيودور فخْنر(1801 -1887).

سُمّي فخنر أخيراً، بعد سنين طويلة من عمل كثيف، شاق ضعيف المردود المادي، أستاذ الفيزياء في جامعة ليبْزيغ، عام 1833، وهو في سنّ الثالثة والثلاثين. ولكنه بدأ منذ هذه اللحظة يعاني الألم من إنهاك ناجم عن الإرهاق. وانهارت صحته، عام 1940، وهو في عمر التاسعة والثلاثين، وأُرغم على أن ينقطع عن كل فاعلية خلال السنوات الثلاث التي تلت. والمرض الذي عاناه عندئذ معروف بفعل سرْد له من سيرته الذاتية استخدمه فيما بعد كونْتز، كاتب سيرته. ونحن، في أيامنا هذه، نشخّص هذا المرض أنه «اكتئاب عصابي خطير مع شواغل ذات علاقة بتوهّم المرض، ربما عقّدتها مفعولات آفة في الشبكيّة تلت تجارب محفوفة بالخطر» (كان فخنر قد تأمل الشمس مباشرة وخلال فترة طويلة بغية دراسة الصور البصرية بعد الحسّية). وكان فخنر، خلال الجزء الأكبر من مرضه، يعيش في العزلة الكاملة، في قاع غرفة مظلمة جدرانها مدهونة باللون الأسود، حاملاً قناعاً على عينيه أو جهازاً يسدّ الرؤية. ولم يكن يتحمّل أي غذاء على وجه

التقريب؛ وكانت حالته توحي بالقلق. وشرع فخنر عندئذ يقسر ملكاته العقلية على أن تقوم بعملها الوظائفي، وذلك جهد منهك كان يقارنه بجهد فارس يروّض مطيّة عاصية. وبان له في الحلم، في نهاية سنوات ثلاث من الآلام والجهود، رقم 77 واستنتج أن شفاءه سيحدث اليوم السابع والسبعين- وذلك ما حدث بالفعل. ولكن المرحلة الطويلة من الاكتئاب تلتها مرحلة قصيرة من الإثارة الفكرية والغبطة، ترافقها أفكار عظمة. وكان فخنر يعتقد في نفسه أنه قادر على أن يحلّ ألغاز العالم كلها. وهذا الطور من الغبطة زال بدوره، ولكن فخنر احتفظ بقناعة مفادها أنه كان قد اكتشف مبدأً كلياً للحياة السيكولوجية هو «مبدأ اللذة». أضف إلى ذلك أن جمال الأزهار استحوذ على فخنر، منذ أن فتح عينيه في حديقته للمرة الأولى من ثلاث سنوات مضت، وفهم أن لهذه الأزهار نفْساً. وتلك كانت نقطة انطلاق لكتابه nanna أو **نفس النباتات**، المخصّص لحياة النباتات النفسية. وظلّ فخنر في صحة جيّدة خلال الباقي من حياته، ولكن تحولاً كان قد جرى في شخصيته: كان الفيزيائي قد أصبح فيلسوفاً واستبدل فخنر بالفعل كرسيّ الفلسفة بكرسي الفيزياء.

ولا تشرح تشخيصات الاكتئاب العادية، والإنهاك بفعل الإرهاق، والعصاب، على الإطلاق، تلك النهاية المفاجئة للمرض، ولا التحول الذي تلا في شخصية فخنر، ولا انبجاس الأفكار الجديدة في لحظة الشفاء.

وقد يكون مغرياً أن نفحص سيرة ديكارت الذاتية، على سبيل المثال، وأن نرى إن كانت واقعة إشراقه الفلسفي الشهيرة، حيث أُوحيت له مبادىء علم كلية، مآل مرحلة من المرض الخلاق، طويلة ومظلمة.

المرض الخلاق لدى روّاد الطبّ النفسي الدينامي. يبدو أن بوسع المرء أن يؤكّد في أيامنا هذه أن المرض الخلاق أدّى دوراً أساسياً في نشوء مذهبين كبيرين في الطب النفسي للأعماق، التحليل النفسي الفرويدي وعلم النفس التحليلي ليونغ.

أتاح نشر المراسلات بين فرويد وفليس أن نعرف واقعة أساسية من حياة فرويد. ونحن نعلم الآن أن فرويد بدأ يعاني، انطلاقاً من عام 1894، اضطرابات

عصبية يصعب تحديدها، وُصفت أنها «نَهَك عصبي نفسي»، وأنه بدأ منذ عام 1897 يعالج نفسه بنفسه بطريقة الترابطات العفوية وتفسير الأحلام، اللذين كان قد صاغهما منذ أمد قريب. واكتشف فرويد، خلال هذا التحليل، تلك الحوادث المنسيّة، أو نصف المنسية، من طفولته: انجذابه العاشق إلى أمه، خصومته لأبيه، أي عناصر عقدة أوديب باختصار. وانبعث فرويد من تحليله النفسي وقد طرأ عليه تحوّل كامل؛ وكانت عواطف الدونية قد زالت، وحلّت محلها ثقة بالذات؛ إنه كان في هذه اللحظة يحوز مذهباً وطريقة علاج نفسي وقادراً على أن يصبح رئيس مدرسة.

ويبدو لنا «النَهَك العصبي النفسي» لدى فرويد وتحليله الذاتي عنصرين من سيرورة أكثر إجمالية، حيث سنكتشف السمات الأساسية للمرض الخلاق. فالبداية تتزامن من اللحظة التي توجّه خلالها فرويد نحو سبْر خفايا الفكر الإنساني، وتلك فكرة لم تغرب عن باله خلال العصاب والتحليل الذاتي؛ ووسم النهاية إشراقٌ فكري، وتحوّل دائم في الشخصية، والاقتناع أنه اكتشف اكتشافاً رئيساً. ويتّفق كل من عرفوا فرويد على القول إن الوجود الكلّي لجنسية الطفولة ووجود عقدة أوديب كانا حقيقتين يقينيتين ومطلقتين لا تحتملان أية مناقشة.

إنه يقين، لا يقلّ اتصافاً بأنه مطلق، ما كان كارل غوستاف يونغ يعلنه فيما يخصّ مفاهيم اللاشعور الجمْعي، والنماذج البدئية، والأنيموس والأنيما، والتفرّد، إلخ. واعتُقد خلال زمن طويل أن يونغ كان قد توصّل إلى هذه المفاهيم جرّاء ملاحظات كان قد راكمها خلال عمله العلاجي النفسي. وألقت على هذا الموضوع أسرارٌ أسرّبها يونغ، عام 1925، وعلى وجه الخصوص نشرُ سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه، بعض النور. ونحن نعلم الآن أن يونغ أُصيب، بعد انفصاله عن فرويد، باضطرابات ذات مظهر عصابي، مع حصر وعاطفة عزلة، وأنه شرع، في كانون الأول (ديسمبر) 1913، يسبر اللاشعور، وهو ضرب من التحليل الذاتي الذي مارسه يونغ على نحو مختلف جداً عن نحو فرويد، بواسطة تقنيتين جديدتين: الخيال المقسور والأحلام المرسومة. وتبيّن لنا سيرة يونغ الذاتية التي

كتبها بنفسه كيف أن هذا المؤلف، إذ تصرّف على هذا النحو، سبر عالم النماذج البدئية، تعرّف «أنيماه»، واكتشف نحو عام 1918، سيرورة التفرّد ونتيجتها «الذات» (المركز غير المرئي اللاشعوري من الشخصية). فالأساسي في نظرية يونغ خَرَج إذن من عصابه الخلاق، كما خرج الأساسي في التحليل النفسي من العصاب الخلاق لدى فرويد. ولنتذكّر أيضاً أن يونغ هو الذي غلّب مبدأ التحليل التعليمي، عندما كان ما يزال يعمل مع فرويد؛ وكان المقصود، في فكره طريقة تعلّم بالممارسة. وانتهت مدرسة يونغ، فيما بعد، إلى جعل التحليل التعليمي مثيلاً للمرض الكشفي لدى الشامان.

وخلاصتنا ملاحظتان:

الملاحظة الأولى خاصّة بمرونة المرض الخلاق. فمرض المعلم تحدّده الاعتقادت السابقة لدى الفرد، في سيره ومآله. ويبد الأمر على النحو نفسه، بالأولى، لدى النصير. فهذا النصير يحذو، بصورة طبيعية جداً، حذو النموذج الأصلي الذي كوّنه مرض المعلم تكويناً نهائياً. ولن يبلغ العرّاف الأوسترالي أبداً نيرفانا الراهب التيبيتي، وهذا الراهب لن يسبر أبداً عالم الأرواح لدى الشامان. كذلك سيكون لدى المرشّح، الذي يُجري تحليلاً فرويدياً، أحلام «فرويدية»، وسيكتشف عقدته الأوديبية، وحصر الخصاء لديه، إلخ، على خلاف اليونغي الذي سيكتشف أنيماه، وذاته، إلخ، وسيحقّق تفرّده. فالعبقرية، كما كان يقول تارد، هي القدرة على أن تولّد نسلها.

والملاحظة الثانية تمسّ المشكل الصعب لـ قيمة المرض الخلاق الكشفية. فعاطفة اليقين المطلق التي يكابدها الفرد إزاء الكشوف التي تتحقّق خلال ملحمته الروحية، هل هي ضامن الحقيقة لهذه الكشوف؟ ما الدور الذي يمكن أن يكون عليه اللاشعور ذو التكوين الأسطوري قد أدّاه هنا؟ إنها هي المسألة التي ما تزال الإجابة عنها غير ممكنة في الحالة الراهنة للبحوث.

H.F.E.

مركز الإرشاد الطفلي، المركز الطبي السيكولوجي البيداغوجي

F: Centre médico- psychopédagogique, Centre de guidance infantile

En: Child guidance clinic

D: Medicopadägogisches institut

مكان يُنظَّم فيه الكشف «ومعالجة أطفال مرضى عقليين وغير متكيِّفين، حيث يرتبط عدم تكيّفهم باضطرابات عصبية نفسية أو باضطرابات في السلوك تقبل تقنية علاج طبية، وإعادة تربية طبية سيكولوجية أو إعادة تربية علاجية نفسية أو سيكولوجية بيداغوجية في ظلّ السلطان الطبي».

النص الذي نستمدّ منه هذا التعريف هو مرسوم 18 شباط (فبراير) 1963 الذي يحدّد الشروط التقنية للموافقة على المراكز الطبية السيكولوجية البيداغوجية ذات العلاج الجوّال، مرسوم أكمله تعميم وزاري خاص بأنماط تمويل هذه المراكز. وكلاهما اقتصرا على إضفاء الصفة الرسمية على عدد معيّن من التجارب السابقة التي تعود الأولى منها في فرنسة إلى أول حزيران (جوان) من عام 1946، تأريخ افتتاح المركز السيكولوجي البيداغوجي لأكاديمية باريس، المسمّى مركز كلود برنار، باسم المدرسة التجهيزية التي أُنشىء المركز فيها. وكان هذا المركز، في ذهن روّاده (لاسيّما أندره برج، طبيب نفسي، وجورج موكو، أمين سر لجنة السكان العليا)، يستجيب للرغبة في أن يدخل إلى المدرسة هاجس «التربية الوجدانية وتربية الطبع،

تربية مهملة أو مجهولة حتئذ، لصالح المعرفة الحصري على وجه التقريب» وفي جعل الآباء والمعلمين والتلاميذ يفيدون من إمكانات يقدّمها لهم علم النفس الحديث. وبسرعة كبيرة أدارت هذا المركز، الذي كان يعمل في البداية عمله الوظائفي بفضل إعانات وزارية، جمعيةٌ خاصة أنشأت، بالتعاون مع الأستاذين جوليت بوتونيه وموريس دوبيش، هيئتين مشابهتين في ستراسْبورغ (1947) وميلْهاوس (1949). واجتاز التوقيع على اتّفاق بين هذه المراكز وهيئات الضمان الاجتماعي، يتيح سداداً جزئياً للاستشارات، مرحلة ذات أهمية. ومع أن مبدأ الإدارة المزدوجة، الطبية والبيداغوجية، كان مقبولاً، فإن الشاغل البيداغوجي ظلّ راجحاً خلال زمن طويل. وتسبّبت وزارة التربية من جهة أخرى في إحداث عدد معيّن من مراكز التكيّف السيكولوجية البيداغوجية، ذات الخط البيداغوجي بصورة أساسية، في المنطقة الباريسية. واكّدت، على العكس، بعض الهيئات سمتها العلاجية (مركز إدوار كلاباريد في باريس على سبيل المثال).

وأقدم المرسوم لعام 1964، من حسن الحظّ، على فرض الانسجام بين هذه التجارب المختلفة، وما كفّ عدد المراكز الطبية السيكولوجية البيداغوجية، منذ هذا التاريخ، عن الازدياد. وتكمن مهمتها في أن تعالج على نحو جوّال أطفالاً مصابين بأمراض عقلية وغير متكيّفين، دون توضيح لحدّ العمر أو طبيعة الاضطراب. ولم يعد، من جهة أخرى، مذكوراً مفهوم ارتياد المدرسة، الذي كان يعتبر إلزامياً فيما مضى. وزبُن هذه المراكز، من الناحية العملية، هم أطفال في العمر المدرسي على وجه الحصر تقريباً، والاضطرابات الشديدة في الشخصية مستبعدة. والمسألة هي، في الأغلب، مسألة ضروب من الخَلَل السيكولوجي الضعيف نسبياً أو صعوبات أداتية (اضطراب الحركية النفسية، واللغة المحكيّة أو المكتوبة)، يعالجها إما العلاج النفسي وإما إعادة التربية. ويؤمّن إدارةَ المنشأ طبيبٌ يضطلع بمسؤولية الفريق التقنية. وينبغي أن يكون ذا تأهيل في طب الأطفال والطب النفسي وأن «يكون ذا معارف خاصة باختصاصات أخرى». ويعاونه على الأغلب

مدير بيداغوجي مكلف أيضاً بأعمال إدارية. والباقي من الفريق يتألف من علماء نفس، ومعالجين نفسيين، واختصاصيين في إعادة التربية اللغوية (تقويم النطق) وفي إعادة التربية النفسية الحركية. وهؤلاء الاختصاصيون كلهم يمكنهم أن يكونوا مستخدمين كليًا أو جزئياً من حيث الزمن. وتمويل هذه المراكز يؤمّنه دفعٌ وحيد الشكل بحسب الفعل (أياً كانت طبيعته)، ولكن الهيئة الدافعة تختلف بحسب زمن التدخّل: فاعليات الكشف، المحدودة بست جلسات إلزامياً، تدفع الدائرة الإقليمية لقواعد الصحة العقلية أجورها؛ وتتحمّل صناديق الضمان الصحي أو الدائرة الإقليمية للعون الاجتماعي تكاليف العلاج.

وللمراكز الطبية السيكولوجية البيداغوجية حقل عمل يجاور حقل العمل لجماعات العون السيكولوجي البيداغوجي (التابع لوزارة التربية الوطنية) ومستوصفات الصحة العقلية. ويحدّدها تعميم وزاري بتأريخ 16 نيسان (أبريل 1964 أنها دوائر العناية «الثانوية» قياساً على مشافي الصحة العقلية (لها سمة أولية ولا تؤمّن سوى استشارات الكشف)، ولكن هذا التمييز لم يعد ذي صلة بالواقع. (انظر في هذا المعجم: التربية الخاصة، قواعد الصحة العقلية).

J.MA.

مركز العون بالعمل

F: Centre d'aide par le travail (C.A.T.)

En: Sheltered Workshop

D: Hilfszentrum durch arbeit

منشأة ذات سمة طبية اجتماعية تقدّم للمراهقين والراشدين المصابين بإعاقة شديدة إما جسمياً، وإما عقلياً، إمكانات فاعلية مهنية، وتأطيراً تربوياً، ومراقبة طبّية، ودعماً سيكولوجياً، ووسطاً من الحياة يمكنه أن يشجّع تفتّحهم الشخصي واندماجهم الاجتماعي.

تستقبل مراكز العون بالعمل أشخاصاً لايمكنهم، بصورة مؤقّتة أو دائمة، جرّاء إعاقتهم، أن يعملوا في المشروعات العادية، ولا في ورشة محميّة أو لحساب مركز لتوزيع العمل في المنزل، ولا ممارسة فاعلية مهنية مستقلّة. وكانت المادتان 167 و168 من قانون الأسرة والعون الاجتماعي قد أخذتهم بالحسبان وحدّدتهم بوضوح المادة 30 من قانون التوجيه بتأريخ 30 حزيران (جوان) 1975 لمصلحة المعوقين. وإنشاء هذه المراكز خاضع لترخيص المحافظة، بعد رأي معلّل تصدره لجنة المنطقة للمؤسّسات الاجتماعية والطبية الاجتماعية. وعدد الأماكن (من ثلاثين إلى خمسين وسطياً) وأنماط العمل الوظائفي للمركز مفصّلان. فالمركز لا ينبغي له أن يستقبل سوى الأشخاص الذين تكون قدرتهم على العمل أدنى من ثلث القدرة لعامل متوسط. وقبولهم منوط بقرار اللجنة التقنية للتوجيه وإعادة التصنيف المهني ومنوط، بالنسبة للمراهقين من ست عشرة سنة إلى عشرين، برأي اللجنة الإقليمية

للتربية الخاصة. ولا يصبح القبول نهائياً إلا بعد مرحلة تجربة (من ستة أشهر إلى أكثر، يمكنها أن تتجدّد مرة). وتمضي الفاعليات المهنية من أعمال حفر التراب ونقله، الفرز والتوضيب، إلى إنهاء مواد تجهيز صناعي صغيرة. وتبلغ الإنجازات في بعض المنشآت مستوى مرضياً جداً. وعلى هذا النحو إنما يكتب ب. غانيير ومعاونوه (1974)، وهم يروون تجربتهم: «. . . أصبحت الورشة بسرعة مصنعاً حقيقياً، مع آلات متقنة، وسلاسل، إلخ. وكانت نوعية العمل قد لفتت أنظار الصناعيين الذين قدّموا آلات يتعاظم إعدادها وأوصوا على أعمال كان ممكناً لها أن تبدو متعذّرة الإنجاز بالنسبة لهؤلاء الأفراد». ويتلقّى العمال أجراً (ضئيلاً على وجه العموم) يغطّيه نتاج العمل. فأولئك الذين يتناولون وجباتهم في المطعم يشاركون في التكاليف؛ وأولئك الذي يعيشون حيادة داخلية يدفعون مقابل أكل وسكن، ولكن إسهامهم لا ينبغي أن يتجاوز مبلغ الإعانة إلى الراشدين المعوقين الذي يُدفع لهم من جهة أخرى. ومراكز العون بالعمل خاضعة لتشريع العمل. ومصروفاتها على الإنتاج (أجر العمال المعوقين، الموادّ الأولية، إلخ) ينبغي أن تغطّيها موارد العمل تغطية أوسع مايمكن؛ ومصروفاتها الخاصة بعملها الوظائفي (أجر موظفي التأطير والدعم، تكاليف الإدارة، إلخ) تأخذها الدائرة الإقليمية للعون الاجتماعي على عاتقها، على شكل «ثمن اليوم» المحدّد في بداية العام، وذلك أمر يؤمّن ضماناً كبيراً لهذه المنشآت. (انظر في هذا المعجم: **الورشة المحميّة**، **إعادة التكيّف**، **القطاع**).

J.MA.

المرونة

F: Flexibilité

En: Flexibility

D: Flexibilität

مرونة التفكير والسلوك.

المرونة يمكنها، في معناها الأعمّ، أن تُعرّف أنها تحوّل سهل وسريع للاتجّاه الذهني- أو التصرف- في أوضاع جديدة أو أوضاع طرأ عليها ضرب من التعديل. والظاهرة المقابلة هي الصلابة أو العطالة.

ففي مجالات الإدراك، والتفكير، والمزاج، والفاعلية العصبية العليا، إنما دُرست المرونة على وجه الخصوص.

وفي إطار التحليل العاملي المطبّق على الإدراك، تعرّف ل. ل. ثورسْتون (1886-1955) طبيعة «المرونة في كثافة الحضور» التي تظهر باليسر في تمييز الأشكال المختلفة في مجموع واحد.

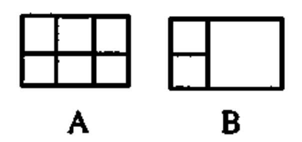
وثمة مقارنات بين المرونة وبعض عوامل الشخصية: معارضة الرتابة وإضفاء التنظيمات الصلبة، كان قد قام بها، على سبيل المثال، ك. ل بامْبيرتون.

وفي مجال التفكير، تعرّف ج. ب. غيلْفورد، في المرونة، على قابلية أو مكوّنة لـ التفكير المنفرج، إذ يُعرّف أنه القدرة على إعداد عدد كبير من الحلول والمعلومات المتنوّعة انطلاقاً من عنصر معيّن.

والمرونة يمكنها، في رأي غيلْفورد، أن تكون عفوية أو تكيّفية. ويقال إنها عفوية عندما يكون العمل المفروض لا يحتوي شيئاً يمكنه أن يوحي بإظهار المرونة.

مثال ذلك الطلب إلى فرد أن يسمّي الاستخدامات الممكنة لآجرّة. إن بوسعه ألا يذكر سوى ما يخصّ البناء: بناء جدار، بيت، مدرسة؛ ونقول في هذه الحالة إنه يُبدي مرونة ضعيفة. وإذا أجاب، على العكس، أن آجرّة يمكنها أن تُستخدم لدقّ مسمار، وخنْق هرّ، والدفاع عن النفس، بقدر ما تُستخدم لبناء بيت - وبعبارة أخرى، إذا أظهر سهولة كبيرة في الانتقال من فئة إلى أخرى- فإننا نقول إنه يُظهر مرونة عفوية كبيرة.

ونتكلّم على مرونة تكيّفية عندما يعدّل أسلوبه في مقاربة وضع أو يغيّر استراتيجيته حتى يفضي إلى حلّ صحيح. مثال ذلك أننا نعرض الشكل A على الفرد، المكوّن من أربعة عشرة عود ثقاب، ونطلب إليه أن يستبعد منه أربعة، بحيث لا يبقى سوى ثلاثة مربّعات كاملة. فإذا افترض أن هذه المربعات ينبغي لها أن تحتفظ بالحجم نفسه، فإنه لن يجد الحلّ الوارد في الشكل B. والحلّ اليسير لمثل هذه المسألة مؤشّر على مرونة التفكير التكيّفية، في رأي علماء النفس.



وتبيّن بعض المعطيات أن ثمة علاقة بين مرونة التفكير وبعض سمات الشخصية. فقد درس جـ. إ. داونه، م. زيليغ وباحثون آخرون، هذا المشكل منذ بعض العقود من السنين. وعرّفوا المرونة أنها خاصّة من خصائص المزاج، وإمكان أن يتغيّر، تغيّراً بسرعة كبيرة أو صغيرة، أسلوب الفكر في مواجهة المشكل، والانتقال من عمل إلى آخر.

وشقّ إي. ب. بافلوف، ببحوثه في الفاعلية العصبية العليا، درباً جديداً لدراسة الأسس العصبية الفيزيولوجية للمزاج. وفي رأيه أن الخصائص الوظيفية، الأساسية، للقشرة الدماغية، هي القوة، التوازن، الحركية، للسيرورات العصبية

في الإثارةوالكفّ. فالحركة، التي نوجّه إليها اهتمامنا هنا، تكمن في سهولة إحلال سيرورة عصبية محلّ أخرى؛ ومن هنا ينجم إمكان أن يغيّر الفرد مقولباته الدينامية وينتقل من فاعلية إلى أخرى. ومن نماذج الجملة العصبية التي وصفها بافلوف، النموذج «قوي- متوازن- حركي» (يقابله، على المستوى المزاجي، نموذج «الدموي») الذي يتميّز بالقدر الأكبر من حركية السيرورات العصبية.

وإذ استمرّ ف. د. نيبيليتزان في هذه البحوث، فإنه مايز في خصائص الجملة العصبية بين الخصائص العامة والخصائص الخاصّة. وتميّز هذه الخصائص الخاصة مقاييس كل محلّل، في حين أن الخصائص العامة ذات علاقة بفاعلية بعض البنيات المعقّدة من الدماغ التي لها دلالة عامة بالنسبة للفاعلية العصبية النفسية للعضوية. ومن الممكن، بحسب هذه المعطيات، ألا تتطابق الخاصّة نفسها- «قوة» الجملة العصبية على سبيل المثال- في كل المحلّلات. ومن الأفراد الخمسة والعشرين الذين حدّد لديهم نيبيليتزان قوة الخلايا القشرية للمحلّلات البصرية والسمعية، ثمانية عشر فرداً لم تكن تظهر لديهم الخصائص المتوافقة للقوة، ولكنه عاين، لدى الأفراد السبعة الباقين، اختلافات، حاسمة جداً في بعض الأحيان، بين مؤشّرات القوة في الخلايا القشرية لهذين المحلّلين.

ويظلّ مشكل من المشكلات مطروحاً: مشكل مفاده أن نعرف إن كان يوجد عامل مشترك في قاعدة الأشكال المختلفة للمرونة: مرونة التفكير، الانتباه، المزاج، إلخ.

ونذكر أخيراً أن مرونة جانب نفسي يمكنها أن تكون متأثرة كثيراً بشروط الفاعلية ومميّزاتها، لاسيما بسيرورة التعلّم (تأثير في مرونة التفكير على سبيل المثال) والعمل المهني. (انظر في هذا المعجم: **المحلّل، الإبداعية، الفكر المنفرج، التحليل العاملي، الذكاء، الشخصية، المزاج**).

A.R.

F: Tempérament المزاج

En: Temperament

D: Temperament

مجموعة من الخصائص البيولوجية والسيكولوجية الفيزيولوجية التي تسهم في صياغة الشخصية.

في سبيل السهولة ، نميّز مورفولوجيا (تشكّل)فرد من حالته الفيزيولوجية، وهما، على التوالي، الجانبان السكوني والدينامي من المزاج. وينبغي أن نأخذ بالحسبان أيضاً، في عداد العوامل البيولوجية، تلك العوامل التي تكون وراثية والعوامل المكتسبة. ونحن، عندما نتكلّم على المزاج، نأخذ العوامل الأولى على وجه الخصوص بالاعتبار. وأسّس كلود غاليان (نحو 131-201)، كما هيبوقراط، فيزيولوجيته، في العصور القديمة، على نظرية الأخلاط: **السوداوي** (غلبة «المرّة السوداء»)، **البلغمي أو اللمفاوي** (غلبة اللمْف)، **الدموي** (غلبة الدم)، **الغضبي** (غلبة المرّة الصفراء). ولاقت هذه النظرية حظوة خلال قرون، ويمكننا أن نكتشف بعض آثارها في النمذجات الحيوية الحديثة، لاسيّما في نمذجة إي.ب. بافلوف. ويُعتبر بالحريّ، في الوقت الراهن، أن المزاج، دوام ضرب من أسلوب في الوجود، تابع مباشرة لمنظّم عصبي غدّي، مركّب الدماغ المتوسط - تحت المهاد، الواقع في قاعدة الدماغ الأعلى. ويلتبس في بعض الأحيان مفهوما المزاج والطبع. فالمزاج ليس التعبير عن نموذج جبلّي، بل هو الخلفية البيولوجية السيكولوجية التي يتكوّن الطبع انطلاقاً منها. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية، علم الطباع، هيبوقراط، بافلوف**).

N.S.

المزاج الجسمي

F: Somatotonie

En: Somatotonia

D: Somatotonie

نموذج سيكولوجي، في نمذجة و.هـ. شيلدون، يتميّز بغلبة الوظائف العضلية والفاعلية.

يبدو صاحب المزاج الجسمي فرداً فعّالاً، سلطوياً، راغباً في أن يفرض نفسه، بالقوة العدوانية. إنه، بوصفه يتصرّف ويستجيب بسرعة، يحبّ المغامرة، والمجازفة، والصراع، والمنافسة. وهو فرد منبسط، مباشر، قليل الحساسية، لا يثقل نفسه بتفصيلات غير مجدية. ويرتبط المزاج الجسمي، على المستوى الجسمي، بـالتشكّل المتوسط. (انظر في هذا المعجم: النمذجة الحيوية، التشكّل المتوسّط).

N.S.

المزاج الحشوي

F: Visérotonie

En: Viscerotonia

D: Viszerotonie

نموذج من نماذج ولْيم هرْبرْت شيلدون، يتميّز بغلبة الوظائف الهضمية.

ذو المزاج الحشوي فرد مرح، يحب الراحة، والرفاهية والأطعمة الفاخرة. إنه، بوصفه أنيساً، ذا مزاج منتظم، متسامحاً وقابلاً للإيحاء، يبحث عن محبة أولئك الذين يحيطون به واستحسانهم. ويعبّر بسهولة عن عواطفه. مورفولوجيته (تشكلّه) هي مورفولوجية المتشكّل داخلياً (غلبة نموّ الأديم الداخلي الحشوي). أشكاله مستديرة وأطرافه سميكة وقصيرة. (انظر في هذا المعجم: النمذجة الحيوية).

M.S.

F: Cérébrotonie **المزاج الدماغـي**

En: Cerebrotnia

D: Cerebrotonie

المزاج الدمـاغي، في نمذجـة وليم هرْبرت شيلْدون، مكوّنة مـزاج ترتبط بالتشكّل الخارجي الذي يسود فيه التوتر العصبي والشكّ والكفّ.

النموذج ذو المزاج الدماغي، المتّصف بالحساسية المفرطة والقلق، يؤثر التأمل والتعبير الرمزي (كالرسم العادي، والزيتي، والشعر . . .) على العمل المباشر. وبفعل الرزانة والميل إلى الوحدة، يهرب من الجمهور والاجتماعات.

والنمـوذج ذو المزاج الدماغي الأقصى انطوائي ويتّصف عـادة باضطرابات وظيفية كالأرق، والتعب المزمن أو الآفات الجلدية. وهو يقابل النموذج الدماغي لكلود سيغو أو النموذج الفصامي لأرنسْت كريتشمر. (انظر في هذا المعجم ما يلي: النمذجة الحيوية، الانطواء، النزوع إلى السلوك الفصامي).

N.S.

المزاج الدوري

F: Cyclothymie

En: Cyclothymia

D: Zyklothymie

مصطلح إرنست كريتشمر (1888-1964) للدلالة على بنية طبع سويّة يسمها ضرب من تغيّرية المزاج، الذي ينتقل بالتناوب من الفرح إلى الحزن.

هذه التغيّرات المفاجئة، التي تصيب مجموع العمل الوظائفي لدى الفرد، وكل أسلوبه في الوجود، يؤثّر فيها الوسط المحيط، مباشرةً وباستمرار على وجه التقريب. إنها تعبّر عن القدرة الكبرى للانفتاح نحو العالم الخارجي لدى ذوي المزاج الدوري الذين كان أوجين بلولر (1857-1939) قد استخدم مصطلح «syntone» في وصفهم. ولكن حساسية هؤلاء الأفراد، لهذا السبب نفسه، تظلّ غير مستقرّة وسطحية. أما نهجهم العقلي، فإنه ذو نزعة واقعية بصورة أساسية، مشخّص وعملي.

ويوجد المزاج الدوري مقترناً على الأغلب (في 60 إلى 80 بالمئة من الحالات، بحسب المؤلفين) بنموذج جسمي مستدير، متكتّل (بدين). وعندما يتّخذ تناوب المزاج سمة مغالية ويجاور المرض، لم نعد نتكلّم على مزاج دوري، بل على المزاج الدوري المغالي (Cycloïdie) [يستخدم بعضهم مصطلح «شبه المزاج الدوري «م»]. وعندما يبلغ المزاج الدوري المغالي درجة عليا، فإنه يفضي إلى «الجنون

الدائري» أو الذهان الهوسي الاكتئابي. ولكن علينا أن نؤكد، ولو أن ثمة ضرباً من «القاع المشترك» بين هذا المرض والمزاج الدوري، أن معظم ذوي المزاج الدوري، وهم على الغالب أشخاص لطيفو المعشر، سعداء، مع أنهم منهكون وغير مبالين أحياناً، لا تظهر عليهم أبداً نوبة هوسية أو سوداوية. (انظر في هذا المعجم: **ذهان الهوس الاكتئابي**).

J.MA.

المزامِن، عامل التزامن

F: Synchroniseur

En: Synchronizer, Entraining-agent

D: Zeitgeber

عامل من الوسط تمارس تغيّراته الدورية تأثيراً على الإيقاعات البيولوجية.

مصطلح «مزامن» [عامل تزامن] كان فرانْز هالْبرغ قد اقترحه عام 1954؛ إنه يشمل، فيما عدا بعض الفروق الدقيقة، مصطلحي Zeitgeber («مانح الزمن») لجورجنْ أشوف، وEntraining-agent («عامل التدريب») لـ ك. س. بيتنْدراي (1957). فالنور ربما يكون العامل الضوئي الدوري الكلي الأكثر أهمية، الذي يتدخّل في التنظيم الزمني للفاعلية الفيزيولوجية لدى الموجودات الحيّة. ولكن تعاقب الليل والنهار، لدى الإنسان، يبدو أن له تأثيراً أقلّ من تأثير العوامل الاجتماعية الإيكولوجية. والواقع أن الحياة الاجتماعية، بأوامرها في التوقيت، أوامر تنظّم فاعليتنا (عملاً، راحة، أوقات فراغ، تغذية، نوماً...)، تعمل بوصفها مزامناً قوياً. فأشخاص يعيشون جماعة في ملجأ تحت أرضي، في معزل عن كل إعلام يأتي من العالم الخارجي، يستمرّون في ضرب من دورية النوم-اليقظة، الثابتة نسبياً على 24,7 ساعة، ولاحظ م. ماك لانْتوك 1971 في جماعة من الفتيات، جماعة تحكمها القوانين المتّحدية نفسها، تزامناً في دورات الطمث. وتظهر أهمية عوامل الجماعة على الإيقاعات البيولوجية، حتى لدى الحيوانات (طيور، فئران، قرود ريزوس). مثال ذلك أن ضروب الضجّة والصمت، التي تصدر عن قفص تعيش فيه فئران، تقدّم معلومات لفئران أخرى محرومة من البصر

ومعزولة في أقفاص مجاورة، وهذا التناوب في المعلومات السمعية تكوّن بالنسبة لها عامل تزامن راجح. ولا تخلق المزامنات إيقاعات بيولوجية، ولكنها قادرة، في بعض الظروف، على أن تعدّل سماتها الرئيسة: المرحلة، الطور والسعة. (انظر في هذا المعجم: البيولوجيا الزمنية، الساعة الداخلية).

N.S

F: Synchronisation **المزامنة**

En: Synchronization

D: Synchronisation, Synchronizität

ينصبّ الكلام، منذ أعمال الفيزيولوجي الانغليزي إدْغار دوغْلاس أدْريان (المولود عام 1889) و ب. هـ. ك. ماثيوس، على فاعليات متزامنة من خلايا القشرة الدماغية للدلالة على نموذج رسم من التخطيط الكهربائي للدماغ المأخوذ في أثناء النوم أو التيقّظ المتراخي، الذي يتميّز بموجات ذات فولتاج عال، منتظمة بعض الانتظام وذات تواتر ضعيف. ويُقال، بالمقابل، إن رسم التخطيط الكهربائي للدماغ الذي نحصل عليه في التيقّظ الفاعل «غير متزامن»، ذلك أن الموجات الدماغية أقلّ سعة، والإيقاعات أقلّ انتظاماً، وتواترها متنام. (انظر في هذا المعجم: **التخطيط الكهربائي للدماغ**).

N.S.

F: Distance de fuite **مسافة الهروب**

En: Distance of flight, Flight distance

D: Fluchtdistanz

فسحة لا يمكننا تجاوزها دون أن نسبّب ابتعاد حيوان.

وصف عالم النفس السويسري هـ. هيديجر وصفاً رائعاً ارتكاسات الحيوانات المتوحّشة عند اقتراب إنسان أو كل عدوّ آخر. إنها تبدأ أول الأمر في أن تبتعد مسافة ضئيلة؛ وذلك ما يسمّيه هيديجر **مسافة الهروب**. ولكن العدوّ كلما تقدّم، تحاول الحيوانات أن تهرب بقوة. وإذا اقترب أيضاً، فإن الأفراد من بعض الأنواع تقاومه، وإذا استمرّ في الاقتراب، فإنها تهاجمه فجأة. ويتكلّم هيديجر بهذا الصدد على «ارتكاس خطِر» ويسمّي المسافة التي ينطلق الهجوم بدءاً منها **المسافة الخطِرة**. وهاتان المسافتان هما، في شروط وحيدة الشكل، ثابتتان ودقيقتان على وجه الخصوص بالنسبة لكل فرد؛ وبوسعنا في بعض الأحيان أن نحدّدهما بالسنتيمترات. وقد يحدث أن يتكلّم بعضهم على «مسافة هجوم» بدلاً من مسافة خطِرة ولكن هذا الأسلوب في التعبير ينبغي الابتعاد عنه، ذلك أنه يوحي أن باعث سلوك الحيوان «غريزة» عدوان، وتلك ليست هي الحالة. والواقع أننا، إذا جرّعنا حيونات التجربة عقاقير «مزيلة للقلق»، أي أدوية تؤثّر على وجه الخصوص في تعديل الحصر، نلاحظ أن مسافة الهروب وكذلك المسافة الخطرة تنقصان. فمن المحتمل عندئذ أن يكون هذا الشكل من الهجوم ناجماً عن الخشية على وجه الخصوص.

ويكمن إسلاس الانقياد، بين أمور أخرى، في إنقاص هاتين المسافتين ويقدّم الرئيس الهندي لونغ لانس، في مذكّراته، وصفاً مفيداً لأسلوب التصرّف لدى الهنود مع الأحصنة المتوحّشة. فقد كان عليهم، ليسلسلوا انقيادها، أن يُعنوا بها على نحو يؤدّي في النهاية إلى أن تستسلم للمس مالكها في كل مكان، دون أن تضطرب. ولم يكن إسلاس الانقياد يتحقّق إلا في اللحظة التي كانت مسافة الهروب والمسافة الخطرة تتقلّصان إلى الصفر، أي عند احتكاك ثوبها بها. فليست المسافتان ثابتتان إذن؛ إنهما تتغيّران مع ظروف الموجود، وذلك ما نلاحظه في حدائق الحيوانات. والعادة أن مسافة الهروب والمسافة الخطرة تقعان، في هذه الأماكن، خارج القفص على وجه الضبط وداخل القفص على وجه الضبط، بالترتيب. وذلك ما يشرح أن زائراً غير حذر يتعرّض على الغالب إلى أن يعضّ الحيوان يده لأنه مرّرها عبْر قضبان القفص، بغية مداعبة حيوان ذي مظهر وديع أو لامبال. والفارق بين مسافة الهروب والمسافة الخطرة من الضآلة بحيث أن المشاهد لا يكتشفه. وكثير من عضّات الكلاب ناجمة أيضاً عن واقع مفاده أن غريباً يتجاوز مسافتي الكلب، تجاوزاً سريعاً إلى حدّ ليس لدى الكلب وقت ليبتعد عند اللحظة التي حدث خلالها تجاوز مرحلة الهروب، وأن الغريب يجد نفسه على حين غرّة داخل المرحلة الخطرة للكلب.

فمسافة الهروب والمسافة الخطرة عنصران معرفتهما هامّتان بالنسبة للترويض. وعلى المروّض أن يعرف بعدي كل حيوان معرفة دقيقة. فإذا شاء، على سبيل المثال، أن يجعل حيواناً ضارياً ينتقل من مقعد إلى آخر، فإن بوسعه الحصول على هذه النتيجة بتجاوز بسيط لمرحلة الهروب لدى الحيوان. ويغادر الحيوان عندئذ مقعده ليبتعد عنه. ثم ينتقل المروّض في القفص، بالنسبة إلى الحيوان الضاري، بحيث يجد هذا الحيوان نفسه، وهو يبتعد، خلف المقعد الذي ينبغي له أن يصعد عليه. ويمدّ المروّض عندئذ سوطه، الذي يستجيب الحيوان له كما لو أنه استطالة الإنسان الذي تجاوز مسافته، المسافة الخطرة. وسيهاجم الحيوان الضاري إذن، ولكن عليه أول الأمر، من أجل هجومه، أن يقفز على المقعد. فيسحب المروض

سوطه، في هذه اللحظة المحدّدة، ويتدبّر أمره بحيث يجد نفسه أيضاً خارج مسافة الهروب. وسيظلّ الحيوان على المقعد بوصفه لم يعد لديه سبب للهجوم.

ومن المسلّم به أن لكل الحيوانات العليا، على وجه التقريب، مسافة هروب؛ ومن المعلوم أيضاً أنه ليس لديها كلها مسافة خطرة تسبّب ارتكاس هجوم. فبعضها «يرتكس» في الواقع بالجُمْدة المفاجئة، أي أنه يقع في حالة يفقد خلالها فجأة توتّره العضلي؛ إنها، عند اقتراب عدوّ، بلا حراك، ولو أن هذا العدو يمسّها أو يحاول أن يقتلها. وللأرنب، على سبيل المثال، تصرّف من هذا النوع، في حين أن للجرذ ارتكاساً خطراً عدوانياً. ولكننا لانزال نجهل أسباب هذه السلوكات المختلفة. (انظر في هذا المعجم: إسلاس الانقياد، التدجين).

I.R.(ترجمة **J.WA.** إلى الفرنسية)

F: Conseiller dorientation   **مستشار التوجيه**

En: Vocational counselor

D: Berufsberater

شخص مهنته أن يقدّم معلومات للطلاب وتلاميذ التعليم الثانوي عن الدراسات ومنافذها على العالم الاقتصادي، الاجتماعي والمهني، وعلى إمكاناتهم الخاصة، حتى يكون بوسعهم أن يقرّروا توجّههم المهني وهم على علم تامّ بالأمور.

معظم مستشاري التوجيه في فرنسة (كانوا يُسمّون فيما مضى «مستشاري التوجيه المهني» ثم «مستشاري التوجيه المدرسي والمهني») موظفون تابعون لوزارة التربية، يُختارون بمسابقة، بعد دراسات عليا يتوجّها دبلوم دولة. ويؤمّن المعهد الوطني لدراسة العمل والتوجيه المهني (I.N.O.P.) تكوينهم في باريس؛ وتؤمنه في المقاطعات معاهد جامعية (بوردو، كان، ليل، مارسيلية). ويتلقّون فيها تعليماً سيكولوجياً معمّقاً (علم النفس العام، علم النفس البيداغوجي، علم النفس المرضي، طرائقية إحصائية)، على شكل محاضرات، وأعمال عملية، وتدريبات، ويتلقون أيضاً تعليماً اقتصادياً واجتماعياً. وكان عدد مستشاري التوجيه عام(1978) نحو 2500 (ينبغي أن يكون عددهم أكثر من الضعفين) موزّعين في 426 مركز إعلام وتوجيه و(C.I.O)و89 ملحقاً. ومهمتهم مرهقة، مع أنهم لا يولون تلاميذ منشآت الدرجة الأولى من التعليم، الذين يؤمّن توجيههم علماء النفس في المدرسة، ذلك أن عدد الذين يأتون لاستشارتهم يتعاظم: 397000 فتى وفتاة

نُصحوا عام 1958؛ وكان هذا العدد قد ارتفع إلى مليون عام 1972 (يُضاف إليهم 230000 من آباء التلاميذ و263000 شخص أتوا، في السنة نفسها، يطلبون معلومات من مراكز الإعلام والتوجيه). ويستخدم مستشار التوجيه طرائق مقتبسة من علم النفس التجريبي، وعلم النفس العيادي، وعلم النفس الاجتماعي، ولاسيّما من تقنيات القياس النفسي (روائز جماعية وفردية)، ومن المحادثة والمناقشة في الجماعة. ومستشار التوجيه يوضّح للفتيان وأسرهم أهمية الاختيارات المدعوّين إلى إجرائها؛ وبوسعه أيضاً أن يؤدّي دوراً مهماً لدى المدرسين، بالإضاءة الجديدة التي يمكنه أن يوجّهها إلى طفل.

N.S.

المستقبِل

F: Récepteur

En: Receptor

D: Rezeptor, Empfänger

خلية عصبية متخصّصة، يمكن أن ينشّطها منبّه معيّن، بدءاً من مستوى من الشدّة منخفض نسبياً.

مستقبلات الجسم الحسّية يمكنها أن تنقسم إلى زمرتين: المستقبلات الداخلية والمستقبلات الخارجية. فالداخلية تتلقّى التنبيهات الداخلية، والخارجية تخبر العضوية عن الوسط الخارجي (extérocepteur, intérocepteur). وتمثل في الزمرة الأولى، المستقبلات الداخلية، **المستقبلات الحشوية**، التي تخبر عن حالة الأعضاء الداخلية (القلب، الأوعية، إلخ)، و**المستقبلات الذاتية**، التي تنبّهها أعمال الجسم ذاته، وتقع في الأقنية نصف الدائرية من الأذن الداخلية (إنها تحدّد وضع الرأس)، وفي المفاصل، أوتار العضلات وأعصابها (إنهما تخبران عن اتّجاهات الجسم وحركاته).

وتندرج في الزمرة الثانية، أي المستقبلات الخارجية، مستقبلات الجلد، والمستقبلات الكيميائية (مستقبلات الذوق والشم)، والمستقبلات البصرية (المخاريط والعصيّات)، ومستقبلات السمع. ويحتوي الغشاء القوقعي، في الأذن الداخلية، 25000 خلية كورتي ذات أهداب. وتجمع براعم اللسان الذوقية أربعة ضروب من الخلايا، حسّاسة على التوالي للمذاقات المرّة، والحلوة، والمالحة والحامضة. والغشاء المخاطي الأنفي مفروش بخلايا ذات أهداب. والجلد يتضمّن نقاط حرارة، موزّعة (نحو 30000 نقطة؛ كثافتها تساوي 0,3 بالسنتيمتر المربع

وسطياً؛ ونقاط برودة (نحو 250000 نقطة؛ 7 بالسنتيمتر المربع)؛ ونقاطاً حسّاسة للضغوط 700000 والألم 1200000؛ 170 بالسنتيمتر المربع).

ويميّز عالم الفيزيولوجيا الانغليزي، السيد شارل سكوت شرنّغتون (1857-1952)، بين المستقبلات عن بعد (السمع، الشمّ، البصر) والمستقبلات التي تقتضي اتصال الجسم بالشيء (الذوق، اللمس). فالأولى، إذ توسّع الحقل الحسّي، تجعل أمن الفرد، أمنه البيولوجي، وبقاء النوع (هجوم، هروب، جنسية) متناميين. وتنقل كل المستقبلات إلى الجملة العصبية المركزية تلك المعلومات المتلقّاة، بواسطة اندفاعات عصبية تقودها الألياف العصبية إلى المناطق القشرية المستقبلة. وعلى المسار، على مستوى جذع الدماغ، تصدر هذه الألياف تشعّبات، تسمّى «رادفة»، تغني شبكة المادة الشبكية. فكل مستقبل متخصّص، على وجه العموم، في تسجيل مثير معيّن: لا يؤثّر الصوت على شبكية العين، ولا الرائحة على الأذن. وبعض المنبّهات يمكنها مع ذلك أن تثير المستقبلات كلها. وهكذا تُحدث الكهرباء مذاقاً محمّضاً إذا مسّت اللسان؛ وإحساسات ضوئية إذا مسّت العصب البصري. ونعلم من جهة أخرى أن المنبّهات المختلفة التي تثير عضواً حسّياً واحداً تُحدث دائماً إحساسات من نسق واحد: مثال ذلك أن لمعة نور يُلقى على العين، أو ضغطاً يُمارس عليها، أو ضربة تمسّها، تظهر كلها بانطباع ضوئي. فإحساساتنا تابعة إذن للخصائص الخاصة لأجهزتنا الحسية أكثر مما هي تابعة لطبيعة المثيرات، أجهزة حسّية تفرض سمتها الخاصة على إدراك الأشياء. وكان عالم الفيزيولوجيا الألماني مولّر (1801-1858) قد صاغ عام 1840 هذا القانون باسم «قانون الطاقة النوعية للأعصاب وأعضاء الحواس».

ويُستخدم أيضاً مصطلح **مستقبل** للدلالة على خليّة، نسيج، أو عضو، تؤثر فيها مادة معيّنة تأثيراً نوعياً. مثال ذلك، الحويصلات المنويّة، البروستات، عضو الذكر، هي مستقبلات الهرمونات المذكّرة؛ والمستقبلات العصبونية، على مستوى الوصلات العصبية، هي مستقبلات وسيطات كيميائية. (انظر في هذا المعجم: المستقبلات الحسية الخارجية، المستقبلات الحسّية الداخلية، الوسيط الكيميائي).

M.S.

المستقبل الحسّاس للألم F: Algocepteur, Algorécepteur

En: Algoreceptor, painreceptor

D: Schmerzpunki

عضو حسّاس للتنبيهات المؤلمة.

كانت أعمال السويدي ماغْنوز ز. بليكّس (1883) وبخاصة أعمال ماكس فون فري، التي كانت قد بدت أنها أثبتت وجود نقاط ألم تقابل الطرف الحرّ من الشبكات العصبية الحسّاسة في الجلد، قد أدخلت مفهوم المستقبلات النوعية للألم في القرن الماضي. وأكّد بعدهما عدد من علماء النفس الفيزيولوجيين أن الألم كان إحساساً نوعياً لا يظهر إلا عندما تُستخدم مستقبلات متخصّصة. والمسألة ليست محسومة دائماً، ذلك أن إقامة علاقة واضحة بين رسالة مؤلمة ومستقبل جلدي محدّد من الناحية التشريحية لم تكن ممكنة حتى الوقت الراهن. ويُعتقد حالياً، دون أن يُنفى وجود مستقبلات حسّاسة للألم، أن أي مستقبل يمكنه أن ينقل إعلاماً مؤلماً، في حال تجاوز عتبة معيّنة من شدة التنبيه. بل وصف إيغو (1974) مستقبلات حسّاسة للألم ميكانيكية وحرارية ذات عتبة مرتفعة. وعلى أي حال، إن استخدام مستقبلات حسّاسة للألم يرافقه دائماً تنشيط مستقبلات أخرى ذات عتبة أقلّ ارتفاعاً، وذلك أمر يجعل تمييزهما، بعضهما من بعض، أمراً عسيراً جداً. ولا يتعذّر، من جهة أخرى، أن تسلك المستقبلات الحسّاسة للألم سلوك مستقبلات الإثارة الكيميائية (أي مستقبلات تثيرها المواد الكيميائية). والواقع أن أي نسيج يصاب بجرح يولّد موادّ كيميائية يمكنها أن تكون لها وظيفة وسيطة بين المنبه المثير

للمرض والمستقبل الحسّاس للألم. وبوسعنا أن نذكر، لمصلحة هذا الغَرَض، تجربة ت. ليوس (و) ك. أ. كيل. فسجّل هذا العالمان، وقد طبّقا شيئاً معدنياً جرى تسخينه حتى الدرجة 70 على الجلد خلال ثلاثين ثانية، ألماً حاداً، خلال هذا الزمن، يليه مرحلة من الهدوء مدتها ثلاثين ثانية، خلفها إحساس جديد مؤلم، ذو سمة معتدلة ومترجّحة، مدته عشر دقائق. وبوسعنا أن نتخيّل لنشرح هذا الألم الثاني الطارىء بعد الألم الأول، أن المنبّه الحراري سبّب تحرير مادة كيميائية تؤثّر تأثيراً مؤجّلاً، سمّاها ليوس «مادة تُحدث ألماً» (P.P.S). (انظر في هذا المعجم: الألم، المورفين العضوي).

N.S.

مسْكالين **F: Mescaline**

En: Mescalin

D: Meskalin

اسم مشتقّ من (Mescaleros)، أي الهنود الأباش الذين يُدخلون المنتج إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

مادّة تثير الهلوسة مستخرجة من نبتة صبّار صغيرة، البيوتل، تنمو في المناطق القاحلة من تكساس والمكسيك.

المسكالين أو تريميتو كْسيفينيل- إيتيلامين ($C_{11}H_{17}NO_3$) مستخرج من النهايات العليا للبيوتل Peyotl، نبتة الصبّار الصغيرة، الأغنى بأشباه القلويات من النبتة ذاتها. إنها تبدو على شكل بلّورات صغيرة بيضاء. ويستخدمها الهنود، الذين يعرفونها منذ زمن طويل جداً، لتحضير مشروبات مسكرة يستهلكونها خلال الاحتفالات الدينية. وكانوا في الزمن الغابر يؤدّون لها بعض طقوس العبادة الحقيقية، التي اختفت تدريجياً تحت تأثير القمع الأمريكي لهذا المخدّر. ويسبّب المسكالين اضطرابات عصبية نباتية: تمدّد البؤبؤ، خفقان القلب، الغثيان، الدُوار، الارتجاف، العرق الغزير، ارتفاع التوتّر الشرياني... ويؤدّي إلى تغيّرات في المزاج، وتشوّه في إدراك الزمن المعيش (تبدو الدقائق أنها تدوم ساعات)، والإحساس بعيش تجارب متخيّلة أو عيش الماضي مجدّداً. فالفرد يحسّ بجسمه يتمدّد أو يتقلّص، والهلوسات البصرية ذات شأن كبير: ابتكار لوحات لافتة للنظر، فاتنة ترافقها ألوان عديدة، زاهية ورائعة جداً، تحوّل الأصوات المسموعة

إلى رؤيات ملوّنة (سمع ملوّن). وتدوم هذه «الأسفار» من ثلاث ساعات إلى اثنتي عشرة. وكانت تجارب أنْتوان أرْتو (1896-1948) والْدوس هوكْسله (1894-1863) وهنري ميشو (المولود عام 1899) قد أشاعت المسكالين في أوروبة. وبيّن الأستاذ جـ. دوله عـام 1950، على مستوى البحث، أن المسكالين يسبّب تفكيك الشخصية، تفكيكاً يذكّر باضطرابات الفصام. (انظر في هذا المعجم: **المخدّر**، **الإدمان على المخدّرات السامّة**).

N.S.

المسكّنات

F: Tranquilisant

En: Tranquilizer,Ataraxic drug

D: Tranquilizer,Beruhig ungsmittel

اسم يطلق على عقاقير خاصّيتها تسكين القلق وتقليص اتّساع المظاهر الانفعالية.

المؤلفون الأنغلوساكسون يُسمّون «المسكّنات الرئيسة» مضادّات الذهان و«المسكّنات الضعيفة» تلك المنتجات الصيدلانية التي تشكّل موضوع العنوان الحالي.

وتنتمي المسكّنات إلى أسر كيميائية متعدّدة، الأكثر تمثيلاً منها هي أسرة بنزوديازيبين. ومن أكثرها شهرة، نذكر البروكالْماديول (إيكانيل)، السيدسْتا، الترانكسين، الإورْبانيل، والفاليوم. ولها، بصورة مستقلّة عن تأثيرها في القلق والانفعالية، خصائص علاجية أخرى- إنها، كلّها على وجه التقريب، تُنقص التقلّص العضلي؛ وبعض البنْزوديازيبين مضادّ للصرع- وتسبّب «مفعولات ثانوية» ضعيفة عادةً ولكنها مزعجة في بعض الأحيان. وتحرّض غالبيتها نعاساً خفيفاً وتُبطىء الارتكاسات (من هنا منشأ خطر لقيادة السيارة والعمل على آلة)؛ وبعضها يمكنه أن يُضعف الفاعلية الجنسية؛ وكلها لا تتّفق مع الكحول؛ أحدها (الثاليدومين) سبّب تشوّهات جنينية خطرة جداً بعد إعطائه لنساء في بداية حملْهن.

والمسكّنات، غير السامّة بالجرعات العادية، يستخدمها على الغالب، بجرعات قوية، مرشحون للانتحار. ولا يسبّب تناولها إدماناً على المخدّرات السامّة، ولكن التسكين الذي تؤمّنه يقود بعض الأشخاص إلى استخدامها دون ضرورة: إنها تفتح سبيلاً على الغالب إلى ضروب من سوء الاستعمال الواقعية.
(انظر في هذا المعجم: مضادات الذهان، المغيرّ النفسي).

J.M.S.

المسماع **F: Tautophone**

En:Tautophone

D: Tautophon

جهاز ابتكره، عام (1936) بورّوس فريديريك سكينو، يكمن دوره في أن يسجّل الصوائت الملفوظة بصوت منخفض (حدود السمع).

هذا الجهاز، المخصّص في البدء لدراسة الإدراكات اللفظية، كان تلاميذ سكينر قد حولوه إلى اختبار إسقاطي، وأطلقوا عليه تسمية المسماع. فالفرد يسمع التسجيل وعليه أن يكرّر «ما كان يقوله الشخص المتكلّم». إن هذا الفرد يُسقط جزءاً من ذاته وهو يعزو معنى إلى أصوات لم يكن لها هذا المعنى. ويوجد نظام من وضع العلامات على الإجابات مقتبس من تشخيص رورشاخ. فالطريقة ذات أهمية ولكنها طويلة في التطبيق والتفسير، وتكشف عن جوانب من الشخصية أقلّ مما تكشف التقنيات الأكثر شيوعاً، كتقنية رورشاخ أو رائز تفهّم الموضوع (T.A.T).
(انظر في هذا المعجم: **التقنية الإسقاطية**).

N.S.

المسماع العضلي

F: Myophone
En: Myophone
D: Myophon

جهاز يتيح أن يترجم ترجمة صوتية كمونات العمل لعضلة في حالة الفاعلية.

التقلّص العضلي ترافقه ظاهرات كهربائية ذات فولتاج ضعيف تتيح التقنيات الألكترونية الحالية أن تكشفها وتكبّرها. وكمونات العمل العضلية، بعد التكبير المناسب، يمكننا تحليلها بطريقتي منظار النوسان والتخطيط المألوفتين (مخطط الكهربائية العضلية). ومن الممكن أيضاً أن نجعل هذه الفاعليات مسموعة بفضل جهاز تسجيل للأصوات.

ويُسهم المسماع العضلي الكهربائي، الذي ابتكره ف. بوكروفسكي وجاك بايّار (1957)، المتكيّف على نحو نوعي لتسجيل أصوات الفاعليات العضلية، في أن يقدم للاختصاصي في إعادة التربية وسيلة ناجعة لمراقبة تمارين مريضه العضلية وتوجيهها؛ ويتيح، على وجه الخصوص، مراقبة حالة التراخي في الجهاز العضلي، ويقدّم للفرد نفسه ركيزة حسّية ناجعة من أجل التصحيح الذاتي لحركاته ومراقبة جهوده.

وهذه الطريقة اتّسعت في أيامنا هذه لتشمل تشكيلة من المظاهر الكهربائية الأخرى للوظائف البيولوجية (فاعليات دماغية، فاعليات قلبية، فاعليات موحّدة في العضلة وفي الجهاز العصبي) في ظلّ مصطلح التغذية الراجعه الحيوية، إذ يفتح دروباً جديدة للتجريب والتقنية العلاجية.

J.PA.

المسؤولية

F: Responsabilité

En: Responsability

D: Zarchnungsfähigkeit, Verantwortung

وضع من يكون واجباً عليه أن يُسأل عن أفعاله أمام سلطان أعلى (إداري أو قضائي، على وجه العموم)، أمام الرأي العام وأمام وجدانه الخاص.

ينطوي مفهوم المسؤولية على شرطين أساسيين: أن يحوز المرء كل عقله وأن يعمل بحرية. والواقع أن الأشخاص المصابين بقصور عقلي خطير (تخلّف عقلي، خبَل) والأطفال لايمكنهم أن يُعتبروا مسؤولين عن أفعالهم. وينطبق الأمر نفسه على أولئك الذين يكونون مرغمين بالقوة على التصرّف عكس إرادتهم. ولكن واجب الطاعة لا يحرّر الفرد من مسؤوليته الأخلاقية، أعني أن هذا الفرد لايمكنه أن يعتصم خلف الأوامر المتلقّاة لتسويغ تصرّف مُدان. وبمقتضى هذا المبدأ إنما كان رؤساء الحزب الاشتراكي الوطني قد حوكموا، على سبيل المثال، في محكمة نورمْبوغ (1945-1946). وتبيّن مع ذلك أعمال ستانْلي ميلْغرام، التي باشرها في الستينات من هذا القرن في جامعة يال (الولايات المتّحدة)، وأعمال ليوناردو أنكونا في ميلانو، أن معظم الناس يعتقدون أن الخضوع للسلطان يعفيهم من أن يُحاكموا على نتائج أفعالهم. وتخيّل ميلْغرام وضعاً تجريبياً كان أفراد قد طُلب إليهم - تحت غطاء الدراسة لمفعولات العقوبة على التعلّم - أن يسدّدوا صدمات كهربائية متنامية القوة (حتى 450 فولت) لـ «مريض» كلّما كان يرتكب خطأ. وكانت الشحنات وهمية وكان المريض ممثّلاً هزلياً يمثّل دور شخص يتعذّب بشدّة. وعلى الرغم من

صراخه وأنينه ورجانه، تابع التجربة حتى النهاية 67 بالمئة من الأفراد الأمريكيين و85 بالمئة من الإيطاليين. وعندما سئل هؤلاء الأفراد أجابوا أن المجرّب كان يعلم ما يفعل ولم يكونوا، هم أنفسهم، قد فعلوا سوى التقيّد بالتعليمات المتلقّاة.

وينطوي مفهوم المسؤولية على سيادة الشخص. ويُكتسب هذا المفهوم بدءاً من الطفولة. ولا تأخذ التربية في الغرب مع ذلك بالحسبان هذا المشكل، وحالة التبعية والخضوع التي تُربّى فيها غالبية الأطفال لا تهيّؤهم للاضطلاع بالمسؤوليات التي سيواجهونها فيما بعد مواجهة يومية. فتنمية الحسّ بالمسؤوليات لدى الصغار، وتعليمهم احترام العقد الاجتماعي الذي يعقده كل إنسان وهو يأتي إلى العالم عقداً ضمنياً، إنما يكونان بأن نعهد إليهم بمهمّات على قدّ قدراتهم، ونجعلهم يشاركون في حياة البيت وإدارة المدرسة، وأن نساعدهم على حماية حقوقهم وإنجاز واجباتهم. (انظر في هذا المعجم: **الحكومة الذاتية، السلطان، القرار، الخبرة**).

N.S.

المشروع

F: Projet

En: Project, Desing, Scheme

D: Projekt, Plan, Vorsats

هدف يعزم المرء على بلوغه.

مصطلح مشروع يدلّ، بمعناه الضيّق، على عمل، ماثل في الشعور، نتطلّع إلى تحقيقه، ويشمل الماضي، والحاضر، والمستقبل في غرض واحد، ويأخذ بالحسبان تلك الوسائل التي يمكنها أن تؤمّن نجاح المشروع. ولكن قد توجد مشروعات ليست ماثلة في الوعي النيّر وتنسّق مع ذلك تصرّفاتنا. فالإنسان ينظّم من الولادة إلى الموت، في رأي زونْدي (المولود عام 1893)، قدره وفق مشروع يتيح التحليل أن يكشف عنه. والإنسان هو ذاته، لأنه سيرورة دائماً، مشروع، و«مشروع يقرّر مصيره بنفسه» (ج. ب. سارتر). إنه بصورة مستمرّة، يغيّر نفسه وينزع إلى تغيير وسطه ليحقّق غرضه.

ونسمّي في البيداغوجيا، «طريقة المشروعات» (En:Project methode) تقنيةً تربوية مشتقّة من أفكار جون ديوي (1859 -1952)، أعدّها تلاميذه، لاسيّما و. كيلْباتْريك. وتكمن هذه الطريقة في منح العمل المدرسي هدفاً، إذ تجعل فاعلية التلاميذ مركّزة على تحقيق مشروعات يختارونها اختياراً حراً وينفذّونها تنفيذاً حراً: صنْع حلوى، نموذجاً مصغّراً من طائرة، إلخ. فالتلميذ يتعلّم وهو يعمل ويحاول أن ينجح في مهمّته المقرّرة. وينبغي له، من أجل ذلك، أن يبدأ بتحديد الموضوع وخصائصه، وأن يجمع الوثائق (من المعلم، من أشخاص آخرين، من

الكتب. . .)، وينظّم عمله، ويقيّم نتاج تجربته أخيراً. وهذه التقنية، التي تشبه كثيراً «طريقة مراكز الاهتمام»، مغرية لأنها تشجع روح المبادرة والاختراع، ولكنها ليست متوافقة للأسف مع البرامج المدرسية الموضوعة مسبقاً (انظر في هذا المعجم: المدرسة الفعّالة).

N.S.

المصاداة اللفظية

F: Écholalie, Échophrasie

En: Echolalia, Echospeech

D: Echolalie, Ecosprache

تكرار آلي للغة المسموعة.

كان عالم الأعصاب الألماني موريتز هنريخ رومبرغ (1795-1873) قد ابتكر هذا المصطلح للدلالة على هذا الاضطراب اللغوي الذي نصادفه، على وجه الخصوص، لدى المصابين بالضعف العقلي القابلين للإيحاء، وفي بعض الحالات الخَبَلية (مرض بيك، مرض الألزهايمر) بوصفه عاقبة الاعتلال الدماغي الوبائي. فالفرد الذي نتوجّه إليه بالسؤال يكرّر السؤال المطروح، دون أن يبدو أنه يفهم معناه، بدلاً من أن يجيب عنه. وتُلاحظ المصاداة اللفظية لدى أشخاص مصابين بفرط الانفعالية والقلق. وهي موجودة أيضاً، ولكنه خالية من سمتها المرضية، لدى الأطفال الصغار، الذين يكرّرون الكلمة أو الكلمات الأخيرة المسموعة بقصد اللعب. ويُستخدم المصطلح ذاته للدلالة على ثغثغة الرضيع الآلية (بين الشهر التاسع والثاني عشر) الذي يتهيأ على هذا النحو، تلقائياً، للكلام. ويفضّل بعض المؤلفين مع ذلك، مثل أو. جيسبرسون، أن يستخدموا مصطلح «صُداءéchoïsme» لوصف هذا المرحلة قبل الألسنية. (انظر في هذا المعجم: اكتساب اللغة، الكلام).

N.S.

مضاد الذهان

F: Neuroleptique

En: Neuroleptic, Major tranquilizer

D: Neuroleptica, Neuroleptika

دواء خاصته أنه يخفّف ويزيل أعراض الذهان (هلوسات، هياج، هذيان، إلخ).

أسّس جـ. دوله و ب. دونيكر، باكتشافهما، عام 1952، خصائص الكلوربرومازين (لارْغاكتيل)، علم النفس الصيدلاني الحديث، الذي أصبح في أيامنا هذه فرع معرفة ذا أهمية أولى.

تنتمي مضادات الذهان إلى أسر كيميائية متعدّدة: الفينوثيازين (لارْغاكتيل، تريليفان)، بوتيروفينون (فريسنا كتيل، هالْدول...)، بنْزاميد (دوغْماتيل...)، إلخ. ويختلف بعضها عن بعضها الآخر بأهمية مفعولاتها، المسكّنة، المضادة للذهان أو «مزيلة المثبّطات».

ولمضادّات الذهان، بصورة مستقلة عن تأثيرها السيكولوجي، «مفعولات ثانوية» عصبية على وجه الخصوص (من هنا منشأ اسمها [الأجنبي])؛ وهذه المفعولات تخفّفها أو تقي منها إعطاء أدوية «مصحّحة». إنها ضعيفة السميّة، وذلك أمر يسمح، إذا لزم الأمر، أن تُعطى سنين عديدة.

وبعض العمليات الكيميائية (الأسْترة [تفاعل كيميائي يتمّ به تكوّن الملح العضوي]) تتيح الحصول على مضادّات الذهان ذات التأثير المديد، مفعولاتها تدوم عدة أيام وحتى شهراً، تسمح بحقنات متباعدة جداً.

وطوّرت مضادات الذهان تطويراً عميقاً تقنية الطب النفسي العلاجية، إذ تسكن حالة الهياج لدى المهتاجين، وتخفّف أو تزيل الأعراض المرضية، وتتيح للمرضى الذين تحسّنت أحوالهم أن يعودوا إلى أسرهم ويستأنفوا على الغالب أعمالهم. وينبغي لمضادات الذهان أن تُعطى، في الحالات المزمنة، بجرعات صغيرة على وجه العموم، على نحوٍ غير محدّد.

J.M.C

F: neuroleptique- retard **مضاد الذهان المديد التأثير**

En: Long acting neuyoleptic

D: neuroleptika- depot

دواء مضاد للذهان ذو تأثير مديد، مفعوله يكون محسوساً بعد أربع وعشرين ساعة أوست وثلاثين ويدوم من عشرة أيام إلى ثلاثين، بحسب الأفراد المعالجين.

يتطلّب العلاج بمضادّات الذهان، في شكله المألوف، أن يتناول المريض أدويته بانتظام عدة مرات في اليوم، خلال سنين. إنها إذن لعبودية بالنسبة له، يُضاف إليها محذور رئيس مفاده إرغام العضوية أن تستقلب باستمرار كمّيات كبيرة من المنتجات، جزء كبير منها غير ضروري لتقنية العلاج. ولهذا السبب، أخذ الباحثون والعياديون بالحسبان إمكان إيجاد مضادّ للذهان، تلافياً لهذه المساوىء، امتصاصه يكون بطيئاً وتدريجياً ولايتيح إنقاص عدد المرات لتناول الدواء أوأخذ الحقنات فحسب، ولكنه يتيح أيضاً ألايدخل العضوية إلاكميات الأدوية الصيدلانية الدينامية المفيدة. وحاولت للمرة الأولى لجنة ليون للبحوث العلاجية في الطب النفسي، عام 1959، أن تحقن حيواناً بمضاد ذهان بيرازينه مع إيداع أملاح بلّورية الشكل. وبان المنتج، في البداية، أنه ينخر العضلة. وكان مضادّللذهان قد أُدخل خلال السنة نفسها، في الولايات المتحدة، هو الفلوفينازين، له في الأصل وظيفة كحول تتيح أسترته « تفاعل كيمائي يتمّ به تكوين الملح العضوي». وهذه الأسترة تمدّد الفاعلية العلاجية لعدد معيّن من العقاقير. وأول مضادّللذهان المجرّب

على الحيوان في فرنسة كان الإوناتثات الفلوفينازين (1961). وأمكن للباحث كنْروسورايت أن يتحقّق من مدته الحركية للتأثير، التي بانت أنها تقع بين أسبوعين وثلاثة أسابيع، خلال دراسات عيادية على الإنسان عام 1963. ويرى المرء، فيما بعد، ظهور مضادّات ذهان جديدة لها تأثير متعدّد المفعول، وذلك أمر جعل صعوبة الاستخدام الدقيق لتصنيف مضادات الذهان التي أعدّها عام 1960 ب. لامْبيير و ل. روفول، التصنيف النفسي الصيدلاني والعيادي، صعوبة متزايدة. ونميّز على وجه العموم، من جهة، مضادات الذهان المديدة التأثير المسكّنة، التي تقلّص العدوانية، والهياج والقلق، وتُحدث حالة من اللامبالاة النفسية والنفسية الحركية الخاصة؛ وتعمل بنجوع كبير، على نحو تدريجي، عملها في الاضطرابات الذهانية الحادّة والمزمنة. ومن جهة أخرى، نميّز مزيلات المثبّطات، التي تقلّل الاضطرابات المفككة لدى الفصاميين، والحالات الهاذية وظاهرات الهلوسة، ولها، إضافة إلى ذلك، خصائص تزيل التثبيط ومنبّهة. ومضادات الذهان المديدة التأثير «قاطعة»؛ وكلها تسبّب اضطرابات فوق هرمية (كظهور حركات لاإرادية وآلية) واضطرابات ضعف الحركة (صعوبة تنفيذ حركات معيّنة) شبيهة أوتماثل الاضطرابات التي تسبّبها مضادات الذهان العادية. ولكن تأثيرها المديد، المنتظم والمستمرّ، يجعلها مفيدة جداً. ويختلف إيقاع الحقْن باختلاف الأفراد، ذلك أن هذا الإيقاع لايتبع تغيرات السيرورة النفسية المرضية فحسب، ولكنه يتبع أيضاً التعديلات الحادثة في الشخصية وحتى الجوانب السيكولوجية، الطبية والاجتماعية، من الوضع العلاجي. وتظلّ الاستطبابات هي استطبابات مضادات الذهان الشائعة، ولكن العقاقير ذات التأثير المديد تبدو أكثر فأكثر من طبيعة تحسّن إمكانات التواصل بين المريض وبيئته. ومن الضروري، مع مضادات الذهان ذات التأثير المديد، إيجاد تصوّر فردي لعلاج الفصاميين، ينشد إدماج العلاج الدوائي بالوسائل العلاجية النفسية والعلاجية الاجتماعية.

M.Bu.

مضطرب الطبع **F: Caractériel**

En: Caracterial, problem child

D: Karakter - und verhaltensgestortes, Schwerererzieh-bares kind

طفل يُظهر اضطرابات طبع وسلوك.

مضطربو الطبع، ذوو الذكاء السوي على وجه العموم، يشقّ عليهم أن يقيموا علاقات متناغمة مع محيطهم. فأحدهم يبدو عدوانياً، عنيفاً أوفظّاً، والآخر نَزِقاً، غير مستقرّ أومعارضاً سلبياً، وثالث مغلقاً على ذاته، صموتاً. إنهم، بوصفهم ليسوا مصابين بمرض عقلي ولابقصور، يعبّرون بتصرّفهم عن العسر الذي يسكنهم.

وتوجد اضطرابات الطبع في الطفولة والمراهقة أكثر على الغالب مما توجد لدى الراشدين، ذلك أن هؤلاء أفضل زاداً ولديهم وسائل أكثر من الأطفال والمراهقين للإفصاح عمّا في أنفسهم. وأسباب هذه الاضطرابات، التي تعود معاً إلى الجبلّة وتاريخ الفرد، تكوّن الموضوع لدراسة منتبهة يقوم بها فرقاء الطب السيكولوجي البيداغوجي، الذين يُدعون للعناية بالحالات التي تُعرض عليهم. والاضطرابات يمكن، في بعض الحالات، أن يكون منشأها البعيد رضّة ولادية، مرضاً جنينياً، التهاباً دماغياً طارئاً، في الطفولة الأولى، تركت عقابيل كعدم الاستقرار النفسي الحركي، الرعونة الحركية أوعاهة حسّية (غَمَش، حسر النظر) يصعب تحمّلها. ولكن هذه الاضطرابات تُعزى على الأغلب إلى أخطاء تربوية

كالإفراط في السلطان أوتسامح الأبوين اللذين عانيا، هما، تربية قاسية. وهما، لهذا السبب صاغا إما متمرّداً، وإما طاغية صغيراً منزلياً، ذا نزوة وعاصياً، عاجزاً عن تحمّل أوهى إحباط. وكحولية الأبوين، وشقاقهما، والتفكّك الأسري، والتعاسة أوشروط غير مستقرة في الحياة، وتكيّف مدرسي سيىء، كلّها تُسبّب نبذ الطفل من جماعته، موجودة على الغالب في سوابق مضطربي الطبع. ويلاحظ ج. مونو (1944)، في استقصاء تناول 839 فرداً مضطرب الطبع، أن 551 منهم، أي 62,6 بالمئة، ينتمون إلى أسرة مفكّكة.

واضطرابات الطبع يمكنها أن تتحسّن أو تزول بفضل العلاج النفسي للطفل وبمساعدة نفسية اجتماعية للأبوين إذا كان هذان الأبوان يحسنان فهم النصائح التربوية التي تُقدّم لهما (وإذا لم يكن الوسط مصاباً بالخَلَل إصابة كبيرة). وعندما تبين هذه الإجراءات غير كافية، يكون ابتعاد الطفل عن منزله ضرورياً. ويمكنه أن يوضع في معهد طبي بيداغوجي، حيث يُشرع في إعادة التربية، بصورة موازية لمتابعة الدراسات أومتابعة تدريب على حرفة. وكانت منشأة من هذا النموذج موجودة في فرنسة، بداية الستينات، ذات طاقة قدرها30000 مكان.

وقد تبدو على الراشد أيضاً، بصورة عابرة، اضطرابات طبع، تظهر على وجه الخصوص بالحَرَد، وسرعة النَزَق، والغضب. إنها التعبير، على وجه العموم، عن صعوبة وجودية (بطالة، إضراب ذي مدة طويلة ...) أو مرتبطة بتغيّرات فيزيولوجية كالإياس أوضعف الذكورة. وعندما تكون لهذه المظاهر سمة دائمة وأكثر نوعية، كالغيرة أوالشعور بالظلم المعاني، يمكننا أن نخشى من أن تكون ذات منشأ عصابي أوذهاني وتقتضي عنايات أكثر أهمية كعلاج التحليل النفسي أومعالجة الطب النفسي. (انظر في هذا المعجم: **قصور السلطان، الأم**).

N.S.

المطابقة

F: Accommodation

En: Accommodation

D: akkommodation

سيرورة يتعدّل بواسطتها عضو أوعضوية خاضعان لضغوط الأشياء ويتوافق كل منهما ويمتثل ليتكيّف مع الشروط المحيطة.

العين المعرّضة لنور حادّ تُجري عملية مطابقة بتقليص بؤبؤ العين - إذ يقوم البؤبؤ بمهمة الحجاب؛ والجسم يرتعش ليتّقي البرد، ويتعرّق عندما يكون الطقس حاراً، في حين أن الآليات الذاتية الانضباط تحافظ على ثبات نسبي للوسط الداخلي. وتحدث سيرورة مماثلة على المستوى النفسي عندما ينبغي للطفل أن يغيّر نمط حياته (مدرسة، إقامة داخلية، مخيّمات العطل ...) ويعدّل سلوكاته ليكون على وفاق مع المربين. وإذ يكون الطفل مرغماً على أن يتكيّف مع الوضع الجديد، فإنه يبدّل مخطّطاته الذهنية الأوليّة ويكوّن مخططات ذهنية جديدة أكثر ملاءمة، بالتلمّسات أول الأمر، في ضرب من التجريب الفاعل، ثم بالابتكار العفوي. **(انظر في هذا المعجم: الاعتياد، التكيّف، التمثّل، الاتزان الحيوي).**

N.S.

المطالبة

F: Revendication

En: Claim

D: Anspruch, forderung

سلوك شخص يطلب التعويض عن ظلامة عاناها حقاً أو زعماً.

المطالبة، لدى الطفل، مطالبة وجدانية دائماً على وجه التقريب، تظهر على وجه العموم بمناسبة ولادة أخ أو أخت أو جرآء وضعه في منشأة. والمطالبة يمكنها أن تبرز بعدوانية إزاء المحيط، صريحة قليلاً أو كثيراً، أو بتصرّف نكوصي (سَلَس البول سلس الغائط ...).

والمطالبة، لدى الراشد، ذات علاقة على الغالب بآلية تعويض فعّال وتعبّر عن عدم الرضى العميق لدى الفرد في الوسط الاجتماعي. ويتلاحق تصرّف المطالبة، الناشيء من إخفاق أو من إحباط ضئيل، على نحو شبه وسواسي، ماضياً حتى إلى عكس مصالح الفرد. وتكوّن المطالبة، التي تنمو عادةً لدى الأفراد ذوي الظن السيّء والأنا العليا الصلبة، عَرَضاً كبيراً من أعراض الذهان الهذائي (البارانويا) على الغالب.

N.S.

هذيان المطالبة شكل من الذهان الهاذي المزمن القائم على الاقتناع المزدوج أن صاحبه ضحية ظلم، ووجوب تعويضه على وجه الخصوص. وهذا الهذيان قاعدته دائماً شخصية ذهانية هذائية، يبدو أنه يحقّق لها مجرد مبالغة كاريكاتورية. وصنّف غيتان غاتّيان دو كليرامبو (1872 -1934) هذا الهذيان في عداد الهذيانات

الانفعالية، ولكن ثمة ميلاً في أيامنا هذه إلى أن تُجمع فقط، تحت هذا العنوان، الهذيانات الانفعالية العاشقة. وموضوع المطالبة موضوع متغيّر، والذريعة واهية على الغالب: قرار قضائي غير مناسب، خيبة أمل في الترقّي، شقاق أسري، شهادة اختراع يُستهان بها. والشعور بالظلم المعاني يفرض نفسه بوصفه فكرة ثابتة، والفرد، غير المنفتح على الحوار، ومفسّر الحق بأسلوبه، يسعى بكل قواه للتعويض عن هذا الظلم.

وقد يحدث أن يغيّر الأفراد موضوع المطالبة وفقاً للحالة الراهنة، ولكنهم لايتخلّون لهذا السبب عن الموضوع السابق. إنهم مغتبطون في البداية، متحمّسون، واثقون من الحصول على تعويض عادل بالدروب المشروعة؛ ويكثرون من إقامة الدعاوى ويستأنفونها للحصول على تعديل الحكم الذي يعتبرونه غير مرض (يوصف هؤلاء الأفراد أنهم « خصوم يحبون إطالة الدعاوى»). ولكن الإخفاقات تنمّي سخطهم، وينتهون إلى أن يناشدوا الرأي العام بالمناشير والمقالات أو الملصقات الإعلانية؛ ويمكنهم أيضاً أن يعكفوا على أفعال إذلال أوضروب عدوان مباشرة، قاتلة في بعض الأحيان. فهم ليسوا فقط لايكابدون أي تبكيت ضمير، ولكنهم يضطلعون أيضاً، بترفّع، بمسؤولية هذه الأفعال حتى أمام المحاكم، حيث يأملون دائماً أن يجعلوا حقّهم العادل هو المنتصر. وموضوع المطالبة يكون في بعض الأحيان خيرياً أو مثالياً: صراع ضد البؤس، والحرب، والمظالم الاجتماعية، بفعل إقامة أنظمة سياسية جديدة. ومن الصعب، بالنظر إلى أن مثل هذه الاهتمام نجده لدى أشخاص أسوياء كل السواء، تحديد موقع العتبة المرضية. ويمكننا القول مع ذلك أن للحلول المقترحة لدى الهاذين سمة سديمية وغير واقعية النزعة؛ ويجري نضالهم في مناخ من الحماسة والاقتناع المطلق (إنهم «مثاليون شديدو الانفعال»)؛ والعدوانية غالبة، إذ تقود في بعض الأحيان إلى محاولات اعتداء قاتلة ضد الشخصيات العالية المستوى (الملوك، رؤساء الدولة ...) ولكن الارتياب يدوم في بعض الحالات، على الرغم من كل شيء.

J.MA.

المعاق، المعوّق

F: Handicapé

En: Handicapped

D: Behinder

مصطلح يُطلق على شخص يظهر عليه قصور جسمي أوعقلي، وإمكاناته لاكتساب (أوالاحتفاظ بالمكتسب) عمل متقلّصة لهذا السبب.

مصطلح المعاق يُفضّل على مصطلح «عاجز» لأنه يذكّر ما وراء المفهوم بفكرة إجحاف ينبغي تعويضه في منافسة طبيعية. ونميّز أربعة نماذج كبرى من المعاقين: المعاقين العقليين (ضعف عقلي وتخلّف عقلي عميق)، المعاقين الحسّيين (العميان والمصابين بغَمَش، الصمّ والضعيفي السمع)؛ المعاقين الحركيين (المشلولين، المصابين بالعجز الحركي الدماغي، إلخ)؛ المعاقين في أعقاب مرض مزمن (المصابين بمرض قلبي، بالسكّر، بالربو، بالتدرّن الرئوي ...). ويقدّر عدد المعاقين في فرنسة بنسبة قدرها 10 بالمئة من عدد العمّال.

وكان عدد المعاقين من الناحية العقلية، وحدهم، نحو مليون في بداية أعوام 1970، وكان أكثر من نصفهم في عمر خمس سنوات إلى تسع عشرة (650 682) وفي شريحة العمر نفسها، كان عدد الصم والبكم أوالعميان 4500 وعدد المعاقين بالحركة123000. وأمام اتّساع المشكل، مرّرت الحكومة الفرنسية قانوناً للتوجيه في مصلحة الأشخاص المعاقين (30حزيران [جوان]1975) نصّ على أن « الوقاية من الإعاقات وكشفها، والعلاج والتربية، والتكوين والتوجيه المهني، وضمان الحدّ الأدنى من الموارد، والاندماج الاجتماعي، والوصول إلى الألعاب الرياضية وأوقات الفراغ للقاصر والراشد المعاقين الجسميين، والحسّيين أو العقليين، تكوّن واجباً وطنياً»، وأن كل شيء ينبغي استخدامه لـ« يؤمّن للأشخاص المعاقين كل

استقلال ذاتي قادرين عليه». وثمة مساعدات مالية نصّ عليها القانون، ولجان تنسيق كانت قد تألفت، على المستوى الوطني (اللجنة الوزارية للتنسيق في مجال التكيّف وإعادة التكيف) ومستوى المحافظات معاً (لجان المحافظات للتربية الخاصّة للأفراد في عمر أقل من عشرين عاماً؛ لجان تقنية للتوجيه وإعادة التصنيف المهني لمن هم في عمر عشرين فما فوق). والإعاقات الأكثر خطورة يمكن تجاوزها. فأباتر اليدين قادرون على أن يتعلّموا النجارة، وأباتر الذراعين تعلّموا الضرب على الآلة الكاتبة، والعميان تعلّموا الطباعة الاختزالية. وبيّنت تقديرات حديثة (1970-1972) للنجاح المهني، في الولايات المتحدة الأمريكية، أن 87 بالمئة من المصابين بإعاقة عقلية خفيفة كانوا ذوي عمل. ولكن تربية المعاقين وإعادة تربيتهم، وإعادة تكييفهم، التي تتطلّب جهوداً كبيرة جداً من جانب المتّحد الوطني وجانب المربّين والمعاقين أنفسهم، تكوّن مشروعاً شائكاً. مثال ذلك أن الآراء منقسمة فيما يخصّ فصل الأطفال المعاقين عن الأطفال الأسوياء، بغية منحهم تعليماً متخصّصاً. ويعتقد بعض علماء النفس، كبيير أوليرون، أن هذا العزل يُحتمل أن يكون مجحفا لذوي الإعاقات الحسّية، ذلك أنه يعوّدهم على أن يعيشوا في عالم محميّ، مصطنع، سيشقّ عليهم أن يغادروه فيما بعد. ويأمل المعاقون في أن يكون بمقدورهم المشاركة في حياة الحاضرة بصورة طبيعية. ويبذل بعضهم، المتجمّعون في جمعيات، جهوداً للحصول على عدد أكبر من الوظائف المحجوزة لهم، ووصولاً أسهل إلى الأبنية العامة والخاصّة وإلى وسائل المواصلات أيضاً، إلخ.

وتظهر إرادة المعاقين لبلوغ حياة طبيعية في مشروعاتهم. مثال ذلك تنظيم ألعاب أولمبية للمعاقين جسمياً، أولاها حدثت عام 1948 في ستوك ماندوفيل، قرب لندن. وثمة كذلك «ألعاب أولمبية خاصة» للمصابين بالإعاقة العقلية، - حدثت أولاها عام 1970 في باريس: ويتنامى عدد المشاركين في هذه الألعاب بانتظام: 1200 عام 1700,1970 عام 2500,1972 عام 1973. (انظر في هذا المعجم: **التخلّف العقلي، الورشة المحميّة، الأعمى، مركز العون بالعمل، العاهة الحركية الدماغية، الصمم**).

N.S.

المعدّل النفسي **F: Psycholeptique**

En: Psycholepticdrug

D: Psycholeptika

مادة كيميائية قادرة على خفض التوتّر الذهني، أي قادرة على أن تمارس تأثيراً معدّلاً أومهدّئاً على الوظائف النفسية.

نميّز، بين المعدّلات النفسية، **مضادات الذهان والمسكّنات**، التي تؤثّر بصورة أساسية على المزاج، **والمنوّمات**، التي ينصبّ تأثيرها على التيقّظ بصورة انتقائية:

1- **مضادات الذهان** (المسكّنات الرئيسة لدى الأمريكيين) تتّصف بخمس خصائص عامة: إنها تقلّص الاضطرابات الذهانية الحادّة والمزمنة؛ تُحدث حالة من اللامبالاة النفسية الحركية؛ تقلّل العدوانية والهياج؛ تسبّب مفعولات ثانوية فوق هرمية وعصبية نباتية؛ ولها أخيراً تأثير تحت قشري غالب. ونجد الفينوسيازينات، والريزربين، والبوتيروفينونات، بين مضادات الذهان أومضادات الاكتئاب؛

2- **المسكّنات** (المسكّنات الضعيفة) تسمّى أيضاً «مزيلات القلق» لأن لها القدرة على تقليص القلق. إنها تمارس مفعولاً مهدّئاً، مضاداً للتشنّج ويُرخي العضلات؛ وتقوّي مفعول الكحول، والمخدّرات العامّة، وبعض مسكّنات الألم والمنوّمات، ولكنها ليست منوّمات حقيقية بذاتها. وتمثل البنْزوديازيبينات (ليبريوم) والميبروبامات (إيكانيل) بين المسكّنات؛

3–المنوّمات Nooleptiques أو hypnotiques (باربوتوربة وكلورال) موادّ قادرة على أن تسبّب النوم. ويدوم مفعولها ما دام المنتج يظلّ فعّالاً. وإلى جانب المنوّمات الحقيقية، توجد موادّ يمكنها أن تحرّض نوماً عكوساً، شبيهاً بالنوم الفيزيولوجي. وتمثل بعض المسكّنات وبعض الفينوسيازينات بين هذه المواد شبه المنوّمة.

وعامل التعديل النفسي يمكنه، تبعاً للجرعة المعطاة، أن يسبّب الاسترخاء العصبي، وحالة غسقية أو النوم. (انظر في هذا المعجم: **مضادّ الذهان، مثير الهلوسة، المسكّن**).

M.S.

المعيار

F: Critère, Critérium

En: Criterium, Criterion

D: Kriterium

خاصية شخص أوحيوان أوشيء يمكننا انطلاقاً منها أن نقيّمه.

إن منافسة رياضية، أومسابقة، تتيحان تحديد أفضل الأبطال الرياضيين وأفضل التلاميذ. ونسبة الإخفاقات المسجلة في امتحان يمكنها، بالمقابل، أن تؤخذ بوصفها معيار صدق الطرائق البيداغوجية التي يستخدمها أستاذ أوحتى صدق قيمة نظام مدرسي بكليته؛ فالمعيار، في هذه الحالة، هو الفارق بين النتيجة الحاصلة والهدف المنشود. ويمكننا، في علم النفس الصناعي، أن نقيّم أمن موقع من مواقع العمل انطلاقاً من تواتر الحوادث المسجلة في مرماه. ولكن هذا المعيار غير مناسب بصورة واقعية، ذلك أن الحادث يمكنه أيضاً أن يُعزى إلى وضع العامل (إهمال تعليمات الأمن، شرود، إلخ). والمشكل أكثر تعقيداً أيضاً عندما يقتضي الأمر أن نحدّد معايير النجاح المهني. والواقع أننا، إذا فوّضنا أمر التقييم إلى الرؤساء التراتبيين، فإنه لايمكن أن نكون واثقين من موضوعية حكمهم ولامن تجانس المعايير التي يقوم عليها هذا الحكم (مثال ذلك أن أحدهم سيعلّق أهمية كبرى على الدقّة، وآخر على السرعة، وثالثاً على روح المبادرة، إلخ). وإذا نظرنا من وجهة نظر ماضوية إلى الأمر، فإن معيار النجاح يمكنه أن يكون المظهر العام للمهنة (سرعة الارتقاءات، الدرجة التي بلغها المعنيّ، الوظائف التي أدّاها، إلخ). ولكننا بحاجة على الأغلب إلى أن نتنبأ بما سيفعله طالب وظيفة أو قادم جديد إلى المهنة.

ونأخذ بالحسبان، من معايير التنبؤ الممكنة، عمره، ثقافته، ذكاءه، مستوى طموحه، توظيفه المهني (أي التزامه الشخصي بالمهنة، الطاقة التي يستعدّ لصرفها فيها).

N.S.

ويظلّ معيار النجاح في عمل، معيار لايميّزه على الغالب علم النفس من تعريف وظيفة، تعداد متطلّباتها وخصائصها، غامضاً ويصعب فهمه. ويبدو دائماً، سواء اعتبرناه متغيّراً وحيداً، أو تلاقي قياسات مختلفة أو كوكبة من الأحداث الحرجة، أنه يقاوم محاولات التقييم الدقيق، الصادق والثابت. وخلال تحليل وظائف الأطر إنما يبدو معيار النجاح في كل تعقيده: إنه، على مستوى الواقع، ناجم عن الشروط التي نتصورّ فيها ويتحقّق فيها تقييم النجاح لمن يشغل المركز أكثر من كونه ناجماً عن خصائص هذا المركز المأخوذ بالحسبان. ويبدو أن علينا، في هذا المجال على الأقلّ، أن نتخلّى عن تحديد معيار للنجاح يمكنه أن يوضع في صلة بوسائل التنبؤ المستخدمة على وجه العموم. فسيكون متأثّراً، وإن كان ممكناً من الناحية التقنية، بالتغيّرات قبل أن يكون التقييم قد انتهى بنجاح. فمعيار النجاح لشخص من الأطر ناجم عن سيرورة مستمرّة منشأها، السابق على التسابق على مركز، ينبغي البحث عنه على مستوى التوقّعات، والاتجاهات، والإدراكات والدافعيات، لكل الفاعلين الذين يتدخّلون في وضع الاستخدام. أضف إلى ذلك أن علينا أن نعتبره قاعدة جماعية بنيانُها يتتابع بعد التوظيف: إن معيار النجاح ينبعث من التفاعل مرشّح - جماعة الاستقبال. والمعيار، الذي يندر أن يكون موضّحاً، متأثر دائماً ببنيات المشروع ومتأثر، على وجه الخصوص، بطبيعة العلاقات بالسلطة، علاقات تميّز العمل الوظائفي لهذه الطبيعة. ونقول أخيراً إن المعيار المأخوذ بالحسبان يتحوّل تحت تأثير المرشّح، الذي يمكن أن يحدث تطوّره على نحو مناسب لاندماجه أو، على العكس، يجعل هذا الاندماج متعذّراً.

والمعيار، قاعدة تقييم بصورة واضحة، يمكنه، على نحو كامن، أن يكون التعبير عن آليات دفاع ضد التغيير. ويفترض إذن معيار النجاح لفرد من الأطر في مشروع، تحليلاً دائماً للوضع، عملاً من أعمال التوضيح المستمرّ والجماعي، عملاً لا يتميّز من عمل اندماج المرشّح في المشروع. (انظر في هذا المعجم: **علم الامتحانات، التقييم، اصطفاء الأطر**).

M.J.

المغيّر النفسي **F: Psychotrope**

En: Psychotropic drug

D: Psychotrope substanz

مادّة كيميائية، طبيعية أوتركيبية، قادرة على تغير الفاعلية الذهنية وسلوك الفرد.

تصنيف المغيّرات النفسية الذي نرجع إليه أيضاً في الوقت الراهن هو التصنيف الذي اقترحه عام 1957 جون دوله (المولود عام 1907) وبيير دونيكَر (المولود عام 1917) . ويميّز هذان المؤلفان ثلاثة أصناف من المغيّرات النفسية : **المعدّلات النفسية** التي تخفض القوة الذهنية و**المنشّطات النفسية** التي ترفعها؛ و**مثيرات الذهان** التي تسبّب الانحراف في هذه القوة. وينبغي أن نفهم مصطلح القوة الذهنية أنه الحالة السيكولوجية التي تمتزج فيها تغيّرات التيقّظ والوجدانية والمزاج.

1- **المعدّلات النفسية** مهدّئات نفسية، أي تسكّن أوتعدّل الفاعلية المغالية للجملة العصبية. وتضمّ: **مضادّات الذهان** التي نعرف تأثيرها المقلّص للذهان الحادّ والمزمن ، ونعرف أيضاً مفعولاتها الثانوية (العصبية النباتية وفوق الهرمية)؛ **المسكّنات** المسمّاة «مزيلات القلق» لأنها تؤثّر في القلق بصورة أساسية؛ **المنوّمات**، القادرة على أن تثير النوم؛

2- **المنشّطات النفسية** هي منبّهات نفسية. ونميّز منها المقويّات النفسية، التي تمارس عمل المحرّض على مستوى التيقّظ، ومضادّات الاكتئاب التي تؤثر على المزاج؛

3- **مثيرات الذهان** تمارس تأثيرها المثير للخلل على الفاعلية الذهنية، ومسبّبةً مظاهر هاذية وهلوسية على وجه الخصوص. وتضمّ هذه الزمرة: **المخدّرات** أو «مثيرات الذهول» (الأفيون، الكوكائين، الهيرويين، المورفين، إلخ)، التي يمكنها أن تسبّب تبعية نفسية وجسمية؛ **مثيرات الهلوسة**، التي تُسمّى «مثيرات الأحلام» لأنها قادرة على أن تُحدث حالة من الحلم المستثار (إنها الليزرْغاميد أو L.S.D.25، المسكالين والبسيوسيبين)؛ **المواد المسْكرة** (الأثير، الكحول، المذيبات العضوية).

وهذا التصنيف مفيد، ولكنه ينطوي على ضروب من القصور. والواقع أن ثمة منتجات عديدة تنتمي إلى زمر مختلفة؛ تلك هي حالة الليفوميبرومازين (نوزينان، ليفروبرون)، على «سبيل المثال، التي تقع بين مضادّات الذهان والمسكّنات. (انظر في هذا المعجم: **مضادّ الذهان، المنشّط النفسي، مثير الذهان المعدّل النفسي، المسكّن**).

M.S.

مفعول الجماعة

F: Effet de groupe

En: Group effect

D: Artgenosseneffekt

مصطلح ابتكره بيير بول غراسّه (مولود عام 1895) للدلالة على التغيّرات المورفولوجية، الفيزيولوجية والسلوكية، الملاحظة لدى حيوان عندما يوضع في حضور مثيل له أو عدة أمثال.

يتّخذ جُدْجد الحقول، الأسود أو الأسمر، تلويناً ناصعاً عندما نضعه في قفص مع جداجد أخرى، أوحتى إذا تركناه وحيداً أمام صورته المنعكسة في المرايا. والأمر نفسه يحدث للجرادة المهاجرة الأفريقية، الضاربة إلى اللون الأخضر عندما تكون وحيدة وتتّخذ لوينات صفراء وحمراء وسوداء عندما تكون في الجماعة. وليس عضو البصر وحده دون شك سبب هذه التغيّرات، لأنها لا تحدث عندما نستأصل الهوائيات التي توجد فيها الأعضاء التي تستقبل الروائح. ويمكننا إذن أن نفترض أن رسائل كيميائية تتدخّل أيضاً في هذه الآلية. وليس مفعول الجماعة موجوداً لدى الحشرات فحسب، ولكنه موجود في مملكة الحيوان كلها، ومظاهره مختلفة جداً. مثال ذلك أن هذا المفعول يظهر لدى الفأرة بانخفاض الخصوبة. ولوحظ في الحقيقة أن نسبة الولادة كانت متناسبة عكسياً مع كثافة السكان، وذلك أمر يتيح تجنّب اكتظاظ السكان ونفاد المصادر الغذائية، وبالتالي يتيح بقاء النوع في نهاية المطاف. (انظر في هذا المعجم: الفيرومون).

N.S.

مفعول الحقـل **F: Effet de champ**

En: field effect

D: feldeffekt

نسمّي «مفعول الحقل»، في نظرية الشكل، نزوع الحقل الإدراكي إلى أن ينتظّم تلقائياً.

تخضع مفعولات الحقل إلى بعض القوانين التي نذكر الرئيسة منها فيما يلي:

1- العناصر الإدراكية المنعزلة تتجمّع في أشكال منظّمة (في السماء المرصّعةبالنجوم، نميّز الدبّ الأكبر، الدب الأصغر، الجوزاء وبعض الكوكبات الأخرى)؛

2- الحقل الإدراكي يتمايز إلى شكل وقاع، أحدهما ينفصل عن الآخر، ولكن كل جزء من الجزأين يمكنه، في بعض الحالات الخاصة، أن يؤدّي دور الآخر بالتناوب؛

3-يدرك المرء دلالة ما وراء الشكل. إن عالم النفس العصبي الأمريكي كارل سبنْسر لاشله (1890-1958) علّم الفئران البيضاء أن تختار المثلث الذي تقترن به مكافأة من مثلثين أبيضين متماثلين مختلفي الاتجاه، ثم عرض عليها أشكالاً مشابهة مرسومة في خطوطها العامة فقط: كان انتقال تحويل التعلّم مباشراً. كذلك أتقنت الفئران معرفة رسوم المثلثات الخالية من القاعدة بالمقدار من السهولة على وجه التقريب؛

4) الأشكال البسيطة، المنتظمة، المتوازنة، الكاملة («ذات الشكل التام الحسن») ذات كثافة حضور أكبر من الأشكال غير المنتظمة وغير الكاملة، أي أنها ذات ثبات أكبر وتفرض نفسها علينا بقوة أكبر من الأشكال غير المنتظمة وغير الكاملة؛

5- تحتفظ الأشكال التامة الحسنة بخصائصها الخاصة (لون، شكل)، على الرغم من التعديلات في العرض (مثال ذلك أن دائرة ستكون مرئية دائماً، ولو أن المنظور يشوّهها).

ويستخدم عالم النفس السويسري جان بياجه(1896-1980)، من وجهة نظر مختلفة عن **النظرية الغشطالتية**، مصطلح «مفعولات الشكل» للدلالة على التفاعلات المباشرة التي تحدث بين العناصر المدركة معاً، في لحظة قصيرة (في المِبْصار، على سبيل المثال، فيما يخصّ الإدراكات البصرية). ويستنتج بياجه، إذ درس بعض التشوّهات الإدراكية الناجمة عن مفعولات الحقل، أن أنماط التبنين الإدراكي ليست ذات علاقة بالميول المستقلة للعضوية فقط، كما كان يعتقد مناصرو النظرية الغشطالتية، مثل و. كوهلر،ك. كوفكا، ولكنها ذات علاقة أيضاً بالتجربة المكتسبة. ومفعولات الحقل موجودة في كل الأعمار التي كانت دراستها ممكنة، ولكنها شدّتها يعتريها النقص الخفيف من الطفولة (من خمس إلى ست سنوات) إلى سنّ الرشد. (انظر في هذا المعجم: **الإدراك**).

N.S.

مفعول رانْشبورغ

F: Effet ranschburg

En: Ranschburg effect

D: Ranschburg effekt

ظاهرة لاحظها عالم النفس الهنغاري بول رانْشبورغ (جيور، 1870 – بودابسْت، 1945)، كامنة في تباطؤ الإدراك الناجم عن وجود عناصر متطابقة في مجموع معيّن .

يعلن رانْشبورغ، في ما يُسمّى « قانون الكفّ المتبادل لمنبّهات متجانسة»، أن المحتويات والسيرورات السيكولوجية المتجاورة تميل إلى أن تختلط وتتكثّف بمقدار ماتكون درجة تشابهها كبيرة . وتتيح طريقة بسيطة جداً أن نتحقّق تجريبياً من هذا المبدأ. مثال ذلك أننا إذا عرضنا بالمبصار مجموعتين من خمسة حروف لكل منها ، عرضاً متعاقباً: ب جـ د هـ ل ، ب جـ جـ د هـ (أو ب ب جـ ء هـ)، فإننا نتبيّن أن المجموعة الثانية تقتضي، قياساً على الأولى، ضعفي الزمن حتى تُدرك وتُحفظ. وهذا القانون المسمّى «مفعول» رانشبورغ أو «ظاهرة» رانشبورغ، وجد تطبيقه في المجالات الأكثر تنوّعاً: في علم النفس الفيزيولوجي، لشرح وحدة الصور الآتية من الشبكتين، أوالسمع بالأذنين؛ في علم النفس الألسني ، لتوضيح تمثّل الصوائت؛ في علم النفس الصناعي (انظر أعمال هوغو مانستربرْغ على وجه الخصوص)، بصدد الرتابة. وأتاح هذا القانون على وجه الخصوص أن نفهم منشأ بعض الأخطاء النمطية التي تحدث في القراءة والكتابة، واستُخدم للبرهان على أصل بعض الأوهام الحسّية وتفسير مختلف الاضطرابات في الترابط وحفظ الأرقام

أوالوجوه، المتشابهة قليلاً أوكثيراً. ودمجت مدرسة فيلكس غروجر (بوزن، بروس [بوزنان، بولونية، في أيامنا هذه] 1874، - بال، 1948) قانون الكف المتبادل للمنبهات المتجانسة - الذي يتفق اتفاقاً تاماً مع تصور موحد لعمل المجموعات الوظائفي - في تكوين **نظرية الغشطالت** . (انظر في هذا المعجم: الشكل).

E.M.K

مفعول زيغارْنيك **F: Effet zeigarnik**

En: Zeigarnik effect

D: Zeigarnik - effekt

تثبيت ذكرى عمل في الذاكرة لم.يكتمل أوقصد ما أمكن له أن يتحقّق.

كان علم النفس بلوما زيغارْنيك (1927)، تلميذ كورت لوفن، قد درس هذه الظاهرة. فطلب، في تجربة أصبحت كلاسيكية، إلى أطفال أن ينجزوا، خلال نهار، مجموعة من أعمال صغيرة، كصنْع نماذج حيوانات، نظْم لآلىء في خيوط، جمْع قطع لغز، إلخ، عددها عشرون عملاً. وتمكّن الأطفال من أن ينجزوا نصف هذه الفاعليات، وظلّت الأخرى غير مكتملة. وبعد بعضٍ من الزمن، دُعي المشاركون إلى أن يذكروا كل الأعمال التي كان عليهم أن ينفّذوها. ونجم عن ذلك أن الأعمال التي لم يتمكّنوا من إنهائها كانت مذكورة بمقدار ضعفي الأعمال الأخرى على الأغلب، كما لو أن عدم إكمال فاعلية شُرع فيها كان يُحدث توتّراً دائماً في العضوية، ليست الذكرى سوى علامته. والواقع أننا عندما نتيح للأفراد إمكان إنهاء عملهم، يحدث لديهم ضرب من زوال التوتّر، ولم يعد يوجد فارق في التذكّر بين الأعمال المنجزة. وكان ضرب من تأكيد هذه الملاحظات السابقة قد أسهم به م. أوفسيا نكينا (1928)، الذي لفت النظر إلى أن الأفراد الذين يمكنهم أن يُنهوا الفاعليات المتوقّفة، ولايعلمون أنهم مراقبون، ميلاً إلى أن يستخدموا الطاقة الانفعالية المجنّدة لحظة المباشرة بالعمل، استخداماً كلياً. ويلاحظ زيغارْنيك، من جهة أخرى، أهمية طبيعة الفاعلية في هذه التجربة: التوقّف في منتصف العمل

عندما يصنع المرء نموذج حيوان، على سبيل المثال، أصعب من التوقف عن نظم عقد من اللآلىء، ذلك أن العمل المنجز يمثّل، ولو كان غير مكتمل، عقداً صغيراً. ول لحظة الانقطاع أهميتها أيضاً: الإحباط يكون أقوى بمقدار مايطرأ التوقّف عندما يكاد العمل يكون منتهياً. وشخصية الفرد عامل هامّ، أخيراً: أولئك الذين يكونون عاجزين عن تكوين فكرة عامة عن العمل ضعيفو الحساسية للتوقّفات وبالتالي أكثر أهلاً للعمل المجزآ.

وتكمن أهمية التجربة التي أجراها زيغارنيك في التأكيد الناجم عنها، تأكيد مفاده أن الموجود الإنساني يشعر، على نحو طبيعي، بالحاجة إلى إنهاء كل فاعلية بدأها، وبالتالي، تكمن هذه الأهمية في اتّهام العمل المجزّأ فيما يخصّ توازن العامل وتفتّحه. (انظر في هذا المعجم: **العمل المسلسل، شبه الحاجة**).

N.S.

المقارنة

F: Comparaison

En: Comparison

D: Vergleich

تقريب شيء أو عدة أشياء، بغية تقييم التشابهات والفروق بينها.

إذا لم تكن المقارنة، كما يجزم كوندياك، سوى «انتباه مزدوج»، فإنها تنطوي أيضاً، بصورة أساسية، على حكم. وتستند كل دراسة علمية إلى هذه السيرورة التي تكمن في مواجهة الحوادث بعضها مع بعض، بعد جمعها، وتصنيفها بهدف فهمها على نحو أفضل، إن لم يكن لشرحها. وطريقة المقارنة مستخدمة كثيراً في العلوم الاجتماعية حيث يتعذّر من الناحية العملية، على العكس في العلوم الفيزيائية، أن نحصل على حوادث متماثلة. مثال ذلك أن من غير المحتمل أن يعطي إجابةً واحدة عدةّ أشخاص يُسألون عن الانطباع الذي يحسّون به عند عرض لوحة ملوّنة. وتُستخدم طريقة المقارنات زوجياً، طريقة أدخلها فخنر في علم النفس الفيزيائي، استخداماً دائماً في علم النفس التجريبي (ولاسيّما لتقييم الأفضليات الجمالية). ويُطلب إلى الأفراد، في هذا الإجراء، أن يقارنوا بين مجموعة من المنبّهات مقارنةً لكل منبهين على حدة، كأصوات صافية، على سبيل المثال، يختلف بعضها عن بعض بارتفاعها فقط، وأن يشيروا، بمناسبة كل زوج، إلى الأكثر ارتفاعاً (أوالصوت الذي يفضّلونه) على النحو التالي: أ› ب، ب › جـ، إلخ. ثم تُنقل النتائج، فيما بعد، إلى جدول ذي مدخل مزدوج. ولكن هذه الطريقة طويلة، ذلك أن على الفرد، ما دام كل منبّه ينبغي أن يُقارن بكل منبه

من منبهات مجموعة أخرى، أن يجري عدداً من العمليات المتمايزة يساوي ع^2، أوع (ع-1) إذا كان كل تنبيه لايُقارن بنفسه، وذلك يجعل فرد الاختبار ملزماً كذلك بتقديم 190 حكماً، بالنسبة لمجموعة متوسّطة قدرها عشرون منبّهاً.

N.S.

المقاومة

F: Résistance

En: Resistance

D: Widerstand

مصطلح أدخله فرويد في قاموس التحليل النفسي لتمييز اتّجاه المريض الذي يعارض سير العلاج معارضة لاشعورية.

المقاومة يمكنها أن تتّخذ أشكالاً كثيرة، يصعب أن يتعرّفها المرء غالباً: حذراً إزاء المعالج، نقد نظريات التحليل النفسي، عدم احترام القواعد الأساسية (أن يقول ما يخطر بباله)، نسيان زمن الموعد مع المحلّل النفسي، إلخ. ويحرّم المريض على نفسه بهذا النحو أن يبلغ لاشعوره ويحتفظ بالمنافع التي يؤمّنها له المرض.

(انظر في هذا المعجم: **فائدة المرض الثانوية، العلاج النفسي التحليلي للجماعة**).

N.S.

المقولب، النمطي

F: Stéréotype

En: Stereotype

D: Stereotyp

فكرة مسبّقة، غير مكتسبة بالتجربة، لا أساس دقيق لها أوتستند إلى وقائع خاصة، طريفة أوذات مظهر ثانوي، تفرض نفسها على أعضاء جماعة ولها إمكان أن تتكرّر دون تغيير. ويدلّ هذا المصطلح أيضاً على سلوك تكراري.

كان مفهوم المقولب قد اقتُبس من اللغة التقنية، لغة المطبعة، حيث يدلّ على صفيحة محفورة تستخدم في الطباعة بالجملة. واستخدمه في العلوم الإنسانيةللمرة الأولى، عام 1922 صحافي أمريكي هو والتر ليبمان (نيو يورك 1889 - نيويورك، 1974) في كتابه الرأي العام.

يقوم تقييمنا الأشياء والأشخاص غالباً على كليشيهات. ونحن نتكلّم على سبيل المثال، على «برودة الطبع البريطاني»، «والكياسة الفرنسية»، و«مادية الأمريكيين»، و«قناعة الصينيين»، «وتهذيب اليابانيين»، دون أن نكون قد تحقّقنا أبداً من قيمة هذه الأقوال. وفي الولايات المتحدة، كانت تحليلات محتويات بعض من المجلاّت قد كشفت، حديثاً أيضاً، عن أن صفة «كسول» تقترن غالباً بالسود، وصفة «رجل عصابات» بالإيطاليين، و«الميل إلى الخصام» بالإيرلنديين. فكل هذه المقولبات كاذبة، يقول عالم الاجتماع ريشار ت. لا بيير.

إن هذه المقولبات، التي تنقلها وسائل الإعلام الجماهيرية، يمكنها أن تتطوّر مع الأفكار والأحداث. ولكن قد يحدث أن ينبعث المقولب في شكله البدئي،

بالنظر إلى أن هذه التغيّرات تابعة أيضاً للظروف السياسية الاقتصادية. وعلى هذا النحو إنما ظهر المقولب التقليدي، التحقيري، لليهود ظهوراً جديداً خلال الستينات، بعد انحساره في الخمسينات، وانتشر انتشار نُثار البارود في منطقة اوركيان.

وتكمن وظيفة المقولب، في جماعة اجتماعية، في أن تجعل أحداثاً من تاريخها دائمة؛ وتحلّ بعض النزاعات أوتحوّل توتّرات داخلية؛ وتُظهر تضامن الجماعة؛ وفي أن تمنحها على هذا النحو مزيداً من التلاحم وتحميها من كل تهديد للتغيّر. والمقولبان المتناقضان يمكنهما أن يوجدا معاً أو لدى شخص. مثال ذلك اللوم الموجّه إلى اليهود أنهم يعيشون فيما بينهم، والاتّهام الموجه إليهم أنهم يريدون التدخّل في كل مكان.

وتؤثر المقولبات حتى في الإدراكات. وثمة تجربة قام بها ج. رازْران (1950) كاشفة بهذا الصدد. فقدّم هذا المؤلف لجماعة من الطلاب صوراً تمثّل شابات، مع تعليمات مفادها أن يُعزى إلى كل صورة علامة على الجمال، والذكاء، والطموح، إلخ. وكرّر التجربة بعد ثلاثة أسابيع مع الأفراد أنفسهم، إذ أعطاهم أسماء عائلات الصبايا. والحقيقة أن المسألة كانت مسألة معلومات زائفة لأن الأسماء كانت قد أُطلقت على الصبايا بالمصادفة، ولكن استنتاج الأصل الإتني المزعوم من أسماء العائلات كان ممكناً. ولاحظ رازران انخفاضاً في العلامات الخاصة بجمال «الإيطاليات» و«اليهوديات»، ولكنه لاحظ زيادة في العلامات الخاصة بطموح «اليهوديات».

والمقولبات حاجز من حواجز التواصل بين الأفراد. ولهذا السبب، فإن تربية منفتحة على العالم الخارجي ينبغي لها أن تُفهم كل فرد آليات تكوّن المقولبات، وتشرح السبب الداعي إلى أن يتمسك بها الناس كثيراً، وتجعل الأفراد حسّاسين للأخطار التي تمثّلها في ظهور أفضل العلاقات بين الأشخاص والأمم.

وينصبّ الكلام في علم العمل وقوانينه وفي سيكولوجيا العمل على مقولبات حسّية حركية للدلالة على الروابط ذات الامتياز التي تقوم بين إشارة وجهاز قيادة. وهناك مقولبات **الإدارة** (مثال ذلك أن مؤشر ينتقل من اليسار إلى اليمين تقابله، على جهاز القيادة، حركة في اتّجاه إبرتي ساعة)، ومقولبات **وضع**، كوضع أدوات المنزل الحارقة أوأزرار أفران الغاز ذات العوينات الأربع. وعُني د. هـ. هولْدينغ (1957) على وجه الخصوص بهذه المشكلات. ومن الممكن، إذ نصطفي أفضل المقولبات، تحسين الآلات، وذلك ما يظهر بزيادة المردود وبأمن في العمل أكبر. (انظر في هذا المعجم: **الفكر المخطّطي، الحكم القبلي، الشائعة**).

N.S.

مقياس الحساسية اللمسية

F: Esthésiomètre

En: Esthesiometer

D: Ästhesiometer, Tasterzirkel

أداة تستخدم لتقييم الحساسية السطحية اللمسية.

مقاييس الحساسية، المسماة أيضاً بالفرنسي « Utacteurs » ابتُكرت لممارسة ضغوط دقيقة خفيفة ومتدرّجة على الجلد. وبين أكثرها شيوعاً يمثل مقياس الحساسية اللمسية ذو شعرة الخيل لماكس فون فري (1894)، معبّر بميزان لوزنات دقيقة جداً. (شعرة ناعمة جداً بطول ٢سم، موضوعة على كفّة ميزان، لاتكاد تزن ١ ملغ؛ وشعرة قاسية قد تزن 100 ملغ)، ومقياس الحساسية اللمسية ذو الخيط الزجاجي أومن الكوارتز لهنري بيرون. وتُستخدم أيضاً إبر لإدوار تولوز ونيكولاس فاشيد، من الألمنيوم وذات أوزان مختلفة. فإذا طُبّقت على الجلد، يدلّ وزنها على شدّة الضغط. ويُستخدم فرجار إرنْسْت هنْريخ فيبد (1795-1878)، أخيراً، لدراسة الحدّة اللمسية، أي القدرة على تمييز نقطة الاتصال بالجلد من النقطة الأخرى.

وهذه الأداة تتألف من ضرب من القاعدة ذات مزلاق حيث ينتهي الرأس الثابت والرأس المتحرك بطرفين مستدقّين جافّين. فعندما يوضع الطرفان المستدقّان على الجلد، يحسّ الفرد باتصالين متميّزين. فإذا ضبطنا الزلاّقة، فإننا نقلّص المسافة الفاصلة إلى حدّ نحصل على انطباع اتصال واحد بالجلد (عتبة التمايز اللمسي).

وأمكن على هذا النحو اكتشاف أن الحدّة اللمسية تختلف باختلاف أماكن الجسم، وأن البعد الأدنى المدرك هو 2 ملم على أنملة الأصابع، إلى 23 م على ظهر اليد، 31 م على الذراع، 45 م على الصدر، إلخ. (انظر في هذا المعجم: إرْنست هنْريخ فيبر).

N.S.

مقياس الثقل النوعي

F: Gravimètre

En: Gravimeter

D: Gravimeter

أداة مخصّصة لتقييم دقة التمايز في الأوزان برفعها بواسطة رافعات.

يتألف مقياس الثقل النوعي لهنري بيرون (1881-1964) من رافعتين أفقيتين يمكن أن تتحرك عليهما زلاّقتان لهما وزن واحد. ويختلف الإحساس بالوزن باختلاف مكان المشبرات على الرافعتين، إحداهما تُستخدم عياراً. ويحدّد الفاحص الوزن المعيار بقيمة معيّنة، يقرأها مباشرة على مسطرة مدرّجة بالغرام، ويُطلب إلى الفرد أن يوازن الكتلة المتحركة للرافعة الثانية على نحو يوازن الإحساس بالوزن. وضغط الإصبع على طرف الرافعتين يتيح تقييم قيمة الوزن.

N.S.

المكافأة

F: Récompense

En: Reward

D: Relohnung

جزاء إيجابي عن عمل.

المكافآت مستخدمة في علم النفس التجريبي والبيداغوجيا لتعزيز الدافعية البدئية. ولكنها حتى يكون لها المفعول التامّ، ينبغي توزيعها مباشرة بعد الفعل الذي نريد أن نكافىء عليه. وعلى هذا النحو إنما توصّل ب. ف. سكينر (المولود عام 1904)، الذي جعل المكافأة مبدأ من المبادىء الأساسية للتعليم المبرمج، وهو يُعتبر رائده الأساسي، إلى أن يعلّم حمامات أن تلعب لعبة البينْغ بونغ وتوجّه صواريخ. ولا يستخدم سكينر، في الآلات التي اخترعها، إلا التعزيزات الإيجابية، ذلك أنه استبعد استبعاداً مقصوداً كل جزاء سلبي. فاستعمال العقوبات شائك في الواقع، وتجعل السلوك مضطرباً في بعض الأحيان.

وللمكافآت، لدى الموجود الإنساني، مهما كان شكلها (مداعبة، قطعة حلوى صغيرة، فيشة، تهنئة...)، مفعولات سيكولوجية مفيدة: إنها تُوجد لديه عاطفة رضى، وتحثّه وتزيد فاعليته. ويظلّ عدد من البيداغوجيين متردّدين مع ذلك بصددها ولا يستخدمونها إلا استخداماً شحيحاً. فهم يخشون أن تزيّف شخصية تلاميذهم وأن ينتهي هؤلاء التلاميذ إلى ألا يبذلوا جهداً إلا بغية الحصول على مكافأة مادية. وكانت عدة تجارب قد أجريت، لاسيّما التجارب التي أجراها ف. م. هويت، ف. د. تيلور، أ. أ. أرتوزو (1969 (و) س. و. بيجو (1971)، وكانت

المعزّزات المادية (فيشات تتيح الحصول على قطعة حلوى صغيرة، على سبيل المثال) قد ارتبطت في هذه التجارب بالمعزّزات الاجتماعية (التهاني والتشجيعات). وكان عدد المعزّزات الأولى (المادية) ينقص بالتدريج، في حين أنه كان يُحتفظ بالثانية (الاجتماعية). وكان ممكناً، بعد عام دراسي، أن يُستنتج أن التلاميذ قادرون على بذل جهد متوقّع على الرغم من إلغاء المكافآت المادية، شريطة مع ذلك تشجيعهم بمكافآت اجتماعية. ولكن المكافآت ينبغي لها أن تكون متكيّفة مع عمر الأفراد، والسبب أن الكبار إذا كان بوسعهم أن يرضوا بالتهاني، فإن الأصغر من هؤلاء الأفراد يتمنّون قطع الحلوى الصغيرة أكثر من التهاني.

ونظام المكافآت غير خاصّ فقط بالأطفال والتعليم المدرسي. وتظهر جدواه حتى لدى الراشدين والأشخاص الذين يعيشون في منشآت استشفاء. إن ت. إيّون (و) ن. أزْران أدخلا عام 1968 ماسمّياه «اقتصاد الفيشات» في قسم للطبّ النفسي يضمّ مرضى دخلوا المشفى منذ ستة عشر عاماً وسطياً، وكان العمر الوسطيّ لهم خمسين عاماً. وبعد أن أحصيا كل ما يمكن أن يعتبره المرضى، نزلاء هذا القسم، مكافأة (مشاهدات سينمائية، خروج، فاعليات موسيقية، حيازة خزانة فردية ذات قفل، إلخ)، روّجا، في الجناح المعنيّ، ضرباً من الدراهم (الفيشات) التي تتيح أن يحصل حاملها على ما يرغب فيه. وكان واجباً على من يريد الفوز بها أن يبذل جهداً معيّناً: ترتيب سريره، الاغتسال والزينة، المساعدة في الحمّام. وازدادت مشاركة المرضى بهذه الفاعليات العديدة ازدياداً تدريجياً، ولم تتحسّن حياة الجناح اليومية تحسّناً كبيراً فحسب، بل أصبحت التصرّفات المرضية الفردية ذاتها نادرة. ولكن إنجاح مثل هذه التجربة يقتضي احترام بعض المبادىء التي نجدها محدّدة في التعليم المبرمج، لاسيّما تدريجية محسوبة على وجه الضبط في الجهود المطلوبة، وارتباط دقيق جداً بين الأفعال المنفّذة والمكافآت الموزّعة، وضروب من الدقّة في احترام البرنامج المقرّر. (انظر في هذا المعجم: **القصاص، التعزيز، الجزاء**).

N.S.

المكان البيولوجي

F: Biotope

En: Biotope

D: Biotop

وسط الحياة لحيوان

لكل نوع مكانه البيولوجي النوعي: تحتلّ القنادس ضفاف الأنهار، والشاموا قمم الجبال؛ وتعيش الثعالب في الغابة، والأسود في السباسب (سافان)، إلخ. ويحتوي المكان الحيوي كل العناصر غير العضوية من المجال الذي يقوم عليه تعايش: إن مستنقعاً ومغارة هما مكانان بيولوجيان. (انظر في هذا المعجم: التعايش الحيوي، المجال الحيوي).

N.S.

المكان الحيوي ، مكان الحياة

F: Espace Vital, Espace de vie
En: Life Space
D: Lebensraum

يدلّ هذا المفهوم، في علم النفس الطوبولوجي لعالم النفس الأمريكي كورت لوفن (1890-1947)، على الحقل الذي يشمل الشخص ووسطه السيكولوجي، أي الامتداد الذي يحتوي كل المتغيّرات السيكولوجية ذات الارتباط المتبادل، التي يمكنها أن تحدّد سلوك الفرد في لحظة معيّنة.

إذا تجاوزنا المكان الحيوي، فإن العالم الخارجي يبدأ، عالم يمكنه أن يؤثّر في المكان الحيوي ويتأثر به (مثال ذلك أن تقهقراً اقتصادياً يمكنه أن يكون له رجع مؤلم على حياتنا). ولكن أحداث الوسط لا يمكننا أن نتنبّأ بها وبخاصة إلى أجل طويل. وذلك هو السبب الذي من أجله كان من المناسب، في رأي ك. لوفن، ألا نأخذ بالحسبان سوى الحالة الراهنة للمكان الحيوي، وأن نكتفي بفهم الواقع السيكولوجي المشخّص الذي تتحرك فيه، بدلاً من المجازفة في صنع تنبّؤات بعيدة.

ولا ينفكّ المجال الحيوي يمتدّ بدءاً من الولادة حتى سنّ الرشد. فالوليد لا يميّز على ما يبدو، منذ البداية، الأشخاص ولا الأشياء، ولا حتى جسمه الخاصّ؛ إنه لا يعيش إلا اللحظة الراهنة؛ ولا وجود للمستقبل. ثم يتنظّم المكان والزمان، ويغتني الواقعي والمتخيّل. ولكن المكان الحيوي يمكنه أيضاً أن يضيق، ولا سيّما تحت تأثير توتّر انفعالي (في أعقاب إحباط، فطفل السنة الخامسة يمكنه أن يتصرّف كما لو كان في عمر الثالثة)، وأن يتغيّر وفق شدّة الحاجات. (انظر في هذا المعجم: **النكوص، علم النفس الطوبولوجي**).

N.S.

الملصق الإعلاني

F: Affiche

En: Poster

D: Plakat

لوحة إعلانية أو رسمية غرضها الانتشار الكبير.

لا يمثّل الإعلان ظاهرة حديثة لأن التشريع الروماني كان يفرض، بقوانين صارمة، احترام «التعليمات المعلنة». ويعود تأريخ الإعلان الأول المعروف ذي السمة التجارية إلى عام 1477: إنه يعظّم علاج الحمّامات المعدنية في سالزبوري (انغلترا). ونشأ الإعلان، في شكله الراهن، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع اختراع الرسم بالألوان على الحجر. وكان خلال زمن طويل صنعة الفنانين المشاهير الذين كانوا قد منحوا هذه الوسيلة من الإعلام مظهر الصور الجميلة التي كان هدفها أن تروق للجمهور. ورسم منها هـ. م. دو تولوز ـ لوتريك (1864-1901) صوراً عديدة، كلُّها روائع في الرسم. ويرتكز فن الإعلان مع ذلك، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، مع مساهمات نظرية الغشطالت في الإدراك وعلم النفس الحديث (آليات الإدراك السيكولوجية)، على أسس علمية تؤمّن نجوعه. ولكن هذا النمط من الإعلان، شأنه شأن الأنماط الأخرى، موضوع انتقادات قاسية. فالإعلان يتركنا، إذ يفاقم الرغبات والحاجات اللاشعورية، في حالة دائمة من عدم الإشباع ويجعلنا نتحرك في عالم متخيّل يغيب فيه الموت والشيخوخة والفقر. وشبهه بعض الكتّاب في الأخلاق بانتهاك حرمة الوعي. ويؤثّر الإعلان فينا على أربعة وجوه، في رأي أ. مولز (1970): 1 ـ إنه ينقل إلينا

إعلاماً بالنصّ الذي يحمله ؛ 2 ـ يقنعنا، بفعل ظاهرة التوحّد، بضرورة حيازة منتج يقرنه بالجمال، والسعادة، والنفوذ، والنجاح ؛ 3 ـ إن له دوراً اقتصادياً، ذلك أن الحاجات التي يخلقها تشجّع أكبر إنتاج ؛ 4 ـ يسهم في تربيتنا الجمالية. إنه يعلّمنا لغة الصورة بوصفها فن زماننا.

N.S.

ملح الليتيوم

F: Lithium
En: Lithium
D: Lithium

معدن قلوي، أبيض، نصادفه في الطبيعة على شكل سيليكات وفوسفات. يحتوي الجسم الإنساني كميات صغيرة منه (عظام، عضلات، رئتين).

كانت أملاح الليتيوم قد أُدخلت في التقنية العلاجية للطب النفسي، أدخلها الطبيب الأوسترالي جون ف. كاد الذي أشار، عام 1949، إلى نجوعها في علاج الحالات الهوسية المزمنة. وحظي تطبيقها ببعض النجاح من 1951-1955، ولكنها هُجرت بسبب سمّية المنتج بالجرعات الموصوفة عندئذ، وظهور مضادات الذهان الأولى، الناجعة في هذا الاستطباب ذاته. واستأنف الطبيب النفسي الدانيماركي موجين شو، بدءاً من عام 1954، تلك الدراسة الصيدلانية لهذه المنتجات وأوضح شروط استخدامها. وأثارت منشوراته الأولى (1967) تجدّد الاهتمام بل افتتاناً بهذه التقنية العلاجية قبل أن تتيح تجربة أوسع تحديد استطباباتها، وأنماط إعطائها، بل الحدود والأخطار. وتُستخدم في فرنسة على وجه الخصوص كربونات الليتيوم وغليكوناته. وعلى سبيل العلاج، كانت توصف أول الأمر في حالات الهوس الحادّ. وتمثّل تقنية علاج ثمنية للنوبات النموذجية، ولكن مهلة تأثيرها الطويلة نسبياً (من ستة أيام إلى عشرة) جعلت الأطباء، في هذا الاستطباب، يؤثرون عليها مضادّ الذهان. والنتائج في النوبات الاكتئابية هي، على العكس، ضعيفة جداً أو معدومة. ويمثّل استخدام الليتيوم بوصفه علاجاً وقائياً للنوبات الهوسية، وللنوبات

الاكتنابية أيضاً في الذهانات الهوسية الاكتنابية، ذلك الاستطباب الرئيس للمنتج. وهذا المنتج يسبّب أولاً، على نحو ذي دلالة بوضوح، تباعد النوبات، نقص حدّتها ومدتها وزوالها فيما بعد أحياناً. ولكن مثل هذه النتيجة تفترض خضوعاً مستمراً لهذه التقنية العلاجية، وغير محدّد على وجه الخصوص. وكان الليتيوم مستخدماً في حالات أخرى من الهياج لدى الفصاميين، والمصابين بالخَبَل والتخلّف العقلي والصرع، مع نتائج مختلفة جداً؛ ويبدو مع ذلك أن نجوعه في هذه الحالات مرتبط بسمة دورية محتملة من الاضطرابات. ولأملاح الليتيوم، في بعض الجرعات، سمة سمّية، وذلك أمر يفرض دقّة كبيرة في تجريعها. إن استخدامها ممنوع في حالات القصور الرئوي أو القلبي ولا ينبغي إعطاؤها للنساء الحاملات، ذلك أنها تعبر حاجز المشيمة، ولا لمن من النساء يرضعن. وتجري رقابة العلاج بتعبير النسبة لإيونات الليتيوم في الدم (حصوية الدم)، نسبة تُقاس بالجزء من ألف من المعادل (أي الكمية من إيون المساوية، في التفاعلات الكيميائية، واحداً من ألف ذرة-غرام من الهيدروجين) باللیتر. وينبغي لهذا التعبير أن يتمّ، بعيداً عن كل تناول دواء آخر (12 ساعة)، أسبوعياً أول الأمر، ثم شهرياً وأخيراً كل شهرين. وينبغي لحصوية الدم أن تظلّ واقعة بين 0,7 (و) 1,3 م ع/ل حتى تكون ناجعة دون أن تكون سامّة. ويسبّب العلاج بالليتيوم، على الرغم من هذه الاحتياطات، بعض المحاذير: ازدياد الوزن، ازدياداً كبيراً في بعض الأحيان، ارتجاف الأصابع، إحساساً بالضعف العضلي، نقص الفاعلية الجنسية. وكانت الانعكاسات السيكولوجية، خلال زمن طويلاً جداً، مجهولة بسبب اعتدال استقرارها وكونها متدرّجة. وتكوّن هذه المحاذير في الوقت الراهن موضوع دراسات معمّقة ولكنها شاقّة. وتبين هذه المفعولات بوجه الإجمال، على المستوى المعرفي، بخبوّ الذاكرة وإمكان التركيز العقلي وتبين، في المجال الغريزي الوجداني، بضرب من تضيّق حقل الاهتمامات، وزوال التوظيف الوجداني، بل اللامبالاة؛ وتتلاشى العدوانية، والإبداعية أيضاً (تكلّم بعضهم بهذا الصدد على «إضفاء الابتذال» وعلى «استئصال

فصيّ كيميائي» أيضاً مع بعض المغالاة. ولا يمكننا أن نقدّم أي شرح دقيق لهذه التغيّرات، ذلك أننا نجهل كيف يؤثّر هذه المنتج الذي يطرح أيضاً، وإن كان يكوّن تقنية علاجية أصيلة وهامّة في مجال علم الأمراض العقلية الذي تعوزه العقاقير حتى الآن، مشكلات سيكولوجية فيزيولوجية جديدة.

J.MA.

المميّز الدلالي

F: Différenciateur Sémantique

En: Semantic differential

D: Semantisches differential

أداة من أدوات علم النفس الفرقي تُعرض على شكل مجموعة من الروائز غرضها أن تحدّد، باستخدام صورة مكانية، ذلك المكان الخاص بكل منبّه من المنبهات المختلفة (كلمات، جمل، صور وصور شمسية، أشياء، سلسلة مقطوعات موسيقية ذات نغمة واحدة) التي نعزو إليها ضرباً من الدلالة.

كان ك. إ. أوسغود، الأستاذ في جامعة إلّينوا، قد صاغ وأعدّ واختبر المميّز الدلالي في إطار علم النفس الألسني، واستخدمه بنجاح أداةً لتمييز الانطباعات الدلالية، أيا كان منشأ الانطباعات وطبيعتها. فالمفترض أن الفرد قادر، عندما يخضع لمنبّه من المنبهات (لملصق إعلاني على سبيل المثال)، على أن يصف الانطباع الذي يشعر به وصفاً موجزاً على الأقلّ؛ مثال ذلك أن الملصق الإعلاني يثير لديه عواطف الرفاه، والغنى، والفاعلية، والجمال، والقوة، إلخ. وهذه الانطباعات، أي القيم الوجدانية التي يتّخذها المنبّه (وليست الما صدق)، هي التي يسعى المميّز الدلالي إلى أن يبيّنها لدى كل فرد يُراز. فليست الدلالة المبيّنة على هذا النحو إطلاقاً ضرباً من التعريف الدقيق الذي يتيح تحديد هوية المنبّه، ولكنها وصف للانطباعات التي يحسّ بها الفرد، وهي بالتالي عناصر ذاتية تختلف من شخص إلى آخر. وليكون بوسعنا أن نقارن «الدلالات» التي يمنحها المنبّه نفسه عدةُ أشخاص، من المناسب أن يصف هؤلاء الأشخاص انطباعاتهم على نحو يمكننا

مقارنته. ولهذا السبب تصورّ أوسغود مجموعته من الروائز أنها لعبة من الأوصاف المعيّرة والمتنوّعة إلى حدّ يكفي ليكون بوسع الفرد أن يصف انطباعاته وصفاً صحيحاً. وهذه الأوصاف مقترحة على نحو من عشرين درجة سلّم - وفي بعض الأحيان أكثر - ذات سمة ثنائية القطب؛ ويعبّر الفرد عن عاطفته إزاء المنبّه ملاحظاً تقييماته على درجات السلّم، وبالتالي مؤسّساً ضرباً من الرسم البياني للقطبية، وهو هنا رسم بياني للدلالة. مثال ذلك الرسم البياني (شكل 1) في نهاية المقال وتوضيح للدلالة التي يمكن أن يمنحها فردٌ كلمةَ «باريس».

وعندما تبدو بعض الصفات غير مناسبة إلا قليلاً للشخص الذي يُراز، يكفيه أن يسجّل القيمة المركزية للسلم. وتبيّن التجربة أن هذا الرسم البياني لا يتّصف بشيء من الاعتباطية ولا العشوائية. ويحضّ علم النفس الفرقي على مقارنة الرسوم البيانية الفردية، أول الأمر، التي يمكننا جمعها عن المنبّه الواحد «باريس». ونفهم بسهولة أن هذه الرسوم البيانية تظلّ متقاربة بالنسبة لأعضاء فئة سكانية واحدة، أي أن الصورة التي يصنعها الفرد لباريس لا تختلف اختلافاً جذرياً في كنف جماعة واحدة من شخص إلى شخص. فثمة، أقلّه على نحو تقريبي، دلالة اجتماعية مرتبطة بكلمة «باريس» تظهر في رسم بياني نموذج (رسم بياني متوسط، أو أي رسم بياني مركزي آخر يُرى أنه كاشف بتقنية إحصائية ملائمة).

ويكوّن مجموع السلالم الذي يُدعى الأفراد إلى أن يسجلّوا عليها انطباعاتهم حقلاً من المتغيّرات ذات القيم المتمايزة من -3 إلى +3؛ وهذا الحقل المتعدّد الأبعاد هو الذي يُسمّى على وجه العموم حقلاً إدراكياً. وسنلاحظ مرة أخرى أيضاً، أن الدلالة التي نحلّلها هنا ليس لها إلا علاقات بعيدة بالماصدق (لا يقول لنا الرسم البياني إن باريس هي عاصمة فرنسة، واقعة على نهر السين، يسكنها 2,5 مليون نسمة، إلخ)؛ وهذه المعلومات يُفترض أنها مكتسبة، وما نبحث عنه هو «الانطباع الدلالي» للفظة «باريس».

وكان ضرب من التجريب الواسع جداً قد بوشر به على منبّهات متنوّعة وفئات من السكان مختلفة جداً (تجريب عبْر ثقافي على المستوى العالمي). وكانت

السلالم، ذات العدد المتغيّر، قد صيغت صياغة مختلفة. وكان حجم كبير من المعطيات قد عولج بتقنيات **التحليل العاملي**. ونتيجة هذه التجارب، نتيجة مقنعة جداً، مفادها أن الحقل الدلالي، المتعدّد الأشكال في الظاهر، يرتدّ في الواقع إلى ثلاثة أبعاد أساسية أو عوامل دلالية بدئية: عامل أول «التقييم»، عامل ثان «الاستطاعة»، عامل ثالث «الفاعلية»، مجموعها يشرح 70 إلى 80 بالمئة من مربع الانحراف المعياري للنتائج (انظر الشكل 2 في نهاية المقال). وتتدخّل بعض العوامل النوعية و الراسبية أيضاً على نحو ثانوي.

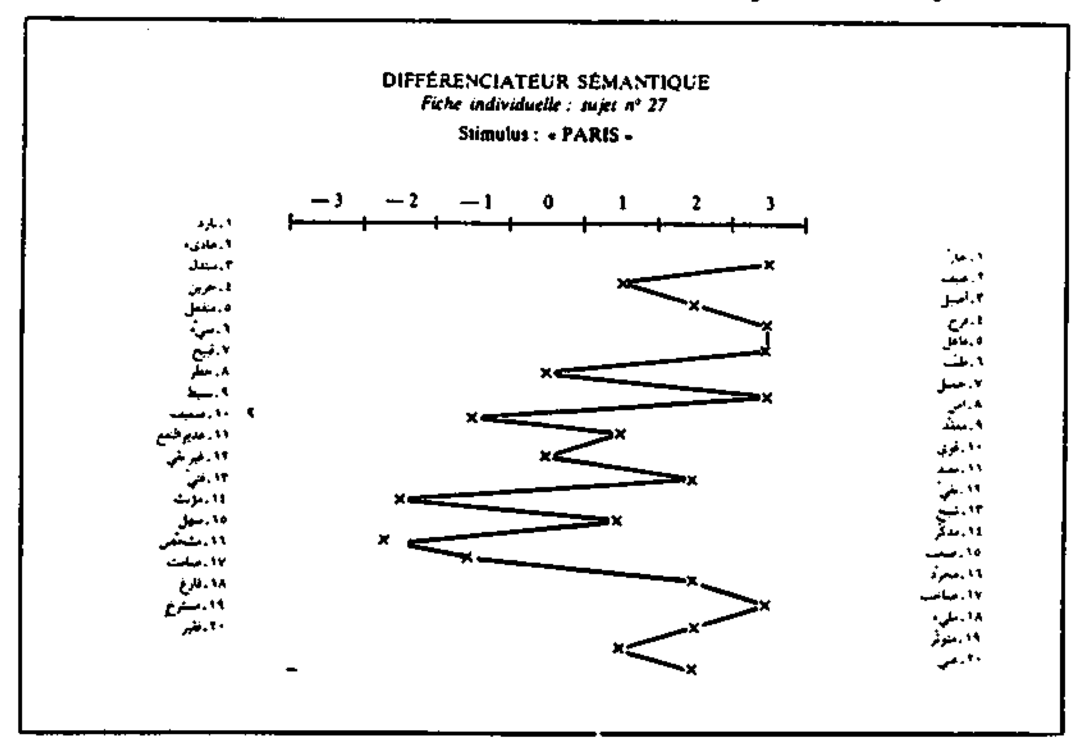
وعلى هذا النحو يمكننا أن نؤكّد أن كل موجود إنساني يضع دلالاته بصورة أساسية في حقل ثلاثي الأبعاد (تقييم، استطاعة، فاعلية).

وحتى نباشر التحليل العاملي، نغيّر المنبّهات والأفراد على نحو نحصل لكل بعد من أبعاد الحقل الدلالي على مجموعات عددية يمكننا أن نحسب معاملات الارتباط لها. مثال ذلك أن المجموعة نفسها من الروائز ستعطينا، إذا طُبِّقت على عينة من 78 فرداً يخضعون لمنبّهات متنوّعة وذات دلالة كـ «باريس»، «طائرة»، «أسرة»، «الأمم المتحدة»، «كنيسة»، لوحة من المعطيات ستُظهر المجموعات الإحصائية في خطوط، إذا عُرِضت على النحو المذكور سابقاً، (الشكل رقم / 1/. والارتباطات بين المتغيّرات تُحسب انطلاقاً من هذه المجموعات الأفقية.

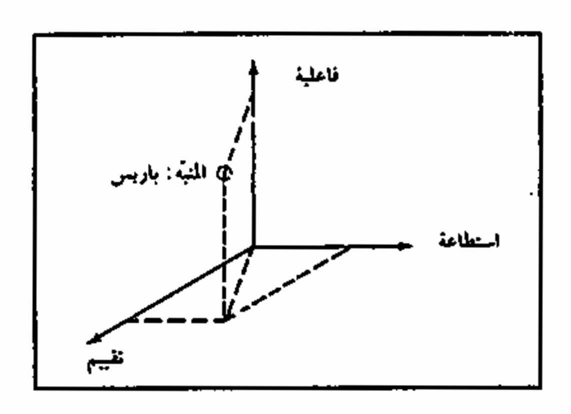
ولاستخراج العوامل، في الغالبية العظمى من الحالات، نتيجة مفادها تقليص المتغيّرات الملاحظة (عددها عشرون في المثال الذي قدّمناه) إلى ثلاثة عوامل ذكرناها فيما سبق، يتكفّل العامل الأول (التقييم) بـ 50 بالمئة من مربع الانحراف المعياري، والثاني (الاستطاعة) بنحو 20 بالمئة، والثالث (الفاعلية) بنحو 10 إلى 15 بالمئة. ونقول، بعبارات أكثر تشخيصاً، عندما نتأثر بمنبّه، يكون شاغلنا الأول أن ندرك «إن كان ذلك جيّداً أو سيئاً بالنسبة لنا، مفيداً أو غير مفيد، جميلاً أو قبيحاً» (عامل «**التقييم**»)؛ والجانب الذي يعنينا، من ثَمّ، هو جانب القوة أو الضعف (عامل **الاستطاعة**)؛ وفي المستوى الثالث، نحن حسّاسون للعامل **فاعلية**.

ولا «نوجّه اهتمامنا» إلى تمايز أكثر دقّة (الألفة مع المنبّه، على سبيل المثال) إلا بعد هذه «المسائل» الثلاث.

وبان المميّز الدلالي أداة ناجعة، في البحث والتطبيق معاً: تصادم المنبهات الإعلانية، الدلالات المرضية، تقييم وسائل الإعلام البيداغوجية، توضيح المقولبات والأحكام القبلية الاجتماعية. (انظر في هذا المعجم: **الارتباط، الثقافة الذاتية، التحليل العاملي، الحكم القبلي، الرسم البياني للقطبية، علم النفس الألسني، الحقل الدلالي، المقولب، الرائز**).



المميّز الدلالي
بطاقة فردية: فرد رقم 27
المنبّه: «باريس»



A.A.M.

المنبّه

F: Stimulus
En: Stimulus
D: Stimulus, Reiz

عامل خارجي أو داخلي يمكنه أن يسبّب تغيّراً فاعلاً جزئياً (ارتكاساً فيزيولوجياً) أو إجمالياً (سلوكاً) في العضوية.

مفهوم المنبه، المستخدم منذ بدايات السيكولوجيا العلمية، في أوروبة والولايات المتحدة، الذي عرّفه إدوار برادفورد تيتْشنر (1867-1927) أنه «الشيء أو السيرورة التي تُحدث إحساساً»، احتفظ في التعريفات اللاحقة بضرب من الإبهام الناجم عن ترابط ظاهرات من أنساق مختلفة: الجسمي، السيكولوجي، الاجتماعي. إنه لا يدلّ فقط على التطبيق التجريبي لعامل فاعل على جملة قابلة للإثارة ولكنه يدلّ أيضاً، كما يقول برودوس واطسون (1878-1958)، على «ارتكاسات عواملها أكثر تعقيداً، كما في العالم الاجتماعي على سبيل المثال، حيث يمكننا الكلام على مجموعة من العوامل المحرّضة التي تقود الإنسان إلى أن يرتكس بوصفه كلاً». ويُشبَّه المنبه، في التعريفات الحالية، أكثر فأكثر بـ «كل موضوع من البيئة العامة أو كل تغيّر في الأنسجة ناجم عن حالة الحيوان الفيزيولوجية». وينبغي للمنبّه أن يكون «ذا قوة كافية، يوضّح بعضهم، حتى يتجاوز المقاومة الطبيعية عندمرور السيّاله العصبية للعضو الحسّي في العضلة». وأخيراً، مفهوم المنبه أساسي لفهم الاستجابة بوصفها التعبير عن سلوك بكليته (واطسون، 1930). ونقول، باختصار، مع موريس ميرلو بونْتي (1867 -1908) إن مفهوم المنبّه «يشمل ويخلط الحدث الفيزيائي كما هو في ذاته والوضع كما هو بالنسبة للعضوية».

ومفهوم المنبه، في علم النفس الحديث، الذي يوحّد الظاهرة السيكولوجية والسلوك، يشمل علاقتين مختلفتين: وسطاً - عضوية وطاقة فيزيائية نوعية - جملة عصبية. وعن ذلك تنجم الضرورة المزدوجة لربط السلوك بتغيّرات خارجية أو داخلية تشرحه (علاقة المنبّه - الاستجابة) الآليات الفيزيولوجية ذات العلاقة به. وهذه الخاصيّة جعلت مصطلح المنبّه مستخدماً على نحو مطلق ومتناقضاً على الغالب، ولكنها أتاحت أيضاً بعض التفسيرات الأساسية، من وجهة النظر النظرية، لموقع المنبّه في العلاقة منبه - استجابة.

وهذه التفسيرات، المأخوذة بالحسبان في منظور تاريخي (لازّيروني 1972)، التي تتبع كل الأوضاع الإجرائية لإدْوار تولمان (1886-1959)، تُعرض على النحو التالي:

1) المنبّه متغيّر مستقلّ يتوافق مع «مظاهر البيئة التي تسبّب توقّعاً (تولْمان، 2891)؛

2) إنه، في رأي إدْوِنْ ري غــوثْري (1886-1959)، متغيّر مستقلّ يشمل «التغيّرات الفيزيائية التي هي مناسبات ذات قدرة توقظ فاعلية الأعضاء الحسيّة».

3) المنبّه، في رأي ب. فريديريك سكينر (المولود عام 1904)، متغيّر مستقلّ دون أية إحالة إلى العضوية، جزء أو تغيّر جزء من البيئة؛

4) المنبّه، في رأي ن. إ. ميلّر، متغيّر مستقلّ «يخصّ كل حَدَث يمكن أن ترتبط به استجابة خلال التعلّم»؛

ونحن نلاحظ أن هذه التعريفات كلها تربط مفهوم المنبّه بمفهوم «الاستجابة»، والاستجابة هي التي تحدّد في نهاية المطاف نوعية المنبه لعامل من العوامل. وخاصيّة المنبّه الأساسية أنه علائقي، والتعريفات التي تُرجع المنبّه إلى «حالات البيئة التي يمكننا وصفها بالمصطلحات الفيزيائية دون إحالة إلى سلوك عضْوية» (إيستز، 1959) غير مقبولة.

وصيغة م ـ أ (منبّه ـ استجابة) في علم النفس المعاصر تحلّ محلّها على الغالب صيغة م ـ، أ، التي توحي أن أصل الاستجابة أ موجود، على نحو من الأنحاء، في المنبّه، أو أن هذا المنبه ذو علاقة بشيء ماثل مباشرة أو يمكننا التحقّق منه. وثمة ميل متعاظم إلى منح مفهوم المنبّه دلالة عضوية. وإذا اعتبرنا من جهة أخرى أن الاستجابة «تغيّر فاعل إجمالي في العضوية، يعبّر عنه السلوك» (لازّيروني، 1971)، فإن بوسعنا القول إن المنبّه تغيّر إجمالي من منشأ داخلي للعضوية نفسها، ولو أن الشروط المنبّهة خارجية، ولو أن التنبيه الخاص يتطلّب منظومة وساطة متمايزة قليلاً أو كثيراً. وذلك يعني، إذا أخذنا مصطلح «دافع» بمعنى الدافعية، أن «لكل منبّه قيمة محرك» (ميلّر، جـ. دولار، 1941) وأن المنبّه يمثّل قوة دافعة، ولو أنه يخصّ فقط الحدّ الأول من التعاقب م ـ أ الخاصّ بالتعلّم. ويمكننا، في جميع الحالات، أن نعتبر المنبّه حالة العضوية المحرَّضة، تماماً قبل إنجاز سلوك، دون أن تنطوي هذه الحالة بالضرورة على أن ثمة «استبصاراً، فهماً أو تعرّف على علاقات» (ك. سميث، 1969).

V.L.

يقال إن منبّها مناسب عندما يتوافق مع نوعية مستقبل حسّي. فالنور منبه مناسب للعين؛ والأصوات (الضجة، الكلام، الموسيقى. . .) تكوّن تنبيهات مناسبة للأذن. والصدمة على العين التي تثير أيضاً انطباعاً ضوئياً، هي، على العكس، «منبّه غير مناسب». ويمكننا، بين المنبّهات المختلفة، أن نميّز مع غاستون فيّو (1899 - 1961) **المنبّهات ـ العوامل**، التي تُطلق استجابات أوليّة (مثال ذلك أن النور الحادّ يسبّب تقلّص الأرجل الكاذبة لدى الأميبا أو إغلاق الجفون لدى الإنسان)، **المنبّهات ـ العلامات**، التي تؤثّر بفعل دلالتها بالنسبة للعضوية أكثر من تأثيرها تبعاً لشدّتها. فالصراخ، العطر، الشكل، الحركة، يمكنها أن تثير سلوكات معقّدة لدى فرد مُحرَّض. (انظر في هذا المعجم: **الاستجابة**).

N.S.

المنبه الشرطي

F: Stimulus Conditionnel

En: Conditioned Stimulus

D: Konitionierter reiz, Bedingter reiz

منبّه حيادي (نور على سبيل المثال) يمكنه أن يثير استجابة منعكسة لدى العضوية بعد أن يكون قد اقترن بانتظام، عدداً معيّناً من المرات المتتالية، بالمنبه المطلق (غير الشرطي).

تسديد صدمة خفيفة إلى قائمة خروف تسبّب سحب هذه القائمة: هذا الارتكاس منعكس طبيعي من منعكسات الدفاع لم يكن مكتسباً. فالصدمة منبّه مطلق، وسحب القائمة استجابة غير شرطية. ولكننا إذا أجرينا هذه التجربة عدة مرات جاعلين إشارة حيادية (رنين جرس، على سبيل المثال)، تسبق الصدمة بانتظام، فإننا نلاحظ أن رنين الجرس يتولّى قدرة المنبّه غير الشرطي (الصدمة والحال هذه)، وأن رنين الجرس يكفي لإثارة منعكس الدفاع لدى الحيوان. فالمنبّه الحيادي يصبح شرطياً ونطلق على المنعكس الذي يسبّبه «المنعكس الشرطي». وكل منبه حيادي (مثير بصري، سمعي، شمّي، إلخ) يمكنه أن يصبح شرطياً إذا اقترن بمنبه مطلق اقتراناً منتظماً.

واستخدم ك. م. بيكوف (1886-1959) ثم تلاميذه، منذ بداية العشرينات من هذا القرن، تنبيه الأحشاء مثيراً شرطياً. مثال ذلك أننا إذا مارسنا تنقيط الماء بواسطة الدرب الشرجي، فإننا نسبّب زيادة في إدرار البول. ونمارس في الوقت نفسه ضغطاً على الجدران المعدية بواسطة بالون صغير منتفخ بالهواء. وبعد عدد

معيّن من هذه الارتباطات، يكفي حضور الإشارة لإطلاق الارتكاس الفيزيولوجي. أو إذا حقنّا أيضاً في معدة كلب حقناً مباشراً نصف ليتر من الماء الملح، فإننا نعدّل توازن العضوية الداخلي، وذلك أمر يظهر بأفضلية بارزة لدى الحيوان للطعام غير المالح. وإذا أدخلنا في القناة الاصطناعية المعدية نفسها بالوناً صغراً يمكنه أن ينتفخ فنسبّب ضرباً من تمدّد المعدة المماثل للتمدّد الذي سبّبه الماء الملح، فإن ذلك يكفي للتسبّب بنقص شهيّة الكلب للملح، ذلك أن الضغط الداخلي للمعدة أصبح منبّها شرطياً.

وقاد أيرابيتيانتز، في زمن أقرب إلينا، تجارب شبيهة لدى الإنسان، على متطوّعين يحملون قناة بولية فرضتها الضرورة الطبّية. وحين حقن محلولاً فيزيولوجياً في المثانة، سبّب تمدّداً لهذه المثانة أفضى إلى التبويل. ويستخدم منبّهاً حيادياً جهازَ قياس يشير إلى كمية السائل المحقون. فالفرد يمكنه على هذا النحو أن يعاين أنه يكابد الحاجة الشديدة إلى أن يبول بدءاً من عتبة معيّنة. وفي الطور الثاني من التجربة، يتلاعب المجرّب دون أن يعلم المريض بجهاز القياس ويزوّر النتائج التي تظهر على المرقّم: وسيعلن هذا المرقم ضغطاً مرتفعاً في حين أن النتائج ضعيفة أو معدومة في حقيقة الأمر. فالفرد يُظهر حاجته إلى أن يبول تبعاً للأرقام المسجّلة على المرقّم. إن هذه الأرقام أصبحت منبّهات شرطية. (انظر في هذا المعجم: **التعلّم بالتغذية الراجعة الحيوية**).

G.G.S.

منتج الحموض الأمينية الأحادية **F: Monoaminergique**

En: Monoaminergic

D: Monoaminergisch

مصطلح مستخدم على وجه الخصوص في العلم الصيدلاني للجملة العصبية المركزية لوصف العصبونات التي تحرّر، تحت تأثير إثارة، على مستوى براعمها، إما الكاتيكولامين (أي واحداً من هرمونات قشرة الكُظْر أو بشيرها المباشر: الأدرينالين، النورادينالين، الدوبامين)، وإما السيروتونين (5- HT) (انظر في هذا المعجم: **الكاتيكولامين، الوسيط أو الناقل الكيميائي، الوصلة العصبية**).

M.S.

مُنتيسّوري (ماريا) Montessori (Maria)

عالمة بيداغوجيا، إيطالية (شيارافيل، 1870 ـ نوردْ ويجْـك ـ آن ـ زي، البلدان المنخفضة، 1952).

أُحدث عام 1907، بدافع من ماريا مُنْتيسّوري، أول بيت للأطفال في رومة، حيث يمكنها أن توسّع على الأطفال الأسوياء نظامها التربوي. ويستند هذا النظام، المستوحى من أفكار فريديريك فروبل (1782-1825) الخاصة بالتربية الحسّية، ومن بحوث جان ريتار (1774-1838) وإدوار سوغان (1812-1880)، أقول: يستند هذا النظام إلى ثلاثة مبادىء أساسية: حرية الشخص، ومساعدته واحترامه.

وتنزع جهود ماريا مُنتيسّوري إلى إيجاد وسط ملائم للنموّ الجيّد لدى الطفل، الذي تحكمه قوانينه السيكولوجية البيولوجية الخاصّة. وإذ تعتبر أن لكل تلميذ شخصيته التي ينبغي للمربّي أن يكتشفها ويفتّحها، فإنها ترفض كل تعليم ينشد أن تُصاغ نفس الطفل وفق قالب معيّن، وتوصي بإحداث صفوف يمكن أن يشبع كل طفل فيها حاجاته إلى العمل والتجريب. وسيكون الأثاث، أول الأمر، متكيّفاً مع قامة التلميذ وإمكاناته الجسمية، حتى يكون بوسعه أن يستخدمها استخداماً حراً، دون اللجوء إلى عون الراشد؛ فالطاولات والكراسي ستكون إذن صغيرة وخفيفة، والمغاسل وخزائن ترتيب أغراضه وفق ارتفاعه. وستكون الموادّ وافرة وجذّابة؛ وسيفيد من فاعليات العمل (الربْط، التزرير، التثبيت بلوالب، تحويل السائل من إناء إلى إناء، إلخ)، ومن الفاعليات المدرسية (العدّ بالعدادات والأعواد، وقياس الأطوال، والارتفاعات، والأوزان، والحجوم، والسعات،

إلخ). وستُولى المواد الحسية اهتماماً خاصاً، ذلك أن المعرفة إنما تولد من الإحساس؛ فستكون كل حاسّة إذن موضع تربية، ويُدرَّب الطفل على أن يميّز، تمييزاً يتعاظم دقّة، الأصوات (الارتفاع والجرْس)، والروائح، والألوان، والإحساسات اللمسية (الناعم والخشن. . .) والذوقية (المالح، الحلو، المرّ، الحامض. . .). ولن تكون التربية العضلية مهملة؛ فالطفل سيتعلّم السيادة على جسمه بتحليل الحركات والسير على خط أو شكل إهليليجي مرسوم على الأرض، وهو صامت (درس الصمت)، إلخ. وتريد ماريا منتيسوّري أن تجعل الطفل لا يكتسب المعنى المشخّص فحسب، ولكنه يكتسب أيضاً بعض القيم، كالميل إلى الدّقة والفخر بالعمل المتقن.

وبما أن طريقة ماريا تباشر عملها بدرجات متوالية، في نظام صارم (مثال ذلك أنها تجعل بداية تعلّم الكتابة بعد تعلّم القراءة)، وأنها لا تهيّىء مكاناً للرسم الحرّ، لأن الرسم ينبغي للطفل أن يتعلّمه، فقد لامها بعضهم على أنها مغالية في الصرامة وعلى أنها تحول دون أن تعبّر عن نفسها عفوية الطفل. وخشيت بعض الانتقادات الأخرى، على العكس، أن تكون هذه الطريقة خميرة فوضى واضطراب لأن التلاميذ أحرار بمغالاة (وهذا هو السبب الذي جعل هتلر في ألمانية عام 1935، وموسوليني في إيطالية عام 1936، يغلقان مدارس منتيسوّري). ولكن مثل هذه المدارس عديدة في أوروبة والولايات المتحدة الأمريكية، ويوجد حالياً رابطة عالمية منتيسوّرية مركزها أمسْتِرْدام.

J.S.T.

منشّط نفسي

F: Psychoanaleptique

En: Psychoanaleptic drug

D: Psychoanaleptika

مادّة كيميائية قادرة على رفع القوة الذهنية، أي على تنبيه الوظائف النفسية المختلفة.

نميّز، بين المنشّطات النفسية، منبّهات المزاج (thymoanaleptiques مضادّات الاكتئاب)، كالإيميبرامين ومثبّطات وحيدة الأمين الأوكسيداز، والمقوّيات الذهنية (psychotoniques)، التي تنمّي التيقّظ، والفاعلية العامّة، والمردود العقلي والذاكرة. ونجد، في هذه الزمرة الأخيرة، منبّهات التيقّظ (nooanaleptiques)، ومتقدّم الرتل هو الأمفيتامين، والمنبّهات العصبية، التي يمثل في عدادها الكافيئين ومشتقّاته وكذلك الستركنين، وأخيراً المنبّهات النفسية، التي تجمع المنتجات الأكثر تنوّعاً: مغنيزيوم، غلوكوز، حمض الفوسفور، فيتامينات C، B 12، PP...، الهرمونات الذكرية، مستخلصات الغدّة الدرقية، مولّدات الأوكسيجين وممدّدات الأوعية الدماغية. (انظر في هذا المعجم: علم النفس الصيدلاني، المغيّر النفسي).

M.S.

منع الحمْل، تنظيم النسْل

F: Contraception, Régulation des naissances

En: Birth control

D: Geburtenkontrolle

عمل مخصّص لمنع الإنجاب مؤقتاً.

مصطلح منع الحمْل، المنسوب إلى الاقتصادي الفرنسي ألفريد سوفي (مولود عام 1898)، يدلّ على واقع معقّد نتائجه سيكولوجية، اجتماعية، أخلاقية وسياسية، في وقت واحد. ففي البلدان السائرة في درب النمّو، حيث التوسّع الديموغرافي أسرع من إنتاج الغذاء والتصنيع، يكون تنظيم النسل ضرورة قاهرة وملّحة. إنه أصبح في البرازيل، والهند، والصين، على سبيل المثال، مشكلاً وطنياً. فالفلاحون الأطباء في الصين، حيث يوجد مليون من «الأطباء حفاة الأقدام» المتجذّرون بقوة في الوسط الريفي، يؤدّون دوراً ذا أهمية في التخطيط الأسري، إنهم ينظّمون على نحو منتظم جلسات تربوية ودعائية يعرضون فيها مزايا ازدياد ديموغرافي مخطّط وأساليب شتّى في منع الحمْل، ويوزّعون مجاناً حبوب منع الحمل ويضعون موانع الحمل المختلفة، ويمارس الذين اكتسبوا منهم تجربة كافية عمليات العقم عندما يُطلب إليهم ذلك.

ولكن منع الحمْل- المعروف منذ أقدم العصور، كما يشهد على ذلك بعض وثائق البردي المصرية – لم ينطلق انطلاقته في البلدان المتخلّفة، بقصد مراقبة التفجّر

الديموغرافي، بل انطلاقته كانت، بصورة مفارقة، في الأمم الأغنى والأكثر تطوّراً. فلم تكن **مراقبة الولادات**، في الولايات المتحدة، التي نمت في نهاية الأربعينات بتأثير شخصيات كالدكتور أبراهام ستون، ذات سمة مالتوسية ولكنها كانت تستجيب لهواجس من النسق السيكولوجي: الانسجام الجنسي بين الأزواج وأمومة سعيدة، بصورة أساسية.

وكان منع الحمل، خلال زمن طويل، موضع مكافحة من حكوماتنا التي كانت تخشى أن يعرّض التوازن الديموغرافي للأمة إلى الخطر. فكان قانون 1920، في فرنسة، تعسفّياً إلى درجة لم يكن يحظّر الدعاية لمنع الحمْل فحسب، ولكنه كان يحرّم أيضاً كل إعلام يتناول مانعات الحمْل، إذ جعل ذلك جريمة، شأنه شأن الإجهاض. وهكذا عاش أزواجٌ جنسية يكتنفها القلق خلال عقود من السنين، حيث كان ممكناً أن يفضي كل جماع إلى ولادة غير مرغوبة، وكانت الوسائل الهزيلة التي يحوزونها لتجنّب الإنجاب (الواقيات المذكّرة، الجماع المتحفّظ أو الجماع غير الكامل) قد بانت بسرعة أنها غير كافية ولا مأمونة تماماً.

ووُلد الأمل في لحظة من اللحظات مع كشوف الطبيب النسائي الياباني كيوساكو أو جينو (توغوهاشي، محافظة إيشي، 1882- نيئيغانا، 1975) والاختصاصي بالتوليد النمساوي هرْمان كنوس (1892-1970)، التي تتناول دورة الإباضة. ولكن التجربة ما لبثت مبكّراً أن بيّنت حدود هذه الطريقة وارتياباتها (7إلى 38 بالمئة من الإخفاقات حسب الراقات الاجتماعية المدروسة). وكان مشكل الإنجاب الواعي قد ظلّ أحد المشكلات الأكثر اتصافاً بأنها شائكة ومرهقة، مشكلات ترتبط بها كثير من المآسي الأسرية: البرودة الجنسية لدى المرأة التي كانت تخشى كل اقتراب جنسي؛ الخلاف الزوجي؛ الإجهاض (كانت وزارة الصحة العامة في فرنسة قد قدّرت عام 1973 بـ000 300 إلى 000 400 عدد حالات الإجهاض الجارية خفيةً). وشرعت الدكتورة ماري أندره لاغرواويل - هاله، التي حرّك مشاعرَها بؤسُ زبوناتها، في تشجيع مراكز التربية والتعليم للتخطيط

الأسري، التي ما لبثت أن تكاثرت في كل البلاد. وانتصرت المعركة، أخيراً، من أجل أمومة سعيدة على كل الموانع وأفضت إلى قانونين خاصين بتنظيم الولادات، قانون 28 كانون الأول (ديسمبر) 1967 وقانون 4كانون الأول (ديسمبر) 1974. وفي حين ينظّم الأول منع الحمل، يعمل الثاني على تحرير شبه كلّي لهذا المنع إذ طوّر الإعلام، وألغى البطاقة ذات القسائم التي نصّ عليها التشريع السابق، ونصّ على أن يسدّد الضمان الاجتماعي مصروفات مانعات الحمل، وأخيراً جعل من تنظيم الولادات إحدى المهمّات الطبيعية للمراكز الموجودة في المحافظات لحماية الأمومة والطفولة. وانتشرت منتجات منع الحمل، بدءاً من هذه المرحلة، انتشاراً واسعاً في الناس عامةً، وكل امرأة يمكنها، إذا رغبت، أن تختار اختياراً حراً ما يناسبها من هذه المنتجات على نحو أفضل. فمعظمهن يفضلن مانعات الحمل الفمية («حبوب») التي يُنسب اكتشافها (1956) إلى عالم الغدد الأمريكي غريغوري بنكوس (1903 - 1967)؛ ونجوعها مطلق على وجه التقريب، ذلك أنها توقف الإباضة، إذ تكبح إفراز المحرّضات داخل الرحم، التي لا تتجاوز نسبة إخفاقها 1إلى 3بالمئة؛ وتستخدم كثيرات منهن الأجهزة السدّادة كالجاف أو الغلاف العنقي (الذي يتكيّف مباشرة مع عنق الرحم).

وليس منع الحمل، على الرغم من كل هذه الضروب من التقدّم التقني وتشريع مناسب، مقبولاً بصورة كلية، وكثيرات من النساء يسلكن كما لو كنّ يجهلنه. وهذا التصرّف، لدى بعضهن، يخضع لبواعث أخلاقية دينية؛ وذو علاقة، لدى بعضهن الآخر، بضرب من انشغال البال الغامض الذي يعبّر عن نفسه بالخشية من الوقوع في المرض (سرطان)، وتساقط الشعر (الحاصّة)، أو ولادة أطفال مشوّهين أيضاً؛ ولدى بعضهن، أخيراً، يكون هذا التصرّف مشروطاً بالعداوة لأزواجهن. ولكننا نجد أيضاً خلف هذه الأقوال، على الغالب، أسباباً أخرى خفيّة، غامضة حتى على شعور المعنيّات، هي من مجال الإثمية (أيمكن أن ينال المرء لذة دون أن يتعرّض للخطر؟) أو من مجال عقدة الخصاء (الحصول على طفل لبلوغ كمال الوجوه).

وسيتيح إعلام أفضل للناس عامة، دون أي شك، أن يشمل منع الحمل أكبر عدد من النساء، منع تتجاوز مزاياه مجرّد تنظيم الولادات. إنه أفضل وقاية صحية من الإجهاض أيضاً وهو، بفعل المراقبة الطبية الذي يسهم في تأسيسها، يتيح الكشف المبكّر للسرطانات التناسيلة والأمراض الزهرية. وعلى هذا إنما استطاع بعضهم، في الولايات المتحدة الأمريكية، أن يكشف عن داء السيلان لدى 4,3 بالمئة من مستشيرات مراكز «التخطيط الأسري»، عام 1971. وأخيراً، إن منع الحمل يشجّع الانسجام الجنسي بين الأزواج ويتيح للمتّحد الزوجي أن يزدهر في الحب.
(انظر في هذا المعجم: **الإجهاض، الأسرة، الحمْل، تحت المهاد، الطفل غير المرغوب**).

N.S.

المنعكس

F: Reflexe

En: Reflex

D: Reflex

ارتكاس غير إرادي، مباشر وميكانيكي، لعضو حيّ (عضلة، غدّة، إلخ) على إثارة خاصة.

توجيه ضوء للعين يسبّب تقلّص البؤبؤ (منعكس ضوئي محرك)؛ ضجة عنيفة مفاجئة تجعل العين ترف (منعكس قوقعي جفني)؛ تذكّر وضع انفعالي معيش سابقاً يسبّب تسارع النبض (منعكس نفسي قلبي)، إلخ. فالمنعكسات استجابات مستجيب أو زمرة من المستجيبات لتنبيه مستقبل معيّن؛ وتنجم عن فاعلية معقّدة من المراكز العصبية؛ إنها مشتركة بين كل الأفراد في نوع واحد. ونسمّيها منعكسات «فطرية» أو منعكسات مطلقة لتمييزها من المنعكسات المكتسبة أو الشرطية التي أوضحها ودرسها إيفان بيتْروفيتش بافلوف (1849-1936) والذين أكملوا تجاربه.

وأنجز دراسة المنعكسات للمرة الأولى، نحو عام 1730، عالمُ الطبيعة الانغليزي ستيفين هالْز (بليكسْبورن، كنْت 1677، تدنْغتون، ميدليسيكس، 1711)، الذي لاحظ أن قائمة الضفدع المفصول رأسها كانت تتقلّص عندما كانت توخز بدبوس. وأوضح، فيما بعد، فرانْسوا ماجنْدي (بورْدو، 1783سانوا، سين، -وازْ، 1855)، وظائف الجذور الظهرية والبطنية لأعصاب النخاع الشوكي، وظائفها السريعة الحساسية والحركية. ولكن السيد شارل سكوت شيرانْغتون (1857-1952) هو الذي افتتح العهد الحديث لدراسة المنعكسات. وبرهنت تجاربه

من جهة، كما تجارب بافلوف، على أن المنعكسات النخاعية تابعة للبنيات العصبية العليا، وعلى أن هذه البنيات العصبية، من جهة أخرى، وُهبت ضرباً من المرونة الوظيفية اللافتة للنظر (انظر في هذا المعجم: المنعكس الشرطي، الإشراط).

G.G.C.

المنعكس الشرطي

F: Relexe Conditionnel

En: Conditioned-reflex

D: Konditionierter reflex, Bedingter reflex

ارتكاس تعلّمي للعضوية يرتبط بشرط قائم مسبقاً.

المنعكس الشرطي استجابة مكتسبة لمثير حيادي بصورة بدئية ولكنه شُحن بالدلالات بفضل ترابطه التمهيدي المتكرّر بمنبّه مطلق. وهذه الظاهرة، التي درسها دراسة منهجية إيفان ب. بافلوف (1849-1936)، يعرفها منذ زمن طويل كلّ المروّضين في العالم. ولكي نعلّم دببة المعرض أن ترقص، نضعها على صفيحة ساخنة ونعزف لها نغماً بالمزمار في الوقت نفسه. وسيكفي النغم، فيما بعد، لنجعلها ترقص.

وكان كلود برنار (1813- 1878) قد لاحظ، على المستوى الفيزيولوجي، ظاهرة مماثلة من تحويل القدرة، كان قد سمّاها «منعكساً نفسياً»: رؤية الغذاء، أو رائحته، كانت تكفي لجعل بعض الحيوانات تفرز لعابها وتحدّد إفرازاً للعصارة المعدية.

إن إ. ب. تويتْميير (1902) اكتشف المنعكس الشرطي، من جهته، خلال بحث في المنعكس الرضفي. فامتداد الساق تسبّبه صدمة على الوتر الرضفي تحت الركبة على وجه الضبط. وكان الأفراد قد أُخطروا بالصدمة بواسطة رنين جرس قبل أن يتلقّوها بنصف ثانية. وبعد ثلاث جلسات أو أربع، كان الارتباط صوت-

ضربة قد عُرض خلالها 125 مرة، كان امتداد الساق يحدث تلقائياً منذ سماع الرنين، قبل الضربة. وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إنما بدأ بافلوف، في بحوثه في الهضم، يُعنى بالمنعكس النفسي لإفراز اللعاب لدى الكلب. وميّز بافلوف المنعكس الفطري، غير الشرطي (إفراز اللعاب يحدث بفعل اتّصال الغذاء بمخاط الفم)، من المنعكس المكتسب، الشرطي (إفراز اللعاب ناجم عن رؤية الغذاء). ووجد، بفعل تعاقب من التجارب، أن الارتكاس اللعابي يمكنه أن يكون مشروطاً بأي مثير على وجه التقريب: علامة موسيقية، إنارة قصيرة المدة، تنبيه لمسي، إلخ. بل كان ممكناً أن تسبّب إفراز اللعاب إحساساتٌ مؤلمة، وذلك يعبّر تماماً عن مرونة الجملة العصبية. وعُني بافلوف على وجه الخصوص بالاستجابة اللعابية لأنها قابلة للقياس. والواقع أننا إذا ثقبنا خداً من خدّي الكلب وحوّلنا قناة إفراز اللعاب إلى الخارج، فإن بوسعنا أن نجمع كمية اللعاب التي يفرزها الحيوان ونقيسها. وتبدأ المحاولات منذ أن يُشفى الحيوان من العملية الجراحية ويألف الأماكن. فنضعه عندئذ وحده في الغرفة، واقفاً وممسوكاً بسيور، في حين أن المجرّب يوجّه التجربة من غرفة مجاورة. ويكمن هدف البحوث في المنعكس الشرطي في أن نلاحظ كيف تتعلّم العضوية أن تربط مجدّداً بين مثيرين مستقلّين في الأصل وما هي، وراءَ ذلك، آليات التعلّم. ويتيح الإشراط البافلوفي، والإشراط الأداتي على وجه الخصوص، أن نحصل على ارتكاسات مشروطة معقّدة تتجاوز الإطار محض الفيزيولوجي تجاوزاً واسعاً. وأفلح بورّوس فريديرك سكينر المولود عام 1904، على سبيل المثال، في أن يعلّم حمامات تلعب البينْغ البونْغ. فكلما كانت الطيور تشرع في حركة نحو الكرة، كانت تتلقّى حبّة قمح؛ وهكذا توصّل، بفعل تعاقب من التعزيزات الإيجابية، أن يجعلها تندفع بمجرّد نقْرة واحدة من منقاره. (انظر في هذا المعجم: **التعلّم، التعزيز**).

G.G.S.

F: Reflex (inconditionné) inconditionnel, **المنعكس**
En: Unconditional reflex (Unconditioned) **غير الشرطي**
D: Unbedingter (unkoditionirter) reflex

ارتكاس وراثي يبين على نحو مماثل لدى الأفراد من نوع واحد، في حال وجود بعض المثيرات.

يثير مسحوق اللحم الموضوع في فم كلب إفراز اللعاب؛ وتسبّب صدمة كهربائية على قائمة الحيوان انثناءها؛ وتنتج نفْثة هواء موجّهة إلى العين رفيف الجفن. وسمة المنعكس غير الشرطي ذات علاقة بطبيعة المثير وشدّته. (انظر في هذا المعجم: الإشراط).

G.G.S.

المنعكس الغلفاني النفسي

F: Reflexe Psychogalvanique

En: Psychogalvanique reflex

D: Psychogalvanischer reflexe

ارتكاس عصبي نباتي مرتبط بفاعلية الجملة العصبية الودّية، يظهر، وفق التقنية المستخدمة، إما بضرب من نقص المقاومة في الجلد عند مرور تيّار كهربائي واستجابة لبعض المنبّهات (مفعول فيره)، وإما بتغيّر في الكمون الكهربائي الجلدي خلال تنبيه مماثل (مفعول تارْشانوف).

مصطلح «منعكس غلفاني نفسي» منسوب إلى أو. فيراغو (1909،1906)، الذي درس الظاهرة التي اكتشفهاك. فيره (1888) دراسة معمّقة. ومنذ هذا العصر، حدّد أرْسين دارْسونڤال (1851-1940) الغدد المنتجة للعرق أنها المسؤولة عن النقص المفاجىء في مقاومة الجلد. ونحن، حاليّاً، قادرون على أن نوضّح أن التعرّق ليس هو المسؤول عن الظاهرة بل المسؤول هو الفاعلية قبل الإفرازية للغشاء الخلوي الخاص بالغدد المنتجة للعرق. والتغيّرات التي لاحظها جـ. تارْشانوف (1890) موازية لمفعول فيره. فتارْشانوف لا يستخدم التيّار الكهربائي الخارجي؛ إنه يكتفي بقياس الفارق الضعيف في الكمون الموجود بين جزأين من أجزاء الجسم، يربط بينهما مقياس غلفاني، وتسجيل التغيّرات تحت تأثير تنبيهات شتّى (فاعلية عقلية، انفعالات، إلخ). والاستجابة الجلدية الكهربائية، في مفعول تارْشانوف كما في مفعول فيره، تحدث بعد كمون مدته من ثانية إلى ثلاث وتشير إلى الفاعلية الفيزيولوجية نفسها وتختلف الارتكاسات الجلدية الكهربائية اختلافاً كبيراً من

شخص إلى آخر . فليس ممكناً إذن أن نقارن مقارنة صحيحة بين قياسات للأفراد أو بين قياسات مأخوذة في فترات زمنية مختلفة . ولكن الكهربائية الجلدية تقدّم مؤشّرات ذات أهمية لدراسة مستويات التنشيط (من النوم إلى حالات الإثارة الشديدة) ولدراسة الانفعالات . والاستجابة الجلدية الكهربائية ، في اختبارات ترابط الكلمات ، يمكنها أن تكشف عن التوتّر السيكولوجي وعن الألفاظ ذات الشحنة الأكبر من الناحية الوجدانية .

N.S.

F: Mongolisme, Syndrome de Down **المنغولية،**

En: Mongolism, Down's syndrome **تناذر داوْن**

D: Mongolismus, Down syndrom

مرض جبلّي يتميّز بتأخّر كبير في النموّ (الجسمي والعقلي) وسيماء تذكّر بالنموذج المنغولي.

وصف إسكيرول منذ عام 1838 هذا المرض، وتلاه إدْوار سوغان (1846) والانغليزي جـ. هـ. لانغْدون داوْن، الذي وضع له اللوحة الدقيقة جداً (1866). والمنغولي يعرض السمات التالية: قامة قصيرة، رأساً مستديراً ووجهاً مسطّحاً حيث تبرز وجنتاه، وعينين ضيّقتين متّجهتين نحو الأعلى، جبهة منخفضة، لساناً مشقّقاً، أسناناً غير مستقيمة. واليدان قصيرتان مع ثنية في راحة اليد معترضة. والتأخّر النفسي الحركي كبير: الكلام، الذي لا يُكتسب قبل السنة السادسة، يظلّ فقيراً والعبارة معيبة. والخُرْق يترافق مع تخلّف عقلي، يمكنه أن يتباين من العتْه، في الحالات الأكثر خطورة، إلى الضعف العقلي المتوسّط أو الخفيف. وترافق في بعض الأحيان تشوّهات حشوية، لا سيّما التشوّهات القلبية، هذه اللوحة. وكان المنغوليون، قبل اكتشاف مضادّات الالتهاب، يموتون صغاراً جداً، جرّاء حساسيتهم للإنتانات، ولم يكن ربعهم يكاد يبلغ سن البلوغ. والحياة المتوقّعة لهم، من الآن فصاعداً، أكبر كثيراً.

ويستقرّ التواتر المتوسّط لهذا المرض، على المستوى العالمي، عند ولادة واحدة من ستمئة ولادة، على الرغم من أن الإحصاءات تختلف اختلافاً قوياً من

مؤلف إلى آخر. ولم يُعرف منشأه إلا منذ عام 1959، بفضل البحوث في علم الوراثة الخلوي التي قام بها جـ. لوجون، م. غوتية، ر. توربان. وبيّن الباحثان الأخيران في التكوين الصبغي للمنغوليين وجود زيادة للعدد المقرّر في الصبغي، لا بدّ لها من أن تسبّب زيادة في إنتاج الأنزيمات المقابلة وتصيب بالخلل على هذا النحو نموّ البيضة المخصبة السوي. ولكن أسباب هذا الشذوذ الصبغي تظلّ فرضية. وتبيّن أعمال ل. س. بنْدوز (1963)، جـ. ت. ر. بافان (1968) أن عمر الأم لا بدّ له من أن يؤدّي دوراً في ظهور التثليث الصبغي 21 (ثلث المنغوليين يولدون من أمهات تجاوزن سنّ الأربعين). ويقدّر بعضهم أن احتمال الولادة المنغولية ينتقل من 1 من 2000 حتى الثلاثين من عمر الأم إلى 4 من ألف في الخامسة والثلاثين ويرتفع إلى 2 بالمئة بدءاً من 45 سنة.

والوسائل العلاجية الموجودة لدينا غير كافية إلى حدّ كبير لمساعدة الأطفال المنغوليين وأسرهم. ولهذا السبب ينبغي الإلحاح على الجانب البيداغوجي من عملنا. إن تربية خاصة ستباشرها الأسرة في وقت مبكّر ويتابعها، بالاتفاق مع هذه الأسرة وفي إطار مركز طبّي بيداغوجي (حياة خارجية أو نصف داخلية)، فريقٌ متخصّص. (انظر في هذا المعجم: **تصنيف الصبغيات، التثليث الصبغي**).

N.S.

المهـــاد

F: Thalamus

En: Thalamus

D: Thalamus

اسم أطلقه غاليان على نُوى المادة الرمادية الواقعة في الدماغ البيني (قاعدة الدماغ الأعلى)، عند التقاء الدماغ البيني وكلا نصفي الكرة الدماغية (الدماغ الانتهائي).

يتألف المهاد (المسمّى أيضاً باسم «الراقات البصرية») من كتلتين بيضاويتين بطول 4 سم، وعرض 2سم، وارتفاع 2,5، وينبسط متناظراً من جانبي البطين الثالث. ويحيط الوجه الداخلي لكتلتي المهاد بتجويف البطين الثالث، الذي يكوّن هذا الوجه الداخلي جداره الجانبي؛ والوجه الخارجي ذو علاقة بالنواة المذنّبة والمحفظة الداخلية التي تفصلها عن النواة العدسية. وللمهاد، في نهايته الخلفية، انتفاخ، الوسادة، وحدَبتان صغيرتان، والجسمان الركبيان الداخلي والخارجي. فالجسم الركبي الداخلي أو «الجسم الركبي الأوسط» مرحّل الدروب السمعية؛ والجسم الركبي الخارجي أو «الجسم الركبي الجانبي» مرحّل الدروب البصرية.

وللمهاد بنية معقّدة جداً. إنه يتألف من عدد من النُوى الرمادية (مراكز عصبية) ذات شكل غير منتظم، ينفصل بعضها عن بعضها الآخر بصفائح من المادة البيضاء. ويتلقى المهاد، بوصفه المركز الحقيقي لتلاقي جمل الجسم الحسّاسة، أليافاً واردة من النخاع الشوكي، وجذع الدماغ، والمخيخ، والجسم المخطّط، والقشرة الدماغية، والدماغ البيني، ويرسل أليافاً صادرة إلى كل مناطق القشرة الدماغية تقريباً.

فـ الاليـاف الواردة تقود رسـائل الحساسيات العامة (أعصـاب حسّاسة) والرسائل الناشئة من أعضاء الحواسّ (الأعصاب الحسّية). و الألياف ذات المنشأ النخاعي تنقل الإحساسات اللمسية الخشنة، المؤلة والحرارية؛ والألياف الناشئة من جذع الدماغ (نوى غول وبورْداخ) تنقل الحساسية العميقة الشعورية والحساسية اللمسية المرهفة (أي التي تتضمّن تمايزاً دقيقاً في الشدّة والنوعية)؛ والألياف من منشأ الدماغ البيني تقود الإحساسات الشمّية بواسطة الحزمة الحَلَمية المهادية، حزمة فيك دازير؛ وتمرّ الانطباعات البصرية بالعصيبة البصرية.

وتنقسم الألياف الصادرة، المنطلقة من المهاد، إلى ثلاث فرق أهمها، الفرقة القشرية، تتألف من السويقات المهادية القشرية الأمامية، الخلفية، العلوية الخارجية، السفلية الخارجية، السفلية الداخلية. فالسويقة الأمامية تنقل إلى القشرة الجبهية تلك الإحساسات المؤلمة، إذ تؤمّن على هذا النحو امتثالها النفسي. وعندما يجري استئصال الفصّ لإلغاء تناذر مؤلم يقاوم كل مداواة، فإن هذه الألياف إنما هي التي تُقطع، ذلك أن الإسقاط للألم يُمنع على هذا النحو. وتقود السويقة العلوية الخارجية نحو القشرة الجدارية تلك الحساسية الخارجية الاستقبال (التي تخبر العضوية عن العالم الخارجي) و الحساسية ذات الاستقبال الداخلي الشعوري، التي تشرح العمل الوظائفي لمختلف الأعضاء، لا سيّما الفاعلية العضلية، وموقع الجسم في المكان. والسويقة الخلفية، المسمّاة أيضاً «اشعاعات بصرية» لغراتيوله، تنقل الانطباعات البصرية إلى الفصّ القفوي؛ والسويقة الدنيا الخارجية تقود الإحساسات السمعية إلى القشرة الصدغية؛ وتنتهي السويقة الدنيا الداخلية في قشرة الدماغ الشمّي، الشمّي والنباتي معاً.

وتبرز النُوى الجانبية الظهرية والمخططة منفرجة الساقين على الفصوص، الجداري والقفوي والصدغي، التي تكوّن قشرة «المخطّط الجسمي». وأخيراً، يُعزى إلى النواة الوسطى الظهرية دور ذو أهمية في التعبير عن الانفعالات، في حين أن الجملة المشبكة المهادية، ذات العلاقة المباشرة مع التكوّن الشبكي للنخاع الشوكي

وجذع الدماغ، هي مركز التيقّظ؛ إنها تؤدّي دوراً أساسياً في ظاهرات اليقظة والنوم.

وكل إصابة للمهاد ترافقها اختلالات خطيرة تتجمّع في «تناذر مهادي»، وصفه، عام 1905، جول جوزيف ديجيرين (جنيف، 1849- باريس، 1917) وغوستاف روسّي (فيفي، 1989- باريس 1948). وهذا التناذر يتميّز على وجه الخصوص بنقص في الحساسية العميقة، وبنقص أقلّ في الحساسية الحرارية واللمسية؛ بمغالاة في الحساسية المؤلمة التي تسبّب ارتكاسات محركة وحشوية لا تتناسب مع شدّة المنبّه المؤلم؛ بألام تلقائية شديدة، لا تُحتمل على الغالب وذات تموضعات متعدّدة. أضف إلى ذلك ملاحظة اضطرابات بصرية، وضروب عابرة من الفالج، وحركات مشتركة، وعمه التوجّه والحركات الرقصية الكَنَعية على مستوى الأطراف.

ويؤدّي المهاد دوراً أساسياً في العمل الوظائفي للدماغ الأعلى، ذلك أنه يتدخّل معاً في الوظائف المحركة، ووظائف الحساسية، والوظائف الحسّية والنباتية للعضوية، في النوم والتيقّظ، في السلوك الوجداني، وكذلك في وظيفتي الدمج والترابط.

M.S. , C.ME.

F: Horaires de travail **مواقيت العمل**

En: Time of Work

D: Arbeitszeit

توزيع أزمنة العمل اليومية.

لأسلوب توزيع العمل، بالنسبة إلى الراحة، تأثير على توازن العامل ومردوده، تأثير يدرسه علماء النفس باهتمام منذ بداية الستينات. وشاغل تحسين الشروط لحياة الإنسان في العمل، والمشكلات العملية التي يطرحها، وتزاحم جمهور المستخدمين في الأوقات نفسها والأماكن ذاتها (صعوبات النقل وإيجاد الأمكنه لوقوف السيارات) حضّت الاختصاصيين على البحث عن أفضل استخدام للزمن. فالمواقيت المستخدمة عادة غير ملائمة للعمال وهي مجحفة بحقهم في بعض الأحيان. وهكذا فإن الأسلوب المسمّى (3-8) يزرع الخَلَل في إيقاع الحياة الطبيعي، على المستوى البيولوجي (نوم، راحة) والمستوى الاجتماعي (لقاءات، أوقات فراغ) على حدّ سواء. إنه أسلوب يولّد التعب ويزيد، لهذا السبب، احتمالات الحوادث. والزمن الذي يضيّعه كل مستخدم في إيقاف سيارته في مرآب أو موقف (20 دقيقة في اليوم صباحاً) أو ليصل إلى مكان عمله (تلزم 45 دقيقة حتى يتوجّه بالمصاعد الآلاف السبعة من الأشخاص الذين يعملون في بناء باريسي من 56 طابقاً)، هو الذي قاد المسؤولين في بعض المشروعات أو الإدارات إلى تأسيس الميقات المتغيّر. ويتضمّن هذا الميقات ثلاث مراحل: مرحلة ثابتة، كل المستخدمين خلالها حاضرون في المعمل أو المكتب؛ مرحلتين متغيّرتين، مرحلة تسبق المرحلة

الأولى ومرحلة تليها، وكل فرد يمكنه خلالهما أن يختار الفترة التي يبدأ فيها عمله أو ينهيه، اختياراً حراً، شريطة أن يكمل عدد الساعات التي ينصّ عليها عقده. وهذا النظام، بمرونته، يمنح العامل إذن شعوراً بحرية كبيرة ويتيح، في المنازل، حيث يشغل الأب والأم وظيفة، أن يؤمّن على الأقل حداً أدنى من الحضور قرب الأطفال. وهذا الترتيب لمواقيت العمل قائم الآن في سويسره، حيث 30 إلى 40 بالمئة من الأجراء يفيدون منه. وكان، عام 1975، مستخدماً بفرنسة في 800 مشروع؛ وفي 500 ببريطانية العظمى، لا سيّما في مشروعات التأمين. ويُقدّر، في ألمانية، أن ثلث الشركات و 60 بالمئة من الإدارات، تبنّت الميقات المتغيّر. و25000 مستخدم في مشروع فيات، في إيطالية، يمكنهم أن يحدّدوا، وفق ما يناسبهم، وقتي الوصول والذهاب. وهذا النظام مجهول في الولايات المتحدة الأمريكية. وللميقات المتحرك نقّاده أيضاً. إنه غير ممكن التطبيق في العمل المسلسل للقطع الثقيلة؛ ويفترض هذا النظام نظاماً دقيقاً من المراقبة لساعات الحضور.

N.S.

الموت

F : Mort

En: Death

D: Tod

التوقّف النهائي للوظائف الحيوية، وظائف عضوية.

موت الإنسان يتحدّد من الآن فصاعداً بالعمل الوظائفي للدماغ (مخطّط الدماغ الكهربائي «المستوي»)، بعد أن كان يتحدّد بتوقّف القلب والتنفّس. والواقع أن الأنسجة العصبية هي الوحيدة التي لاتتجدّد، وليست أية حياة علاقة ممكنة دون الفاعلية الدماغية. والموت أحد المعطيات الأساسية، معطيات الواقع. ومنذ أن يحتاز الموجود الإنساني ذلك الشعور بسمته الحتمية، فإنه يبذل جهده ليألف هذه الفكرة ويجعل تحمّلها ممكناً. والاعتقاد بحياة في الآخرة أو بالتقمّص، وكذلك الرغبة في خَلَف، على سبيل المثال، يشكّلان جزءاً من محاولات تنشد أن تخفّف السمة التي تسبّب الحصر، سمة الموت. وتستمتع بعض الشعوب بالموت، كالأسكيمو، ذلكم أنهم مقتنعون أن حياة سعيدة تنتظرهم. ويصعب، بل يتعذّر، أن يتخيّل المرء موته الخاصّ، أي الفقدان النهائي لفرديته، وانعدام الذات، ذلك أن كل فرد مقتنع بصورة لاشعورية أنه خالد. وموت موجود عزيز يسبّب الأسى دائماً، أسى يتجاوزه المرء، على نحو طبيعي، بعد بعضٍ من الزمن. ويسمّي فرويد السيرورة النفسية الداخلية التي بفضلها نفلح في قبول هذا الفقدان: «عمل الحداد». ويميّز جون بولبه ثلاثة أطوار في هذه السيرورة: يظلّ الفرد في البداية متمركزاً على الفقيد، ولكن الغياب الدائم لهذا الفقيد يسبّب خيبة أمل ممزوجة

بالعـدوانيـة والحـزن. وتكمن المرحلة الثـانيـة في ضـرب من التـخلّي عن أن يـجـد موضوع التعلّق مجدّداً، الموضوع المفقود؛ وعندما تتوقّف هذه الجهود، يحدث ضرب من فقدان التنظيم لدى الشخصية، يرافقه الألم واليأس. والطور الثالث طور إعادة التنظيم، ذي العلاقة معاً بصورة الشخص المتوفى وبصورة موضوع حب، موضـوع جديد. وقد يحدث مع ذلك ألا يتحقّق عمل الحداد بصورة صحيحة. فالأفراد، في هذه الحال، يمكنهم أن يرتكسوا ارتكاسات مرضية، كحالات الاكتئاب، وأمراض نفسية جسمية، أو أعراض تحوّل هسيتري (فقدان البصر، شلل، إلخ). ويصبح الموت لدى آخرين، عاجزين عن أن يعيدوا تنظيم وجودهم، أمراً مرغوباً فيه، وذلك ما يشرح بعض حالات الانتحار أو النسبة المرتفعة لعدد حالات الموت الملاحظة لدى الأرامل من الجنسين، خلال السنة الأولى التي تلي موت أحد الزوجين. والرعب من الموت تابع للقيمة التي ترتبط بالوجود. فإذا فقد المرء سبب وجوده، فإن الموت يصبح مرغوباً فيه. وعلى هذ النحو إنما انطفأت جماعات كاملة من السكان الأصليين لميلانيزية، وبولينيزية وتاسماني، خلال فسحة زمنية قدرها جيل، جرّاء الاستعمار الأبيض. (انظر في هذا المعجم: **المثاقفة، غريزة المحافظة على البقاء، الإبداعية الفنية، المخطّط الكهربائي للدماغ).**

N.S.

المورّثة (الجينة)

F: Gène

En: Gene

D: Gen

مصطلح حدّده، عام 1911، عالم الوراثة الدنيماركي ويلهلم لودفيغ جوهانسن (كوبنهاغن، 1857 – كوبنهاغن، 1927)، أنه وحدة تتموضع في نقطة معيّنة من صبغي وهي مسؤولة عن نقل سمة معيّنة من جيل إلى جيل.

كل خليّة من خلايا العضوية تحمل عدة عشرات الآلاف من المورّثات، كل منها جزء من الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين .A.D.N، الذي يحتوي نحو ألف نوويد. وكل مورّثة، مورّثة متميّزة بتعاقب نوعي تترتّب النوويدات بحسبه، توجّه تركيب بروتيئين، ولاسيما بروتيئين الأنزيمات. ويزدوج .A.D.N خلال الانقسام الخلوي، ونحصل، انطلاقاً من خلية بدئية، على خليتين لهما المادة الوراثية نفسها، وذلك أمر يشرح أن لكل الخلايا، لدى الإنسان، مورّثات اللاقحة، المورّثات نفسها. وإذا حصل خطأ خلال ازواج .A.D.N، فالأمر يكون طفرة؛ وحتى لو أن الخطأ لاينصبّ إلا على قاعدة واحدة، فذلك يكفي لتعديل الرسالة الوراثية بل يؤدّي في بعض الأحيان إلى اضطراب ذي أهمية، إلى، على سبيل المثال، مرض إيفار أسبْجورن (1888- 1973) أو إلى الفنيل سيتونوري، الناجم عن غياب الأنزيم الذي يتيح عادة استخدام الفنيل ألانين والمسؤول عن التخلّف العقلي. وصبغيات زوج واحد يمكنها أن تحمل، في نقطة معيّنة، نفس المورّثة أو، على العكس، مورّثات ذات الوظيفة نفسها ولكن لها مفعولات مختلفة

تُسمّى الائل أو مورّثات ألائلة الشكل. ففي الحالة الأولى، نقول إن الفرد متجانس اللاقحة فيما يخص المورثة المعنيّة؛ وفي الحالة الثانية، نقول متغاير اللاقحة. والأليل الذي يظهر، في حال تغاير اللاقحة، يحمل سمة غالبة، والآخر الذي يستمرّ موجوداً في حالة الكمون، يحمل السمة المتنحيّة. (انظر في هذا المعجم: A.D.N. [الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين]، A.R.N. [الحمض الريبي النووي]، النموذج الأصلي أو الوراثي، النموذج الظاهري، اللاقحة).

M.S.

المورفين

F: Morphine

En: Morphine,Morphia

D: Morphin,Morphium

شبه قلوي رئيس من الأفيون صيغته الكيميائية $C_{17} H_{19} No_3$.

الكيميائي الفرنسي أرمان سوغان (باريس، 1767 - باريس، 1835) عزل المورفين عن الأفيون، ولكن الكيميائي الألماني ولهلم سيرتورنر (نوهوس، قرب بادربورن، 1783 - هاملن، 1841) هو الذي درس خصائصه وأطلق عليه اسمه (1817). ويؤثر المورفين على القشرة الدماغية. إنه مخدّر قوي كان قد استُخدم، بهذه الصفة، استخداماً واسعاً خلال حرب عام 1870 و 1914. واكتشفه المدمنون على المخدّرات السامة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وانتشر استعماله، بدءاً من عام 1851، مع اختراع المحقنة تحت الجلدية، اختراع الطبيب الفرنسي شارل غابريل برافاز (بون- دو - بوفوازان، 1791 - ليون، 1853).

ويحسّ الفرد، خلال الحقنة الأولى، بغبطة كبيرة وهناء داخلي عظيم، يجعلانه في بحث عن العزلة وعدم الحركة. ولكن الإحساسات اللذيذة لا تلبث أن تزول، ويكثر المدمن، حتى يجدها مجدّداً، من عدد الحقنات إكثاراً يائساً، إذ يستقرّ في حالة من التبعية يصعب عليه جداً أن يقلع عنها. ويتيح اكتشاف المورفينات العضوية (1975-1976) ومستقبلاتها أن نجازف بفَرَض شارح لهذه الظاهرة: الإعطاء المألوف، إعطاء المستحضرات الأفيونية، يوقف إنتاج المورفينات العضوية، ويسبّب، بالتلازم، تكاثر مستقبلات المواد المورفينية. ومن هذا الوضع تولد

الحاجة. وبوسعنا أن نتساءل لماذا لا تكون العضوية في حالة من التبعية لمنتجاتها من المورفينات ذات المنشأ الداخلي والتأثير المورفيني في حين أنها تصبح في حالة من التبعية للمورفين. والجواب هو أن المورفينات العضوية تتحرّر على نحوٍ متقطّع وأنها، على عكس المورفين، تظلّ حيّة خلال مدة قصيرة جداً. والواقع أن المورفينات العضوية يطرأ عليها، عند الاتّصال بالأنسجة، تأثير أنزيم الأنكيفاليناز، يحولها إلى أجزاء غير فاعلة، وليست هي حالة المورفين. ويسبّب المورفين، بجرعة قوية، اضطرابات عصبية نفسية وعضوية. فهو على وجه الخصوص يزرع الاضطراب في العمل الوظائفي الغدّي العصبي ويعوق أيْض السكر. انظر في هذا المعجم: المخدّر، المورفين العضوي، الهيروين، الأفيون).

N.S.

المورفين العضوي، الأندورفين

F: Endorphine

En: Endorphin

D: Endorphin

مادة بِبْتيدية ناشئة عن العضوية ذاتها، خصائصُها الصيدلانية هي خصائص المورفين.

ملاحظتان متكاملتان سبقتا اكتشاف المورفينات العضوية. أتاحت الأولى (رينولْدز، 1969) وضع الفَرَض الذي مفاده أن العضوية تنتج موادّها الخاصة التي تسكّن الألم. والواقع أننا إذا حرّضنا جذع الدماغ والمادة الرمادية المحيطة بقناة سيلْفيوس لدى حيوان تحريضاً كهربائياً، فإن هذا الحيوان يصبح غير حسّاس للألم كلّياً. والملاحظة الثانية ناجمة عن استخدام موادّ مشتقّة من المورفين ومن مضاداتها، كالنالوكْسون، تعارض تأثيرها كلياً أو جزئياً. ولاحظ إ. سيمون (نيويورك)، وسول هـ. سنِدَرْ (بالتّيمور)، ولارْس تيرينيوس (إوبْسالا)، الذين ميّزوا هذه المواد بالإشعاعات، أنها تتثبّت بصورة اصطفائية على بعض الأنسجة من العضوية (1973). أما م. جـ. كوهَرْ (1978)، فقد وضع خريطةً لتوزيع مستقبلات المركّبات المورفينية. ونجد منها في كلّ الجملة العصبية المركزية (في المهاد، الجسم المخطّط، الجملة الطرفية. . .) وحتى في الأحشاء (في الجملة العصبية المساريقية)، ولكنها تكون غزيرة في المادة الرمادية التي تحيط بقناة سيلْفيوس، وفي النخاع الشوكي وجذع الدماغ، التي تتدخّل في إدراك الألم. ولم يكن ينقص إذن إلا اكتشاف

«الربيْطات» الداخلية المنشأ، أي أن هذه المواد التي كان وجودها مفترضاً، قادرة على أن تنشّط المستقبلات النوعية للمركّبات المورفينية.

ويعزل في كانون الأول (ديسمبر) من عام 1975 جون هوغز (و) هـ. و. كوستِرليتز (أبيرْدين، إيقوسيا)، ببْتيدين في دماغ خنزير لهما سلسلة قصيرة (خمسة حموض أمينية) يختلفان فيما بينهما بالحمض الأميني النهائي (لوسين، في حالة أولى، وميثيونين في الحالة الثانية) سمّاهما هذان العالمان على التوالي (Leu - en-képhalin) و (met - enképhalin). وبين الخصائص البارزة لهذا الموادّ النخاعيّة خاصةً مفادها أنها ترتبط بالمستقبلات المورفينية. واكتشف في الأشهر التي تلت روجر غيّمان، نيقولاس لنْغ، ر. إي. بورغوس، من مؤسسة سالك (كاليفورنية)، من جهة، ثم أ. غولْدشْتاين من جهة أخرى، ببْتيدات أخرى، ذات سلسلة أطول، في النخامى وتحت المهاد لخنزير وثور. ويقترح إ. سيمون أن يسمّي هذه الببْتيدات «مورفينات عضوية». وسرعان ما لوحظ أن هذه المواد النخاعيّة والمورفينات العضوية تتكوّن على حدّ سواء من جزء من عديد الببْتيد (91 حمضاً أمينياً) عزلها، عام 1964، ك. هـ. لي (الولايات المتّحدة)، في النخامى، وسمّاها «ليبوتروبين» ولكن دورها ظلّ مجهولاً خلال زمن طويل. ومراد met - enképha-line هي التعاقب 61 إلى 65 من البيتاليبوتروبين. والألفا أنْدروفين (16 حمضاً أمينياً) هي التعاقب 61 إلى 76 من البيتاليبوتروبين. والغاما أنْدروفين (17 حمضاً أمينياً) هي التعاقب 61 إلى 77 من البيتاليبوتروبين. والدلْتا أندورفين (28 حمضاً أمينياً) هي التعاقب 61 إلى 88 من بيتاليبوتروبين. والبيتاأنْدورفين (31 حمضاً أمينياً) هي التعاقب 61 إلى 91 من البيتاليبوتروبين. وهذا الأنْدورفين (مورفين عضوي) الأخير هو الأكثر فاعلية بكثير. وثمة اتّفاق في الوقت الراهن على الاعتقاد أن الأنكيفالينات والبيتاأندورفين تؤدّيان دوراً فيزيولوجياً وأن الأندورفينات الأخرى خادعة، أي ظاهرات اصطناعية ناجمة عن تقنيات الاستخراج، ولكنها ليست ذات صلة بالواقع الطبيعي. وتؤدّي المورفينات العضوية (الأندورفينات)، التي تحرّرها الغدد الصمّ (النخامي، الكُظْر) وينقلها

الدم، دور الهرمونات؛ إنها تعمل، بوصفها تفرزها العصبونات، وسيطات كيميائية لها تأثير كاف (ج. هوغز، ت. جيسّيل، ل. إيفرسن، ج. ك. شوارتز). إنها تمنع أو تعدّل تحرير مادة P (هي نفسها ناقل عصبي لرسالة الألم، نجدها بتركيزات قوية في الجذع الظهري للنخاع الشوكي). أضف إلى ذلك أنها تتدخّل في تحرير بعض هرمونات النخامى وفي رقابة وظائف كبيرة: التنفّس، حركيّة الأمعاء، الضغط الشرياني. فلا يقتصر إذن عمل المورفينات العضوية على المفعولات المسكّنة للألم، إنها عاملة أيضاً في الجوع، والعطش، وحتى الوجدانية، ذلك أنها تؤدّي دوراً في تنظيم اللذة. وهي، أخيراً، تشارك حتى في آليات التعليم، بوصفها تبدو أنها تتدخّل في تفعيل «منظومات التعزيز». (انظر في هذا المعجم: الألم، الوسيط الكيميائي، التعزيز).

N.S.

مورّه (هنري ألكسندر) Murray (Henri Alexander)

عالم نفس أمريكي (مولود في نيويورك، عام 1893).

تأليف مورّه خاصّ على نحو أساسي بالشخصية، سبرها ونظريتها. وهذه النظرية، المستوحاة جزئياً من التحليل النفسي، غنيّة ومعقّدة، على وجه الخصوص. ويأخذ مورّه من المذهب الفرويدي مراجع الحياة النفسية الثلاثة: **الهو**، **الأنا**، **الأنا العليا**، ويأخذ أيضاً مختلف الأفكار الهامّة، كمفاهيم اللاشعور، والعقدة، والخصاء، والتثبيت، والمراحل (الفمية، الشرجية، التناسلية). ولايقصد مورّه، على العكس، أن يضفي الامتياز على الجنسية، كما يفعل س. فرويد، ولاعلى دافعيات أخرى كالرغبة في القوة كما يفعل أ. أدلر. ويعترف مورّه بأهمية الأحداث التي يعيشها الطفل خلال الطفولة الأولى في إعداد الشخصية ويؤكد السمة المحدّدة للعوامل الفيزيولوجية والوجدانية الاجتماعية في هذه السيرورة. ف «علم الشخصية Personnologie» لديه مبنيّ حول مفهوم **الحاجة**، التي يجعلها محرّك كل سلوك. ويعترف، في نهاية دراسة منهجية، بعشرين حاجة ظاهرة في كل موجود إنساني (العدوان، السيطرة، الاستقلال، إلخ) وبثماني حاجات كامنة؛ وكلّ هذه الحاجات قوية قليلاً أو كثيراً بحسب الأفراد وتصطدم بـ «قوى - مضادّة» تأتي من الوسط. واستخدم مورّه، ليسبر شخصية الإنسان، بعض الأساليب، منها **رائز تفهّم الموضوع** (T.A.T.)، الذي لاقى نجاحاً عالمياً. ونذكر من مؤلّفاته الرئيسة: **سبور الشخصية، دراسة عيادية وتجريبية لخمسين إنساناً في سن الدراسة الجامعية** (بالتعاون مع فريقه، 1938، نيويورك، مطبعة جامعة أوكسفورد، ترجمه

إلى الفرنسية أوبْريدان و ن. شوفالييه: سبْر الشخصية. دراسة عيادية وتجريبية لخمسين فرداً في سنّ يقابل سن الدراسات الجامعية، المنشورات الجامعية الفرنسية، (1953- 1954)؛ رائز تفهّم الموضوع (1943، كمبْريدج [ماساشوست]، مطبعة جامعة هارْفارد).

M.C.

موريتا (شوما) Morita(Shoma)

طبيب نفسي ياباني (كوشي شوكوكي، 1874 - طوكيو، 1938).

يعمل موريتا، بعد دراساته في كلية الطب بالجامعة الامبراطورية، طوكيو، في العيادة الجامعية للأستاذ س. كوره، ثم يصبح أستاذ الطب في جيكيكه بطوكيو. وينهل موريتا، مبتعداً عن الأفكار المتلقّاة، لاسيّما النظريات ذات النزعة العضوية والميكانيكية للطبيب النفسي الكبير الألماني إميل كريبْلن*(1856 - 1926)، من ثقافة بلاده تلك العناصر الأساسية لطريقة أصيلة في معالجة الاضطرابات النفسية، أكثر توافقاً مع روح الشعب الياباني وموروثه، الشعب المتدرّب منذ تأريخ طويل على التمرينات الروحية للبوذية، والكونفوشية، والطاوية.

ويتضمّن العلاج النفسي لدى موريتا ثلاث مراحل كبيرة. فالمرحلة الأولى، التي تدوم أسبوعاً، تكمن في راحة مطلقة في السرير، داخل غرفة خاصّة، دون أن يكون بوسع المريض أن يتكلّم، ويقرأ أو يدخّن، ودون أن يتلقّى زيارة أحد ولاتسلية من أي ضرب، ودون دواء ولا دعم معنوي. والفاعليات الوحيدة المباحة هي الفاعليات التي تقتضيها نظافة الجسم. ويُقدّم الوجبات في الغرفة مستخدمٌ صامت؛ ويأتي المعالج كل يوم، ولكنّه لايتكلّم أيضاً. والتجربة، في البداية، مستساغة إلى حدّ كاف، ولكن الوضع يصبح على وجه العموم، في اليوم الثالث أو الرابع، عسيراً إلى الحدّ الأقصى، بالنظر إلى أن الطاقة النفسية تتركّز على العصاب، ويبلغ المريض قاع يأسه، ذلك أنه لايمكنه أن يفلت من قلقه ولا أن ينفيه. وسرعان مايتوصّل مع ذلك، بالتدريج، أن يقبل هذا المرَض بوصفه بعداً طبيعياً

من شخصيته، أو أنه لم يعد يعارضه على الأقلّ. وينبعث من هذا اليأس العميق أفضل معرفة بالذات.

وتكمن المرحلة الثانية في ضرب من نصف راحة. وتدوم أسبوعاً أو أسبوعين، يُباح خلالها للمريض أن ينهض من سريره، ويحضّه المعالج على ملاحظة الطبيعة وتأمّل جمالاتها. وبوسعه أن يقوم أيضاً ببعض الأعمال المنزلية في البيت أو الحديقة. وأخيراً يُطلب إليه أن يمسك سجلاً يومياً لأفكاره، سيعلق عليه المعالج في الهامش وسيفتني بتطبيقاته. وتخصّص المرحلة الثالثة (مدتها أسبوعان) لعمل حقيقي. ويُعطى تعليمات دقيقة منذ نهوضه من سريره صباحاً: ينبغي له أن يقطع الخشب، وينقل حجارة ثقيلة، ويزرع الأزهار أو يطبخ. وليست هذه الأعمال مجرد «تمضية وقت»، بل هي أعمال تتطلّب كثيراً من الطاقة، يهدف تنفيذها إلى أن يبيّن للمريض أن من الممكن أن يجد الرضى حتى وهو يرغم نفسه على إنجاز أعمال لايحبّها، شريطة أن يستغرق فيها استغراقاً كاملاً. وستتيح له هذه التجربة الخاصة عندئذ أن يتجاوز مخاوفه وقلقه. وللمرضى (الذين يسمّيهم موريتو Shinkeishitsusha)، خلال هذه المرحلة كلّها، تعليم مفاده ألا يتكلّموا فيما بينهم على أعراضهم وأن يركّزوا كل انتباههم على المهمّات المحدّدة لهم، بغية أن يصبحوا قادرين على الاستمرار في الوجود والعيش في الحاضر كلّياً. ويظلّون، للسبب نفسه، منقطعين عن العالم الخارجي وليس لهم أي اتصّال مع الأسرة أو الأصدقاء. وهم، بالمقابل، يكوّنون مع معالجهم متّحداً، يمضي «حتى النوم وتناول الطعام معاً». وليس الجوّ المحيط جوّ مشفى، بل جو معبد بوذي، جوّ منزل للممارسة الروحية، حيث يكون للمعالج دور المعلم والمرضى دور التلاميذ الباحثين عن «فهم الحياة» (مفهوم شبيه بظاهرة Satori أو «الإشراق»، الهدف النهائي لـ زنْ). ويستمرّ التلاميذ، حتى بعد العلاج، في التدرّب الروحي وفي رواية تجاربهم، التي ينشرونها في مجلة حيث المعلم ينشر أيضاً تعليمه. ويجتمع بعض المرضى، من الذين تلقّوا العلاج النفسي بنجاح، اجتماعاً سنوياً في معبد بوذي زنْ، قريب من فوجي - ياما.

وهذه الطريقة لاتتوجّه إلى الذهانيين، ولا إلى السيكوباتيين (المصابين بالاعتلال النفسي، غير الاجتماعيين أو المعادين للمجتمع)، ولا حتى للهستيريين الذي ينقصهم الصدق، بل يتوجّه على سبيل الحصر إلى الذين يعانون Shinkei-shitsu أو «الاهتياج العصبي النفسي»، ولاسيّما إلى الذين يطمحون صادقين وبحرارة إلى أن يعيشوا كل العيش، ولكنهم ضلّوا في درب سيىء (Mayoi). إنهم يتوصّلون، بوصفهم منشغلين بأنفسهم، وتزعجهم ضروب عسرهم وهمومهم، إلى أن يعزّزوا أنفسهم بـ «العمل المتبادل للحياة النفسية»، وستكون مهمة المعالج الأولى أن يحطّم السلسلة المغلقة من الظروف، السلسلة التي تسجنهم. ثم بوسعه فقط أن يصحّح الآليات السيكولوجية غير الملائمة، إذ يقود المرضى إلى نقد أعراضهم واعتبارها استيهامات، وإذ يمارسون تجربة واقع الظاهرات السيكولوجية لـ الذات. ولكن مساعدة الغير في إيجاد «درب الحياة» تقتضي من المساعد أن يكون هو ذاته قد تغلّب على اهتياجه النفسي العصبي الخاص به ووصل إلى «فهم الحياة». وهذا هو السبب الذي من أجله ينبغي لعالم النفس أو الطبيب، الذي يرغب في تطبيق العلاج النفسي لموريتا، أن يكون قد خضع هو ذاته إلى مثل هذا النُسْك. (انظر في هذا المعجم: **العلاج بالعمل، التأمل، العلاج بالفاعلية، زنْ**).

N.S.

مورينو (جاكوب) Moreno (Jacob Levi)

طبيب وعالم نفس أمريكي، من أصل روماني (نوخارسْت، 1889 – بيكون، نيو يورك، 1974).

عاني مورينو، بعد أن أنهى فحص الدكتوراه في الطب بجامعة فيينّة، حيث كان تلميذ عالم الأعصاب والطبيب النفسي النمساوي أوتّو بوتْزل (1877 -1962)، غواية أفكار هنري برغسون (1859 - 1941). ويعتقد، كبرغسون، أن الحدْس، الذي يحملنا إلى قلب الأشياء بدلاً أن يتركنا خارجها، يمكنه أن يُستخدم طريقة، وأن «الدفْعة الحيوية» هي الفاعلية ذاتها، فاعلية الحياة، التي تحقّق ما لديها من كمون. ويعتقد أيضاً أن حرية الإنسان تمرّ في الابتكار، والابتكار في التلقائية. وتلتقي أفكاره الإنسانية أفكار جـ. جـ. روسّو (1712 - 1778)، الذي كان يعتقد أن كون الإنسان إنساناً يعني بقاءه هو ذاته، يعني أن يصبح كل ما يمكنه أن يكون؛ وأفكار جـ. هـ. بستالوزّي، الداعية الأول للتربية الشعبية. ولكننا بأية وسيلة يمكننا أن نحرّر التلقائية؟ باللعب، بالغناء، بالتمرينات في الهواء الطلْق، كان يقول فروبلْ. واكتسب مورينو اليقين بهذه الأفكار، إذ مضى هو ذاته يلعب مع الأطفال في حدائق فيينّة وشوارعها، وأصبح اللعب بالنسبة له «مبدأ الشفاء الذاتي وعلاج الجماعة». ويؤسّس، شغفاً بالمسرح، مسرحاً دون تحضير، عام 1921، ولا ديكورات، حيث يرتجل المرء دوره ويمثّل الأخبار اليومية، وقاده ذلك إلى المسرح العلاجي، إلى الدراما النفسية والدراما الاجتماعية.

ويمنح حركة الدراما النفسية، إذ هاجر إلى الولايات المتحدة (1925)، توسّعاً كبيراً، ويبحث في التفاعلات الاجتماعية داخل الجماعات (يدرس، في سجن سنْغ سنْغ، ضروب التعاطف والتنافر التي يمثّلها برسم تخطيطي يُسمّى الرسم البياني الاجتماعي) ويؤسّس **القياس الاجتماعي**. وتقنياته مستخدمة منذ الآن في مجالات عديدة من علم النفس التطبيقي: التربية، الصناعة، الجيش، الصحة، إلخ.

ونذكر من كتاباته: **مسرح التلقائية** (1923، بوتْسدام، برلين، غوستاف كيبنْهوير فيرلاغ؛ (مترجم إلى الانغليزية بعنوان **مسرح التلقائية: مدخل إلى الدراما النفسية**، بيكون، نيو يورك، دار بيكون، 1943)؛ **من سيبقى على قيد الحياة؟ مقاربة جديدة للعلاقات الإنسانية** (1934، واشنْطون، دار نشر الأمراض العقلية والعصبية؛ طبعة ثانية منقّحة، 1953، بيكون، نيو يورك، دار نشر بيكون؛ ترجمه إلى الفرنسية هـ. لوزاج و ب. هـ. موكور بعنوان: **أسس القياس الاجتماعي**، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1954)؛ **علاج الجماعة النفسي والدراما النفسية، مدخل نظري وعيادي للتحليل الاجتماعي** (1959، ستوتْغار، جـ. ثيم فرلاغ؛ ترجمه إلى الفرنسية روانه دبلانْباخ و أ. أنْسيلان - شوتْزنْبرْجر بالعنوان نفسه، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1965). (انظر في هذا المعجم: **الدراما النفسية**).

N.S.

الموسيقى

F: Musique

En: Music

D: Musik

فن الأصوات.

الموسيقى لغة تتيح للإنسان أن يعبّر عمّا في نفسه ويتواصل مع الغير. وكانت الموسيقى تُستخدم منذ العصور الأكثر قدماً لتنظيم حركات الجيوش أو حركات العمال. فالمزمار والناي أو الصافرة كانت تُستخدم، منذ اليونان القديمة، لنقل الأوامر في ورشات بناء السفن؛ وكانت آلات النقر وآلات الرنين تُستخدم في الجيوش للمناورة، في حين أن صوت القيثارة وصوت المزمار كان يرافقان الجنود الذين يذهبون للمعركة.

ولكن الموسيقى أكثر من آلة للتواصل: إنها تُستخدم أيضاً للتعبير عن العواطف كالحصر، والحزن، والغضب، والسرور أو الحنان؛ إنها انعكاس الوجدانية، ولغة الانفعالات. وقدرتها تزرع الاضطراب، كان أرسطو (384 - 322 ق.م) يعترف، ذلك أنها قادرة على أن تغيّر حالات النفس لدى الناس؛ وبوسعها، كان أفلاطون (429 - 348 ق.م) يقول قبل أرسطو، إنها «تولّد انحطاط النفس، والوقاحة، والفضائل العكسية».

وسلطات الموسيقى على الموجودات أمر لاشك فيه، ولكن أي أحد لايزال غير قادر على أن يشرحها، وإن كان بوسع كل فرد أن يلاحظها. وتصطدم البحوث

التجريبية القائمة في هذا المجال، حتى الوقت الراهن، بصعوبات يتعذّر تجاوزها. فالموسيقى منبّه معقّد وتختلف الارتكاسات التي تثيرها من شخص سامع إلى آخر، على وجه الخصوص؛ وذلك يعني كم تكون المتغيّرات التي تتدخّل في الدراسة النفسية الموسيقية عديدة: فترتبط بمتغيرات الموسيقى (لحن، إيقاع، نغمية، جرْس، توزيع موسيقى) ومتغيّرات السامع (ثقافته، تربيته الموسيقية، أفضلياته، تجاربه السابقة). والمقطع الموسيقي الواحد، الذي يثير لدى شخص انفعالاً حاداً لأنه يوقظ في نفسه ذكرى خاصة، سيترك أفراداً آخرين غير مبالين. ويفهم المرء، في هذه الشروط، أن الدراسة العلمية لعلاقات الموسيقى وعلم النفس تمثّل مهمة شبه متعذّرة؛ ومهما يكن من أمر، فالموسيقى تقتضي استخدام وسائل كثيرة وتعاون اختصاصيين عديدين: موسيقيين، علماء أصوات، أطباء، علماء نفس، إلخ. وفي حال غياب ذلك، فإن الأمر لايكون سوى محاولات، مقاربات جزئية أو سطحية. واعتقد بعض الباحثين أن بمقدورهم الالتفاف على الصعوبة بتحليل الارتكاسات الفردية على أصوات معيّنة كانوا يعرفون كل أبعادها ويراقبونها: تواتر الاهتزازات، الشدّة، الارتفاع، الاستطاعة، الحجم. ولكن الموسيقى لاترتّد إلى الأصوات التي تتألف منها كما الكلام لايرتدّ إلى التصويتات. فمن يصغي إلى حفلة موسيقية لايستجيب لعناصر صوتية متفكّكة بعضها عن بعض، بل لمجموعات، لأشكال موسيقية حسّاس لها لأنها تتّخذ بالنسبة له دلالة خاصة.

(انظر في هذا المعجم: النموذج الأصلي أو الوراثي، العلاج بالموسيقى).

N.S.

مولّر (جوهان بيتر) Müller (Johannes Peter)

عالم فيزيولوجيا وتشريح ألماني (كوبْلانس، 1801 – برلين، 1858).

أجرى مولّر، الأستاذ في بون (1826) ثم في برلين (1833)، بحوثاً ذات أهمية في فيزيولوجيا الجملة العصبية وأعلن على وجه الخصوص قانون الطاقات العصبية النوعية (1840)، الذي ينصّ على أن الإحساس غير تابع للمنبّه بل للعضو الحسّي المثار. فلكل مستقبل (أو الألياف المرتبطة به) نوعية أو طاقة حسّية نوعية، ويقدّم دائماً للشعور، أياً كان أسلوب تنبيهه، هذه النوعية الخاصّة. مثال ذلك أن العصب البصري يقدّم دائماً إحساساً ضوئياً، سواء كان المنبّه نوراً، تياراً كهربائياً أو صدمة. وكان مؤلفون عديدون قد تحقّقوا من صحة هذه النظرية، كهرْمان فون هيلْمهولْتز (1821 - 1894)، الذي درس الإحساسات البصرية والسمعية، وهانْز هينْنْغ (ستراسْبورغ، 1885 – بادن – بادن، 1946) أو ك. بفافْمان (1941) اللذين درسا الإحساسات الذوقية، وكشف بفافمان وجود ثلاث زمر من الألياف العصبية الذوقية المرتبطة على التوالي بالطعوم: الحامض، والمرّ والمالح. والواقع أن س. توورْ (1943) بيّن أننا لانجد في القرنية سوى خيوط دقيقة عصبية ذات نهاية حرّة تنبيهها يسبّب الألم. والحال أن الغلالة الشفّافة للعين حسّاسة أيضاً للضغط، والحرارة والبرودة (ب. ب. لوله (و) جـ. وُدّلْ، 1956).

N.S.

مونْتين(ميشيل إيكمْ دو) Montaigne (Michel Eyquem De)

كاتب أخلاق فرنسي (قصر مونتين، في بيريغور، الآن بلدية سان - ميشيل - دو - مونتين، دورْدون، 1533 - المكان نفسه، 1592).

انسحب مونتين، في الثامنة والثلاثين من عمره، إلى أراضيه، ليجعل من نفسه مشاهد العالم ويخصّص أوقات فراغه إلى كتابة محاولاته (المنشورة عامي 1580 - 1588). ويعكف مونتين، في هذا التأليف المفكّك، على أن يختبر حكمه وأن يصف ذاته، واعياً الأهمية الكلية لهذا الاستبطان، «ذلك أن كل إنسان يحمل في ذاته الشكل الكامل للوضع الإنساني» (محاولات III، 2). ويمارس مونتين سيكولوجيا تتّصف معاً أنها ثاقبة ونقدية لكل وسائل المعرفة (الإحساس، الحكم، العقل) ونتائجها (لذائذ، آراء، معتقدات، علم)، مبرهناً على ضعف النوع الإنساني المزهوّ جداً، وحاضاً على الريبية. ويصف العواطف، ولاسيّما الصداقة والتسامح، وهما قيمتاه الأخلاقيتان. ويكشف لنا أيضاً، فضلاً عن تصوراته السياسية والدينية، عن فكرته في البيداغوجيا والتربية: ينبغي، لكي يتفتّح الطفل، أن نوقظ اهتمامه، ويستخدم الألعاب، والملاحظة، والأسفار. فنموّ الذاكرة الكتبية غير ذات أهمية، «ذلك أن المعرفة المحفوظة غيباً ليست معرفة»؛ والأكثر أهمية أن يتوصّل المرء إلى أن يحكم حكماً سليماً، بذاته، ويتعلّم أن يعيش حياته جيداً، ويبلغ ضرباً من الحكمة. والمربّي الذي ينبغي أن يكون «ذا رأس جيّد التكوّن بدلاً من رأس مملوء جيّداً»، سيحظّر العقوبات الجسدية ولكنه سيحرص على أن يؤمّن لتلميذه وسائل اكتساب السيادة على الذات، بممارسة التمرينات الجسدية، ذلك أن تربية الجسم لاتنفصل عن تربية النفس.

R.M.

مونيم، مورفيم **F: Monème, Morphème**

En: Moneme, Morpheme

D: Monem, Morphem

هذا المصطلحان يمكنهما أن يُعتبرا مترادفين، كلاهما يدّلان، باشتقاقهما وباستعمالهما، على وحدات صغرى للانبناء الأول، أي أصغر الوحدات التي تقبل العزل في السلسلة المحكيّة، ولها «شكل» (الدالّ) و «معنى» (المدلول).

مثال ذلك الجملة التالية: كانت سيارة صديقي واقفة.

في هذه الجملة، نحدّد الوحدات الصغرى السبعَ التالية ذات الدلالة: / كان/ ، / تاء التأنيث/ ، / سيارة/ صديق/ ، / ياء المتكلّم/ ، / واقف/ ، / تاء التأنيث/ . ونسمّيها، بحسب المدارس، مونيمات أو مورفيمات. فمصطلح مورفيم، لدى أندره مارتينه (المولود عام 1908)، مخصّص إلى تلك التي من المونيمات تكون مقيّدة (المونيمات النحوية)، بالتقابل مع الوحدات المعجمية التي تكون حرّة. وهذه الوحدات الصغرى تُعزل بفعل الاستبدال، فبوسعنا في الواقع أن نستبدل بكل وحدة منها وحدة أخرى من الصنف نفسه، إذ تظلّ بقية الجملة، أو السياق، ثابتة على وجه الدقة. فمن الممكن على هذا النحو أن تُستبدل بـ «واقفة» «مسرعة»، إلخ. وتجري الاستبدالات على محور الاستبدال (كما هو الأمر بين «واقفة» و «مسرعة»). والعلاقات بين الوحدات في السلسلة المحكيّة هي علاقة تركيب نحوي (محور التركيب [أو النظم] النحوي)، كالعلاقة بين «الـ» التعريف و «المعرّف»، بين «الفاعل» و «الفعل»، إلخ. ويشمل اختيار الألفاظ بوصفها مونيماً

أو مورفيماً أكثر من مجرّد فارق في علم المصطلحات. ففي التقليد الأمريكي (الذي يستخدم مصطلح مورفيم)، ثمة عزمٌ، في البدء، على تجنّب اللجوء إلى المعنى؛ والإلحاح يكون إذن على وجود شكل، على تكرار مقطع مماثل، في السلسلة، لتماثل المورفيم، وذلك أمر يمكنه أن يقود إلى صعوبات. ومعيار الوجود أو الغياب لشكل موجود الآن، هو، لدى مارتينه، (استخدام المونيم) أقلّ أهمية من معيار الاختيار: فلا وجود لمونيم إلا إذا كان الشكل المحدّد يكوّن بالفعل موضوع اختيار في السياق المأخوذ بالحسبان. وهكذا فإن الشكل [a -] في «La malade» [المريضة] (لأن بوسعنا أن نختار بين «Le malade» [المريض] و «La malade» [المريضة] وأن هذا الاختيار يُنتج وحده مفعول معنى، أي تمايزاً في الجنس هنا)، ولكنه (أي الشكل a -) لم يعد مونيماً في «La Cascade» [الشلال]، حيث وجوده جعله اختيار Cascade (وليس ruisseau [أي جدول، ترافق الكلمة بالفرنسية Le]) آلياً، ولايمكنه أن يكوّن موضع اختيار (فالقول بالفرنسية Le Cascade لايعني شيئاً. فالشكل الواحد لايمكنه إذن أن يكون دائماً خاضعاً لتحليل ألسني واحد، ولو أنه يبدو في السياقين من نموذج واحد. والمونيم الواحد يمكنه أن يكون حاضراً وليس له شكل ماديّ: هكذا تتحدّد صيغة الحاضر présent في «il mange»، بالتقابل مع صيغة imparfait، بواسطة «دالّ عدم». وربما يتجسّد الدالّ، ولكن يتعذّر عزله لأنه يندمج اندماجاً معقّداً بدالّ مونيم آخر: ففي قول J'ai، تكون ai اندماج «avoir» و «صيغة الحاضر»؛ ولكن ثمة مونيمان تماماً، ذلك أن كلاً منهما يكوّن موضوع اختيار: إنني قلت j'ai entendu ولم أقل j'eus، ولم أقل أيضاً j'entends (أي أسمع). وعلى الرغم من هذه الفروق، فاللفظتان تتطابقان على وجه الإجمال. أما ما يخصّ مشكلات اللجوء إلى المعنى، فإن معظم الألسنيين، دون تمييز بين المدارس، يتّفقون على ممارسة واحدة: يبيح الألسني الواصف، على أرض الواقع، أن يُخضع التركيبات المختلفة لراويه ابن البلد ليطلب إليه إن كان ذلك يعني شيئاً، إن كان المعنى هو نفسه أو إن كان المعنى مختلفاً. وينبغي لهذه الاحتياطات أن تتيح وصفاً موضوعياً، يتجنّب نقل بنيات مألوفة للألسني إلى لسان يدرسه.

ومن المناسب أن نميّز بين مورفيم (مرادف المونيم، أو مونيم نحوي) الألسنية ومورفيم فقه اللغة الكلاسيكي، الذي كان يدلّ على نهاية الكلمات، المتضمّنة عناصر مختلفة كاختلاف علامات الجنس، والتوافق مع الشخص والعدد، التي ليست مونيمات، والزوائد، والحالات الإعرابية، ومحدّدات العدد، وأزمنة الأفعال وصيغها، أو حروف الجر والروابط، وهي كلها وحدات ذات دلالة بمنتهى الحق.

وكان علم الصرف، بالمعنى التقليدي، دراسة هذه العناصر المختلفة، ويُعرّف أيضاً أنه دراسة تغيّر الكلمات (بنهايات وبتناوب الجذر)، وذلك يمكنه أن يشمل وقائع ألسنية متغايرة جداً. ويمكننا أن نختار تعريفاً أكثر إجرائية لعلم الصرف (المقابل لعلم النحو) أنه دراسة كلّ الوقائع التي تتدخّل إضافةً، ودون إسهام على مستوى المدلول، إلى التركيب النحوي للوحدات: تغيّر آلي للدالات، توافقات، «تخثّر» العبارات؛ تقييدات لـ «قابلية تركيب الوحدات»، أي، في رأي و. ف. ماكه (1965)، تحديدات للإمكانات الموجودة لدى هذه الوحدات في أن تجتمع (ترابطاً أو تجاوراً) بوحدات أخرى من مستوى واحد من التحليل الألسني (مثال ذلك الصفة «جيّد» ذات القابلية الكبيرة: جيد جداً، إنسان جيّد، نص جيّد، إلخ).

و «المورفيم»، في النحو التوليدي، ضرب من التجريد، ومشكل دالّه المحدّد لايُطرح إلا عند الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية، حيث تطبيق القواعد الصرفية والفونولوجية ينبغي له أن يتيح الحصول على شكل مشخّص منتظر. (انظر في هذا المعجم: شومسكي، نموذج تفسيري، فونيم، التركيب النحوي).

C.M.A.

مونييه (إيمانويل) Mounier (Emmanuel)

فيلسوف وعالم نفس فرنسي (غرونوبل، إيزير، 1905 - شاتونه - مالابري، هو - دو سين، 1950).

مفهومان سيكولوجيان ينبغي لهما أن يسترعيا انتباهنا في تأليفه المضطرم الملتزم: مفهوما الشخص و الطبع.

الشخص، في رأي مونييه هو نفي الفردية، والملك، والإشراطات. إنه ما يجعل الشخصية، في الإنسان، تتعالى نحو القيمة والغير؛ إنه فاعلية تواصل وحب. وهو لايتحقّق بصورة مستقلّة عن « المتّحد الشخصاني». وتبين فلسفة وجودية للعمل في هذا المفهوم، عمل يحقّق الشخص وهو يُغيّر المجتمع. ويبسط مونييه في كتابه، المطوّل في الطبع، سيكولوجيا مشخّصة تحلّل كل محدّدات أسلوب الوجود في العالم وتتضمّن وصفاً دقيقاً للاتجاهات الإنسانية الممكنة المختلفة: إزاء الحياة، والغير، والمستقبل، والزمن، والواقعي، إلخ. وينجم عن ذلك أن الطبع ضرب من الاتجاه السائد أو المبنْين. ولكن هذه الاتجاهات، التي تبدو كأنها أساليب أو نهوج، لاوجود لها وليس لها معنى إلا بما يفعله بها «الموجود - في - الطريق» للشخص السائر نحو تحقيق ذاته. فليس طبعي ما أنا عليه، بمعنى أن صورة سيكولوجية خاطفة تجدّد كل محدّداتي التامة، وكل سماتي المحفورة الآن. إنه شكل من حركة متوجّهة نحو مستقبل ومخلصة لموجود وجودُه في حدّه الأقصى (المطوّل في الطبع، ص. 60). ونذكر من مؤلفات مونييه: الثورة الشخصانية

والمتحدية (باريس، أوبيه، 1936)؛ **المطوّل في الطبع** (باريس، دار النشر سوي، 1946)؛ **الشخصانية** (باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1949)؛ **دفاتر الطريق**: 1) نور المسيحية؛ 2) اليقينيات الشاقة؛ 3) أمل اليائسين (باريس، دار نشر سوي، 1950 - 1953). (انظر في هذا المعجم: **الشخصانية**).

R.M.

ميد (مارْغريت) Mead (Margaret)

عالمة نفس وعالمة إتنولوجيا أمريكية (فيلادلفية، بْسلفانية، 1901 – نيو يورك، 1978).

تقدّم مارغريت، بعد دراستها في جامعة كولومبية بنيو يورك حيث كانت تلميذة فرانْز بوس (1858 - 1942) وروث بينيديكت (1887 - 1948)، أطروحتها في الثقافة البولينيزية (1924) وتغادر وطنها إلى جزر (بولينيزية)، حيث ستدرس على أرض الواقع مشكلات بلوغ سن الرشد لدى شباب جزرساموا. وتلاحظ فيها أن المرور من الطفولة إلى سنّ الرشد يحدث دون عثرة، ولا وجود لـ «أزمة» مراهقة. وتكوّن ملاحظاتها مادّة لمؤلّفها الأول: **القدوم إلى سن الرشد في ساموا** (نيو يورك، مورّو، 1928). وتلاحظ فيما بعد، خلال إرساليات عديدة إلى ميلانيزية (جزر أميدوته، غينية الجديدة) وأنْدونيسية (بالي)، سلوك الأطفال والمراهقين وتبذل جهدها في تحديد تأثير التربية في طبع الشخصية وتكوينها. وتبيّن، في دراستها ثلاثة مجتمعات مجاورة لغينية الجديدة (**الجنس والمزاج في ثلاثة مجتمعات بدائية**، نيو يورك، مورّو، 1935)، أن حضارات عديدة، في إقليم واحد، يمكنها أن تحدّد تصرّفات مختلفة بفعل «قولبة» الميول الأساسية: الرجل والمرأة من الأرابش لطيفان وحسّاسان؛ والماندو غومور عدوانيون وعنيفون؛ والرجل، لدى التشامْبولي، متساهل وباهت، في حين أن المرأة فعّالة ومسيطرة. وذلك سيكون برهاناً إضافياً على أننا، في الجزء الأكبر منا، ذلك التعبير عن ثقافتنا. وبيّنت مارغريت ميد أيضاً أن التعلّم الاجتماعي ليس له معنى ومفعول إلا بالسياق الثقافي الإجمالي الذي يجري فيه هذا التعلّم. مثال ذلك أن الفطام العنيف

· ليس له الدلالة نفسها بالنسبة للطفل وفق كونه ترافقه ملاحظات الأم والمحيط أو تعنيفاتهما.

وشغلت مارغريت ميد كرسيّ الإثنولوجيا في جامعة كولومبية (1954)، ومساعد قيّم لمتحف التاريخ الطبيعي في نيو يورك. مؤلفاتها عديدة، وكانت عدّة مؤلفات منها قد تُرجمت إلى الفرنسية؛ فكتاباها: **القدوم إلى سن الرشد و الجنس والمزاج في ثلاثة مجتمعات بدائية**، كانا قد جُمعا في عنوان واحد: **الأعراف والجنسية في أوقيانوسية** (باريس، بلو، 1963)؛ **الذكر والأنثى: دراسة الجنسين في عالم متغيّر** (1948) كان قد تُرجم إلى الفرنسية بعنوان: **الجنس والجنس الآخر، أدوار الرجل والمرأة في المجتمع** (باريس، غونتيه، 1966). ونذكر أيضاً من مؤلفاتها: **النموّ في غينية الجديدة** (1930، مترجم إلى الفرنسية بعنوان: **التربية في غينية الجديدة** (باريس، بيّو، 1973)؛ **التعاون والتنافس لدى الشعوب القديمة** (نيو يورك ماك غرو - هيل، 1937)؛ **طبع سكان بالي: تحليل تصويري** (بالتعاون مع غ. باتيسون، نيو يورك، أكاديمية العلوم، 1942)؛ **استمراريات في التطوّر الثقافي** (1964).

N.S.

ميد (جورج هرْبرْت) Mead (George Hertbert)

فيلسوف وعالم اجتماع أمريكي (جنوب هادْله، ماساشوسّت، 1863- شيكاغو، 1931).

كان جورج ميد أستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة شيكاغو، من عام 1893 حتى موته. واستأنف وعمّق مفهوم «الأنا الاجتماعية» لولْيم جيمْس (1842-1910)، وشارل هورتْون كوله (1829-1864)، وجون ديوي (1859-1952). فميولنا، الأكثر عمقاً، بحسب نظريته، يصوغها الضغط الاجتماعي. وليست الأنا لدينا ما نحن عليه بصورة أساسية، بل ما نصبح عليه أمام الغير. وتتكوّن الأنا بدءاً من الأدوار التي نمثّلها والاتجاهات التي نتبنّاها حتى تمتثل إلى ما يتوقّعه الآخرون منا. فالطفل يتعلّم في ألعابه أن يمثّل دور شخصية الطفل ويتدرّب على الأدوار الآخرين، بما فيها أدوار الراشدين من محيطه. ويتعلّم، إذ يضطلع بأدوار مختلفة اضطلاعاً متوالياً، أن يزيل تمركزه على ذاته، وذلك أمر يقوده إلى أن يخرج من نزعة التمركز الذاتي لديه، ويفتح له درب الحياة الاجتماعية ويجعله يجتاز الشعور بفرديته الخاصّة.

وكان جـ. هـ. ميد أبا مارغريت ميد. ونَدين له بـ: **فلسفة الراهن** (1932)؛ **الفكر، الذات والمجتمع** (نشره شارل موريس، 1934، الترجمة الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1962)؛ **فلسفة الفعل** (1988).

(انظر في هذا المعجم: **الدور**).

N.S.

ميرا إي لوبيز (إميليو) Mira Y Lopez (Émilio)

طبيب وعالم نفس إسباني (سنتياغو كوبا، جزر الأنتيل الكبرى، 1896).

هاجر ميرا، بعد أن علّم الطب النفسي في جامعة بارشلونة وأدار مؤسسة علم النفس التقني في هذه المدينة، إلى البرازيل، حيث أدار، بدءاً من عام 1946، مؤسّسة التوجيه المهني في ريّو دو جونيرو. وأعدّ عام 1939 رائزاً عقلياً ذا تعبير كتابي، **التشخيص النفسي العضلي الحركي**، الذي يكوّن تقنية دارسة للشخصية قائمة على الدلالة السيكولوجية لتوتّر الوضعة وعلى الحركة التعبيرية. فثمة فكرتان عامّتان تؤسّسان الرائز العضلي الحركي: الأولى أن في الجسم دائماً زمراً عضلية غالبة، إذ أن هذه الغلبة ذات علاقة بالاتجاهات السيكولوجية؛ الثانية أن التعبيرات الحركية لنصف الجسم الأفضل نمواً من ناحية العمل الوظائفي (الجهة اليمنى لدى الأيامن واليسرى لدى الأياسر) تُظهر ميول الشخص الحالية والطبيعية، في حين أن التعبيرات الحركية لنصف الجسم المقابل تحجب الاستعدادات الغريزية العميقة. ويتيح التشخيص النفسي العضلي الحركي أن يقيّم على النحو الأخصّ توجّه الشخصيات الخارجي أو الداخلي، الإثارة أو الكفّ، العدوانية، القلق، الانفعالية، الاكتئاب، ويكشف وجود أوضاع نزاعية أو عناصر مرضية.

J.L

ميل (جون ستوارْت) Mill (John Stuart)

فيلسوف وعالم اقتصاد انغليزي (لندن، 1806–أفنيون، فوكلوز، 1873).

يبسط ميل، المتأثّر بالتيّار الاختباري في القرن الثامن عشر، الذي يمثّله دافيد هيوم (1711-1776)، تحليلاً للحياة العقلية يشقّ الدرب للبحوث في ولادة النظرية الترابطية بين الأفكار وقوانينها. ويدافع، من جهة أخرى، عن مبدأ أخلاق قائمة على اللذّة، تختلف اختلافاً ضئيلاً عن أخلاق جـ. بنْتام. ومن المعلوم أن «مبدأ السعادة الكبرى للعدد الأكبر من الأفراد»، الذي ينبغي، في رأي بنْتام، أن يُستخدم الأساس لحكومة الناس، يفضي إلى «علم الحساب الأخلاقي» الذي يأخذ بالحسبان تلك القيمة الخاصّة لمختلف اللذات. ويُجري جـ. س. ميل تحليلاً سيكولوجياً لـ نوعيّة اللذة، يجعلها معارضة للحساب الكمّي المحض للذة الكبرى لدى بنتام، واللذة ذات النوعية الفضلى تبدو له اجتماعية: اللذة الناجمة عن تأدية خدمة للآخرين ولذّتا التعاطف والعون المتبادل، تبدو له جديرة بأن تصبح مبادى الوجود الأخلاقي. (انظر في هذا المعجم: الترابطية).

R.M.

F: Tendance — **الميل**

En: tendancy, drive

D: tendenz

طاقة داخلية المنشأ يدفع العضوية إلى تنفيذ عمل معيّن.

الميل، كان تيودور ريبو يقول، هو ما يضع الفرد في حالة الحركة، «إنه حركة أو توقّف حركة في حالة نشوئها». واستعمل هذه الكلمة، كان يضيف، «مرادفاً للحاجات، والشهوات، والغرائز، والنزعات؛ إنها المصطلح النوعي الذي تكون الكلمات الأخرى ضروباً له؛ وكلمة ميل تتميّز عليها أنها تشمل جانبي الظاهرة السيكولوجي والبيولوجي» (1896، ص. 2). ويعتبر ألبير بورلو (1888 - 1954) أيضاً أن كل فعل يدعمه ويوجّهه ميلٌ يملك طاقته الخاصة أو قصد هو «عمل واتجاه في الوقت نفسه»؛ فالميل والقصد اصطفائيان لسبب وحيد مفاده أنهما يتوجّهان نحو هدف، موضوع، سمة معروفة أو مستشعرة، تنقصهما. وموريس برادين (1874- 1958) يعرّف الميل أيضاً أنه «توجّه تلقائي لعدد معيّن من الحاجات نحو أشياء تؤمّن لها الإشباع» (1943، ص. 164). وينظر علماء النفس الحديثون، على نحو عام، إلى الميل أنه استعداد داخلي يقود العضوية الحيّة إلى أن تعيد التوازن الداخلي عندما يكون مصاباً بالاختلال، وإلى تقليص التوتّر الداخلي الذي تسبّبه الحاجة غير المشبعة.

N.S.

الميل إلى الأمومة

F: Tendance maternelle

En: Maternal drive

D: Muttertrieb

استعداد طبيعي لتبنّي السلوكات الخاصة بالأم.

علماء سيكولوجيا الحيوان برهنوا على أن تعلّق الأمهات بنسلهن أقوى من الميول الأخرى على وجه العموم. مثال ذلك أن ج. واردْنْ ومعاونيه لاحظوا، وهم يطبّقون طريقة الإعاقة على فئران بيضاء، أن فأراً جائعاً مفصولاً عن غذائه بشباك مكهرب كان أقد أجرى وسطياً 18.2 مروراً ليسكّن جوعه؛ وكان الحيوان الظامىء قد أجرى 20.4 مروراً، أما الأم المفصولة عن صغيرها، فإنها كانت قد واجهت الألم 22.4 مرة وسطياً لتجد صغيرها مجدّداً. ويفقد هذا الميل قوته مع ذلك بمقدار ما يزداد عمر الصغار أو تشيخ الأم. ويكون البحث عن الصغير ناجماً، في رأي ب. ت. يونغ، في الجزء الأكبر منه عن واقع مفاده أن الأم تحتاج إلى أن ترضع صغيرها لتزيل الاحتقان في غدد الثديين. وتتدخّل عوامل بيولوجية أخرى أيضاً في هذا السلوك. وقد كان ممكناً، في الواقع، إثارة سلوك أمومي لدى فئران ذكور في سن الرشد، بفعل زرع الفصّ الأمامي من النخامى. فبدأت هذه الحيوانات تبني أعشاشها، وتلحس صغارها وتسلك معها سلوك الأمهات.

N.S.

مين دو بيرون Maine de Biran (Marie François) Pierre Gonthier de Biran

فيلسوف وعالم نفس فرنسي (بيرْجوراك، دوردون، 1766 - باريس، 1824).

تأليف مين دو بيران، الذي يندرج في التأليف بوصفه ارتكاساً ضدّ رونه ديكارت وضدّ إ. ب. دو كوندِيّاك (1714 - 1780)، يفتح الدروب لضرب من علم النفس الوصفي، الفينومينولوجي قبل نضج الفينومينولوجيا، الذي استطال تأثيره حتى أيامنا هذه لأن هنري برغسون (1859 - 1941) كان متأثراً به أعمق التأثير. ويعتقد مين دو بيرون، الباحث عن «مبدأ أول» لعلم النفس، الذي يرفض معاً كوجيتو ديكارت و إحساس كوندياك، أنه يكتشف هذا المبدأ في الشعور بـ الجهد، الذي يسمّيه «الواقع الأول ذا المعنى الحميم»، ويكتشفه على نحو أدقّ في الجهد الحركي الإدراكي. والمقصود علاقة حيّة بين الأنا والعالم الخارجي، سابقة على وجود هذين اللفظين: الشعور، من جهة، والعالم الخارجي المقاوم من جهة أخرى (الذات والموضوع). والجهد، هذا الفعل، الأساسي للإرادة، للإبداعية والحرية، راقد في الإحساسات السلبية - مستوى يوجد فيه «السائر الميكانيكي في نومه» لـ م. دو كونديّاك (إلماع للتمثال الذي تخيّله كوندياك) -، إنه يخلو من التفكير وليس له بعد في الوعي العفوي، وذو توتّر إلى درجة عليا في [illegible] الإرادي، بحيث أن عمليات الفكر العليا كلّها تفترضه. فالعادة تسبّب الانطفاء البطيء لطاقاتنا الكامنة المبدعة، إنها تخثّرنا في آليات تقضي على معنى الجهد

والتوتّر الخلاق. وفي رأي مين دو بيران أن الأنا تُدرك بوصفها وعياً بالعمل، بوصفها إرادة (أو سبباً فاعلاً) ولكنها لايمكنها أن تدرك بوصفها وجوداً. ولحصر هذه الحرية دون وجود، لهذا الفعل المحض، إنما يستجيب مين دو بيران، في نهاية المطاف، بالاتحاد الصوفي، أي بانصهار الأنا في المبدأ الدينامي للكون. ونذكر من مؤلفاته العديدة: **محاولة في أسس علم النفس** (1812)؛ **علاقات العلوم الطبيعية بعلم النفس** (1813)؛ **يوميات حميمة** (1814 - 1824) منشورة عام 1927 وأُعيد طبعها عام 1960 (نيو شاتل). (انظر في هذا المعجم: **الاعتياد، التمثّل**).

R.M.

ميّو (جورج إلتون) Mayo (George Elton)

عالم نفس أوسترالي (أديلائيد، أوسترالية، 1880 - غيلدفور، سورّه، بريطانية العظمى، 1949).

إحدى مزايا إلتون ميّو أنه نجح في جذب انتباه الصناعيين إلى أهمية المشكلات الإنسانية في المشروع. وتبرهن تجاربه في مصانع هاوثورن برهاناً واضحاً على أن العلاقات غير الرسمية، والبيئة الاجتماعية للعامل على وجه العموم، تؤدّيان دوراً أكبر أهمية للإنتاجية من دور البيئة المادية والمحرّضات المالية. ولاحظ، إذ راقب خلال خمس سنوات خمسَ عاملات (بموافقتهن) من مصنع الكهرباء الغربي، في شيكاغو، ازدياداً مستمراً في مردودهن خلال السنوات الثلاث الأولى، يليه ثبات هذا المردود في مستوى عال. والحال أن هذا التحسّن لم يكن ممكناً شرحه بتغيّر البيئة المادية لأن المردود كان يتنامى إذا ازدادت الإنارة على سبيل المثال. ولكن المردود كان مستمراً في الازدياد ولو نقصت الإنارة. ولوحظ، على العكس، أن العلاقات بين الإنسانية كانت تنمو نمواً ملائماً، إذ أظهرت العاملات فيما بينهن روح التعاون والصداقة؛ وكنّ يشعرن أنهن أقلّ إكراهاً مما لو كنّ في ورشة عادية. وتتلخّص نتائج إلتون ميّو في ثماني نقاط: 1) العمل فاعلية جماعية؛ 2)السلوك الاجتماعي واهتمامات الراشدين يرتبطان بالعمل ارتباطاً مباشراً؛ 3)الحاجة إلى التعارف والانتساب والأمن أكثر أهمية للمحافظة على معن... العامل من أي شرط آخر؛ 4) الشكاوى لاتعكس الوضع الفعلي للعامل بالضرورة ولكنها يمكنها، على العكس، أن تكون عَرَض ضربٍ من الاضطرابات في الوضع

الاجتماعي لفرد في الوسط الصناعي ؛ 5) اتجاهات العمال وفاعليتهم تحدّدهما الضغوط الاجتماعية التي يعانونها داخل المصنع وخارجه ؛ 6) الجماعات غير الرسمية داخل مشروع تمارس رقابة اجتماعية بارزة على عادات العمّال واتجاهاتهم ؛ 7) للتغيّرات في الرقابة القائمة ميل إلى زرع الاضطراب في التنظيم الاجتماعي للمشروع ؛ 8) المستخدمون القادة يمكنهم أن يخطّطوا ويستخدموا التعاون بين أعضاء الجماعات لتحسين العلاقات الصناعية .

ووجّه بعضهم نقداً لعمل ميّو بسبب واقع مفاده أنه لايأخذ النقابات بالحسبان . أضف إلى ذلك أن بعضهم يدّعي أن أرباب العمل استخدموا نتائجه لغير مصلحة العمال وأن تجاربه ليست قائمة على فروض يقينية . وتوصّل مع ذلك رجال علم آخرون، في بلدان مختلفة، إلى النتائج التي توصّل هو إليها . أما مؤلفاته الرئيسة، فهي : **المشكلات الإنسانية في حضارة صناعية** (ماكميلان وشركاه، نيو يورك، 1933)؛ **المشكلات الاجتماعية في حضارة صناعية** (مطبعة جامعة هارفارد، كمبريدج [ماساشوست]، 1945)؛ **سيكولوجيا بيير جانه** (روتليج وكيغان بول، لندن، 1952). انظر في هذا المعجم : **استقصاءات هاوثورن**.

A.L.

محتويات

الجزء الخامس

٢٠٠١/ ٤/ ١ط٢٥٠٠

ISBN 978-9933-407-05-6

9 789933 407056